

محمّد النخعي السوي

المعقول
بج

ا

المفرد

مقدمة

بين الأمس والغد

من طبائع الايام التحول من حال الى حال؛ ففي كل يوم طلوع جديد لم يكن معروفا. أو أقول معروف كان لم يكن في يوم ما جديدا. فما يالقه الاجداد حتى يكون جزءا من حياتهم قد يكون عند الاحفاد منكورا. وما يكون منكورا عند جيل قد يكون عند جيل آخر مألوفا. وهذا ما يراه الانسان في نفسه. فيكون في كهولته غيره في شبابه فكرا وذوقا ورغبة في شيء أو رغبة عنه؛ وهي اطوار جيلت عليها هذه الحياة. سنة الله في الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا

والتحول في الحياة الاجتماعية في غالب الازمنة؛ يعهد منه ان يتتابع ببطء حتى لا يكاد يفتن له الا الامعيون؛ حتى جاء هذا العصر؛ عصر الذرة والصواريخ، فاذا بها تكاد تتحول من حال الى حال في طرفة عين. خصوصا في بعض الاقطار كقطرنا هذا الذي هجم عليه هذا العصر المسرع هجوما مباغتاً؛ فاذا به بين عشية وضحاها كأنما انقلب راسا على عقب.

أمس

اننا اليوم في (المغرب) لفي عهد يعده من يعيشون قبله؛ ثم يمتد بهم العمر الى أن يعيشوا فيه عهدا غريبا عجيبا. فقد شاهدنا كل شيء الى تحول سريع. فقد كنا نجيا في بيئة لا تكاد تمت اليها هذه البيئة الجديدة بأى لون. كنا في دين وفي عادات وفي هيئات وفي افكار وفي مقاييس وفي اوضاع. ثم هانجن اولاء مندفعون الى ما يعاكس كل ما افناه على خط مستقيم.

أمس كان الدين ومثله العليا. والتخلق به. والتحاكم اليه. والحرص على عالمه. واحترام حملته. هو المعروف المجمع عليه لا يختلف فيه اثنان لان ذلك راسخ في النفوس؛ وتواترت عليه القرون؛ منذ عرف المغرب الاسلام في القرن الاول الهجرى الى أن ادركنا نحن ذلك في أوائل القرن الرابع عشر

أمس كانت الحضارة الشرقية هي المعروفة وحدها عندنا بأذواقها وآدابها والوانها وهدوئها واتساع ساحتها. وهي التي استطاعت أن تلتهم حضارة فارس وبيزانطة. ثم تبلورت في دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة. ثم كان مغربنا هذا من ارث هذه الحضارة كنوز كاد يحافظ عليها وحده منذ أن انهارت الاندلس. واستولى التركيون على الشرق الأدنى كله ما عدا هذا القطر السعيد. الذي لم يعرف الا الاستقلال منذ عرف الاسلام ائى الآن. فكان يعرف مقدار كنوزه هذه ويعتز بكل ما فيها من ألوان وافكار وفلسفة وعلوم وآداب ومعمار

أمس كانت عندنا تقاليد محترمة في اللباس وفي اختيار التآثيث وفي حياة الجلوس وفي إقامة الحفلات وفي مزاولة الاعمال. فتكونت لنا حياة اجتماعية توافقت لانها كانت متسلسلة عن الاجداد. لا يحس فيها بانها تتغير في كل جيل، وان كانت في الحقيقة لا بد أن يكون فيها تغير ما في كل جيل - فكانت لها موازين خاصة مألوفة. اليها يتحاكم ذوو الاذواق والافكار عند الاختلاف. فيتخذ حكمها مسمطا. وقانونها مرتكز في أهواق النفوس لا مسطر في الطروس. تلاءمت فيه مقتضيات حياتنا وديننا وعادات مجتمعتنا تلاؤما تاما. دين العربية ولغة الدين. وعادات تكونت تحت نظرهما في قطر امتزج فيه العرب والبربر تمازج الماء القراح بالراح

هكذا كنا أمس نعيش عيشة راضية نقر بها عينا ونرضى عنها كل الرضا لا نرى بها بدلا. بل لا نظن أن هناك من يجبا حياة طيبة مثل حياتنا التي نحيها في أمسنا انجلو اللذبة؛ يوم كنا في عزلة عن العالم. في قطرنا هذا المحاط من جميع جهاته بسدود طبيعية. فمن الجنوب بالمحراء الكبرى، ومن الغرب والشمال بالبحر الواسع الذي لا نكاد نملك فيه ولو سفينة واحدة لركوبه. ومن الشرق بالجزائر التي سدت ايضا دوننا منذ أن استعمرها الفرنسيون من عقود من السنين. فهذه هو محيطنا الذي لا نعرف سواه قد الفناه وسعدنا فيه سعادة من ينشأ في محل خاص في عمره كله. فلا يتصور أن هناك حياة أخرى غير ما هو فيه

اليوم

وفي هذا اليوم دهم علينا الاستعمار بخيله ورجله. بلونه وفكره. بسياسته ومكره. بخضارته المشعة. بعلومه الحيوية المادية. بنظامه العجيب؛ بمعامله المنتجة السريعة؛ بكل شيء يمتهن الحياة الواقعية. فوقع لنا كما وقع لاصحاب الكهف يوم رجعوا الى الحياة، فوجدوا كل ما يعرفونه قد تغير تغيرا تاما. وحين كان المغرب لقنا حاذقا سريع التطور. مندفعا الى كل ما يروقه. اقبل بنهم شديد على اتهام كل ما في هذه الحضارة الغربية العجيبة. التي تغير على جميع نواحي الحياة. فتحدث من التغير ما يجرف التقاليد والافكار وكل ما يمتهن الى العادات. فاذا بالمغرب يتحول في عهد قصير رالي مغرب آخر يفاير كل ما كان معروفا منه في الامس. فاذا بامثالثنا نحن الذين كنا نعيش في شرح شبابنا في المغرب المستقل قبل 1330 هـ. قد كدنا نكون غرباء في طور شيوخوتنا في المغرب المستقل من جديد 1375 هـ. فقد حرصنا أن لا ننكر الا ما يستحق أن ينكر. وان نحمد كل ما يمكن أن يحمد واجتهدنا أن نساير العصر. وان نتفهمه فلا ننكر اخذ ما لا بد من اخذه من أساليب الحضارة ونظما وعلومها - لان الحكمة ضالة المؤمن يلقطها اني وجدها - ولكننا مع ذلك نشاهد اسرافا في التحول السريع الذي لم يراع فيه - حسب انظارنا نحن المسلمين - حكمة ما بين التفریط والافراط؛ فمحاول ان نجتمع بين محاسن امس واليوم. ناصبين ميزان القسط. فاذا بنا نكاد نعيش الآن على هامش الحياة العادية التي اندفع اليها هؤلاء الذين يملكون ناصية الحياة الاجتماعية بعد الاستقلال. واعظم ما نهتم له شيان: احدهما التفریط في المثل العليا التي لا ترسخ في الشعوب الا بعد جهود قرون؛ ومتى اجتثت من اي شعب بمثل هذه الاندفاعات العمياء فان ابناء ذلك الشعب سرعان ما ينحرفون عن الصراط المستقيم في الحياة. وثانيهما التفریط في المحافظة على اللغة العربية وآدابها التي هي شعار المغرب وكثره الموروث المحافظ عليه كلفة رسمية حتى يوم عممت تركيا لغتها في جميع انحاء بلاد العرب منذ اوائل القرن العاشر الهجري. وليت شعري لما ذا كنا نحصر على الاستقلال ان لم تكن اهدافنا المحافظة على مثلنا العليا المجموعة في اسمس ديننا الحنيف؟ والمحافظة على هذه اللغة التي اسمتات المغاربة كلهم وبربرهم في جعلها هي اللغة الوحيدة في البلاد

ومعلوم ما تلمغراوين والمرابطين والموحدين والمرينيين من تمجيد هذه اللغة وهي دول بربرية صميمة وذلك هو موضوع العجب. واما ان يحافظ الادارسة والسعديون والعلويون عليها فان ذلك امر طبيعي.

لان الجالسين منهم على العرش عرب افحاح. هكذا اصبحنا نرى كثيرا من ترائنا يضمحل بكل سرعة. ثم لا يطعم ان يتراجع اليه الاخلاف الا بعد زمان نطلب الله أن لا يطول

الغمد

نحن نوقن انه سيأتي يوم يثور فيه اولادنا او احفادنا ثورة عنيفة ضد كل ما لا يمت الى غير ما لا بائهم من النافع المحمود. ثم يحاولون مراجعة تاريخهم ليستقوا منه كل ما في امكانهم استدراكه. فلهؤلاء يجب على من وفقه الله من أبناء اليوم أن يسعى في ايجاد المواد الخام لهم في كل ناحية من النواحي التي تندثر بين اعيننا اليوم. وما ذلك الا بايجاد مراجع للتاريخ يسجل فيها عن امس كل ما يمكن من الاخبار والعادات والاعمال والمحافظة على المثل العليا. بل يسجل فيه كل ما كان ولو الخرافات؛ او ما يشبه الخرافات، فان نهم من سيأتون في الغد سيلتهم كل ما يقدم اليه كيفما كان؛ ليستنتج منه ما يريد ان يعرفه عن ماضي اجداده. وهذا احد مغاى هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء

فكرة جمع الكتاب

كنت مرة زرت الزاوية الدلاية من ايت اسحق في سفح الاطلس الكبير. فصرت ابحث هل اجد هناك اثرا من آثار اولئك العلماء الادباء العظام؟ فلم أقع على أى أثر فأغمضت عيني برهة فصرت استحضر كل ما كنت قرأته من الكتب التي تحدثت عن هذه الزاوية. وعن اعمال رجالاتها. فاذا ذاك عرفت ان الخلود لامثال هؤلاء لا يكون الا بالتسجيل بالافلام فاختمرت هذه الفكرة في نفسي عن ناحية سوس الذي اعرف فيها من امثال الزاوية الدلاية عشرات فعشرات كأدوزو تيمكيدشت وأكشتيم وطاطة وناتلت والمعدر وتاددرات واسرير وتاكوشيت وتيفيراسين وأغبالو ماسة وتامانارت وأقا وتازموت واكرار وتاغانين والمجبوب وامثالها. فمنها ما اندثر قبلنا. ثم لا نجد عنها الا مثل الوشم على ظاهر كف العجوز وذقنها. ومنها ما لا يزال فيها رقم. يعرف منه ماضيها المجيد. فكنت أتمنى وأنا اذذاك في مراكش في موالاة الدروس لمن يحلقون حولي لو اجد فراغا لما يختمر في نفسي حتى أودى هذه المهمة التي كانت عندي اذ ذاك كفكرة حديثة بسبب الاخ البونعماني ابي هذه الفكرة. ثم جاء النفي مختتم 1355هـ. الى مسقط راسي

حيث ألزمت القبوع والانحياش والبعد عن المجتمعات. فامتشقت القلم فاتخذته انيسا فى اليوم الثانى لنزولى فى (الخ). وحين لم أجد من اخالط الا من فى زاويتنا قنعت بتسجيل ما يتيسر من بعض اذكيائهم. وفى عشية يوم كنت مع اخى احمد رحمه الله؛ فقال لى وقد رآنى مكبا على تسجيل كل ما اسمع مما جمع فى كتاب (من افواه الرجال) ولا انظم ما اسوقه فيه ولا اختار؛ ماذا تصنع الآن؟ فان كنت لا بد كاتباً؛ فهىء لنا كتاباً عن (الخ) وعن كل من مر فيه من العلماء والادباء والحوادث. ليكون لنا كتاب آل زاوية تيمكيدشت الذى الفه العربى المشرفى الفاسى؛ فكانت هذه الكلمة من الاخ هى البذرة الاولى من هذا الكتاب. ثم نظمته تنظيماً يكاد يستوفى كل اعمال زوايا سوس ومدارسها مع الاثام باخبار بعض رؤسائها والحروب بينهم. وجمع رجالات الاسر العلمية تفصيلاً. وقد رتبت الكتاب على خمسة اقسام. فاشتطت انى كلما ذكرت رجلاً ممن كانوا على شرط الكتاب ان اذكر كل ما حواليه من رجالات اسرته من العلماء ومن تلاميذه ومن اساتذته وبهذا استطعت ان احشر فى الكتاب كمية عظيمة من زوايا العلم بسوس وبعض ديار الرياسة. فطال الكتاب بذلك حتى كانت مجلداته تنقسم الى هذه الاجزاء

3 فى الالفين العلماء والرؤساء

5 فى اساتذتهم كالجشتميين والادوزيين والتيمكيدشتين وآل ماء العيين والمزواريين والتامانارتين والاقاريضيين.

3 فى تلامذة مدرستهم كاليزيديين والسالميين والحضيكيين والتادراتيين والناصرين والوهداويين الاساويين

6 فى الاخذين عن زاويتهم كالاكراريسين والمحجوبيين والكرسيقيين والمعدريين والركنين والتاتلنيين

3 فى اصدقائهم السوسيين منهم رؤساء كالجرايين والتامانارتيين والقائد المدنى والقائد الناجم وغيرهم. وبهذا صار الكتاب عن سوس موسوعة فيها تسجيل كل ما امكن من اخبار بعض العلماء، وبعض الصوفية؛ وبعض الرؤساء. وانما قلت البعض لان هناك كتاباً خاصاً بعظماء سوس. وآخر فى رؤسائهم. والمقصود ان اسجل أكثر ما يمكن لى تسجيله للغد بهذه الكتب عن هذه الناحية من المغرب

هذا وقد يجد القارئ من ابناء اليوم مما اكتبه ما يعده من سقط المتاع ومما لا ينبغي أن يهتم به مما يعده عند نفسه فى ذوقه من الخرافات

ولكن لا ينسب اننى مؤرخ؛ وقللم المؤرخ الجماعة كخدمة المصور تلتقط كل ما امامها حتى ما تقضى به الاعين. فكما تلتقط الاشعاعات الساطعة تلتقط الظلال الغائمة فان لم يكن قلم من يجمع للتاريخ كذلك، فانه قلم انتصليلى والمسح للحقائق. لان واجب المؤرخ ان ينقل قارته بوساطة براعته الى الذى يتحدث عنه حتى كأنه يشاهد عيانا. واما ان يهذب او يشذب ويحذف ويضيف حتى يضلل القارئ عن الحقائق فذلك هو الزور بعينه ولهذا احرص انا فى التراجم أن اذكر كل شىء مدحا وقدحا وان كنت اعمل فكرى واختار وارجح. لان هذه ايضا من وظائف المؤرخ. ولا خير فى مؤرخ جماع فقط من غير ان يظهر اثر فكره فيها يكتب

وبعد فها انذا اجعل امام القارئ بعض ما سودته عن سوس فى هذا الكتاب الذى هو احد تلك الكتب. وسيجد فيه احيانا تكرارا فى التحدث عن شىء واحد فى مختلف التراجم. والمقصود ايجاد الصور المختلفة باختلاف الروايات لحادثة واحدة. ليستطيع من سيدرس الحادثة غدا ان يستوعب كل ما حوالبها. فنظم الكلام فى صعيد واحد. وانا لا اؤعم فى هذا الكتاب الا انه مجموعة مهيأة لمن سيمسقى منها غدا ما يريد. وكذلك احرص على ذكر العادات وطرائف الاخبار. والنكات الادبية. والنوافى وان لم تكن بمستساعة عند الاذواق العالية فى الادب؛ كما لا ادعى اننى بلغت الغاية او اتبعت المنهج العلمى فى الدقة. وانما ادعى اننى حرصت على امانة النقل عن المصادر - وغالبها من افواه رجالات الاسر - واجتهدت على أن اتبع الترتيب المنطقى ان حاولت الاستنتاج. باذلا جهدى ما استطعت - لان المقصود اولا وآخرا ان يرى القارئ مشاهدة ما يقوم به جانب من جوانب المغرب. يضم طائفة من ابناء امازيغ الشلحين البدويين. فى نشر اللغة العربية وعلومها وآدابها وقد اولعوا بذلك ولوعا غربا. فقاموا باعظم دور فى ذلك بجهودهم الخاصة من غير ان تعينهم الدولة.

ومن مفاخر المغرب ان هذا العمل بنفسه او اكثر منه كان فى بوادى درعة وفى تافيلالت وفى دكالة وفى الريف. ولكن اين من يجمع لنا مما هناك مثل هذا اجمع. وان لم يكن جمعا واسعا كما ينبغي. ولا مستوعبا كما كان يجب

ثم اننى ابن زاوية وابن بيمة امس. مومن بالروحيات الصادقة. فاقبل خرق العادة ان صبح ان ذلك واقع. ولذلك يعذرني من ليس له هذا الايمان ان وجد فى بعض التراجم من الكتاب مثل ذلك فله دينه ولى دينى

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف

فليعلم المطالع لهذا الكتاب باجزائه العشرين انه سيخوض فيها اخبار
الفقهاء والادباء والرؤساء والصوفية وكل ما يعن من احوال الابدانية وسيكون
تالداخل الى السوق التي تجمع كل شىء. فلماخذ ما يعجبه وليعرض عما
لا يعجبه. فان ما لا يعده الا شئنا تافها؛ ان كان لا يذوق حلاوته. قد يكون
ازاءه قارئ آخر لا يعجبه هو الا ذلك. فالكتاب كما يقولون كالمائدة الطافحة
بانواع الاطعمة، ياكل كل واحد منها ما يشتهي فمّن ليس باديّب لا يرتاح
للادب. ومّن ليس بفقير لا يرتاح لاحوال الفقهاء. ومّن ليس بصوفى يستنكر
حتى ما هو حق من احوال الصوفية. نعم ان من يكون مؤرخا يريد ان يستنتج
يفرح بكل شىء ولو انخرافات فضلا عن الحقائق .

وأخيرا

فقد وضعت امس كتاب (سوس العالة) أمام القارئ. وهو كائنا فنة
لهذا الكتاب واخوانه من الكتب الاخرى. وهاك الآن (الجزء الاول) من هذا
الكتاب الثانى الذى ستعد من اجزائه الى العشرين ان شاء الله. قاله ييسر
بفضله؛ فان لم يخرج القارئ بكل ما يريد من الكتاب عن (سوس) فانه
على الاقل يخرج بفائدة كانت عنده قبل الكتاب من المجهولات. نطلب الله
ان ياتى بمن يستتم ما ينقص فى الموضوع • او يصحح الاغلاط • وما ذلك على
شبابنا الذى تراه يشارك اليوم فى هذا الميدان ببعيد

م خ س



بيان

غالب الاعلام فى لغة الشلحة لا ينطق بها كما هى عند اهلها الا مضبوطة مشكولة وحين كان ذلك الآن كالمتعذر فى مطابعا العربية المغربية سلكت الطريقة التى تعناد فى أخوات انشلحة من اللغات العجمية فأجعل الانف مكان الفتحة والواو مكان الضمة والياء مكان الكسرة وكل حرف ليس أمامه الف او ياء فانه مسكن فمثلا تجد (تمنرت) فى اقلام الكاتبين السوسيين فلا تهتدى الى قراءتها ولكن ان كتبتها هكذا (تامانارت) فانك تفتح التاء والميم والنون وتسكن الراء فاذا بك نطقت بها نطقا صحيحا وكذلك (ايدىكل) و(ازاريف) و(اكجكال) و(تيغمى) و(ااقا) و(تامادولت) و(تيغنوت) (تاكازا) و(ايسى) و(تالبرجت) و(تيفرميت) و(تاكومت) و(ايلينغ) و(السخ) فالفرق بينهما ان الاول مكسور اللام والثانى مسكنها وبهذه الطريقة يستغنى عن شكل ألفاظ شلحية لا حصر لها فلم يبق لنا الا معرفة الحرف المشدد من غيره فلم أقع الى الآن على ما ينبه به على التشديد الا الشكل فمثلا (تيمكيدشت) فجميع الحروف يظهر ضبطها مما تقدم فلم يبق الا الكاف المشددة وكذلك (أكادير واو) فان الواو والياء مشددتان كما يبقى لنا أيضا ما يتعلق بالتفخيم والترقيق فى الحرف؛ والكاف المعقودة التى تكون بين القاف والكاف وهى كثيرة فى الشلحة؛ مثل (اكلو) (اكريسيف) و(ايكوسالن) و(تاكينيت) فان هذين وهما ما يتعلق بالتفخيم والترقيق وما يتعلق بالكاف المعقودة أمرهما خفيف فى نظرى الآن فحينئذ يتلخص لنا أن الذى يكون لنا حجر عثرة فى مطابعا اننى لم تزود بالحروف المشكولة هو الحرف المشدد وحده؛ وسنجهت ان نبين ذلك آخر كل جزء فنرتب الاعلام التى فيها الحرف المشدد على حروف المعجم باعتبار اول الكلمة والله الموفق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم؛ فتح العيون؛ وأرهف الاذان؛ وهدى المجدين؛ وانطق الاتسن باللغات؛ وخص كتابه الكريم بأفصح اللغات لغة العرب خير لغة أخرجت للناس؛ بعد ما هذبتها ألسن العرب العرباء؛ ثم شذبتها حكمة القرآن بالمثل العليا. فاستحقت أن تكون كلغة عامة لجميع من يعتنقون الاسلام من اقصى المشرق الى اقصى المغرب. فالحمد لله الذى هدانا لهذا حتى صرنا - نحن أبناء الخ العجم - ندوق حلاوتها؛ وندرك طلاوتها؛ ونستشف آدابها؛ ونغوص امواج قوافيها، حتى نلعد انفسنا من أبناء يعرب وان لم تكن الا أبناء (أمازيغ). فالانسان بذوقه وبما يستحليه عند التعبير؛ لا بما رضعه من ثدى أمهاته، واللسان بما تتفتح له به المعانى الحلو؛ لا بما يتهدج به من لغة يرثها لا تعد من نبع ولا غرب (1)؛ فاللغة العربية عندنا - معشر الالقيين - هى لغتنا حقا التى نعتز بها. لان بها مراسلتنا ومخاطبتنا حين نريد أن نرفع بأنفسنا عن مستوى جيراننا، وأبناء جلدتنا من الحرييليين والوقفاويين والمجاطين والساموكيين؛ وتلك نعمة أنعم الله بها علينا بفضلله وكرمه؛ حتى اننا لنرى أنفسنا من ورثة الادب العربى؛ فنغار ان مسه ماس بفهاة؛ ونذود عن حماء ان أحسننا بمن يريد أن يمسه باهانة؛ فنحن عرب أقحاح؛ من حرشة الضباب، والمستطيين للشيوخ والقيصوم؛ وان لم تكن أصولنا الا من هؤلاء الذين يجاوروننا من أبناء الشلحين الاماجد

(I) النبع: كفلس والغرب كالفرح من شجر البادية تصنع منها السهام. قال أبو تمام
تخرصا واحاديثا ملفقة ليست بنبع اذاعدت ولاغرب

والصلاة والسلام على من بعثه الله من خير أرض وإن لم تكن
 الا صحراء قاحلة؛ فكان للانسانية جمعا قبل أن يكون مخصوصا في مبادئه
 الحق للعرب الخالص؛ رفع راية الحرية والمساواة والاخاء؛ فأوى الى ظلها
 كل الذين هداهم الله فاستظلوا بتلك الراية من فلبين فاندونيسية الى هذا
 القطر المغربي الذي نكون نحن - أبناء الخ - في أقصى ذنبه الذي هو ذنب
 الطاووس - فيما نرى - ورضى الله عن الصحابة وتابعيهم الذين شرعوا
 وغربوا بهذه الراية المباركة، حتى ركزوها وراءنا في الصحراء الكبرى
 تركيزا؛ ثم لم تقدر أربعة عشر قرنا أن تززعها عن محلها؛ لأن ما مراكزه
 في القلوب لا يمكن أن يتزعزع بالاعاصير، فحيا الله تلك الهمم السماء
 التي تفتح القلوب باللسان العربي وبكتابه الكريم؛ قبل ان تفتح البلاد؛
 وهل عرف العالم فاتحا مثل العرب كما يقول غوستاف لوبون ؟

أما بعد فقد اولعت منذ عرفت قبيل من دبري؛ وميزت يميني من
 شمالي. بالتاريخ والادب؛ وبمطالعة كتبهما فلا أظل ولا أبيت منذ كحلنتي
 العربية بائمهدها، وأذاقتني حلاوة معانيها الطلية فاشتغيت بخمرتها؛ الا بين
 كتاب ابتدئه وآخر اختتمته؛ منذ بكرت الى مطالعة كتاب (الف ليلة وليلة)
 في فجر حياتي؛ اذ كان اول كتاب طالعته وانا ابن نحو عشر سنين؛
 فاخذت بحكاياته التي تدل على ما لمدينة العرب في بغداد ومصر وما اليهما
 من اناقة ولطف وحسن ذوق؛ ورفاهية عيش، ثم لما زدت قدما؛ طالعت مثل:
 المستطرف وحياة الحيوان للدميري وابن خلكان؛ ومروج الذهب؛ ونفح
 الطيب؛ وقلائد العقيان، والاستقصاء؛ ونزهة الحادي؛ والصفوة - وهي
 الكتب التي طالعتها في حياتي الاولى في الخ وما الى الخ من افران واغشان -
 ثم لما كملت تراب الارض بقدم الهجرة (1) ووجدت خزائن تطفح بالكتب
 الكبرى؛ أقبلت بنهم الذي لا يشبع على التهام كل ما تقع عليه عيني كيفما
 كان الكتاب؛ ما دام يمت الى الادب والتاريخ، فلا ارد أي كتاب سنج؛ ولسان
 حالي ينشد قول ابن المعتز

قلبي وثاب الى ذا وذا ليس يرى شيئا فيأباه
 يهيم بالحسن كما ينبغي ويرحم القبح فيهواه

ثم لما حلت بفاس أتى الوادي فطم على القرى (2)؛ فبدلت أخلاقا
 غير التي عهدت من نفسي قبل؛ وانا في مراکش واحواز مراکش، فقد تلقحت

(1) لا يدرك المرء في اوطانه شرفا حتى يكيل تراب الارض بالقدم
 (2) مثل عربي، القرى كغنى: مسيل الماء من الوادي؛ وطم الماء على الشيء:
 اذا غمره .

في جو فاس بما لو لم اتلق به لما كانت لي فكرة، ولا تحركت بي همة؛
ولا نزعت بي نفس عزوف نقول بملء فيها

لي همة عالية فذة طموحها ليس له منتهى،
لو ملكت كل الثرى لاعتلت الى امتلاك سدة المنتهى

تكونت لي في فاس فكرة دينية فرقت بها ما بين الخرافات الموهمة،
وبين الروحانيات الربانية؛ كما نبتت مني غيرة وطنية نسيت بها نفسي
ومصالحى الشخصية؛ فاعدت نفسي فداء لدينى ولوطنى ولاهتى التى هى
امة العرب والاسلام جمعاء وانا بين هاتين: الفكرة والغيرة اسبح في آداب
حية طلع بها هذا العصر الجديد؛ فصرت أقرأ من نشر المنفلوطى وفريد وجدى
ومحمد عبده واضرابهم، ومن شعر شوقى وحافظ ومطران وامثالهم ما عرفت
به أن الذى كنت أسبح فيه منذ صغرى ليس الا ضحاحا كدرا؛ لا يبرد جسدا؛
ولا يفثا غلة؛ ولا يقضى على لهفة .

ثم لما ابت من فاس. وقد الممت بالرباط. حيث احتقبت أيضا علوما
وفهوما وانظارا وبحوثا؛ لم أقع عليها الا في الرباط وفي مشايخ الرباط.
حلمت بالحمراء وقد اقيت فيها مرساتي، وأنسوى أن أقضى الواجب على
لدينى ولوطنى ولشعبى؛ ما بين تلميذ يهذب؛ وبين درس ارشاد يلقى؛ وانا
في جانب ذلك اناغى اليراع فيما عسى أن يرفع من شأن هذه الامة؛ من احياء
ما اندثر من آثار ماضيها، ومن المحافظة على العربية الفصحى التى أراها
اذ ذاك في انهيال؛ ففي هذه الميادين الثلاثة قضيت أزمانا؛ تكشف عن أعمال
كان فضل الله على فيها عظيما؛ ومن بينها اشتغالى بجمع مؤلف حول (العصر
الذهبي لمراكش) يوم كانت عاصمة المرابطين والموحدين، أعددت له من المراجع
ما لو تم بها لكان - فيما كنت أقدر - صنو (عصر المأمون) حجما واسلوبا
وافادة وروعة، لاننى وجدت من ذلك مكان القول ذا سعة؛ ولكن جاء النفى
بفتة؛ فذهبت تلك المراجع مع ما كتب من الاصل الى سلة المهملات

ها انا ذا الآن انفى الى الخ؛ الى مسقط راسي؛ حيث امنع من ان اتصل
بالناس؛ فوجدتنى فجأة امام بيثة كنت نسيته، فخطبت من هناك بهذه
القصيدا التى الممت فيها ببعض لعب الولدان الالفين؛ وبذكريات اول
شبابي؛ أنمطق بها الآن بكل حلاوة :

اليكم - بنى امى - ائيب ركائبى فياليت شمعى هل انا خير آئب (1)
فقد غبت احقابا طوالا وذا انسا اعود كان لم اغد - قط - بغائب

(I) أئيب؛ تقرأ الهمزة الثانية بالياء تسهيلا على ما عرف من القاعدة
اذا اجتمعت همزتان .

صدفت الى ان كان ميل اليكم
كان لم يكن الخ بلادى التى بها
كان لم يكن اصل ومنبت نبعتى
كان لم تكن لى ارضها خير مرتقى
وروض وصال قد تمتعت برهة
اذ الدهر بشر والحياة مسرة
ويوم الصبا يوم ضجوك كانها
نهارى حور ثم ان زرت مضجعى
فليل هناء والنهار سعادة
تناغىنى الآمال من كل وجهة
فامى واختى لا تريدان غير ما
اشير فيوتى لى بكل الذى اشأ
فاحسبني بالامر والنهى اننى
تطارحني نفسى الهنى فاطل فى
فلم ادر الا ان انال المراد كى
فاسدر فى ميدان لهوى وانسى
اجول كما اشهى واجرى كما أشأ
اللاعب آترابى فنغدو الى الهسا
نظل على فر وكر كانها
على قصبات شمقت جنباتها
نجيل اذا جئنا بها فى اكفا
فنصمد والمنقع المثار مطنب
فنجرى ولا تدرى المجلى بيننا ؛
نحاول تنظيما وسرعان ما ترى انـ
وافضل يوم عندنا يوم نفتدى ،

ورجعى هذا اليوم احدى العجائب (1)
سموت به فوق الذرى والمناكب
ومجمع اخوانى ومغنى اصحابى
سربت صغيرا بين شمتى المسارب
بأزهاره بين الملى والنواب
وروض الامانى مستهل الهامش
تغازل صبا سافرات الكواعب
فاطيب بحلم مستلذ المشارب
وعيشى طليق الوجه عذب المشانب
مناعاة أم الطفل مهما تلاعب
أريد جناه من جميع المرائب
وان كان مجناه مناط الكواكب
امير على اهلى وكل صواحبي
خمانها أجنى ثمار رغائبي
اساجل اقوانى بكل الملاعب ؛
اخالـ ذكاء قد علمت كل ناخب (2)
واسحب ذيلى سحب سمكران شارب
وما ان درينا كيف مس المتاعب
تلاطم ميدان الوغى بالكتائب
ولكنها من تحننا كالشواذب (3)
عصيا نرى منهن امضى القواضب
كما اعترضت فى الجوسود السحائب (4)
واى نظام بين خيل الهلاعب ؟
ستارا كوهى العقد فوق الترائب
حفاة بجري المذكيات السراحب (5)

(I) صدف عن الشيء: مال عنه

- (2) السادر: الذى لا يهتم ولا يباى بما صنع؛ والفعل سدر كفرح، وذكاء
بضم الذال ممنوع من الصرف ولكنه مصروف هنا ضرورة: الشمس
(3) نفرس الشارب: الضامر. والصبيان يشقون من أخريات قصباتهم
التي يركبون عليها لتثير الغبار كالخيل عند اجرائها
(4) طنّب بالمكان: اقام فيه
(5) المذاكى من الخيل: التى اتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان؛
وفرس سرحوب: طويلة.

واقبلت الضمبيان من كل جانب
فدارت رحي الهجاء بين المقانب (1)
«تزبا» وخاض الحرب كل محارب (2)
عصائب طير صدمات عصائب
تصل قطا عطشى سرت للمشارب (3)
فكمل يعاني ان يرى جد غالب
تلاحم صفانا بشموس محارب (4)
وضقنا عن اعمال القنا والقواضب
تماسكنا فوق القرى والجوانب (5)
على الارض او جلد امام المغالب
وقيوف. وبعض ماسكو بالتلابب (6)
ذوو الراى منا نحو صلح مقارب
مضى مثل امس غابر العهد ذاهب؛
عناق كان لم يلتقوا فى المعاطب؛
فسالت على اعناقهم والمناكب
باحجار «الد» الجائيات النواهب (7)

وقد اعصرت ريج التفاقم بيننا
وصرح بين القريتين تضارب
وفرقع فى الميدان «الد» وصوتت
وقد جالت الاحجار فوق كانها
وقد زجلت اصداء سرعتها كما
وقد علت الاصوات منا ومنهم
وقد حمل الازمار حملتهم وقد
ونابت ابادينا عن «الد» واختها
ياز قرين قرنه حين يتلدى
يغالب كل قرنه فمجندل
اذا بعضنا صرعى وبعض ازاءهم
فيجندم الخصمان حيناً فينتحى
فياتمر الجمعان ان يجعلوا الذى
فترا ببالصاح القلوب اذا بهم؛
كان لم تلتطخ بالدماء رؤوسهم
كان لم يدقوا بينهم عطر منشم

-
- (1) القريتان: قرية آل سليمان. وقرية الزاوية العليا. والمقنب بكسر
الميم من الجيش. قطعة من الفرسان الى ثلاثمائة
(2) الد بكسر الهمزة وسكون اللام وكسر الدال؛ وتزبا - بكسر التاء
والزاي؛ ثم باء مفتوحة مشدودة: نوعان من المقاليص يصنعان من الحلفاء؛
وترمى بهما الاحجار، وبهما يقع تضارب بين الصبيان
(3) الزجل. محرك من زجل كفرج: الصوت. قال الشاعر يصف قطاة
غادرت ولدها وقد استولى عليها انظماً. فكان لها صليل أى صوت.
غدت من عليه بعد ما تم ظمئها تصل وعن قيض بزياء مجهل
(4) الذمر بانكسر الشجاع؛ والاشموس: الناظر بمؤخر العين تكبرا
او غضبا؛ والمحارب جمع محارب؛ المبالغة فى الذى يحارب؛ واسمقاط اليا
فى مثل المحارب قياسى؛ فتقول: المحارب
(5) القرى بالفتح: الظهر. ولزه: ربطه بشئ آخر قال:
وابن الملبون اذا ما لز فى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس
(6) اصله التلايب. ولبيه: اخذه بشيابه من فوق صدره.
(7) عطر منشم: يفسر بالعطر الذى يجعل فى الاكفان: كانت امرأة عربية
تسمى منشم تبعه؛ وهو تعبير جاهل. ومن معلقة زهير
تداركتما عيسا وذيبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وان لم تكن في اهلنا بالاقارب
جديدا بشوق الصب نحو الجائب
لنحو «صها» تنثى زمام الركائب (1)
لنا حيث يدمى القرص كف الملاعب (2)
نفثس نغزع فى الغابى بغاغب (3)

نروح جميعا بالوثام اقاربنا ،
الى لعبة اخرى فنفتح بابها
فجينا الى (الاسداء) نمضى وتارة
وطورا الى (شلوك) افضل لعبة
وأونة نقدو الى الاختبا فان



نصيخ لجوع لافح النار ناصب
ولا تنقى ليلا بطيء الكواكب (4)
(اقلهون) فى جمع الثرى للالاعب (5)
بدكن كاسمال الشكالى السلائب (6)
مناغاتنا او ضمنا للترائب ؛
نضار اليرنا بين سود الذوائب (7)
قضينا عويمات بغير مراقب ،

كذلك نمضى يومنا مرحا فلا
فلا تنقى بردا ولا نتقى حفا
ولا تنقى الاكمام والحجر لا و - لا
نجى بقمص كالزهور وننشئ
فان غمغم الاهاون فالامهات فى ؛
يمطن الاذى بالبشر ثم يسلن من
ونصبح ايضا عود بدء وهكذا

(1) استندى الصبيان واسدوا: اذا كانوا يلعبون بالجوز: ونحن جعلناه
المعب بالحصى؛ وهى المسامة: (اكترن) وضما معلوم: صنو الشطرنج.
(2) شلوك بفتح الشين وضم اللام المشددة: لعبة بالحصى يقرص على
ظهر كف من غلب فيها

(3) والمقصود بلعبة الاختباء ما يسمى بالشلحة (توتكلا) بسكون التاء
وفتح الواو المشددة وسكون التاء الاخرى وسكون الكاف المعقودة وفتح
اللام المشددة. ومعناه طابت العصيدة؛ وهى لعبة يختبئ فيها الصبيان؛
فيفتش عنهم أحدهم؛ وقد يباغته احدالمختبئين فيفزعه؛ وهو الضاغب، ولهذه
اللفظة الغربية تسمى هذه القصيدة عند بعض الادباء بالضاغبية. ولعل
لعبة (الغميضا) تشبه لعبة الاختباء. وسيرى القارىء وصف هذه اللعبة فيما
ياتى

(4) ينظر فيه الى قول الشاعر:

كلبنى لهم يا أمية ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

(5) أقلمون بفتح الهزمة والقاف وسكون اللام هو ما يسمى بالقب
للجة والبرنوس: ما يجعل فوق الرأس منهما
(6) السلائب والشكالى بمعنى واحد. والدكنة معروفة فى الالوان. والاسمال
التياب الخلفة

(7) اليرنا: الحناء. ودهن الراس بالحناء الملتوت للصبية عادة الغية.
وهو احمر اللون كالنضار: الذهب

وليس لدينا من نخافهم سوى
إذا ماسمنا الهمس من صوبهم فلا
مساورة من مشبل وسط خيسه
عبسوس المحيا قمطير كائما
فلم يدر الا الطح فالفهم ان تصل
او اللكم والركل المص اذا ونت
نسر الرشاكى نستدر ليونة
فلولاه كان العصر عصر الصبا لنا
ولكنه ادى الثقاف صلابه ؛
فتبصرنا تحت الذقون كائما
فرضنا على رغم الانوف ومن يجمل
فمر بنا عام فعام فبدلت
فطاف بنا عقل جديد فحلقت
بدت من سماوات العارف برقة
راينا المعالي كلها فى مرادها
فغادرت الغا والشيبية غضة ،
اربع العلا بالنص فى كل فدقد
اعرض حر الوجه نحو سهومه؛
فجبت الجبال الشامخات؛ وخضضت
فخيمت بالجمراء جينا وسابقت
وطورا ازانى فى الرباط وقد طمت
فافرغت فى هاتى وتلك وتلكم

ليوث اطلوا من صدور الكتائب
تسل عن قلوب فى الضلوع ذوائب
اخف علينا من ملاقة طالب (1)
تجهت السعلاة فى وجه هارب
عصاه بنا كالنمر بين الثعالب ؛
يداه يعيل من جبال ازغب (2)
لو ان الصخور الصم درت لعالب
الذ زمان لم يهس بشائب
مؤيدة بالقرص من كل جانب
يحاول صار خنقنا بالمخالب
بقواته سوى جميع المصاعب (3)
ضرائب منا سذج بضرائب (4)
امانى اخرى لاغتنام مارب
اثرنا لها - نرتاد- قود النجائب
فطرنا اليها بالنفوس الرواغب
ووجهى وغصنى مثل ابيض قاضب
تصل به الخريت شتى المشاعب (5)
فيكسوه من اثواب سود غرابب (6)
سراب البطاح الفيج هوج ركائبي
من ابناء فاس آونات سلاهي (7)
على غيوث الهامعات السواكب
جهود مجد فى التفوق راغب ؛

-
- (1) اسم الطالب يطلق فى الخ على استاذ التعليم فى المسجد. والمساورة: الموائبة. والاسد المشبل: الذى له اشبال والخيس بالكسر: عرين الاسد.
(2) العبل: الغليظ. رحبل ازغب: اختلط بياضه بسواده. وكثيرا ما يبرم حبل الطالب القاسى من حلفاء ومن شعر ليكون أمتن
(3) ريش الفرس: اذا وطىء للركوب. ورضنا بكسر الراء.
(4) الضرائب: الاخلاق.
(5) المشاعب: المذاهب. والدليل الخريت: العارف بالطرق. والنص: نوع من السير السريع. واراغ الشئ: طلبه
(6) غرابب: اصله غرابيب؛ ومن القرآن غرابيب سود؛ والكلمة للاتباع.
(7) الافراس السلاهب: الطويلات

وشغل الوحيد الدرس في كل محفل
فاجثم فوق الركبتين كأننى
أقيد عن ذاك الشوارد تارة
فيوردنى الاشياخ بحرا غطمطما
ويجلون ابصارى بفكر كأنه
فأبصرت نورا مشرقا متلائما
فأبت بحمد الله فى حالة - اذا؛
عرفت قبيل من دبىرى بها ومن
وصممت ان اقضى الحياة جميعها
لعلمى ان المسء حيث توقفت ؛
وان نفيس العمر خير ذخيرة ،
فملت الى درس المعارف معرضا
فاقصر همى كله حول نشرها
بمراكش الحمراء حيث الغرب لا-
كان كان عن جداته وصحابه
ينال من التبجيل ذكرا كأنه
ويصفون اثواب التجلات فوقه
ويوثر بالشئ النفيس لديهم
فمن تره منهم تر البشر نيرا
كان قطوب الوجه لا يعرفونه

دور بـدر خالص المواقب
ريئة قوم جائم فى المراقب (1)
والقى لذا طورا ببحث مجاذب ؛
اغوص به حتى تقشى ذوائبى
صباح تجلى من سجوف القياهب (2)
تنظم منه جزءها يد ثاقب (3)
تنقصتها أثنت عليها حقائبى (4)
درى حالتيه لا يحتر فى المذاهب
وانى بعيد عن دنايا المشاغب (5)
به النفس فى آرائه والمذاهب
نصان عن اطماع الحياة النواهب؛
عن العرض الفانى المهر العواقب (6)
أصيره غايات كل مطالبى
يجس بان قد حل بين الاجانب
واترا به فى مهده غير عازب ؛
زهود نمت بين الصبا والمذانب (7)
الى أن ترى رجلاه فوق المناكب
ويشكر أن يقبله من يد واهب
عليه. كأنوار النجوم الثواقب
فلست ترى من بينهم اى قاطب

(1) المراقبة المحل الذى يراقب منه العدو ومثله. والريئة: الطليعة المجيش للرفقة

(2) السجف: استتار

(3) تلميح لقول ابن الطمحان
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم

(4) تلميح لقول الشاعر

يمرون بالدهنا خفافا عيا بهم ويرجعن من دارين بجر الحقائق

(5) يعنى بالمشاغب: مشاغب. تجارة كما يرى عند بعض السوسيين.

(6) انما عبر هذا البيت عن أن كثيرين من السوسيين انما يتغربون اليوم فى العرض الفانى لا فى المعارف. وامر الشئ ومر اذا كان مرا غير حلو

(7) المذانب: الجداول

فما هي للعاشى سوى نار غالب (1)
 فليس الثناء الرطب عنى بغائب
 نسيت بهم اهل وكل اقاربي ؟
 ودارت بينى دائرات الدوالب
 فاحسبني لم اعد عنهم بعازب ؟
 والفى انا ايضا زمان الملاعب
 رباه سبالي واستطالة شاربي ؛
 نواذب تترى تاليات نواذب
 نشيطا سريع الخطو امرح لاعب
 جوانبسه مستاسدات المصائب
 تمشى بكبل فى شفير السراذب (2)
 لغير ديون تقتضى فى المحارب (3)
 ايبعد عن كل الورى غير راهب ؟
 وحال رباها والبطاح الاجادب
 على واعلام الصوى والمذاهب (4)
 كان جملته قاتمات الغياهب (5)
 اذا احتفل النوار مغنى الكواعب (6)
 مدارج منها يرتقى للسحائب (7)

اذا أوقدوا نارا وشبوا وقودها
 يجلوننى فى حضرتى. ثم ان اغب؛
 آمن بعد ذا يا اهل (الغ) الآمان؛
 فها انذا فى اليوم غادرت قطره
 فهل اجد المألوف منهم لديكم،
 فانى انخت العيش يومى بالفكم
 وقد انكرت عينى منه وانكرت؛
 فقد غيرت منى ومن جنباته
 فقد عهدت منى رباه غليما
 فعاد اليها اليوم كهل تعرقت
 كان خطاه فى المسير خطا الذى
 ربوض بشواه فليس بناهض
 كان عاد فى الرهبان يقفو قفاهم
 كذلك انا انكرت (الغ) واراضها
 تنكبتها حتى تنكر جوها
 ارى جوها فى بهرة الصحو باهتا
 اذلكم (بردى) الذى كان حقبه
 وهذا (امقسو) شامخا فكانه

-
- (1) فيه تلخيص لقول الفرزدق فى جده غائب من قطعة:
 اذا آتسوا نارا يقولون ليبتها وقد خصرت ايديهم غالب
- (2) هذا يشبه قول مسلم بن الوائد:
 اذا ما علت منا ذؤابة شارب تمشيت به مشى المقيد فى الوحل
- (3) يعنى الصلوات
- (4) الصورة: ما يجعل من الاحجار فى الفيافى لتعلم به الطرق؛ وفى الحديث: ان للاسلام صوا ومنارا كمنار الطريق
- (5) ضوء باهت: ضعيف. والكلمة ينتقدها الالغيون؛ فانهم لم يجدوا لها هذا المعنى فى القاموس
- (6) بردى بفتح فسكون فدا ل بعدها الف مقصورة: الناحية الشمالية من بسيط الغ
- (7) أمقسو بفتح الهمزة والميم وسكون القاف وضم السين: اهل جبل من جبال الغ الشمال الشرقى

وهذى (تكنزا) فوقها الحصن مشرفا
 فأين (قهى) و(العنصر) العذب ارشدوا
 لا نفع من تلك المشارب غلتى
 معالم كانت فى زمان طفولتى؛
 وعهدى بها مسكية الترب. والصبا
 اذا وجهها فى اليوم أجرد كالج
 فلله الخ يوم ذاك فانها ،
 أجر بها شرح الشباب واننى
 وأما أنا فى اليوم فالتطرف شاهد
 فمن كان فى سنى يرى مثل ماأرى
 وشاهد ما شاهدت من رد أرؤس
 فأجدر به ألا يهز فؤاده
 فما أبعد الكهل الكئيب عن الهوى
 ففى همه المشبوب أشغل شاغل
 اذا غمر الهم الفؤاد فهل تسمى
 أشغل الا بى لا أبالك فى الهوى
 فلا كان حر تطيبه سوائف
 ولا ولم يحل دون انقريض الجربض ما

كنروة فجعل اشرفت فوق غارب(1)
 أخاكم وقودوه لتلك المنابع (2)
 فعهدى بها من قبل أحلى مشارب
 مسارح ابصارى ومجلى ملاعبى ؛
 شذا. ونثر الدر بين المحاصب(3)
 تصرصر فيها معصرات الجنائب؛
 حدائق رفت بالحقول المعاشب
 خلى رخي البال بين اصاحبى
 بحاضر حالى مستشف لفانبى
 وطاف به ما طاف بى من غرائب
 مكلمة بالمجد تحت العراقب
 جاذر ان عنت بزى الاعارب (4)
 وعن ذكريات قبل عنه ذواهب
 له عن مناغة الدمى فى المسارب
 له لفنة للرائعات الرعابى؟ (5)
 وقد سيم ما قد سيم من كل جانب؛
 وان لسعت اصداغها بالعقارب (6)
 كفتت يراعى عن قواف صواخب

بنى الخ هذا صنوكم وعشيركم؛
 فقد جاءكم من بعد عشرين حجة؛
 فان تنكروا منه وينكر لديكم
 فعما قليل يقرن الدهر بيننا
 عليكم جميعا من اخ حل بينكم

يؤوب. أيفدو بينكم خير آئب
 غريب المبادى والحجا والجلابب
 خلائق فالاغضاء أوجب واجب
 فليس لزوم الطبع ضربة لازب
 حلول السها بين النجوم التواقب

- (1) وتكنزا من جهتها جبل فوقه حصن جنوبى انخ وهى بفتح التاء والكاف
 وسكون النون وفتح الزاى
- (2) قهى بكسرتين والعنصر بفتح العين والصاد: بيران امام دارنا.
 ومشعب الماء مجراد.
- (3) فيه تلميح لما قاله الشاعر سيمدى الطاهر الافرانى فى ارض الخ
 أرض ثراها عبير. وأنسيم شذا والماء راح. وكالياقوت حصباء
- (4) تلميح لقول المتنبى:
 من الجاذر فى زى الاعارب حمر الحلى والمطايا والجلابيب
- (5) جارية رعيوب: بيضاء حسنة رطبة حلوة
- (6) اطباء : استماله؛ اطبى يطبى؛ افتعل يفتعل .

سلام كما طابت شمائل منكم وفاضت لديكم طببات المناقب،
يتمكنكم يا آل الخ فانتهم جميعا أوداني وعر أقاربي ؛

خاطبت الالفين بهذا النوع من الشعر العربي القح. لانهم لغويون
أفحاح يستحضرون كل ما ربما يعده غيرهم غربيا يحتاج الى مراجعة
القواميس قبل فهمه؛ وكان مقصودي فتح الباب بيني وبينهم؛ وإزالة كل
الحجب التي تكاثفت في العشرين سنة التي فارقتهم فيها من عام: 1336 هـ.
الى عام: 1356. ثم سرعان ما ما زجت القوم؛ فانشالوا على بقصائدهم؛ فاجبت
كل واحد قافية بقافية حتى تكون من ذلك ومن تسجيل أحاديث وذكريات
كتاب يطول الى ان كان في ثلاثة أجزاء، وهو كتاب (الالفيات)؛ فلما شاهدت
ما شاهدت خطر في نفسي أن أكتب حول تاريخ الخ؛ لأسجل ما يمكن من
آثاره الادبية؛ وأخلد ما يسبح من حياة عظمائه الذين أسسوا لمجده؛ وعرسوا
فيه بأعمالهم ما عرسوا؛ وقد كنت أخذت عن اخي البهانة الاديب سيدى
الحسن بن احمد البونعماني نبذة من تاريخ جزولة، انر جولة جالها هناك
حوالى عام: 1351 هـ. فثارت منى نغرة جزولية؛ يثبت مثلها من كل بشر
نحو مسقط راسه؛ ولذلك لما وجدت الآن الفراغ فى هذا المنفى؛ ووجدت
بعض المواد؛ اقبلت على جمع كل ما اتصل به من وفيات علماء، وقوافى
أدباء؛ ورسائل المخاطبات؛ فلما رايت ذلك متشعب الطرق؛ غي متساو فى
الكفات، صرت أميز بعضه من بعض. فجعلت للادباء السوسيين كتابا خاصا.
وهو (الترعات) وللرؤساء السوسيين آخر وهو (رؤساء سوس فى العهود
الاخيرة) وللعلماء السوسيين ديوانا آخر؛ وهو (سوس العالة) الذى من
تمامه كتاب (رجال العلم العربى فى سوس)؛ وفى أثناء ذلك أجدنى مقصرا
فى كل ما أكتب لدواع شتى؛ فقلت فى بنيات صدرى: «لما ذا لا أخص اهل
هذه القرية الادباء وهذا البسيط الذى يضمها بين قراء الاخرى بكتاب
خاص؛ يسهب فى كل ما أعرفه عن (الخ) وذلك بايحاء بعض أهلينا؛ فلم
تكده هذه الفكرة تخطر لى حتى نفذتها، فاكتب عن شيوخ هناك مسنين كل
ما يصلح ان يدخل فى كتاب؛ فاجمع التراجم؛ وأقيد الاوابد؛ وانظم احاديث
مجالس الخ الادبية؛ والوقائع وحوادث حياتهم، فاستطعت - بفضل الله -
أن أفر عين الاخ البونعماني الذى هو ابو كل أفكارى فى هذا الموضوع؛ وقد
رايت استيفاء لكل ما اتصل به من آثار الغيبة او سوسية ان اسمى الكتاب:

« المعسول »

« فى الالفين واساتذتهم وتلامذتهم واصدقائهم السوسيين »

فاشترطت أن أسهب فى ترجمة كل استاذ أو تلميذ، حتى لا ذكر كل علماء

اسمرته. وكل من أخذوا عنه. ولا أقصد - يعلم الله - الا أن أفتح الباب
لذكر كل من اعرّف عنه شيئاً من الاسمر التي تمت الى الغ بالاستاذية؛
أو بالتلميذية أو بالصدّاقة؛ لان الكتاب مائدة أدبية تاريخية؛ لا يوصد
دونها باب؛ ولا يكون دونها حجاب.

فهاك أيها القارئ تاريخ قرية متواضعة خدمت العلم والدين والارشاد؛
ليعلك تضمه الى التواريخ التي كتبت في هذا العهد: عن (المويرة) بقلمى
اخينا سيدى محمد المراكشى والسيد الرركراكى الرباطي، وعن (مراكش) بيد
شيخنا القاضى سيدى عباس وعن قبيلة (زيان) وما اليها بقلم الاديب الكبير
سيدى احمد الزيانى القاضى. وعن (درعة) بقلم ابن الحبيب الدرعى. وعن
(دمنات) بيراعى القائد السيد عمر بن المدنى الاكلاوى؛ والفقيه المرحوم مولاي
على الدمناتى. وعن (أسفى) بجهود البجائة المغفور له الكانونى. وعن قبيلة
(عبدة) بقلم الفقيه السيد الصبيحى السلاوى. وعن (الرباط) و(سلا) باقلام
المرحومين محمد بن على دنية؛ وبوجدار؛ ومحمد بن على السلاوى. وعن
(مكناس) بيد شيخنا يافوثة الشرفاء مولاي عبد الرحمن بن زيدان. وعن
(فاس) بهمة شيخنا محمد بن جعفر؛ وعن (تطوان) براحة اخينا الاديب
محمد داود الذى بذ كل هؤلاء بكتابه الذى لا نظير له، استيفاء وتهذيباً
وترتيباً. وعن (طنجة) بقلم السيد محمد سمكيرج.

على أن كتاب (الغ) المتواضع الذى لا يقترب الا من وشل؛ وليس موضوعه
الا بادية قاحلة؛ وأدباء بدويين؛ واخباراً شخصية اقليمية؛ ليستجى أن
يقف ازاء هذه المؤلفات العظمى؛ استحياء قزم وقف ازاء عماليق من أبنا
بنى عبد المدان (1)؛ ولكنه حين افاد عن تلك الجهة ما لا يقيده غيره؛
فبحسبه ذلك قيمة بين اخوانه من هذه المؤلفات
قيل لابن الرومى: لم لا تشبه كتشبيهاً ابن المعتز؛ وانت اشعر منه؛
فقال: انشدوني مما استعجزتموني عن مثله؛ فانشدوا له فى وصف الهلال
قوله

انظر اليه كزورق من فضة	قد اثقلته حمولة من عنبر
وقوله فى وصف زهرة آذريون	
كان آذريونها	والشمس فيه كاليلة
مداهن من ذهب	فيها بقايا غالية

(I) قال حسان

وقد كنا نقول اذا راينا
لذى جسم يروق وذى بيان
كانك ايها المعطى بياننا
وحسنا من بنى عبد المدان

فصاح: واغوثاه! تالله لا يكلف الله نفسا الا وسعها؛ انما وصف ماعون
بيته؛ وما ذا أصف أنا؟ ولكن انظروا اذا وصفت ما أعرف أين يقع قولي
من الناس؛ فأنشد

ما أنس لا أنس خبازا مررت به يدحو الرفاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قورا كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة في صفحة الماء يلقي فيه بالحجر

وبعد: فهذا جنای فی هذا المنفى أقدمه للفقارى لقمة سائغة؛ واعتذر
له ان وجد بين أثناء الكتاب عدم الوحدة في التعبير؛ لان الكتاب كان يجمع
من أزمان شتى. فيستلحق فيه كل طرف او ترجمة أو تنمة ترجمة كيفما
يتيسر؛ فحينما بلغة ساذجة تسحب ذبول الفهاة؛ وحينما يحاول ان تكسى
العبارة ملادة مذهبة يرضى عنها الذوق؛ وحينما تغلب فيه فكرة الادباء؛
وحينما فكرة الصوفية الاصفياء؛ وحينما أكون من هؤلاء العصريين الذين
لا تدور اعينهم الا في مجالاتها المعتادة؛ وحينما يجد هؤلاء ما يعدوننى به من
المخرفين البله؛ وانا بين كل هذا لا أتعلم؛ ولا أتكلف توحيد التعبير؛ لاننى
هكذا خلقت؛ نشأت في زاوية؛ ودرجت بين الطلبة؛ ثم عاشرت حينا أبناء
العصر، فلا بد أن تأثر بكل ناحية أتصل بها؛ ثم تكونت منى مجموعة تضم
كل ما اقتبسته من هذه البيئات

فالله أسأل؛ أن يوفقنى للعمل الصالح؛ وأن يختار لى كل ما فيه
رضاه؛ فقد قادتنى الاقدار للكتابة حول هذه القرية؛ بعد ما كنت عزمت
على أن أكتب حول (مراكش فى عصرها الذهبى) (فالله يعلم وانتم
لا تعلمون) ولو خيرت لاخترت

وصف (إلغ) الجغرافي

بسيط إلغ البعيد عن تزئيت شرقا بـ 84 كام. يكاد يكون مستديرا؛
تحيط به الجبال من جميع جهاته الاربع؛ فمن الشمال يتسدى الشمال
الشرقى بجبل أمقسو العالى القمة؛ وهو آخر ما يرى قرص الشمس عند
وجوبها؛ ثم يمتد الجبل من شعب أكنى اديان. فجبل توكال. فالجبل
العظيم الممتد فى كل الشمال الى (آيت وقفا) وهو جبل (الايقشامين)
الذى فى سفحه (أيجنى نتاكزين) - شعب العصر - ثم يحوط البسيط
غربا جبل له قمة مسنونة عليه مشهد صالح يسمى ابا بكر. من بعد أن

تمر ببصرك بمكان المدرسة الوافقوية. فتمسوق يوم الخميس ازاء (صخرة تعزى)؛ ثم يسير الجبل جنوبيا الى ثنية (تيزكى نحموعيس) حيث يطلع الالقيون الى مجاط؛ وراء قرية (تافكاغت) الى الشعب الذى يطلع فيه من يذهب الى (أكادير ايزرى)؛ ثم يحوط البسيط من جنوبه جبل آخر غير عال الا فى ناحية (تاكازا). حيث بنى الحصن القديم؛ وهو الذى تسمى به القرية تحته (دوكادير) - تحت الحصن - ثم الى محل الخلوة؛ ثم يمر الجبل بشنية (أكنى والبان)؛ ثم الى (أكنى ادقى) الى أن يتصل البصر بجهة قرية (أكجكال) الى (تافيلناسمت)؛ ثم من سمت هذه القرية يبتدىء جبل آخر غير عال. فيمر بمعدن النحاس؛ ثم بـ (أكادير وايو)، ثم يستمر الى جوار قرية (ايزربى). حيث مدفون الشيخ سيدى عيسى بن صالح.

هذه حدود بسيط الخ من جهاته الأربع. واما حالة هذا البسيط فانه أجرد بلقع مسطح. لا تكاد العين تجد فيه الا كدى صغيرة، واعلاها كدية أسياك؛ ولم يكن فى اوساط البسيط الآن ماء لا من عيون ولا من آبار الا ما كان من بعض قرى فى اطرافه؛ فهناك عين جارية فى قبل قرية (تاحاوت) تسمى العناصر؛ وقد تجرى المياه فى بعض الاعوام الممطرة من آبار؛ فتسيل فى الجدول، لكنها سرعان ما تفيض متى قلت الامطار. وفى قرية (أغرابو) بآيت وافقا وفى اكلى وفى قرية (دو كادير) آبار على هذه الوتيرة؛ منها بير أمغار. والكثير هو الآبار المنتشرة فى جوانب البسيط حيث تتكون حولها القرى؛ فتستغل الآبار استغلالا عاديا فى سقى الحقول وفى بعض اشجار قليلة من اللوز والزيت والتين، وقلما ترى العين غير هذه الاشجار على قلتها، وان كانت الارض تصلح للمزيتين صلاحية ممتازة كما يقول أناب الفن؛ ويوجد بعض كروم وليمون ورمان وخوخ ومشمش؛ ولكنها قليلة جدا؛ بل لا توجد الا فى بعض بساتين خاصة؛ واما البقول والخضر التى يعتنى بها، فاللفت والجزر والبصل والفول والباذنجان والفلفل الحار؛ والقرع بأنواعه. فهذه هى التى تزخر بها الحقول حول الآبار؛ ثم يبيسون ما يفضل عن معيشتهم من اللفت والجزر والفول؛ كما يخزنون البصل والقرع؛ هذا ما يفلحونه ويسقونه

وأما ما يحرثون فى البور فالشعير وحده، لان منه معيشتهم؛ وقلما يحرث بعض أغنيائهم من أصع من القمح او من العدس او من الحمص؛ ويكاد بسيط الخ الغربى والجنوبى يحرث كله؛ ولا يفلت منه الا القليل الذى لا يصلح للحرث؛ ان كان محجرا غير منقى؛ ولا تكاد تجد منه وقت الكلا مرعى واسعا، ولذلك ينتجع الالقيون بمواشيهم منتجات (اسافن)؛ وهو خلاء يباب متسع افيح فى الجنوب من بسيط الخ؛ اذا أخصب يكون كنزا

للمواشى الالقية؛ الا أن (بردى) فى شمال الغ الذى لا يحرق كثيرا يكون من المراعى للقريين منه؛ ولكنه لا يكون كاسافن

وأرض الغ لا تخصب كثيرا؛ حتى انها قلما تفى صاع محروثة فى الاخصاب الا بنحو عشر الى اثنتى عشرة، ولهذا يتعذر الإنساع فى المعيشة بالغ؛ الا لمن له مستمد من خارج الغ، ويروى عن بعض حكمائهم: ان كل بلدة تسعى على اهلها، الا الغ فان اهلها هم الذين يسمعون عليها. وعن آخر: ان الغ لا يطيق أن يمد الساكن فيه الا بوجبة الغذاء فقط؛ هذا ان دام فيه الخصب - وقلما يدوم - واما الهجورى (1) فمن تامانارت؛ يعنى بالتمر. واما العشاء فهن ماسة؛ يعنى بذرة ماسة التى تجعل منها العصيدة؛ كما هى العادة الالقية غالبا من أن العشاء يكون بالعصيدة، ولكون الجذب والاقلال هو الغالب على من فى الغ؛ ترى أهل الغ يجدون ويجتهدون فى كسب المعيشة؛ وبقتصدون غاية الاقتصاد؛ ثم لا ترى واحدا منهم خاليا من أى شغل من أشغاله؛ حتى اذا جلس اليك، او كان أمام المسجد ينتظر اقامة الصلاة بعد ان يتوضأ. يشغل بآبرام حبل؛ او اصلاح دلو او طبخة؛ أو بخرز نعله؛ او بخياطة ثوبه او رفوه او ترقيعه؛ وهكذا ادركناهم ولا أزال أستحضر أحد المسنين من أعماقنا يقول: اننا اهل الغ قسمنا ايام السنة على اشغالنا؛ ففضل لنا يوم واحد فجعلناه للآتيان بالدباغ من جبل (أمفسو). ورحم الله العلامة محمد بن العربى الادوزى الذى قال: لا يقدر على الجمع بين الدين والدنيا الا اهل الغ؛ لما أنسه منهم من الاكباب والاشتغال الدائم، مع اهتمامهم بالدين

ثم ان لالغ ذكرا من قديم؛ فقد قرأت فى كتاب يسمى ديوان مولاى احمد الذهبى (2) جمع فى مختتم القرن العاشر؛ ان الذهبى نزل فى الغ وهناك قام بضيافته الحربيليون والاعشانيون والوافقاويون؛ ولعل محلا يوجد الآن فى وسط هذا البسيط يضاف الى السلطان - اغرم أكليد - كان منزل الذهبى اذ ذاك؛ ثم علمت ايضا أن الملك مولاى الرشيد مر بالغ فى سنة 1081 هـ. بعد تخريبه لايلىخ؛ كما علمت ايضا ان جيشا اسماعيليا يقوده القائد الكبير عبد الكريم من القواد الاسماعيليين نزل فى الغ ايضا عام 1124 هـ. واذ ذاك اعتقل رؤساء قرية (ايكلى)

واما سكان (الغ) فانهم منسوبون الى القبائل التى تتجاوز هذا البسيط؛

(1) الهجورى بفتح الهاء: ما يوكل بين الغداء والعشاء .

(2) نشرناه فى كتاب (ايلىخ قديما وحديثا)

ضرورة ان لكل واحدة طرفا من (الخ) امتدت اليه من محلتها، ففي الشمال قبيلة (ايغشان) الحربلية فان لها بعض القرى الالغية: ايكل؛ آيت الحسن أعلى؛ اكنتى اديان؛ توكال، وارض هذه القرى محسوبة من قبيلة ايغشان؛ وفي غرب بسيط الخ: قرى أغرابو؛ دو تمنروت، تافكاغت؛ فهذه تعد من قبيلة آيت وافقا؛ وفي شرقيه قرية اكجكال تعد من قبيلة ساموكن؛ واما قرى أكادير وايو - تونين - أزار أو عيسى - ازبى؛ فهي من قبيلة أمانوز، ولم يبق الا القرى التى فى الجنوب؛ فانها للمرابطين الالغيين اولاد الشيخ سيملى عبد الله بن سعيد. ووراء حدود هذا البسيط من الجنوب الغربى؛ قرى اخوان هؤلاء المرابطين فى (اكادير ايزرى)

قرى (الخ) كلها

لنلق نظرة على كل هذه القرى البسطية ولنبدأ بالجنوب ثم الشرق ثم الشمال ثم الغرب ، فالتى فى الجنوب او كالجنوب :

- ١ - تافكاغت من ايت وافقا
- ٢ - الزاوية من دو كادير من المرابطين آل عبد الله بن سعيد
- ٣ - آل سليمان من دو كادير منهم ايضا • ويقطن معهم بعض الحربليين الذين هم اصلاء فى القرية
- ٤ - تيبوت القاسمية من المرابطين وحدهم •
- ٥ - تيبوت الواوكرضائية؛ من المرابطين وحدهم • وقد اشتروا من آل واوكرضا تلك الارض. وهم من الساموكنيين وربما قطن بعضهم هناك
- ٦ - تاحاوات تميل الى وسط البسيط من المرابطين وحدهم •
- ٧ - تافراوت كذلك ازاء التى قبلها من المرابطين وحدهم
- ٨ - انويدر كذلك ازاء التى قبلها من المرابطين وحدهم

والقرى التى فى شرق البسيط هى

- ٩ - اكجكال من قبيلة ساموكن لا يقطنها مرابطى واحد •
- ١٠ - اكادير وايو من قبيلة امانوز ليس فيها مرابطى واحد •
- ١١ - تونين من امانوز ليس فيها ايضا مرابطى واحد •
- ١٢ - ازار او عيسى من المانوزيين ايضا، ليس فيها مرابطى واحد •
- ١٣ - ايزربى من المانوزيين بل هناك رئاستهم حديثا
- ١٤ - ايغيل وامان من المانوزيين ايضا

والقرى التى فى الشمال او كالشمال هى

- ١٥ - آيت الحس أعلى من الاغشانيين •

- ١٦ - ايكلي من الايفشانيين ايضا حيث كانت رئاستهم قديما •
 ١٧ - اكنى اديان من الايفشانيين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
 ١٨ - توكال من الايفشانيين •
 واما القرى التى فى الغرب فهى
 ١٩ - ذوتشروت من الوافقوايين
 ٢٠ - اغرابو من الوافقوايين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
 ٢١ - تالزكى بين سوق الخميس وتافكاغت
 هذه احدى وعشرون قرية بسيطة؛ بينها قرى المرابطين فى قيامة
 آل عبد الله بن سعيد التى كانت مغمورة بين جيرانها الى العهد الاخير لفقر
 اهلها ولكون الاقوياء من جيرانهم يستضعفونهم حتى من عليهم بهذه الشهرة على
 لسان العلم والادب والدين والارشاد: من يمن على الذين يستضعفون فى الارض
 ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين؛ ولولا هذه الخصال لما كانت تلك القبيلة وتلك
 الارض الجرداء تستحق حتى الخط بالقلم وحين كانت وطننا وفيها مسقط
 رؤوسنا نجد فى انفسنا ما يجده كل البشر فى مثل موقفنا
 بلاد الفناها على كل حالة وقد يؤلف الشئ الذى ليس بالحسن

كما تولف الدار التى لم يطب بها

هواء ولا ماء ولكنها وطن

بسيط اجرد قفر نزارحم به تفكها - بهذا الكتاب - اهل دمشق ولبنان
 واصحاب النيل والرافدين. وهذا ما قدر لنا. وقديما قيل - من قر عينا
 بعيشه نفعه -

بعض العادات الالغية

ان لكل بيئة عادات قد توافق عادات غيرها وقد تخالفها والغالب ان
 عادات المتجاورين تتشابه؛ ولذلك يعلم ان غالب ما ذكره عن الالغيين من العادات
 لا ينفردون بها عن جيرانهم الا ما قل ونذر والعادات تدخل كل ناحية
 من نواحي الحياة حتى الدين نفسه لا يرتكز الا بعادته؛ ولذلك نجد كثيرين
 من المتدينين انما اعتادوا التدين كالصلاة والصيام وآداب السلام واعتياد
 القول الجميل؛ والاخلاق الفاضلة، والا فهم قد يتكشفون عما فى حنايا
 صدورهم • فاذا بهم لم يمازج الدين ولا بشاشته قلوبهم وهذا ظاهر بين
 عند كل من يزن بتميز ولا تنطلي عليه البواطن بزخاف الظواهر ولا
 بتهويهاات اللسان (ولا ينبك مثل خبير)

نحن هنا لا ننظر الا للواقع المعتاد من غير أن نزن بميزان الشرع ولذلك
 نحكى ما كان للتاريخ وللعبرة وان كان بعضه من البدع او من الخرافات

او مما لا يرضى الالغيون ان يعرف عنهم لان التاريخ كالمراة تبين كل ما يقابلها كيفما كان

عاشوراء

اعتاد الالغيون أن يعمد بعضهم في عشية التاسوعاء الى الغناء الذي تتركه السيول ضفاف مسيلات الماء فيأخذون منه وهو يضم ما يضم من أبعاد وانعواد صغار فيبغرون به الديار في صبيحة عيد عاشوراء دفعا لتأثير الجن وقد رايت عجوزا تفعل هذا أول ما نفيت الى الخ؛ فكان ذلك هو السبب حتى صرت ابحت عن مثل هذه العادات. وكذلك يعمد في سحر عاشوراء الى استقاء الماء من الآبار؛ ظنا من الساقين ان الآبار تستمد من بئر زمزم في ذلك الوقت ومن ذلك اليوم فيرش بذلك الماء جميع زوايا الديار تبركا خصوصا احرء الزرع وحظائر المواشي

وفي ليلة عاشوراء يخرج رعاع الشباب زمرا زمرا الى بعيد من قريتهم فينادون - فيما زعموا - على الذئب ان يبعد عن غنهم فيبنون هناك احجارا في محلات ثم يرجع الجميع وهم ينفنون غناء معلوما محفوظا متوارثا الى أن يصلوا القرية فيبيتون على لعب احواش وفي صبيحة عاشوراء يبكر جميع الناس رجالا ونساء الى زيارة المقابر . من غير اختلاط يترحمون على أهاليهم ويتصدقون والغالب ان يصبح الرجال وغالب النساء صائمين بل ترى الفقهاء والمتسكين يحرصون على الاثنى عشرة خصلة التي ذكرها العلماء من خصائص عاشوراء من صوم وصدقة وزيارة عالم وصلة رحم ومسح رأس يتيم وصلاة ركعتين وتوسعة النفقة واغتسال وعيادة مريض واكتحال وقلم اظفار وقراءة سورة الاخلاص الفا واهل الحديث يعلنون انه لا يصح من هذه الا الصوم والا التوسعة على العيال الذي ورد في حديث حسن وقد رايت احد عمد الالغيين من اهل العلم يوصى بغسل ثيابه ذلك اليوم وكذلك يجتمع اهل القرى على توزيع بقرة ونحوها يفرقونها على الديار ويؤجلون في ثمنها بضمآن ومن كانت لهم غنم لها راع فان مفرس ذنب كبش عيد الاضحى الذي جعل قديدا يعطى في يوم عاشوراء للراعى وهو ياكله في ذلك اليوم (١) وهم يحرصون على ان يستدير شيء من قديد الاضحية على دور السنة فسي ديارهم تبركا به

١ - وهذا مما تشارك فيه الحواضر الخ، فان ذنب الاضحية يخبأ عندهم ايضا قديدا الى ان يוכל يوم عاشوراء . الا ان اهل الرباط وفاس ياكلونه أنفسهم . واما الالغيون فانهم يوثرون به الرعاة . لان الرعاة اولى به . لكونهم يلاقون المشقة فيه بالرعى

هذا ولا يشتغل بهذه العوائد في عاشوراء الا الرعاع والعجائز واما العقلاء فانهم لا يتنازلون الى تلك الميادين - وحاشاهم - فانهم لا يزالون ضد هذه البدع .

ليلة المولد

في انح زاوية للفقراء ومدرسة للعلماء وكتاتهما تعم في ليلة المولد النبوي. فالزاوية بالاذكار ورب المدرسة يملأ مجلسه بالامداح النبوية وقد اعتاد العلماء والطلبة الذين يجاورون الخ ان يحضروا في تلك الليلة التي تتل فيها بالتفنى على السنة المنشدين قصائد البوصيري من الهمزية والبردة وبانت سعاد ثم تقال قصائد نبوية على السنة اصحاب القريض من الحاضرين فمن هناك منبع كثير من قصائد شيخنا سيدي الطاهر بن محمد، فيلقاها بنفسه ان حضر؛ وان لم يحضر يرسلها من افران فتلقى هناك في حضرة شيخه سيدي علي بن عبد الله؛ فهناك مطلع قصيدة من هذه القصائد النبوية الطاهرية

بحر الخفاء وصرح الوجد وبدا الذي ما خلت يبدو
ومطلع اخرى همزية :
راى برقاً بكاطمة مساء فامطر مزن مقلته دماء
ومطلع اخرى وازن بها البردة :
بطيب ما نقلت عن جيرة العلم ربح الصبا يشتفى قلبي من الالم
واخرى وازن بها (بانت سعاد)
دع عنك لومي فما التعذال مقبول (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول)
واخرى مطلعها :
سرى طيف سلمى فسل ما اثارا اثار دموعا واورى اوارا
واخرى مطلعها
بارق الرقمتين جد اثلافا فجفوني القرعى ابت ان تلاقى
واخرى مطلعها
اذا اغبرت الارعاء من آلهاشم بوارق غيث من رباءال هاشم(1)
الى آخر ما هنالك من القصائد المولدية الطاهرية: وغيرها، وهى عشرات ستراها فى ترجمته ان شاء الله

(١) شام البرق اذا لمح والال السراب وبهذا يفهم الشطر الاول من البيت .

ومن العادات المولدية، ان بعض العجائز من المتحجبات اللاتي لا يحضرن في ملعب احواش تننحى وحدها الى زاوية من زوايا حجرتها حيث تعلق ثيابها على غود معروض - ويسمى عندهم احمال - فتقف ازاءه فترقص رقصا متواصلًا وهي تغنى بامداح الرسول فرحا بليلة مولده، تفعل ذلك احتسابًا وتبتمنا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، واذا طلعت الشمس في عيد المولد ترى بعض الناس يرقصون لها ويقولون ما يدل على ان الشمس انما استمدت انوارها من نوره صلى الله عليه وسلم

العرس

متى اريد ان يخطب انسان بنتًا، فانه يبعث احد اهله او اصحابه ليخطب ويعدون من المجابهة والوقاحة ان يخطب الانسان لنفسه ، كما يرون مثل ذلك في ان يعرض انسان بنته على آخر من غير ان يخطبها، يذهب الخاطب بشي، ما يقدمه بين يدي نجواه : قوالب من سكر او كبشا حيا او مسلوخا او سطل سمن مع خبز. ثم اذا قبل المخطوب اليه فانه يمل شروطه والغالب ان تكون نعال كل من في دار أهل السيدة ؛ وحليا خاصا يبنون نوعه من الاسورة والخواتم والاخراص والقلائد واللبان والثياب . ومن الغنم او البقر عند بعضهم ثم يتواعدون يوم العقد ، فيرسل الزوج من يتوب عنه ويختاره من ذوى اللباقة ومعرفة الاثمان، ومن اهل الوقاحة الذين لا يستحيون ويذهب معه بعض نساء اهل الزوج واهل الوجاهة والمختارون من اصحابه، فيتكون هذا الوفد الذى يسمى - اسلان - ويذهبون بالسكر واللحم والخبز ، فاذا طعموا في دار اهل الزوجة قدموا ما اتوا به مما هو شرط فاذا حازه اهل الزوج، يستخرجون كل ما اعدوا للزوجة مع ما أتى به الزوج كالشرط أو يهدى للزوجة أو قدمه أهلها لها. فيقدم ذلك كله وهو مكوم أمام الحاضرين شيئًا فشيئًا؛ فيقدر لكل شيء من الثياب والحلى وما اليهما الثمن الخاص ، فاذا ذاك تكون المعركة فيغالى في اثمان هذه اهل الزوجة وبما كسبهم اهل الزوج وربما ادت هذه المماكسة الى تفرق التجمع بلا عقد، ولكن ذلك قليل جدا لان المجلس لا يخلو ممن ترضى حكومتهم بعد المماسكة. ولهذه المماسكة يعتنى الزوج باختيار وكيله؛ ثم يكون العقد فيتلقى فقيه المسجد الرضا من الفريقين ، والصادق من الدراهم هو شيء معلوم فى كل قبيلة قبيلة فى تلك النواحي . ولذلك لا يذكر فى الشروط المذكورة وانما يكتب عند العقد وفى المجلس يحوز وكيل الزوج كل ما توصل به من اهل الزوجة حتى يدفعه للزوج هذا والالعب اذذاك تقام على العادة خارج الدار رجالا ونساء، ثم ان غالب الالفين يزفون العرائس نهارا من دارها الى دار زوجها، او من قريته الى قريتها على البغال . واذا ذاك تخرج العجائز

اللاتى يجلبون العروس باغانيهن؛ ويركب وراء العروس على البغلة ولد يجبا والداه ثم لا ينزل حتى يعطى شيئاً من الدراهم ويسمى الخاتمية وكذلك يقع لها حين تخرج من دارها فان اخاها او واحداً من اهلها يقف امام باب دارها فلا يتركها تخرج حتى يفرم زوجها شيئاً؛ ومثل هذا يكرر امام دار الزوج فان العجائز الجاليات لا يدخلن حتى يعطين ايضاً دراهم يسمونها بتلخمت - نسمة الى الخاتم - ويقف الزوج فوق السطح ويطل على باب الدار فيلقى على العروس ثرا من الزبيب واللوز والتمر ، فينتهب ذلك . وقد كان الشيخ الوالد سن لقرية آل سليمان اهلہ الاخصاء في اعراسهم عرسا يخلو من كثير من هذه العوائد حتى أن العروس تجلي تحت الظلام وفي صبيحة الجلوة يذهب بالعرس الى اقرب بير لتسقى الماء فيجعل الماء في اناء نحاس يكون من جهلة ما تأتي به من عند اهلها فيتجاذب الاناء المملوء بالماء بين اهل الزوج واهل الزوجة فمن غلبوا سقوا صاحبهم او صاحبتهم ويرون ان من سقى اولاً من الزوج او الزوجة لا يزال يغلب صاحبه هذا والالاعاب تقام في دار الزوج حتى يطعم الناس والعادة ان ياتي مع الزوجة من كل اقاربها كل من دب ودرج . وعهدنا بمرس الفقيه سيدى المدنى لما تزوج من الايفسانيين جاءوا بنحو ثلاثمائة وهكذا كل من يقصد النكاح باهل الزوج . وقد يتعنت احياناً اهل الزوجة فيأبون أن يطعموا حتى يقدم لهم اهل الزوج مكتلاً مملوءاً بالخلي ليعلموا أن بنتهم حلت في دار غنى وثروة ثم لا يكون ذلك الا ان تراه العين ثم يرجع الى مكانه ثم بعد اسبوع تزور العروس اهلها . ومتى ولدت الزوجة ولادتها الاولى ياتي اهلها - ولا بد - اما بثور او كبش . ومتى بلغ الولد الاول ان يمشى فاول نعل يحتذيها حذاء ياتيه من اخواله . وعند حلق رأسه بادى ذى بدء لا يحلقه الا اخواله . مع شرط ان يهبوه شيئاً ما .

العقيقة

تري النساء ان النفساء نالت من العنت ما نالت به غفران كل ذنوبها فيحرمن على ان يزرنها في الثلاثة الايام الاولى وتذهب كل واحدة بدقيسق وعليه بيض ولا يصنع لهن الا العصيدة ثم قبل يوم العقيقة ترسل الوالدة من تستدعى النساء المحضور في العقيقة كما يستدعى الزوج ايضاً الرجال وفي صبيحة يوم العقيقة تقوم عجوز من عجائز الاسرة تلف امامها الصبية ليجمعوا أضعافاً من الاعواد الصغار لتخبز بها (توفدلت) - وهي خبزة كبيرة يغطي مخبزها فيوقد تحتها و فوقها - وطالما فعلت بنا عجائزنا ذلك فنفرح له ثم اذا ذبح الكبش يعمد الى الكبد فتشوى على الجمر فيقطع منها لكل من في الدار وتحصر النساء على ان لا يغفل من الاكل منها احد ويقلن ان ذلك يسبب

محبة الولد • وفى وسط النهار تجتمع النساء على حفنة عصيدة اولا ثم تقدم كل واحدة منهن ثيابا للمولود ودراهم زيادة على ما يوتى به من السكر واللحم والسمن من عند الاسر اللاتى تتعاطين بينهن ذلك ثم تجتمع الحاضرات تحظم قلادة المولود فتمنح كل حاضرة من قلادتها اما لبانة او عقيقة او قرشا - خصوصا القروش المربعة التومرية. واراها كثيرا فى قلاند الصبيان الالغين - ثم اذا نظمت القلادة يذهب بها الى مخزن الزرع فتجر عليه تفاؤلا ان يكون المولود ذا رزق حسن ويسندعى الطلبة فى العقيقة كما يستدعون فى الاعراس وفى يوم من ايام رمضان لقراءة ختمة من القرآن والطلبة دائما فى الغ يعزلون على حدة تعظيما لهم ورفعاً لشأنهم على العوام

الحداقة

متى ختم التلميذ القرآن تزوق لوحته بايات شعرية مهلهلة تستدير باواخر البقرة - آمن الرسول الى آخرها - ويذهب مع التلميذ كل طلبة القرية وهو فى لباس جميل، يدورون به فى القرية يوزيرونه مشهدا يتبرك به ثم يكتب كل واحد من الطلبة فى اللوحة كلمة من حزب الرحمن ثم تقام حفلة يحضرها الطلبة عند ابي التلميذ فيختمون القرآن على العادة. وهذه الحفلة لا تتجاوز يوما واحدا كالعرس نفسه. لان الالغين مقتصدون لفقر بلادهم

وقد اعتادوا ان ياتى التلاميذ فى كل اسبوع من كل يوم اربعاء بيضة الى الاستاذ وان يوتى اليه بالبسيس والتمر او باحدهما كلما افتتح التلميذ حزبا من الاحزاب ويسمى ذلك (تاعريفت)

العواشر

متى اعلن استاذ المسجد لتلاميذه العواشر فانهم يحملون لوحة مزوقة بايات من القرآن ويغلفونها بزيف احمر او ارقط فيجعلونها فوق قصبه فيحملها ادهم فيدورون امام الديار بقفة كبيرة يضعون فيها الزرع الذى يعطى لهم من الديار؛ والنساء يتبركن باللوحة والتلاميذ يرفعون اصواتهم بنشيد خاص لهذا الموقف فيه تمجيد القرآن وحملته •

الختان

يجتمع اهل المختون والجيران. واهل القرية فى مكان؛ حتى اذا حضر الطعام؛ تنحى الطلبة. فقرأوا ختمة من القرآن؛ ثم يلتئم الحفل؛ فيوتى

بالصبي. فيختن وسط كل الحاضرين وهم يصاؤون على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابراهيم خليل الرحمن؛ في انشودة خاصة لذلك!

الحصاد والدراس وما إليهما

أدركنا الالفين اعتادوا أن يتعاونوا على اشغالهم - كالعادة في كل تلك النواحي - بل ينظمون كل اشغالهم العامة بنظام خاص؛ وقد جعلوا غرامة معلومة لكل من تعدى ذلك النظام؛ فلا يمكن ان يذهب اى انسان لجنى اللوز من حقله الا متى اذن في ذلك الاذن العام؛ وكذلك يحافظ على الحقول والمزادع، فلا يزال الحراس الذين يجعلون لذلك فى تيقظ وجولان؛ فما وقعوا على بهيمة وغلت الى حقل او الى مزرعة الا غرموا صاحبها - وتلك الغرامات هي اجرتهم - حتى الحصاد والدراس لا يفتتحان الا متى اعلن ذلك بالنداء فوق المسجد؛ ومن تاخر فى الحصاد لكثرة مزروعاته؛ يتداعى اليه الناس فيعينونه؛ وعليه الاطعام؛ ثم لا يفتح الدراس حتى يتم الحصاد، وتنظم كيفية الدراس بالتتابع؛ فالיום لفلان ثم لفلان؛ والدراس يكون بالبهائم المجتمعة من كل اهل القرية. او ممن يلتئمون على ذلك؛ وكل من سخطت عليه القرية؛ فانه ينبذ من هذا النظام؛ ومتى كان الدراس فى بيدر احدهم، فانه يذبح كبشا ويطعم الناس؛ ولذلك لا تزال عندهم ايام الدراس ايام الحفلات؛ والالفين همة معلومة مذكورة فى اشغالهم؛ فاستحضر ان بيدرنا الذى كان يستخلص منه اذ ذاك - ونحن صغار - نحو عشرة آلاف عبرة؛ يدرس فى يوم واحد لكثرة البغال التى تجمع وليس المدرس، ثم ان هذا النظام لم نزل عراه تنقص شيئا فشيئا الى الآن؛ وقد حكى لى الفقير احطيو كيف كانت صرامة النظام واحترام الحقول فى سقى قريتنا؛ دو كادير؛ منذ عقلة من نحو 1280 هـ. فذكر العجب العجائب الذى أدركنا نحن بعضه .

الجنائز

ان مما اختصت به الغ ان لا نياحة فى جنازتهم؛ حين تخرج من الدار فكل ما هناك بكاء النساء والصبيان داخلا. حتى ان الخارجين لا يسمعون بكاء الباحلات المفجوعات؛ وطالما حضرنا أمثال هذه المواقف، فلا نحس الا لوعة فى الصدور؛ او دموعا تترقرق مغالبة فى العيون؛ مع تجلد المصابين؛ والميت يغسل على السنة ويكفن ثم يحمل فى الشبكة، ولا يعرفون الآلة الحدياء التى ذكرها صاحب (بانث سعاد)(1)؛ ثم يصل عليه عند القبر؛ وتقرأ

(I) كل ابن اننى وان طالعت سلامته يوما على آلة حدياء محمول

سورة يس عند الاقيار. ثم يلقي الميت امثل الحاضرين؛ ثم يستحضر الطلبة في اليوم الثالث والمساكين؛ فيختم القرآن ويطعم الحاضرون؛ والبيت الذي يتوفى فيه لا يزال يبخر ويحترم الى ان تضعف ذكرى الميت؛ وتتعمد الشكلى المحدة ان لا تلبس الا الثياب التي لا تلفت الابصار، ولا تكتحل ولكنها لا تترك الغسل والغتسال ولا تقرب الصابون في غسل ثيابها؛ فيما قيل لي، ان هناك الا الاشنان

الحرف والصنائع

مما يتعجب منه المطلع في كل نواحي المغرب، انه يجد في كل جهة من الحرف والصنائع ما تدعو اليه الحاجة الحيوية؛ فلو كنت الآن بصدد كل ما اعرفه في سوس؛ من الصنائع التقليدية التي ادركناها لتعجب القاري من حداثة في كل انواعها التي من بينها صناعة السلاح من البنادق على الطراز القديم؛ ومن السيوف والسكاكين بانواعها؛ وهي صناعة سملاية، ومن الصياغة العجيبة؛ حتى ان الحل السوسي له ميزة خاصة؛ واما صناعة الصابون والجلود من الاكياس والجرب والقرب والوسائد وهي - صناعة ممتازة - فانها منبثة في جزولة وخصوصا في آل حامد، وكذلك صناعة السروج؛ بله الاكف؛ ولهذا الموضوع ذبول؛ لعلنا نؤدى له حقه مرة أخرى. نعم ان الذي يهمننا الآن هو الحر والصنائع الالغية؛ وهي قليلة غير متسعة، لان اعمال الالفين انما تدور حول الآبة الكريمة: كلوا وارعوا انعامكم. فقد كان الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله يقول: ان هذه آيتنا نحن الالفين

الحداثة

توجد الحداثة في قرية (دو كادير) في أيدي اناس سود يتوارثونها من قرون؛ وهم عدة اسر؛ وكذلك في قرية (ايكل) من القرى الايفسانية؛ كانت فيهم ايضا تالدة. والعادة ان الحداثة كاستاذ المسجد؛ يعطيه من يستخدمونه في اصلاح محاربتهم او في صنع حداندها وما الى ذلك اجرتة على راس السنة من البيدر حين يجمع كل واحد محصول فلاحته؛ ومن اسماء الحداين الالفين من يسمى بعلى؛ وآخر أوشنا لقبان لهما . وقد درجا الآن وتركوا اولادهما؛ وقد اغتنم بعض الالفين الادباء هذين اللقبين فوري بهما في هذين البيتين

وكم عانس بكر تخطت زواجها
الى ان غدت ثقل وتشنا لدى الاهل

إذا أصبحت نادت ألا ليت لي نوى

من (أشنا) لديهم والرواح الى (بعل)

وحدادو (ايكلي) أمهر وأكثر اتقاناً؛ بل هناك صناعة الجامير، التي تتخذ - حديثاً - من البراميل؛ تذكر فتشكر؛ وتخطت (تفراوت) لغفتها وطلاوتها ورخصها الى الحواضر لرواجها

النجارة

أما نجارة المحارث مقابض والمعاول والمساحي؛ فقد يحسنها غالب الناس، كالفقير محمد بن المؤذن الذي مات أخيراً في قرية (دو كايير)؛ والفقير بلقاسم السوقي الوافقاي؛ وأما النجارة المتقنة في الابواب والنوافذ والاخونة والموائد؛ فانها في قرية (ايكلي) وهي الآن في اولاد موماد فانهم من احق من هناك في صنائع متعددة؛ واعظمها النجارة البارعة التي تضارع نجارة الحضريين، وهم الآن المذكورين في كل دائرة (تافراوت) لا في الخ وحده

الدباغة والحذاء

اشتهرت قرية (تاحاوات) بالدباغة؛ ومن اشتهر الدباغين هناك الفقير بلقاسم بن احمد؛ في داره مدبغة يقصد لذلك؛ وهي حرفته؛ على أن هذه الحرفة يحرص كل الالفين أن يزاولوها، فلا تكاد تجد اى واحد لا يحرص أن يدبغ جلد اضحيته بنفسه ليتخذ منه دلوا او جرابا او وطبا؛ او خمرة لصلاته او يتخذ منه كل ما يتوقف عليه في داره؛ وقد رايت فيما قبل ان ما يدبغون به يستوردونه من جبل (امقسو) اذاءهم ويسمى عندهم (ايركل) وفي جبل امقسو اجمة لا باس باتساعها. وقد حماها اليوم رئيس الغابات

وما قلناه في الدباغة نقول مثله في صناعة الاحذية، فانها وان عمت مزاولتها فهناك اناس اختصوا بهذه الحرفة؛ كمحمد بن مسعود التيوتي؛ ومحمد بن محمد من آل بلقاسم بن محمد التيوتي ايضا؛ وقلما يتفرغان هما وامثالهما الا لهذه الحرفة؛ ولاهل (تاكازا) التي تطل على الخ صناعة الاحذية الخاصة بالنساء، ولها لسان طويل يغطي بعض الساق؛ اشبه شئ بالاحذية الفرنجية؛ والمشهور محمد بن قاسم ثم اولاده في (تاكازا)

الاكاف

الاكاف حلس البغل او الحمار؛ وقد اشتهر بها من قرية (دوكادير)

الفقير ناصر المتوفى أخيراً؛ وابن العربي؛ وابن همو؛ في قرية (تافراوت) (١) وهذه الصناعة شريفة عندهم مطلوبة؛ يحترم أهلها لاحتياج كل ذي بغل أو حمار إليها؛ ولها ثمن، حتى أنه الأكاف قد يصل ثمنه إلى ألف ريال وأكثر الآن 1358 هـ.

الحبالَة والشماكِتَة

لكل واحد من الالفين يد صناع في قتل ما يحتاج اليه من الحبال البسيطة؛ حتى الشيوخ سميدي الحاج علي. وسميدي علي بن عبد الله. - وهما ما هما - يبرمان بإيديهما ما يتوقف عليه العمل. حين يقفان على أعمال الحرث والحصاد؛ وعلى خياطة الاحمال عند الاسفار؛ الا ان اتقان تلك الحرفة وبرايمها وقتلها هي من صناعة الوافقوايين، فلهم حنق في صنع انواع الحبال الرقيقة والفليظة والجوانيق والزنايل، وفي صنع الشباك من الحلفاء او من الفدام ان اتى بالفدام من محله (تامانارت)؛ ومما يصنعونه من الحلفاء احذية تلبس في اوقات الشتاء في انطين. وقد قال بعض الالفين من قطعة قيلت ارتجالا يداعب بها بعض الوافقوايين

خلق الله للحرير اكفا	واكفا لصناعة الحلفاء
حرفة الالفين قتل حبال	وشباك ودبغهم للدلاء
غير ان المرابطين منهم اتيجوا	عن سعود لمنصب العلماء
فبنو وافقا لقتلة جبل	والسعيدى لقتله البلفاء

نساكِتَة الصوف

اشتهرت الالفيات باتقان نسج الصوف شهرة تامة؛ حتى ان جيران الغ وكل من يلم بالغ يوصون بان ينسجن لهم ما يريدون بالاجرة؛ وقلما تجد دارا تخلو من مناويل النسج. ولهن عوائد خاصة حول النسج؛ كيوم خاص لا يفتتح فيه النسج؛ فمتى فعلت فاعلة غير ذلك فان المنسوج تصيبه مصيبة؛ ويحكين أن بعض العلماء السنين انكر عليهن هذه الخرافة، فاذا بثور اصطدم والمنسوج فهتكه. فقال لهن: ان علمكن ايها النساء اصح؛ ولكون نسج الصوف في الغ هو حرفة الدار؛ تجد غالب اللباس منه؛ وهناك بعض العجائز لا يتقوتن الا من النسج، كالفقيرة الصالحة فاطمة

(١) هذا اسم قرية في بسيط الغ. وهناك (تافراوت) مركز المقاطعة في قبيلة املن.

(تابوبليت) وامثالها؛ وقد كان الالفون يحرسون الى الآن ان يكون لكل واحد منهم غنم ليلبس من صوفها؛ وينتفع بثمن ما يبيعه منها؛ واما ان يذبح منها. فيكاد يكون حراما؛ الا في بعض الفترات من عند بعض كرماتهم لا تخرق اجماعا، ولا تنكح قاعدة؛ فلم يعتادوا الا التمنية للمواشى سنة عن سنة؛ حتى ياتي بعض الاعوام المجدة فيستنون فتذهب مواشيمهم مواتا؛ ثم يستجدونها ايضا. متى وجدوا لذلك سبيلا؛ وقد بت مرة انا وصبية من اهلنا في مرتبع الغ (ايسافن) وبانت حوالينا من اغنام الالفين مات بعضها لمن هم اقاربنا؛ ثم لم ناكل اللحم الا بشرائي لغروف من عند بعض اصحابنا منهم، فلم يجل في اذهانهم ان هذا بخل عظيم؛ مع ان لى عندهم ما يزعمون من الاجلال؛ واين هذا ممن كنا نبئت في قبائلهم في الحوز؛ اوليس من يحضرون منهم يشملون ما انشده الاعرابي

واذا تأمل شخص ضيف مقبل متسريل برداء عيش اغبر
اوما الى الكوماء هذا طارق نحرنتي الاعداء ان لم تنحري

لكنني في الحقيقة اعذر القوم. فانهم في بلد مقفر. لا يمكن ان يعيشوا فيه الا بالتقتير الشديد؛ والكزاة التامة - وقد كدت اكون كذلك الآن - ومن دخل ظفار حمر (1)

لا تعدل المشتاق في اشواقه

حتى يكون حشاك في احشائه

الخطاطة

علم الطلبة باتقان الخطاطة في جميع نواحي سموس؛ حتى ان الطلبة السوسيين الذين يشارطون في الحوز وما واه؛ يتخذهم من يشارطونهم كخطاطين رسميين في القرية. لما عسى ان يتوقف عليه احد من اهل القرية؛ فينتفع بالاجرة الاستاذ زيادة على اجرة المشاركة؛ والطلبة الالفون في عرض جماعتهم هذه في هذه الحرفة. ولذلك ترى الكثيرين من الذين يجيدون الخطاطة في اثواب الصوف من السلاهم والجباب هم من الطلبة؛ بله ثياب الكتان. فهذا سيدى محمد بن الحسن التياسميتي؛ والسيد على الاحطوى من اهل قرية (دوكادير) اشتهرا كنظائرهما في اتقان هذه الحرفة؛ يقصدان بها من الالفين وغيرهم؛ وقلما تخلو قرية من امثالهما

(1) ظفار كحزام: مدينة لحمير باليمن. معناه: من دخل هذه المدينة تكلم بلغة حمير. وهو مثل مبنى على حكاية

إذا كان هناك كثيرون يحسنون الخياطة للجديد بكل أنواع الخياطة؛ فان رفو القديم خصوصا ما يقع في وسط المنسوجات الصوفية من خروق؛ يحتاج الى حنق خاص؛ ولذلك يقل من يتعاطاه، ويسمى: (تاغزديست) وكثيرا ما اتعجب من ذلك الرفو إذا اتقن؛ فانه يكاد يكون كالاصل (وقد رايت مثل هذا من عند مصرى رفا لى ثوبا فى المدينة المنورة فى حجتنا 1365 هـ. فلم اكد اتبين ما بين الخيوط الاصلية والجديدة؛ كانه لم يتخرق) ولم ار فى المغرب فى رفو الصوف مثل ما رايت عند الالفين؛ ولعل قلة الثياب عندهم والحرص على استدامة القديم حتى يعود كطيلسان ابن حرب(1) هو الذى يجعلهم على اتقان هذا الرفو العجيب، وهذا الترقيع مألوف عندهم حتى عند غير المدققين؛ حتى فى الاحذية فانها ترقع حتى ينمحي الجلد الاصيل أحيانا ؛ وكل ما يعاب فى بيئة قد يعد مألوا فى بيئة أخرى .

الحزافة

لهذه الحرفة رواج عند الالفين؛ لان من عزمهم ومن ولوعهم بالتكمب أن يصنع كل واحد فى داره عشرات او مئات من الاواني قدورا ومخابز ومعاصد وقصاعا وطواجن واكوابا وكل ما يحتاج اليه، فيستهلكون فى دورهم على دور السنة ما يستهلكون؛ والباقي يذهبون به الى (تامانارت) وقت التمر فيبيعونه بالتمر؛ ولكن صناع هذه الحرفة الحاذقين انما يستوردون من (أفلاوكنس) من بعيلة ؛ ولما يتقنها الالفيون .

الحجامة

لم اعرف الآن من الحجامين الالفين الا الحاج الناجم من المرابطين من قرية دو كادير؛ والا السيدة بنت الفقير على بن يوسف التوكالى، ذاك للرجال. وهذه للنساء؛ وقد ينتجان بصنعتهما القبائل المجاورة؛ وهناك حجام آخر سموكنى قطن الزاوية العليا يسمى ابن سى مبارك؛ ولكنسه لم يشتهر كثيرا، كما ان هناك حجاما آخر من دو كادير غير انه جلا عن الخ؛ يسكن (تامانارت) او فى (تيندوف) وهو عبد بن المحفوظ؛ ولكنه الآن ليس من الالفين

(I) فى هذا الطليسان قطع شعرية لشاعر. وتوجد فى كتاب (زهر الآداب) المحصرى .

انتدا ترى أن لالغ الفقيرة المسكينة طرفا من كل ما يحتاج اليه في الحياة من الله اللطيف الرحيم عليها به؛ فنزيدك الآن ان التعدين ايضا من جملة تلك المن فان في كدية ازاء قرية أكجكال؛ معدن النحاس متوارثا. فيها غيران تمتد تحت الارض بطول الازمنة، كان اهل هذه القرية يعملون فيها هم أو من أذنوا لهم؛ فقد كان المعدنون يستخرجون منذ أجيال النحاس من المعدن ثم يبيعونه خاما الى مدينة (تازالاغت) في نحو القرن السابع وما قبله؛ او الى تارودانت المشهورة بصناعة النحاس. وقد اتم المؤرخ عبد الواحد المراكشي باخبار هذه الصناعة في عصره بسوس توفي نحو: 624 هـ.

لهذا المعدن حديث في ايام الاحتلال؛ حين عزم المحتلون ان يزيلوه من ايدي اصحابه؛ وقد اثاروا عليهم جيرانهم المانوزيين، ولكن اصحابه الاكجكاليين دافعوا بحججهم وبرسوم ملكياتهم؛ فاستطاعوا أن يتزعروا معدنهم من شركة استعمارية كانت بدأت بالفعل في العمل . وما هو ذا الآن المعدن ينتظر شركة الغية تستورد الآلات الفنية لتقوم بالعمل بالجد الموافق للعصر. (ثم بعد الاستقلال عمدت الحكومة الوطنية الى العمل فيه. من غير أن يوخد رأى مالكيه الاصليين) مع ان ذلك يخالف القوانين

العالم والتدين والاخلاق العامة

معلوم ان للسوسيين عامة من روح التدين؛ ومن مراعاة اخلاق الفضيلة ما لهم؛ وخصوصا منهم الجزوليين، حيث كثرة المدارس والزوايا وبيوتات العلم؛ ولكانة الخ. من جزولة كان لها ما لها، منذ نزل هناك المرابطون أبناء الشيخ عبد الله بن سعيد؛ فقد وقفت على وثيقة كتبت حوالى عام: 1090 هـ. يوصف فيها هؤلاء المرابطون بأوصاف محمودة مغبوطة. شهد لهم بتلك الاوصاف فيها ثمانية عشر عالما من جيران الخ - ويجدها القارىء في ترجمة الشيخ امامه - ثم لما بنيت المدرسة الالقية. ثم الزاوية ازاءها، ظهرت الخ بمظهر آخر خفقت به الالوية؛ وسالت اليها ومنها الركبان؛ فمن رائد للمعارف؛ فيروى حتى يضرب بعطن؛ ومن مستجل لمرآته بالتصوف، فاذا به تشرق سيرته بالانوار. وقد كانت في الخ مدرستان قبل: احدهما في (ايزربى) ولكنها لا تذكر قط؛ الا باسم المدرسة؛ ولم تود اى عمل في ميدان التخريج، وثانيهما المدرسة الوافقاوية التي كانت منذ أسست بايدي السادة الكرسيفيين آل العالم؛ قد تضيء حيناً بنورة من العلوم؛ ثم تنطفئ أحيانا؛ ثم لم تؤد عملا يستحق أن يبقى لها خلودا. ولكن المدرسة المرابطية

لم تكد تؤسس عام 1297 هـ. حتى صار المتخرجون منها تطفح بهم الطرقات وتنموح في سوس أولا؛ ثم في الحمراء بالرميلة، ثم في تطوان بابراهيم الالفي؛ ثم في ابن كزير بابراهيم بن احمد وابن ناصر؛ ثم بعد ذلك ذهبت فروع التخريج بمن تخرجوا من الرميلة. ومن بين ايدي ابراهيم كل مذهب؛ وما يوم حليلة بسر، وقد قال القاضي سيدي موسى الروداني ما معناه: لانعلم اليوم من يؤدون في سوس للعربية وللادب الواجب الا الالفيين». هذا مقام الالفيين في العلم الذي يلد العمل؛ وهو التدين؛ فيغلب على كل الفى ملازمة الصلاة في الصف؛ والحرص على صلاة الجماعة في السفر؛ وهم مشهورون بذلك؛ ومساجدهم عامرة فيها مجتمعاتهم العادية، ولم يسر الضعف الى هذه الناحية منهم الا بعد الاحتلال؛ ثم هم مع ذلك لا يزال تارك الصلاة منهم قليلا، ويعد في كل قرية من لا يبالون بالصلاة؛ والعادة ان يقدم للضيف اثر ما يطرق الوضوء؛ ثم مصاحبته الى المسجد في كل صلاة، ونسأوهم كذلك يغلب عليهن الصلاح؛ وقلما تجد من لا تصلى منهن؛ وباتمنن بالمسمع من فوق سطح المسجد؛ وعهدى بمساكننا في (دو كادير) تقام فيها الصلوات في خمسة محلات: زاويتنا من الاسفل. ثم مسجد آل سليمان، ثم مسجد الحربيين. ثم مسجد الزاوية العليا؛ ثم مسجد المدرسة في سفح الجبل وتسمع الاذانات في كل وقت؛ ويقوم المؤذنون في الاسحار بأذكارهم من قبل الفجر؛ وعادة الالفيين التكبير في أشغالهم فكل سفر يبكر اليه من قبل الفجر، وحين لم تكن الصلاة فقط المظهر الخاص للتدين؛ فان لهم في اخلاقهم وفي امانتهم وفي مثلهم العليا مظهرا اسمى واعلى؛ فيقل الكذب والنفاق والخيانة والعهارة؛ بل كان هذا كله أقل القليل في الجيل القديم؛ ولم تشم هذه الاخلاق الفاسدة الا بعد الاحتلال الذي جر كل وبال على المغرب؛ وقد كان شيوخ الف حرصوا على قطع الالعاب التي تفسد الاخلاق ولكن حدث بعدهم ما حدث، ولله في خلقه شؤون؛ والالفي على كل حال تجده غالبا متفقه في ديانته يعرف الحلال من الحرام؛ وان حادثك تسمع الحكمة - وان لم يكن الا عاميا - لمصاحبتهم للعلماء

واما اخلاق القوم من الشجاعة فلا أكذب على الله وعلى التاريخ؛ فانهم مستضعفون بين المجاطيين والبقيليين والحربيين والمانوزيين ممن لا يردون الماء الا عشية (1) ولا تقضى حاجة واحد منهم ولا يتوصل بحقه الا بخفارة مجاطي او بقبيل او حربيل؛ وما ذلك الا لانهم ليسوا من ذوى السلاح؛ ولا من ذوى عصبية تناصر اخاها ظالما او مظلوما، خصوصا نحن المرابطيين؛

(1) قال بعضهم في قوم مستضعفين من قطعة ولا يردون الماء الا عشية اذا صدر الورد عن كل منهل

فاننا نكأة كل قوى؛ ومرعى لكل سارج؛ فذلك كان لكل اسرة مجاطيها او بعقليها؛ يذود عن حماها؛ ويرد لها حقوقها، وهكذا كان الحال من قرون الى أن جاء الاحتلال؛ فاستوى الماء والخشبة؛ فامكن للمرابطين ان يكونوا قبيلة كالبائل، فستطيع أن تملص ممن كانوا يخذون كل اسرة باناوة فنفعهم الاحتلال من هذه الجهة - ومصائب قوم عند قوم فوائد -

هذا وقد عرف الالغيون بأنه لا عرف عندهم يذكر؛ ان هناك الا انشمرع فيه يحكمون؛ واليه يتحاكمون؛ وعاداتهم قبل الاحتلال ان من له دعوى يرفعها مع خصمه الى بعض الفقهاء تحكيما؛ يشهدان بذلك على انفسهما. ثم ان لم يقبل المحكوم عليه الحكم ترفع الدعوى الى فقيه آخر يسمونه المفتى، كالاستيناف؛ وبذلك تقطع جھيزة قول كل خطيب (1)

واما ما يرجع الى الكرم فان قصد منه ان يتلقى الضيف الذى لا بد منه بما تيسر بلا تكليف؛ فان الالغيين يكادون يكونون كلهم كرماء؛ وان قصد ما يعهد من الاحتفال بالاضيف من ذبح الكباش وقل الدجاج؛ وبسط جفان كالجوابى. وقدور راسيات؛ فان بلدهم الموفر الاجرد لا يطيق ذلك ولو ارادوه، ولذلك ترى من أمكن لهم مثل ذلك لا يقصرون؛ كاهل الحاج ابراهيم الايفسانى؛ وكالفقيهين ابني عبد الله؛ وكالشيخ الالغى، ثم بعدهم الرؤساء من ايت واقفا وايزربى وسيدى المدنى واخينا سيدى محمد؛ على أن الغ نالت مكانة مكيمة يوم المقاومة؛ فقد ظل الفقيه سيدى على بن عبد الله فى طليعة القبائل التى تقاوم الاحتلال من عام: 1330 هـ. فكان هو الامام المرشد الواعظ الحافظ للهمم الى ان توفى عام: 1357 هـ. ثم خلفه فى ذلك شيخنا سيدى الطاهر الإفرانى الذى ما فارق قط الصنف الاول فى المقاومة فهذه بعض اوصاف الالغيين (وما قلت الا بالذى علمت سمع)

اطمعة الالغيين ووجبات اكلمهم

راى القارىء من وصف الغ المتقدم اقفار ذلك البسيط؛ فلا اشجار تشر، و لامزارع مخصبة اخصابا يورث الثروة؛ ولا تجارة متسعة تفقوعم بارباحها الجيوب؛ فهل يمكن ان تكون معيشة من يقطنون فى هذا القفر اليباب، الا ما عسى ان يتبلغ به؛ من كسمكسو مفتول من دقيق الشعير؛ أو عصيدة ملتوتة من دقيق الذرة - ان أتى بها من افران او ماسة أو

(1) اجتمع قوم من العرب ايصالحوا بين ذوى دم فيخطبون فيهم لذلك، فاذا بامرأة وردت عليهم تسمى جھيزة (بفتح الجيم) فاعلمتهم بان صاحب لدم قتل صاحبه. فقيل: قطعت جھيزة قول كل خطيب. فكان ذلك مثلا.

تامانات - او من جريش الشمير؛ وقد ادرنا حوالى عام 1323هـ. أن غالب الالفين لا يعرفون ان يصنعوا الحربة صباحا؛ فضلا عن القهوة والحليب؛ ولا ان يخبزوا الا اذا دعت الضرورة؛ فليس هناك فى الطعام العام الا الكسكس المسنمة فى القصاع، بالخضر كاللفت والجزر والقرع والبصل والبادنجان، وهذا هو الغداء توجده ربات البيوت مع الضحى؛ الا فى وقت الحرت فانه يوجد

من قبل ان ترشف شمس الضحى ريق الغواوى من ثغور الاقاح
(كما يقول ابن رشيق) لان الفلاح ذكرنا او اننى يريد ان يكر الى حرته؛ وعند الزوال يكون التمر هو الهجورى - ما يوكل بين الغداء والعشاء - وعند الغروب التعشى بالعصيدة ان كان فى البيت لبن؛ والا فالكسكس؛ هذه هى المعيشة المطردة؛ وكلما يخرج عن ذلك الا بضع ديار، وهى دار آل صالح اغنياء القرية؛ والا رؤساء ايفشان ان كان عندهم اضميا (1) والا فمثلهم مثل غيرهم فى المعيشة المعتادة؛ واما دارنا؛ فان الوالد وان كان متسعا الا انه لتصوفه حريص على عدم الرفاهية فيما شئ عادة البلد، فلا لحم الا فينة بعد فينة بحيث لا يغير ذلك الا فيما يقدمه لبعض الاضياف الذين يحتفل لهم وحدهم لا لابنائهم ولا لمن فى زاويتهم من المنقطعين؛ هذا ما فتحنا عليه اعيننا. ثم بعد الاحتلال صارت المعيشة تتغير؛ فيدخل الاتى فى المعيشة شيئا فشيئا. حتى عم البيوت بيتا بيتا؛ وكذلك اللحم صار يزور جميع الديار فينة بعد فينة؛ وربما فى كل اسبوع، بعد ان كان غالب الاسر لا ترى اللحم الا فى عيد الاضحى. او اذا وزع اهل القرية بذبيحة يجتمعون عليها فى مثل عاشوراء. او كانت حفلة من الحفلات التى تقام سنويا على المشاهد المحترمة؛ ولم تكن نعلم فى صغرنا من يوم اللحم فى دارهم الا دار الرئيس الايفشانى القديم؛ وتضاهيها دار الفقيه على بن عبد الله؛ ثم تتلوها دارنا احيانا ان حضر والدنا وكثيرا ما يغيب؛ والا فتبقى شهرا او اكثر لا ندوق مرقة والشمير هو عماد المعيشة؛ ولا يعرف القمح بعض الاضياف الا فى بعض الديار حتى ان هناك حكايات مضحكة تقع وتحكى كالنوادير؛ اودعنا منها فى كتاب: (قطائف اللطائف). واما الفاكهة فلا يعرف هناك كثيرا الا ما يستورد من اكنارى من ايفشان ومجاط، فيلدور به البدلون امام الديار؛ وقد الطف بعض الادباء فى قوله بديهة يوما؛

(1) بات الاديب البونعماني سنة 1354هـ عند الرئيس أحمد الايفشانى فتعشى عنده العشاء المعتاد بالعصيدة واللبن. ولو كان احتفل لتنكب العصيدة لمثل هذا الاديب. لان الايفشانى اذ ذاك لا يرضى أن يقدمها لمثل هذا الاديب. لو احتفل به وعرف قدره

وقد رأى بعض الناس يريد أن يشتري تفاحا لالغى:

فكده مصاحبك الالغى ما الفت لهاه من (أكنارى) شائك قاس
لا تتحفنه بتفاح فشهوته فى غير ما يشتهيهِ أكثر الناس
يعيش فى فطرة البادى الذى مرنت يدا من مسك محراث الى الفأس
فواكه البدو اشهى ما استساغ قدع تلك التفافيح للمصرى والفاسى
لذا نذ البدو فى الاذواق اطيب من سوائها منظرا وطيب انفاس
فلذة المرء فى عاداته ومتى تجوزت فظلام قائم عاسى

والخبز عند الالفين انواع، اشهرها عند من ادركناهم؛ الخبزة الكبيرة
التي تجعل فى المخبز. ثم تغطى بغطاء المخبز؛ فيوقد فوقها وتحتها؛ وتسمى
(توقديلت) وبها تفد النساء من اسرة الى اسرة؛ وبها يتزود المسافر فتبقى
معه اياما الى اسبوع؛ ومن انواع الخبز الرقاق، وخبزة الكانون؛ تلصق
بجانب الموقد بداخله؛ بعد ان يلتظى بالنار الحامية؛ ثم تطيب الخبزة بالجمهر.
وقد تطور هذا الى أن استحال الى ما يسمونه (المجبود). لأن العجين يجعل
شيئا فشيئا فى الكانون بعد ما يحمر بالنار فيجبد؛ وهو افضل ما يוכל
فى الخ؛ وخبز الكانون عندهم حديث؛ لأن المعروف القديم؛ هو خبز الفران
الذى يهب للأعراس وللضيوف الكثيرين؛ وكثيرا ما تصنع الهلة للرعاة،
وللعصيدة اخ يسمى عندهم (بوفى) وهو مطعم الرعاة فى مراتعهم؛ وقد
يصنعونه من الحليب الهاموت بالدقيق. وهو الذى ذكر فى بيتين ينسبان
للجوسى؛ وهما

أرى الحب يستولى على القلب بغية

كمثل هجوم الغيث فى الصيف اغداقى (١)

ومن كان هكذا فلسنت ارى له

دواء سوى أكل العصيدة أو (بفى)

هذا وقد عرفت معيشة الفصح اليوم فى الخ؛ فترى السعيد وخبز
الحوارى مما يقدم للأضياف، وكذلك حدثت الاوانى المتنوعة. ولا تكاد
الآن تدخل دارا حتى تلمح الجديد من كل شىء.

فهكذا دبت الحضارة الى الخ بمطاعمها وبفرشها من الزرابى والحشايا
والكساء الحسنه؛ وبالتليفونات والسيارات؛ والانفاق بسعة؛ لكن هذا كله
لا يتمتع به الا من يستوردون من البيضاء الاموال بالعمل او التجارة؛ حتى
البنائات بدات تتغير شيئا فشيئا، وقد كان الاخ سميدى محمد اول من اتخذ

(١) اغداقى معناه انهمر

السيارة بالغ عام: 1353 هـ. ويسوقها بنفسه. وهو اول من بنى رياضاً. واول من كانت له ابهة حضرية؛ وكذلك ماشاء الرئيس على الاغشاني وبلقاسم المانوزى وهو اغناهم؛ ثم يتلوهم الشيخ ابراهيم الوافقانى؛ والتاجر سيدى عبلا بن اليزيد. والباب مفتوح الآن على مصراعيه للمهنية؛ فمن يزور الغ الآن قد يستحل ما يراه من اثاث واوان ومطاعم، ويجد فى بضعة ديار اخونة مبسوطة تحتوى على الحنيد. وخبز السهيد؛ والطواجين المزعفرة؛ والدجاج المحمرة؛ فضلاً عن السفنج الذى يستدير بسكرجات السمن والعسل وأملو - طحين اللوز - زيادة على القصاع المكلمة لجم، المدفقة مرقا؛ وقد سنح ان نذكر هنا بعض تنظيم المائدة؛ فان المعتاد عند الالفين ان يقدموا اولاً زبديات العسل وأملو والسمن مع السفنج؛ ثم يشنى بالشواء ثم بالدجاج ثم بالطواجين ثم بالكسكسو؛ ثم يشاى بشراب الاناى. وقد صارت الكوامخ تدخل المائدة ايضا بدورها شمشاً فشمياً؛ وهكذا تقدمت بضع ديار غنية الغية الى ميدان الرفاهية فى المطاعم وبعد هذا فلا باس ان نسوق هنا بعض ادبيات الغية حول بعض مطاعمهم نذكرها تفكها لا على انها من القرار. فالتكلف فى بعضها غير خاف عن ذوى الاذواق السليمة .

منها ما قاله بعضهم فى البسيس - واللفظة عربية فصحي - وهو طعمة تستلذ عند العجائز؛ فيها يجازى معلم التلاميذ ان افتتح التلميذ حزباً جديداً؛ وربما استكثروا من لقمة يوم الختمة؛ فقد عقلت ان والدى صنع يوم ختمتى ثمانين لقمة قدمت فى قصعة عود؛ فيتناول كل من فى زاويتنا من الفقراء لقمة لقمة، والبيس يصنع من السمن والعسل الملتوتين بالذقيق؛ مطبوخاً بالبيض؛ او من دقيق الزرع المقل؛ وهو الذ. ولذته قيل يوماً فى مساجلة مع المرحوم سيدى موسى بن الطيب ابن العم

بسيسك يا زهراء (١) خير بسيس
صناع يد لتته لنا فكان من
فهن ذاق منه لقمة خال انه
فما الظلم من ثغر الحبيب معانقا
وقيل فى أملو

أملو علينا من حديث (أماو)
تهزجه بالعسل المصفى
ان حديث (أملو) لا يهل
مع سفنج فى الخوان صفاً

(I) زوجة محمد بلقاسم والد الفقيه سيدى بلقاسم الذى تاتى ترجمته فى الفصل الثالث .

تاخذ من هذا وذاك اخذة
ومن اتى الغ ولم يبتاع
ومما البساطيل بهذا الباب
ولشيخنا سيدى الطاهر الافرانى
وساموكنى؛ وهما على مائدة الحاج ابراهيم الايفشانى الالفى:

ان الموائد انت من شجعانها	والزرد حرب انت من فرسانها (١)
الله درك فارسا يفرى بسية	ف السن لحم الشاء عن اخسانها (٢)
ويبك فى قعر الطواجن ظفـره	اسرى الدجاج تقاد فى ارسانها (٣)
واذا كررت على الطبائى كرة ،	اهرقت رشفا من دما كيسانها (٤)
وتزج فى بحر المكاييل غائصا	فلك السفنج فتنتنى بحسانها (٥)
وتعوم فى جمع من السادات فى	نعم همت كالسحب فى نيسانها
حادث بواكفها يدا بحر الندى	فد العلا طرا سنا أنسانها
خير الاحبة احمد وابوه من	شاد المكارم فى ذرى غسانها (٦)
فرد مكارم مجده اعيت على	اعشى البلاغة أو على حسانها
لا زال فى شاو المكارم جاريا	طلق العنان الى مدى احسانها

وفى سنة 1356 هـ. اكلت مع الفقيه ابن العم سيدى بلقاسم السليماني، عصيدة من الذرة البيضاء تغلواها حفرة تطفح زبدية ذائبة؛ وقد امعنا فيها بلبن طيب حلو سائغ؛ فكان ذلك هو الحادى حتى قيات هذه القصيدة التى نسوقها على ما فيها لانها أمس بالقام؛ والقصيدة اعتنى بها فشرحت نحو ثلاثة شروح الغية

وقبل أن نسوق القصيدة نقول: ان العادة فى العصيدة فى الغ ان تصنع من جريش الذرة البيضاء؛ ويصب عليها حالة انضاجها الحليب،

- (١) الزرد المقصود به معناه العامى الذى هو الزردة المعلومة حفلة الطعام لا معناه العربى الفصيح
- (٢) اخسان بكسر فحاء مسكنة لفظة شلحية معناها العظام
- (٣) الارسان جمع رسن الازمة التى تقاد بها الخيل ونحوها
- (٤) الطبائى جمع طبلاة؛ وهى كلمة دخيلة وتطلق فى الغ على الصينينة وفى الرباط على الحوان والكاس تجمع على اكؤس وكؤس وأما الكيسان فلم تقف لها على أصل
- (٥) المكاييل جمع مكيلة؛ ويقصد بها فى الغ الزبديات والسكرجات يجعل فيها السمن ونحوه
- (٦) يقصد بغسان قبيلة ايفشان؛ يحاول الالفيون بذلك تغليب الكلمة وذلك غير جيد؛ لثلا يقع الالتباس فى المستقبل

ثم تطبخ طبخا جيدا بعد ما تلت بالمعصد - وهو عود تلت به العصيدة في مطبخها - لنا محكما حتى تغلظ؛ ثم تعرف الى الجفنة؛ وتسنم فيها ويحفر في اعلاها حوض مستدير يملأ بالزبدة الذائبة حتى يطفح؛ ويوتى باناء اللبن. واجود الالبان ما لا رائحة فيه من وطب، ولا مذاق بالماء ولا حموضة؛ ثم يستدار بالجفنة؛ فياكل كل من جهته بكل ادب لقمة لقمة حتى اذا كان امام كل واحد حفرة؛ او حفر فيها من اول وهلة حفرة؛ يصب فيها من اللبن ثم يلته باصابعه؛ وهو يغرف من الزبدة قليلا الى ملتوته، وقد يغافل من معه ان ارتفعت الكلفة بين الاكلين؛ فيبتق من حوض الزبدة باصبعه؛ فترشح اليه الزبدة؛ ومتى لت امامه وصار كالحريرة، يتناول منه بيده؛ ولا تعرف الملاحق في مأكلا الخ؛ وهكذا دواليك. حتى يكتفى من الاكل اكتفاء غير النهمين الشرهين؛ وللقوم ادب عال في الاوكالة؛ هذا هو المعروف، واما هذا الذي وصف في القصيدة فانه مقصود للاحماض ولاريجية الادب

لمن جفنة قد اقبلت تتالق	تلوح بلالا العصيدة يبرق ؟
مسنمة حتى كان سنامها	شماريخ طود لم يكذ يتسلق (١)
وقد فغمت منها الحياشيم نكهة	تطيب بها كل النواحي وتعبق (٢)
اهذا اريج المسك أم نفح روضه	ازاهيرها تحت الصبا تتفتق ؟
نعم انها من غير شك عصيدة	من الذرة المطار ان كنت انشق
وعهدى بانفى ليس يغلظ شمه	فيا طالما شم البعيد فيصدق
الم ترها كالتغر اشنب باسمها	وللشنب البراق فيه تالق
تميس بلون الثلج ابيض ناصعا؛	متى جال فيها لحظ غرثان يشهق (٣)
لها قمة في وسطها حوض زبدة	(كجاية الشيخ العرافي تفهق) (٤)

فيما: ليت شعري من تحط امامه	فيوضع في الاطراف منها ويعنق (٥)
ويخبط فيها باليدين كانما	تخطه وسط الدجنة أولق

-
- (١) الشماريخ ج شمراخ بالكسر رؤوس الجبال وتسلق الجبل طلع عليه وتسلق الجدار
- (٢) الحياشيم ج خيشوم ثقبه الانف وفغم العطرأنفه ملاء
- (٣) الغرثان الجائع
- (٤) الشطر الاخير من قصيدة الاعشى المشهورة؛ واوله (نفى الدم عن آل المحرق جفنة) وفهق الشراب في الكأس - اذا سال - من جوانبه لكثرة الامتلاء
- (٥) الايضاع والاعتناق الجرى وسرعة السير :
- (٦) الدجنة : الظلمة الاولى الجن

يشن عليها غارة مشمعة
فيأتي على تلك العصيدة كلها
بلقم أكل آمن ليس يرهق (١)
إذا الجفنة الغناء جرداء سملق (٢)

* * *

فيا فرحي انى السعيد فانها
فيا طالما أجرى احاديثها وكم
تخط امامى والرجاء مصدق
اعرض فى نطقى بها وأرق (٣)
فانى لمنهوم اليها وللجشأ
الى سيلها منذ ازمنات تشوق (٤)
فما قليل سيلها يتدفق
افى كل يوم نهمه تتحرق ؟
افى كل يوم فرصة مثل هذه
افى كل حين لى جراز يفلق (٥)

* * *

دلفت اليها والعيون كانها
حللت لها طوقى وزحزحت معطفى
نطاق حوالى ركبتي تحملق (٦)
والقيت عنى ما به اتمنطق
ستعمل ايضا معصاى ومرفق
يؤيده عزم اذا هم يصدق ؟
تأنت له اللذات يفرى ويخلق (٧)
الى فوطة هم بتلك معلق (٨)
اذا لم يكن أمر حواليه مرهق ؟
وهل فاز فى اشغاله غير حازم
وهل فاز بالذات الا الذى اذا
فانفض نفص المعجلين فلم يمل
وهل يذكر الانسان امثالها سوى

-
- (١) الغارة المشمعة المنتشرة على الاعداء وارهقت الانسان عن عمله اعجلته عنه
(٢) الحديقة الغناء المزهرة ؛ والارض الجرداء لا نبات فيها ؛ والسملق القاع الصفصف لا نبات فيه ولا أشجار
(٣) التعريض والترقيق اذا كنت تكنى عن الشيء ولا تصرح به ومنه المثل « اعن الصبوح ترقيق »
(٤) المقصود بالسيل ملتوت العصيدة باللبن
(٥) الجراز السيف القاطع وهو بضم الجيم
(٦) دلف الشيخ فى مشيته مشى مشية المقيد
(٧) خلق الصانع الاديم اذا قدر كيف يقطعه وفراه قطعه وفى المثل ما كل من خلق يفرى اى ما كل من قدر الاشياء يتنها كما قدرها
(٨) الفوطة : عربية فصيحة والاشارة بتلك الى الجفنة .

واما اذا الارهاق عن فرمبا
 وادنى الى القعب يطفح رائبا
 وللمحض فيه نضرة وتلالو
 وما اثرت فيه الوطاب ولادنا
 ولا مخضته العانسات وقد بدا
 وتعلوه امثال القباب سميكة
 فاتخذ منه حسوة بعد حسوة
 وما القصد الا ان ابل مصارنى
 وان تغتدى بدء الفتوح لحملة
 تخطى الشجاع الدرع اذ يتدلق (١)
 كفرب ملء ماؤه يتدفق (٢)
 كعضب على متنيه لمع ورونق
 الى اريه المبيض ارعن يمدق (٣)
 لشامات زبد من عليه ترقق (٤)
 زجاجة لماعة تتألق (٥)
 كما يحشى الفحل الذى يترمق (٦)
 والا فهمى ما اليها احق (٧)
 تغرب فيها غارتى وتشرق

ومن فاز فى بدء فاجدر به اذا
 فاعلن باسم الله أن حانت الوغى
 فاحفر فى حرف العصيدة حفرة
 واجعل فيها يمنة ثم يسرة
 فاملاها محضا فاجدها كماء
 تقدم ان يحظى بفوز يحقق
 ومن كان محفوبا به ليس يزلق
 موسعة كالحوض او هو اضيق
 سدودا صحاحا عاليات توثق
 يهين طينا مشمعل محلق (٨)

-
- (١) تدلق السيل اندفع
 (٢) القعب بالفتح القدح الضخم وكثيرا ما يطلق على قدح اللبن
 قال تلك المكارم لاقبعان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
 والغرب بالفتح الدلو الكبيرة وهو مذكر
 (٣) الوطب بالفتح جلد اللبن الذى يمحض فيه والارى العسل
 والارعن الاحق ومذق اللبن بالماء مزجه به
 (٤) العانس لكثرة استخدام أهلها لها تتقن المحض وجمع الزبدة من
 المخوض فلا تبقى من الزبدة شيئا؛ بخلاف من لا تحذق ذلك
 (٥) المقصود الفقاقيع التى تعلق اللبن اثر ما يصب فى القعب
 (٦) ترمق الجمل الماء يشربه قليلا قليلا وكذلك يقلل فى اللبن
 (٧) الضمير فى اليها الى الجفنة
 (٨) جدح السويق لثته ومنه المثل (جدح جوين من سويق غيره)
 والمشمعل الخفيف الطريف؛ والمحذق الذى تخرج فى حذق عمل حتى أتقنه

اخضعض فيها خضعضات بهمة
وانى فى امثال هذا لباذل
فاجدح ما فى حفرتى جدح عازم
الى أن يرى والزبد يكسوه زرقة
اذن يبتدى التجديف والكف تترقى
وقد رصعت فيها الانامل كلها
امططها حتى اوسعها وهل
فتانى وتمضى كالدلاء تواليها
وللشدق صوت كلما صب وسطه
اذا ارتفعت مدت ذنابى كأنها
فاجدح ايضا ثم اجدح ثالثا
فأبقى ولاء هكذا واناملى
وما فتئت جدحا وحملها كأنها
الى ان اخوض الحوض ثم اجوزه
وبطنى ينادى هل هناك بقية
وهل من مزيد فالعصيدة هذه
فكان جوابى فى سيول كأنها
ورائب قعبي فينة بعد فينة
وقد وسعت تلك المجالات فاغتندت
فنتاح قبل الجدح والمحض مانج
كبحر شديد مزيد قد تفرقت
وانى اوالى حملة بعد حملة

تكاد لدها جفنتى تشقق
جهود مجد فى المهمات يصدق
وسباتى فى جانبى الحوض تبتق (١)
كما بان طرف واسع الجفن ازرق
وتهوى كخطف البرق فى الجو يبرق
فعادت كسطل ليس فيها تشقق (٢)
يلفك السؤل الاناء المضيق ؟
وللسيل فى وسط اللهاة تدفق
كما يجد المخنوق روحا فيصعق
تمدد ذيل حين يوضع ابلق (٣)
بسرعة خفق القلب ايان يفرق (٤)
بمنحدر حينا وحينا تسلق
عفاريت تزجى حملها وتخندق
ولى بعد اغذاذ امام ومعنق (٥)
فما من معى منى بذلك ضيق ؟
الذ واحلى من رحيق يروق ؟
سيول الروابى والسحاب تغدق
يصب كما حل المزادة اخرق (٦)
بسانط لكن ليس فيهن مورق
وبعض لقيمات عليه تفرق
زوارق شتى فوقه وهى تفرق
كما يغتدى فى الزحف جيش مفرق

-
- (١) يثق النهر كسر شطه لينثق الماء
(٢) السطل عربية فضيحة وهو الاناء الصغير للماء ويستعمل الآن
فى كل اناء ماء يحمل باليد وهو مجاز مرسل
(٣) الذنابى الذنب نفسه والابلق الفرس
(٤) فرق يفرق كفرح يفرح خاف
(٥) والمقصود بالحوض حوض الزبدة والاغذاذ والاعناق الجرى
(٦) الاخرق من لا يعرف كيف يصنع الاشياء ولا كيف يعالجها ؛
فاذا أراد أن يحمل مزادة الماء أفلت فاما فيندفع الماء :

فتنسف هاتيك الجبال جميعها
الى ان ارى الفتح المبين وانسى
ولم يبق الا جولة وحدها لكي
فالحس كفى ثم اغسلها وقصد
فاعلم حمدا خالصا من طويتي
فان يطعم الفالودج الحلو قتيبة
فاني بحمد الله عندى عصيدة
فقد برئت من كل زور ولم يطف
فجأت بما لم يات فيما اتى به الله
ادام لنا الله العصيدة ما غدت
وما سالت الا رياق ان عن ذكرها
وتعلى صياصيتها ويفتح مغلقي (١)
على شبع والجوع خزيان يرمق
يلهم ما يبقى هنالك ملعق (٢)
رسا بي على سيف الاماني زورق (٣)
لمن كان يعطيني النعيم ويرزق
وبسطيلة جماعة ما يفرق (٤)
من الذرة الغراء اولي واوفق
على وجهها الوضاء طاه يزوق (٥)
سمقع فيما قاله والمحلقي (٦)
مصادرين بطن الجائعين تنفق (٧)
وطاف حواليتها ثناء مخلق
* * *

المشروبات الاعلى

اذا كان الحضري يجد بين يدي ترفه وبين يدي غناه من المشروبات
المتنوعة ما يجد؛ من شراب اللوز والبرتقال والموز والمشروبات العصرية
فان ابن الخ المسكين لا يجد الا العذب الزلال الذي يستقيه من الآبار بدلوه؛
ثم ان اراد تبريده فانه يعلق الدلو او السقاء في ممر الهواء فاذا به اعذب
وابرد من ماء الحواضر المتلج؛ وما رأى كمن سمع؛ خصوصا ان كانت
فيه رائحة القطران، وقد احسن من قال في ماء الخ في مطلع قطعة
ألا ليت لي من ماء الخ موقعا من الخمر قد سموه ماء على غلط

- (١) الصياصي الحصون
(٢) الملحق الاصبع التي يلحق بها ما تبقى في الاناء؛ على عادة البادين
الى الآن
(٣) سيف البحر شاطئه
(٣) سيف البحر شطئه
(٤) تحتوى البسطيلة على أطراف الدجاج والبيض والحلويات والسكر
وأمثالها

- (٥) البسطيلة يزوق وجهها بالسكر والتوابل
(٦) للمقعن الكندي من قصيدته المشهورة حين يذكر أسباب الديون
التي عليه وفي جفنة لا يغلقي الباب دونها مكلفة لحما مدفقة ثردا
وأما ما قيل في المحلق فقد تقدم البيت الذي قاله الاعشى في قصيدته
نفى الدم عن آل المحلق حفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق
(٧) نفق: صوت كنفق الضفادع

وقد كان العلامة سيدى محمد بن مسعود يقول: ان الله عوض الغ
الفقيرة الجرداء عن الفواكه هذا الماء الحلو العذب الزلال الساسيل

نعم ان مشروب الخ الخاص هو الاناى الذى يعرفه كل احد؛ وقد ذارت
قواف كثيرة حوله فى مناسبات؛ فمن ذلك قصيدة للشاعر الكبير ابن الخ
البكر سيدى الطاهر يوم تسابق السوسيون فى وصف الاناى المشحر؛
بقصائد كثيرة (1) فقال هو

موشحاً محبراً مطرذا
خصل المدى فى الفضل ما برذا
متى سطاغنا له منازل
سلاتنا الخيرة الابرار
من صار فى قلب الحسود كهذا
من قد حكى نظامه الجمانا
من صنع تشجير الاناى عبثا
فيه ورده الاخير مادحا
فصل القضية بقول منصف
أحدثها ذوو المجانة فقد
ترضى بان تفعلها او تقبلا
وربما تفسده افسادا
فيها النقاء وصفاء الظرف
وبذلوا النفيس فى شؤونه
حوت رماه البحر صيفا فتنن؛
فضده اذن تمام الحرج ؛
فى العود والمراش والمباخر
الا به رأى مبهج وطيب
كما استحال لونه وشمه ؛
بينه مثل الصباح الابلج
وبعدها رابعة سمعية
وهو كما قيل امام الكاس
بالطبخ» فافهم لا تكن بالساهى

هذا وانى قد رايت رجزا
قد دار بين سيدين اجرزا
كلاهما لدى الصيال بازل
هما هلالا هالة الاكرار
سيدنا محمد ابن احمدنا
وكفؤه سيدنا عثماننا
تجاريا فى حكم أمر حدثنا
فعابه الاول عيبا قادحا
فبان لى أن أجرى الفكرة فى؛
فاعلم بان صنعة التشجير قد
أما الطبايع المستقيمة فلا
لأنها تسخّم البرادا
والكأس قد شرط اهل الظرف
لذا تغالى الناس فى ماعونه
وريجع اذا غلا اسهك من
وشرط طيب الكأس طيب الارج
اسدا تنافس ذوو المفاخر ؛
فما زوال الهمم والتقطيب
كذاك ايضا يستحيل طعمه ؛
فهذه قطعا ثلاث حجج ؛
وكلهما حسية طبيعية ؛
قال فتى الظرف ابو نواس
فى وصف خمر «لم يشنّها الطاهى

(1) يوجد بعضها بعين تراجم الاكراريين فى الفصل الثانى من القسم
الرابع كما يوجد بعضها فى ترجمة ابن العربى الادوزى فى القسم الثالث
وفى ترجمة العلامة ابى محمد الالغى قصيدة فى ذلك .

شينا فهلا نتبعن الشيخا
قلت ومثلها الاتاي قادر
بالنص والاجماع والقياس
قذى بعين الانس يا سميرى
جدا على البراد اذ يشتد
اذن على ما كان فيه من عوج
بقدر ما يسخن دون طبخ
ويغلق الشهوة بابا بابا
وكلهم فى زكنه اياس

فهو كما سمعت سمي الطبخا
ان قلت ان قوله فى الخمر
فالقصد ان الطبخ شين الكاس
فصح ان صنعة التشحير
لا هم الا أن يخاف البرد
او اقتضاه سبب فلا حرج
لكن على السداد دون نفخ
فالبرد أيضا يفسد الشرابا
نص عليه جلة أكياس

* * *

المعتاد في اول السنة الفلاحية

من انواع الاطعمة الالقية ؛ نوع يسمى (اوركيمن) يصنع من حبوب
الذرة والقمح والفلو والعدس واللفت اليابس مع الاكرعة التى تجمع لذلك
من قبل؛ يطبخ الجميع فى قدر طبخا جيدا طوال النهار؛ ويتحين صنع هذا
الطعام فى ليلة اول السنة ويوتر ان اصل جمع هذه الحبوب اثر من آثار
نزول نوح من السفينة؛ فقد طلب ممن ركبوا معه ما تبقى مما تزودوا به؛
فاتى كل واحد بما عنده فطبخ الجميع طبخا واحدا؛ والالقيات يطبخنه تيمنا
ودراءا للعين والجن؛ ولذلك يعتمد بعضهن الى اراقة بعض مرق هذا المطبوخ
على بعض زوايا الدار؛ وازاء أسراب المياه من الساحات داخل المنزل وما هى
بالعادة الوحيدة التى تصنع ليلة اول السنة؛ فأتذكر أن الناس يحرصون
على ان لا يبيت اى واحد خارج منزله مسافرا؛ ويرى بعضهم ان من لم يبيت
فى داره تلك الليلة لا يزال مفارقا لداره طول السنة

اللبسة

الذى أدرکنا عليه الناس عام: 1323 هـ. انهم يلبسون قمص الصوف
وسراويل الصوف - ويسمونها التبان - وعمامة الصوف، وذلك لباسهم
صيفا وشتاء؛ لا يعرفون اذ ذاك الكتان الا نادرا وذوو المروءة منهم يديرون
على اعاليتهم شملة من صوف؛ او رداء تاما لمن كانوا ملحوظين كالرؤساء
والعلماء وائمة المساجد؛ وفى الشتاء يلبسون الخفيف - وهى لغة فصحي -
ويستورد من (أزانيف) مكان فى الاطلس الكبير الموالى سوس، وقد لبست
أنا - ما شاء الله - خنيفة غليظة محمر ما وراءها مما يقابل مقعدة الانسان ؛

وللناس اذ ذاك غالبا السلاهم من الصوف المنسوج بالغ المعروف بجودته ولم ندرك عند الناس لا جبة ولا سراويل الكتان ولا قمصه وعمائمه الا نادرا ثم سرعان ما انقلب الزمان فظهرت قمصان الكتان وسراويله وعمائمه؛ ثم جبيته؛ ولكن وشكان ما اختفى ذلك ايضا في ابان الحرب الثانية فراجع الناس معتادهم القديم الى ان انقضت وطفحت الاسواق بالكتان فعاد الناس اليه فهو الآن 1364 هـ. الملبوس المعتاد

واما النساء فان لهن عادتهن الدائمة؛ من رداء الصوف تجمع المرأة اعاليه بمصنوع من الفضة مثلث على تديها؛ واحد على جانب والاخر على الجانب الاخر؛ ثم يجمعن الاسافل عليهن اما بحزام او بادخال بعض في البعض الآخر، وهذا الرداء يسمى (تفكوت) ان كان من الصوف؛ او الملحفة ان كان من الكتان الاسود او الازار ان كان من الكتان الابيض؛ واما الغطاء؛ فان كان من الصوف فاسمه (تحيكت) او من الكتان فيسمى (أدال) والغالب الى الآن 1364 هـ. أن لا تلبس النساء الا الصوف؛ الا المترفات؛ فانهن يلبسن الكتان قمصا وملاحف وازرا حتى السراويل التي ما كن يعرفنه قد دبت اليهن لبستها وشبكها، والفرجيات وجبات الساركة البيضاء او القهوية والسلاهم المنسوجة من المنسوج الرفيع الرومي او البزوي. قد صار اكل الآن ياخذ مكانته بين البسة الرجال الكبراء والتجار بعد ما دبت الحضارة الى الغ ديبها

الفرش.

ما كان يعرف الا الحصر التي تستود من قرية (أمتضي)؛ ومتى كان هناك حنبل او زربية على قلة ذلك؛ فان بقاءها في الطي اكثر من بقائها منشورة تحت الناس؛ ولم يكن الناس يفرشون على عهد صغرنا الا الهياضر - جلود الكباش المدبوغة بصوفها - ثم لم تنتشر الزرابي الا في عهد آبائنا في ديار قليلة في الغ؛ ولا يزال ذلك قليلا الى الآن وأقل القليل جدا المضارب والمخاد، ولا أعلم الآن دارا للاضياف استجمعت الفرش المعتادة في الحواضر من المضارب والزرابي والمخاد الا نحو دارين؛ على أن ذلك لا بد ان يزداد بتزايد اتساع الحضارة

المعتاد في المساجد

المسجد هو النادى العام لاهل القرية؛ ولا يتخلف عنه الا من لا خير فيه؛ ولاستاذ المسجد احترام؛ وهو الإمام والمؤذن - غالبا - وقارئ الحزب،

والحزب يقرأ في الخ على القاعدة الناصرية؛ تتبج الاحزاب الا فى عشيا
الخميسات فيقرأ الكهف؛ وصباح الجمعة يس وتبارك، ولا يتعلق حزبهم
بالشهر؛ ويقرأ سبع من البردة فى حزب كل عشية؛ وفى المدارس العلمية
تقسم الهمزية ايضا على أحزاب الاسبوع الصباحية. ولهم دعوات خاصة
تقرأ وراء الحزب كما لهم دعوات خاصة كذلك كلما أريد التفرق من مجمع
خصوصا المجمع التى يحضرها اهل الخير، تحتوى على الصلاة الالهية؛
ثم الفاتحة ثم اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب
النار؛ ثم الصلاة الالهية ايضا ثم سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

هكذا يختم كل مجلس؛ كما يدعى بذلك نفسه بعد الصلوات؛ ولا ريب
ان هذا الدعاء المرتب قديم؛ لان مثل هذا مذكور فى العهد الموحدى، ولكل
طرف منه أساس من الحديث؛ وفى ليلة ختمة القرآن؛ - وتكون دائما عشية
الاحد - تزداد دعوات اخرى؛ ويتجن محبو الخير من الرجال والنساء
الحضور، لما ثبت من ان ذلك الوقت يستجاب فيه الدعاء؛ ويأتى اهل
الفضل بالتمر ومقلو الذرة؛ او بقصعة طعام؛ وفى بعض المساجد من جيران
الخ توجد احباس لهذه الختمة

أما كيفية التدريس من الاستاذ؛ فلا تختلف عن المعتاد فى كل المغرب
ضغطا وتكرير السور وغسل اللواح صباحا؛ ثم املاء الاستاذ على التلاميذ
كل واحد على حدة، ثم يكمل الاستاذ نصف اللوحة للتلميذ ان استظهر
نصفها الاول؛ الذى كتبه بيده؛ ولا يذهب التلاميذ الى الغداء الا بعد أن
يحفظوا؛ ثم يرجعون الى تكرير السور التى كانوا حفظوها الى الهاجرة؛
ثم من الظهر يقرأون ما سيمحى غدا ثم التكرار للمحفوظات، الى أن يقرب
المغرب؛ وحضور الحزبين صباحا وعشية من واجبات التلميذ؛ وتكرر
المحفوظات الى العشاء؛ وه نعيم يوم الاربعة تكون الراحة الى عصر يوم
الجمعة؛ الا أن التلاميذ يكررون يوم الخميس ان لم يغب الاستاذ الى أهله،
لتكرير السور الى الضحى؛ والعواشر تكون اياما قبل العيد وبعده؛ وعلى
التلاميذ ضريبة الاربعة والعواشر؛ كل بما تيسر، وقد كان المعتاد فى الخ
البضعة الواحدة فى الاربعة وقرشا فى العواشر؛ وذلك منذ نحو 40 عاما.
ثم جاءت الدراهم فى الجميع؛ واجرة الاستاذ تجمع له من محصول السنة
من البيادر بعدد معلوم من الأصم على كل دار؛ ومع حرث تقوم به جماعة
القرية، ومع اضحية او ثمنها؛ ومؤولته بالتناوب غداء وعشاء؛ دارا لدار؛

ولا هجورى ولا لهنة (1) فى الخ؛ وقد أدركنا ان استاذ المسجد هو موثق القرية ان لم يكن فيها عالم؛ وعدلها الممتاز؛ وعاهد الانكحة؛ والمصلح بين المتخاصمين

المعتاد فى المدرسة الالغية

كان سيدى محمد بن عبد الله المؤسس لمدرسة الخ عام: ١٢٩٧ هـ مجددا فأسس فى الخ القراءة الجديدة، فحين ينخرط التلميذ فى المدرسة بعد ان يحفظ القرآن يتدرج من الجرومية فالجمل والزواوى؛ ثم الامية لابن مالك مع ابن عاشر؛ ثم الرسالة فالالغية لابن مالك؛ ثم بعد ذلك التحفة والمختصر والمقامات والزقاقية؛ ثم المنهج وفى الرضانات لا يقرأ الا الحساب والفرائض والبخارى، وبين هذه الدروس يتلو الطلبة من عشية الاربعاء الى عشية الجمعة فى كتب الادب بينهم يبتدون بالاسهل؛ كالمستطرف ومروج الذهب وابن خلكان؛ فمسيرة ابن هشام؛ فالمواهب المدنية ثم لا يزالون يترقون الى ان يقفوا بعد ان يشدوا فى نفح الطيب الذى هو الكتاب العالى عندهم؛ والعادة أن كتب الادب لا تقرأ فى ايام الدراسة تفرغا للعلوم الرئيسية ما عدا المقامات الحبرية، واما المعلقات والطفرائية ولامية العرب والهمزية والبردة والشعرطيسية؛ وبانت سعاد؛ فان هذه تقرأ فى العواشر غالبا؛ واما الدروس الدائمة فالفقه والنحو والتصريف والتفسير احيانا؛ والمعتاد أن يطالع التلاميذ دروس الغد بينهم يطالعها لهم نجباؤهم، ثم يقرأونها عند الاستاذ؛ ثم تعاد بينهم ايضا؛ ثم يتعهدهم الاستاذ فى حفظ الشواهد والابيات التى تستطرد فى الدرس؛ ثم يواخذهم الاستاذ بالاحتفاظ لعدد من الابيات فى كل صباح من المتون مع تكرارها جماعة فى عشيا الاربعاء؛ واما ما بين العشاءين فى غير الاربعاء والخميس فانه لمطالعة الدروس او لاعراب راس الحزب، حيث يجولون جولات فى كل المتون التى يدرسونها؛ ولهذا تجد أبناء المدرسة الالغية؛ اكثر السوسيين استحضارا للمتون؛ وعادتهم فى الدرس؛ ان يتغنوا بالابيات التى تقرأ جماعة قبل افتتاح الدرس، وغالب قراءة الشادين فضلا عن المبتدئين فى اللوحات؛ يشققون فيها المتون؛ ثم تفسر بيتا بيتا؛ كما تعرب كل الشواهد بالسنة الطلبة لا بلسان الاستاذ كما أدركناه فى القرويين وابن يوسف؛ ويقرأون الالغية أولا بشرح السيوطى ويتلو التلاميذ المكودى مناوبة؛ ثم بشرح

(١) الالهنة بضم فسكون: ما يفطر به صباحا. فقد قال اعرابى لاناس
لهنوا ضيفكم

الاشمونى والموضح فى المرة الثانية؛ والرسالة بابى الحسن؛ والتحفصة
 بالناوى والتسولى؛ والمختصر بالرددير والمقامات بالشرشى؛ وللأساتذة
 الذين مروا بالمدرسة الالفية استحضار تام فى الفنون لكثرة ما مروا بها
 فلا يحتاج احدهم لاعداد الدرس؛ واكثر اعتناء الالفين بالنحو واللغة والادب؛
 فلا تمر كلمة الا عرف ضبطها؛ واذا احتفل مجلس طابتهم ياتى احدهم
 بكتاب يتلوه؛ ثم لا يستحي الصغير أن ينه الكبير أن لحن فى اعراب
 او فى ضبط كلمة؛ وقد تعجبت كثيرا حين خرجت من الخ فاسمع اللحن
 ثم لا يوجد من يرده، ومتى فرط منى ذلك عن غلط او عن طبيعة يقوم مثل
 الاخ التطوانى فى وجهى كنصيحة أن لا اتسبب فى معاداة الناس؛ فياللعجب؛
 فهؤلاء شيوخنا كابى الحسن وابى محمد الالفين وكشيخنا سيدى الطاهر
 ما كان احد من الفتيان أمثالنا يستحي أن يرد على احدهم؛ وهؤلاء كذلك
 تلاميذنا عودناهم أن يردوا علينا؛ فسبحان من فرق بين البيئات

كتبت هذا للغد، ليعلم الغد كيف كان الخ واهل الخ فى هذا الميدان؛
 وللالفين ابيات سقيمة يفتحون بها المقروء فى مجلس الدرس؛ فما كان
 رجزا تقدم له ارجوزة فى أبيات قليلة؛ وما كان على بحر الطويل كالجمل
 تقدم فيه ابيات اخرى؛ فاول ابيات الرجزية: اعوذ بالله من الشيطان ٠٠٠
 الخ ومن أبيات الطويل: قول حسان فيها اظن فى الرسول:

له هم لا منتهى لكبارها

وهمة الصغرى اجل من الدهر

وللمدارس فيما ادركنا قوانين فى حضور الصلوات وفى خدمة
 الأستاذ، فكان من بينها للمدرسة الالفية من بينها قوانين اصعب بها
 استقامت ما شاء الله حتى دب التدهور الى الجميع

دور المرأة الالفية

قديما يقول الحضريون: (المرأة الفاسية؛ امرأة وتجارة؛ والمرأة
 البدوية امرأة وحمار؛ والمرأة المراكشية: امرأة وخسارة)

لا ريب أن لوصف المرأة البدوية بهذا الوصف حظا من الصواب غير
 قليل فهذه المرأة الالفية ككل نساء تلك النواحي؛ هى التى تقوم بكل شؤون
 بيتها، فتظل نهارها فى الاعمال المرتبة على اوقات اليوم؛ تقوم سحرا لتطحن
 ثم تسخن ماء الوضوء مع الفجر؛ ثم تحلب البقرة؛ ثم تسقى من البير بالقلة
 على ظهرها تاخذ القلة بجبل يمر بكاھلها؛ ثم ان أرادت ان تحطب فانها
 تبكر ولا تطلع عليها الشمس الا وراء روابى الخ حيث لا يزال الشبح الذى

هو الوقود الوحيد للالغيين؛ فتنجمع منه ابالة عظيمة تنظها ثم ترجع بها على ظهرها والعجب أن ذلك الحمل الثقيل لا يؤودهن، فإن النساء الحاطبات يرجعن بالاغانى يتداولنها باصواتهن الرخيمة؛ ثم لا تكاد تدخل الدار حتى تهى الغداء ان لم تكن طبخته صباحا؛ ثم تمخض وطبها؛ ثم تنقى طحنها للغد؛ ثم تقربل طحين الصباح ثم تاتى بالخضر من الحقل، ثم تسقى البقر؛ ثم ان كان عندها سقى من البير للحقول فهى التى تتولى ذلك؛ وزد على ذلك أن تتعهد مغزلهما؛ وترضع ولدها؛ ثم ان كان حرث او حصاد، فهى التى تقوم بذلك بمعاونة زوجها او وحدها ان غاب. بهذا تملأ نهارها؛ ثم تطبخ العشاء؛ هذا كله والغالب ان تحافظ على صلاتها فى دارها مع السمع من المسجد، والمرأة الالغية هى سيدة الدار حقا - فهى الخازنة وهى المتصرفة فى الشعير والسمن والمراعية للاضياف ولو لم يحضر زوجها ان كانت الدار دار الاضياف -؛ والطلاق فى الغ لا يكاد يذكر؛ وكذلك الزوجة الثانية؛ فلا اعلم من الغ الآن دارا فيها عدة الزوجات الا ثلاثا فقط من المتوسعين الذين دفعهم دافع خاص الى ذلك ومن الامثال الالغية: أن المرأة تقول: (دعوا لنا المطبخ ندع لكم الراى) اى اتركوا لنا ادارة المنزل؛ نترك لكم ما فى خارج المنزل، ومجهل القول أن المرأة الالغية تقوم ازاء زوجها الذى لا يعرف الراحة ايضا بدور عظيم فى الحياة مع الصيانة وعدم الزلق الا فى النادر الذى لا يكاد يخرم القاعدة؛ مع الصبر العظيم والاخلاص لزوجها والرفق فى المعيشة؛ مع حفظها للسر ومحافظةها على مظاهر التدين والتصديق على المقابر؛ خصوصا ايام الجمعة وعاشوراء؛ فتذهب النساء بالتمر، ومقلو الذرة او القمح؛ فيفرقنه على الصبيان

الامثال الالغية

ان درس الامثال التى تطلق عفوا من الالسنه هو عين الدراسة لفكرة الذين يطلقون تلك الامثال؛ ولذلك حرصت على جمع الامثال الالغية من قديم فى كراسه استوفت زهاء ثلاثمائة؛ ثم اخذها منى الكولونيل الستشملج: (جوستنار) ففرنسها ونشرها فى بعض المجلات الفرنسية؛ ثم رجعت كرة أخرى ونجن فى معتقل: (أغبالو نكردوس) فامنيتهما على الوزير الكبير أخى سيدى محمد القاسى؛ فجمع منها عنى الفا وخمسين، ما بين منشور ومنظوم؛ وقد فسرنا كلها بحكاياتها بالعربية الفصحى فضمها الى المجموعة الكبرى التى جمعها فى الامثال المغربية؛ ولهذا اكفكف القلم الآن عن تتبعها اكتفاء بما فى مجموعة الاخ الوزير المحترم

الالعاب الالغية

هي نوعان: فمنها ما هو مخصوص بالصبيان؛ ومنها ما هو مخصوص بعامة الناس؛ اما ألعاب الصبيان فانها :

1 - الاسماء، تقول العرب: (اسدى الصبيان واستدوا: اذا كانوا يلعبون بالجوز). وصبيان الغ انما يلعبون بالحصا؛ ولتشابه الملعوب به سمينا هذا اللعب هذا الاسم

ياتى كل صبي بعدد من الحصى يتساوون ثم يعمد اولهم الى جمع الحصى في كفه؛ ثم يلقيه الى الاعلى من بطن الكف؛ فيعرض له ظهر الكف؛ فيبقى ما يبقى ويسقط على الارض ما يسقط، ثم اذا تراكمت الحصيات على الكف؛ ينظر في الحصى فما كان منه لا يمس الجلد وقد علا الحصيات؛ ياخذ اللاعب على انه ربحه؛ ثم يرمى ما على ظهر كفه ثانيا الى الاعلى فيلتقاه بباطن الكف؛ ولكن ان سقطت حصاة واحدة فقد خسر اللاعب؛ فيعطى الحصى لغيره واذا توصل لقبض كل الحصيات براحتيه؛ يبتدىء اللاعب في التقاط ما انشر امامه مما لم يقع على ظهر الكف؛ فيرمى الى الاعلى حصاة من يده في الوقت الذي يلتقط فيه حصاة أخرى مما على الارض؛ ومتى لم يفلح في ذلك فقد خسر، وان امكن له ان يستتم التقاط المنتثر على الارض؛ فانه لا بد أن لا يمس عند اخذ حصاة غيرها؛ الا اذا بقيت اثنتان فقط فانه لا بد أن يجمعها مرة واحدة ولو تباعدتا؛ ومتى تمت اللعبة على هذه الوتيرة؛ فقد ربح حصاة واحدة ثم يعيد اللعبة؛ الى أن يربح الجميع او يخسر الباقي، فلا يتحصل له الا ما فاز به؛ ثم ينتظر حتى ياتيه دوره ثانيا؛ ومتى تمت الصفقة وانتهت الحصيات؛ يحسب كل واحد ما ربحه، فمن نقص له من العدد الذي كان له فان الرابع لاكثر من عدده يدفع له حصاة حصاة مع ضربة فوق كفه لكل حصاة؛ وتسمى هذه اللعبة (اكنترن)

2 - شلوك - لعبة تكون بنوى التمر؛ ياخذ اللاعب نوى في بطن كفه؛ فيسأل صاحبه: أشفع ام وتر، ثم يقرص على ظهر كفه كلما اخطأ. وتسمى اللعبة عند العرب (خسازكا) قال الشاعر :

وشر اصناف الشيوخ ذو الربا

اخنس يحنى ظهره اذا مشى

الزور او مال اليتيم عنده

لعب الصبى بالحصى خسازكا

3 - ضما - لعبة أشبه شيء بالشطرنج؛ الا أن شروطها أخف؛ تلعب

بالحصا مكان البيادق

4 - طابت العصيدة - لعبة للاختباء؛ يختبئ صبي حيث لا يرى ولا يرى؛ ثم يتفرق الصبيان في المخابئ ثم ينادى احدهم بالشلحة: طابت العصيدة (توانكلا) فيخرج المختبئ فيفتش عن اصحابه فمن وقع عليه اولا يركب على ظهره مليا ويدور به بين الصبيان

5 - لعبة الجبل - وهي رياضة نافعة، يوخذ جبل فيربط طرفاه فيدخل صبي في طرف وآخر في طرفه الآخر فيتجاذبان؛ لينظر من هو أقوى.

6 - لعبة الحمل - يحاول الصبيان في أن يحمل كل واحد صاحبه

الى غاية محدودة

7 - رماية الهدف - يضعون حجرا مفلطحاً؛ فيرمونه من امد محدود يقف فيه جميع الرامين؛ فمن اصاب الهدف يصفقون له ويصيحون بالصوت الواحد فلان فائز

8 - صيادة اليمام - يحفرون حفرة وينصبون اذءاها حجرا مفلطحاً غير كبير؛ ويسندونه الى عود يضيفون اليه خيطا بعقدة تنحل بمجرد ما يمسه ماس ثم ينثرون حوالى الحفرة الشعير، فيبتعدون؛ فاذا جاء اليمام يلتقط الحب فيتنبه الى الحفرة الصغيرة يدخل فيها؛ ولا بد ان كان في الحفرة أن يمس الخيط؛ فاذا بالحجر يغطى الحفرة فيبقى هناك حياً؛ فياخذه صاحب الحفرة

9 - لعبة الخيط بجحر - يعمدون الى حجر صغير قدر ربال حسنى يسوون اطرافه حتى يستدير؛ فيثقبونه ثقبين في وسطه، فيدخلون فيهما الخيط المستدير؛ فيدخل طرفا الخيط في انسبايتين؛ فيدار الحجر دورا بينهما مستمرا؛ ويسمى (امجرى)

10 - الخدروف - لعبة معلومة عند كل المغاربة، لا احتاج أن أتكلف وصفها تفصيلا؛ وهي بالاجمال: طرف من العود مدبب الراس؛ وفيه حديدة؛ والعود مستدير أملس يرمى بخيط يدار بالعود؛ ثم يدور بنفسه بسرعة.

11 - المضاربة بالفاطو - وهو طرف من عيدان التين، يقطع على نحو 7 سنتيمات فيزال اُلبابه؛ ثم ينجر عود من الزيتون على مقدار الثقبه المستطيلة؛ فيدخل في الثقبه طرف صغير من الكاغد المجموع المبلل بالباق؛ فاذا وصل هذا الى طرف العود يبقى في محله؛ ولكن اذا ادخل مثله من الثقبه، ويدفع بالعود يندفع الكاغد الاول بضغط الهواء؛ فيرمى بعيدا ما بصوت مسموع؛ يجعل الصبيان ذلك بمنزلة البنادق.

12 - المضاربة بالاحجار الصغيرة - وكثيرا ما يقع ذلك بين القرى المتقاربة؛ وترمى الاحجار بالقلاع؛ والمقاليع على نوعين نوع يسمى (السد)

وآخر يسمى تيزييا يصنعان من الخلفاء ؛ ولا فرق بينهما الا أن الاول يجمع مكان الحجر فيه، والآخر يبقى حبالا صغيرة متقاربة يدخل طرفاها في حبل الطرفين

13 - اللعب بالكرة - ولا تضرب هنا الا بالرجل؛ والمعهود أن تخط من الخرق البالية؛ قبل ان تظهر الكرة العصرية من المطاط

14 - المراماة بالماء يوم العنصرة - على أن هذا اللعب قلما يتعاطى في الغ كما يتعاطى في غيرها

هذه هي الاعباب المشهورة الخاصة بالصبيان الالفين. واما اللعب العام؛ فانه للرجال او للنساء - ولا يختلط الجنسان في لعب (أحواش) بالغ؛ وهو لعب يعرفه كل الناس خصوصا شباب الحواضر الذي يعجب به ان رآه أو سمعه في المدياع ويقام في الاعراس والاعياد والافراح، يديره رئيس يعرف ان يغنى؛ وفي يده دف؛ وحين يكون عرس او عيد او فرح كبير؛ كان المعتاد قبل احتلال تلك الناحية وقبل ان يزال منهم السلاح أن ياتي أرباب البنادق فيصطفون أمام اللاعبين؛ وتحت انظار النساء المأطلات على اللعب من السطوح، فيطلقون بنادقهم بالترتيب؛ في الوقت الذي تطلق فيه النساء الزغاريت؛ ويرسلن على الرؤوس - طاقات الحبق - وهو الثبت الطيب الوحيد الذي يعتنى به في الغ حتى انه يستتبت عند كل ربة دار - وكذلك ترسل البندقيات هكذا اذا زفت عروس وقاربت ان تدخل القرية التي تزف اليها؛ والرجال اذ ذاك يغنون اغنيااتهم؛ واما اذا كان لعب النساء فقط؛ فان الدعار من الرجال يستديرون بهن او يطاون، والغالب في الغ قبل الاحتلال أن لا يذهب الى أحواش الا زمر المروءة؛ واما بعد الاحتلال فقد صار الرؤساء الذين لا مروءة لهم يستكثرون من احواش النساء تقربا الى المستعمرين؛ وفي هذا اللعب يوجد بين الاغاني اشعار الحب؛ واشعار الحكم؛ يحفظ منها الكثير

وهناك لعب آخر كنا نعرفه قبل الاحتلال هو الرماية للاهداف في عشايا الاعياد؛ يخرج كل اهل القرى الى اطراف القرية يتعلمون الرماية ؛ فيتخرج الصغار بالكبار؛ وهذا مما طوى بدخول المستعمر .

وبعد؛ فقد كان اهلنا المراتبون يترفعون عن لعب احواش؛ وكان لبعض شيوخهم العظام سعى حيث؛ في قطع ذلك في قريتنا حتى نادت القبائل بتغريم كل من اقامه؛ ولكن نبغ من اهلها من رد ذلك واعاده جذعا؛ ولله الامر من قبل ومن بعد.

أما أغاني الالفين في وقت الحصاد وفي الدراس فكلها أذكار وحكم

واستفانة بالاشياخ المعتقدين عندهم؛ وهى لديهم معروفة بالتقليد؛ وكذلك ما يتلونه فى محافل المشاهد المسماة عندهم بالمعاريف؛ فانها ادعية مأثورة يحفظها المسنون؛ وبالإجمال: ان عوائد الخ فى الالعا بهى عوائد كل جزولة بلا تخصيص ولا تنقيص؛ بل هناك عند غير الالفين ازيد مما ذكرناه ثم ان ما ذكرناه لم يستوف الا قليلا. مع الاختصار فى هذا القليل.

ما قيل فى وصف إلخ من الاشعار

وقفت على قواف غير قليلة حول إلخ واهله؛ ولكننى لا اختار الآن الا ما له مساس خاص بارض إلخ وبوصفه او التمشق اليه؛ او التمشى منه؛ وقد كنت انا نفسى صدرت منى اشياء من ذلك؛ فلاختر من كل ذلك ما يقارب الموضوع

قال شيخنا شاعر الجنوب وعلامة سوس ومفخرة الادب الالفى؛

سيدى الطاهر

نسيم الصبا هبى بششر ربا إلخ	ففى نشرها للعاشق الصب ما يبغي
تعلل شلوا لم تغادر يد النوى	به غير سماع لاهلما لا يصغى،
يجن الى تلك المنازل انها؛	منازل بدر التم لا منزل الفرغ؛(1)
ربوع رباها المسك طيبا ونبتها؛	بوجه القضا منها عذار على صدغ؛
تخال اذا ما الزهر نور أرضه	سماء حبا اثوابها الفجر بالصمغ
اذا اشمست ارجاؤها قلت انها؛	فتاة على اعطافها صفرة الردغ(2)
هى السؤل والمامل لوسمحت بها	يد الدهر لكن شيمه الدهر ان يبغي
وقال ايضا يخاطب شيخ إلخ العلامة على بن عبد الله استاذة الوحيد؛	

من قصيدة مطلعها

بانث فبان جميل الصبر أسما،	وانهل من سحب الاجفان أنواء
يقول وهو يصف نفسه بانه	كالجسد الملقى يكتنفه من الجوى
والدموع النار والماء	

أرسي بأحشائه الشوق المذيب كما	للمجد فى أرض (تحت الحصن) ارساء
أرض ثراها عير؛ والنسيم شذا	والماء راح، وكالياقوت حصاء
وأربع طلعت فيها شمس هدى	فهى المنازل لا فرغ وعواء
تاهت بواحدها إلخ فقلت لها	ايه فقد سمعت مصر وزورا

(1) الفرغ من منازل القمر

(2) الردغ: الوحل. هكذا فى اصول اللغة القاموس وشرحه: ولا يتم التشبيه الا اذا كان معنى الردغ ما له لون خاص كالزعفران مثلا. ثم وقفت على ان هذا المعنى فى الردغ بالعين لا فى الردغ بالعين. ولا ادري ما وقع لشيخنا معانه يتثبت فى اللغة

وقال الاديب سيدى محمد بن الحاج الافرانى

أيا ساكننا أرضا هي الأرض وحدها	بها ما يشاء القلب والأذن والبحر
أجل بلاد الله علما ورفعته	ومجدا وسؤددا فحق لها الفخر
بها العلم والهدى بها المجد والعلا	بها الدين والدنيا؛ بها الوعظ والسمر
فما شئت من عيش هنىء وحكمة	وعقل رصين لا تحوم به الغير
بهم ولهم عيشى يطيب ومرتجى	فؤادى وجودى معهم أو يشا القدر
يذكرنيهم جود سحب السما وإن	تقاصر جودا عنهم وإن انهمر
ألا ليت شعرى هل يتاح لناقتى؛	بروك لديهم كى يزايلها الضجر
فأبصر أيضا عيشة مطمئنة	ودهرا لطيفا كان أجمعه السحر
فاستجمع الصفو المرىء لديهم	فتضحى عيونى بالمنى كلها تقر

وقال الاديب العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود المعزى :

ليهنكم يا آل الخ مفاخر	فخرتم بها ما بين غرب الى شرق
سموتم بدورا بل شموسا بنوركهم	تفتق زهر الفضل من بعد ما رتق
فابقاكم للعلم والفضل والهدى؛	إله حباكهم فى العلا قصب السبق

وقال ايضا

حى ربح الرباب من (تحت حصن)	منجدا زائرا لا وثق حصن
وبوادى العقيق فيه فرج	بالمطايا واعمد الى خير ركن
واقران تحية من مشوق	قاده لهواهم كل حين

وقال العلامة محمد يحيى الصحراوى لما مر بالبحر سنة 1313 هـ. فمكث

فيه ما شاء الله ودرس فى المدرسة الالفية قليلا

يا أهل (تحت الحصن) أنتم فوقه	معنى وحصنكم بعلم يشرف
ما ضر من بالفوق معنى وصفه	أن كان فى حس بتحت يوصف
فارقوا بجد واجتهاد للعللا	ترقوا معالى حدها لا يوصف

وقد وقفت على قطعة للاديب سيدى محمد بن الحاج يعجبيه بها؛

مطلعها

بأثقت فى الارشاد يامن ينصف أهل الوفا؛ والنصح دين يعرف

وقال الإديب ماء العينين بن العتيق الصخراوي

يا آل (تحت الحصن) ان يقع النوى
لا زلتُم ما تى الوفود وان دعت
انا بلوناكم فالفيناكم
لم تضجروا فطباعكم محمودة
انتم مناخ بنى السبيل وحيكم
ان امرءا جعل الطريق لبابه ؛
فعليكم أسمى التحايا ما شدت

فيحفظ وذكى الفؤاد زعيم
سنة وناب من الخطوب عظيم
ما منكم فى الثابتات مليم
والعرض مما يستند سليم
أبدا بقارة الطريق مقيم
طنبا وأدى حقه لكريم (1)
ورق على أيك وهب نسيم

وحين وقف الإديب سيدى الحسن البونعماني على قطعة محمد يحيا
المذكورة؛ وعلى ما قاله ابن العتيق، قال

لله ما قد هاج ذاك الموقف
نظمو دموعهم قصائد وهي فى
كم توجوا قبل الرحيل مجالسا
ذهل المودع والمودع للنوى
حييت الخ فما أجلك مجعما ؛
علماء صحراء الفسيحة جدوا
أحيا الولاتى فى الموات حدائقا
وابن العتيق مطرب بقريضه
وعليهما نبغ الخ أغدقوا
هم أفعموا من كل فن أكؤسا
صنف بالمفاخر الخ فهي جديرة

وعيون الخ من الوداع تكفكف
حسن أجل من العقود واشرف
ولكم بشعرهم المسامع شنفوا
فكانها دارت هناك القرقف (2)
لوفود شعر أين من يستنكف
فيها عكاظا للنهى تستوقف
غلبا بفكر فى المعارف تطفف
وعليه أعلام البيان ترفرف
كرما وآدابا وما يستطرف ؛
للوافدين وبالنادر أنحفوا ،
وأنا بالغ فى المفاخر أعرف

وقال بعضهم

أبواب الخ لكل آت تفتح
يا من يؤم أنخ قلوبك واقترح
ففسيح ما أبصرته بسهولة ؛
أرسل لطفك فى البسيط عنانه
لا أمت فيه لا اعوجاج كراحة
من ذلك استفتت الطباع من أهله

وصادور من يرجون منه تشرح
ان الحوائج منك طرا تنجح
كم كان فيه للتجارة مرجح
فبسيط الخ كما تشاهد افصح
مبسوطة منها المكارم تطفح
(ان الاناء بما حواه يشرح)

(1) بيت قديم مبدل. وهو هكذا فى الاصل
ان امرءا جعل الطريق لبابه طنبا وانكر حقه للنيم
(2) القرقف : الخمر .

وكتب الاديب محمد بابيه نزيل الخ الصحراوي الى عميد الخ
سيدي علي بن عبد الله قطعة شطرها بعضهم؛ نصها

عرج بـ (تحت الحصن) يامن سادا	لترى بعينك في الوري أجودا؛
وانزل هنا لك ما تشاء وطولن	وأطل به النطواف والتردادا
واكرع بمعده ورد اعلامه الا	قطاب والاجراس والاولدادا
وامكت هنالك ألف ألف راتعا؛	بل بله عنك الحصر والتعدادا
قوم تقفوا في صيانة مجده	ما رد للآداب الخ عماداد
الخ وما الخ تلافى مجده	أبناءؤه الالباء والاحدادا
فاقرأ السلام على الفقيه وقل له	صيرت الفك للعلوم مهاداد
قبل يديه وأبلغن من خله	أن التشوق لم يزل مـزدادا

كان قاضي (أفا) ورد على الخ فقال: له أدباؤها بقصائد ترحيب - على
عادتهم - فقلت له انا من بينهم قصيدة؛ من اولها

ما الخ غير شعوره في شعره	أسعد بمن ظفرت يده بدره
بالعلم والادب البليغ فخاره	ان قام كل في الندى لفخره
لم يحظ بالارض الخصيبة لا ولا	بالروض يوثق من تدفق نهـره
لكن له أدب تدفق نهـره	مدا وهل أحد راى من جزره
كل البلاد لها كنوز في الغنى	وكنوز الخ جميعها في شعره
ما الخ الا البحر يزبد علمه	والشعر افضل مقتنى من بحره
بل روض مجد خضلت جنباته؛	وشذا القريض تأرج من زهره
فيه يرحب بالنزيل فينشئ	بجرا حقائبه برائع سحره
فاذا افاض الشعر الغنى فقد	أدى بما أسماه غاية شكره
وبمدح الخ وتركه يدري الوري؛	من كان فلذا في العلا من غيره

اصبحنا يوما في الخ في فصل الشتاء سنة 1356 هـ. فاذا بسيط الخ
بجباله يميم في حلة بيضاء من الثلج البراق؛ فحفظ ذلك الشاب السيد
الحسن بن علي الصالحى، وهو ناشئ اذ ذاك في اول عهده بقرض النظم
فكتب الى

أهلا بوفد الخصب وفد سماء	نالت به الغبراء كل بهاء
خنت اليه وكابدت بفراقه	ألم الغرام وصرحت بعناء
وتولعت حتى آتـاح لها الا لا	هـ وصاله فتباشرت بهناء
نثر السحاب زمردا فتزينت	بعقوده وتبرجت للقاء
فترى البسيطة كالعروس تبرجت	وتتوجت بزهورها كسماء

وترى الخليفة بعد ما قد كابدوا
هذا بفضل الله ليس بغيره
ولا النبي المصطفى ورجاله ؛
جهدا قد احتفوا بكل ثناء
نهج لفقر عباده وغناء
عند الإله لها سقى بالماء

بهذه القطعة الحسنية تحركت قريحتي. فقلت هذه القصيدة التي
صورت فيها جولتي في صباح ذلك اليوم

ما ذا رأى من لم يكن بالرائي
لا سيما ان عم حتى لا ترى؛
والارض من أثوابه مياسة ؛
فكانما وجه البسيطة فضة
وكانها كل الثرى حبب الكؤو
أو روضة أزهارها مبيضة
والجو صاف والسماء كأنها
والشمس قد القت لدى اشراقها،
فجلا بياض الثلج في برفانه
أنى التفت رايت أبيض ناصعا
تهوى به لو كنت اجمع أعينا
لله وقت ضحى خرجت لمزهة
والارض تبرز في قشيب ثيابها؛
واليوم طاق والحياة مسرة
والنفس تانس بالطبيعة اذ بدت
فوضعت فوقى معطى والعقل لا
فهشيت أخطو والبسيطة نضدت
في جانبيها شامخات توجت
فكأننى فى صحن بلور وقد
فأجبل أبصارى اجالة حائر
متنقلا بلواحظى مترنجا
واللب مأخوذ كأن طاقت به
فأقول يا عجا أفى ذا اليوم يب
من ذا يرى النعماء هذى ثم يب
من ذا الذى لا يستغفر شعوره

ثلجا يشع بلونه الوضاء
من لمعة فى سائر الأرجاء،
ميس العروس بحلة بيضاء
مصقولة براقلة الللاء
س متى يشعشعها المدير بهاء
مخضلة من مسة الاندءاء
مرآة من تعادها بجلاء
بشعاعها الوهاج فى الانحاء
حتى ليعشى أعين البصراء
شرك العيون وفتنة لارائى
كى تحتظى فى لمحة بمراء
ترتاد فى البيضاء لا الغبراء
لماعة الانجاد والبطحاء
والقآب مجلسو من الاسواء
أسرارها بالطلعة الفراء
يفتر صاحبه بصحو شتاء
ساحاتها بالؤلؤ الوضاء
منها المفارق باخضرار سماء
غطيته بكرامة خضراء (1)
فى تينك الخضراء والبيضاء
مما أرى من روعة وبهاء
ايدى السقاة بخمرة عذراء
بقى المرء تحت الشملة الصماء
بقى بعد فى الجدران تحت كساء؟
ببساط مبيضة زهراء ؟

(1) كرامة المائدة: غطاؤها. وبذلك فسر بعضهم (حبا وكرامة) اى
اناء وغطاءه .

أين القرائح أين ما يعتاد ان يبهر عجب عين الشعراء ؟

* *

قضيته زما أجول وانسى
متمتها بهناظر ما مثلها
وأنا أميس ومجنى في راحتي
حول يياض ناصع يقق ومن
ما كنت أحسب أننى مهمل ؛
حتى رايت اليوم القا كلها
قد جللت بالنلج يلمع صافيا
فاهتز عطفى نشوة وأثارنى
فاحس من طيب الحياة وعيشها

فكه الفؤاد بهذه النعماء
من منظر، ما سامع كالرائى
كيلا تزل الرجل فى الارساء
فوقى اخضرار طافح بصفاء
يوما هنا بهلامح السراء
بسهولها وجبالها الشماء
كالنقر حين تبسم الحسناء
ما يستثير خواطر الادباء
ريا كان قد عدت للمجراء (1)

* * *

العادة فى الغ ان شهر مارس هو مقياس الفلاحة؛ فان أمطر جاء
الخصب والا فمكسه؛ فتأخر المطر فى سنة الى هذا الشهر فصاب؛ فقل
فى ذلك

الغيث فى مارس بع
كالوصل جاء بقتة
بينا ترى الجفاف يسه
والورق الرقيق سيد
ولفحة السموم تر
وصرصر الاعصار يهـ
والياس يرسل على
اذا بمزن هامع
يحىي البلاد والقلو
فتسترد الارض زهـ
تلوح كالحسنا فى
فاينما التفت أبـ
فكل حقل غادة
تبهر من يبصرها
فالحمد لله الذى
ورد للربيع بالـ

لما انقضى الصبر الجميل
من بعد هجران طويل
تولى على زرع الحقول
م باصفار وذبول
مض البطاح والتلول
شم الفروع والاصول
اهل الفلاحة الذهول
مسترسل الغيث الهطول
ب بتموج السيول
وها من الزهر البليل
مطارف وفي حبول
صرت قشيبا مستطيل
ماسست تجرر الذبول
تحت نسيمها العليل
روى بفضلها الغليل
حيا رواءه الجميل

(١) لا ينسب القارىء أن القصيدة قيلت بعد النفى من الحمراء الى الغ

ما الخ في غير الربيع
 تجهيم ووحشة
 جرداء لا روض ولا
 لكنها فصل الربيع
 بسائط مخضرة
 فأينما انتهيت من
 لا سيما عند الضحى
 حيث يا السخ به
 فان يزل عنك الربيع
 مع غير قفر ذى طول
 فلا مبيت لا مقيل
 حوض بها لمن يجول
 مع ما لارضها مثير
 يحوطها الجو الصقيل
 لها تجد الظل الظليل
 وعند زبرج الاصيل
 لذا الفصل لا كل الفصول
 مع فتحتى تزول

ومما صدر عنى اذ ذاك وانا فى هذا البسيط اتلون بين فرح وحزن؛
 فاقول كيفما تيسر ؛ فمن ذلك

يا طيب الخ فى الربيع فما
 ارجاؤه الفيحاء مخضرة
 فكلمنا اسمته نظرة
 يموج بالصحة لست ترى
 يفوز فيه رائد العلم ان
 لولا ينايع العلوم به
 مدرسة جوار زاوية
 وان صمعا مجده علمه
 ومن ذلك :

لله الخ وبراءها ومجاها
 وما تحس به بين الشفاف وقد
 حتى اذا انكشفت بطحاؤها فاذا
 سماء افق المعالى من بطل على
 خصب القرائح لا خصب المزارع ما
 ففكر الخ حياة للعلوم ومن
 وما يشم اذا حيت برباها
 قاربت ان تجتلى منها مجاها
 الخ السماء التى تدرى ثرياها
 آفاقها الغر حياها وبياها
 فى الخ فهو على الاماد مجاها
 أحيا العلوم على أرض قد أحياها

ومما قيل فى وصف الخ وهو وصف حقيقى

اوصاف الخ متنافيات
 عند القياس متناقضات
 ضد لعد يتقابلان
 كفارسين يتصامون لان

(١) الدسيم الذاكر

مناخها يجذب به المغبر
غير ربيعها بسيط يكلح
فلا تمت ارضها لاهلها
فكل من يزورها مرات
لا بد ان يصفها فيشهد
ان شرفت ارض بنيتها فبنو
ومن اتى الخ فما اتاهها
فانه من علمها سيعجب
فانها من جهة لمخصبه
مجدبه كما ترى حقولها
فكم علوم من بنيتها فائضة
وكم بحوث عندهم مفجرة
روض الفهوم عندهم مزدهر
خزائن العلوم دافقات
قلوبهم في العلم بين العين
متعهم في الادب الاندلسي
فكم قصائد لهم عصماء
وطيهم من عرف (نفح الطيب)
فهذه الخ وذى اوصافها
سبحان من يجعل في الاضداد

ومن ذلك

نعمه الالغى فتح
بين رشف الكؤوس
يتملى قابعا بي
بنعيم كان فيه
والاعاصير تدوى
فيكاد البيت ينسد
جنة الخ وان حفت

ومن ذلك :

الخ بسيط بلقع مقفر
تجول فيه ما تجول فلا

مباين لعلمها المفتسر
صقيعه وقت الشتاء يطفح
الا كمت حزنها لسهلها
بين فصول متفاوتات
حينما يذمها وحينما يحمدهم
الخ همو من شرفوا وزينوا
وانما اتى بنى رباها
لكنه من فقرها سيكأب
كما ترى من غير تلك مجدبه
لكنها مخصبه عقولها
وكم بئار في رباها غائضة
وكم هضاب عندهم محجرة
وما هناك قط روض يزهر
ولا مياه متدفقات
والشيخ والخلفاء للعيون
لافي الريحين ولافي النرجس
بين بسائط لهم جرداء
في وسط ذاك الجزر الجديب (١)
وارحمنا لمن همو الالفها
لحكمة منفعة العباد

لكتاب وسط داره
واصطلاء حول نساوه
من التفافات ازاره
دفتر قطب مداره
فوقه أو في جواره
ك جميعا بجداره
بأنواع المكماره

لا روض فيه لا ولا عين
تبصر فيه موتقا عين

(١) الجرج يضممتين من الارض التي لا تنبت

يقطنه وان له كن
كانها يقطنه جن
حوليك دار الصوف والقطن
اعظم مما يجمد السدن
تكاد لا يندى بها المزن
ندامة وحسرة سن
تصخ الى اخباره اذن
الى تجاه ارضه يرنو
يعلو بهم بين الورى شان
بهم لها الزين او الشين

شتاؤه سم ذعاف لن
يعصف فيه صرصر صافر
تشقق الاطراف منه وان
وتجمد الصهباء من قره
حتى مياه المزن فى افقه
كم قرعت من قم قاصده
لولا علوم من بنى الغ لم
ولا رأيت قط من مبصر
لكن قطرا زانه اهله
هل البلاد غير سكانها

ومن ذلك ما قيل ارتجالا لسبب اقتضى ذلك

تصاغ كما تبغى وفوق الذى تبغى
من الغ بليغ بالقصائد لا تصغى
شهود على هذا بمنزلة الرفغ
جوانبه الا طلائع من صمدغ

اذا احتفلت اءاداب من كان فى الغ
فاية ارض حول الغ متى شدا
فالغ لكف الشعر والناس كلهم
لئن كان قفرا فهو كالخذ ليس فى

ومن ذلك :

لا الغ مال ولا الغ الامارات
يقر عينا بايات وآيات
مجد القصور ولا مجد الرياضات
والفهم حليتهم بين النديات
هبت عليك باءاداب ذكيات

الغ المعارف والاداب بلدتهم
من رام علما وآدبا وحل بهم
ومن يرد عرض الدنيا فليس لهم
فالعلم حرفتهم والبحت شيمتهم
ان تسألن الصبا عن زهر أرضهم

ومن ذلك :

صحة الجسم وجورائق
ف وماء مستلد فائق
خضرة الروض وماء دافق
ضفة النهر حفيف شائق
بعد يهفو لهواه عاشق

الغ فردوس لمن منيته
ونسيم مستطاب فى المصيب
أى مصطفى عجب لوبه
انما المصطاف أشجار لها
فاذا اعوز هذان فمما

كنت مررت فى سفرتى الى (تامانارت) بوادى (ترت) فصدرت منى
قصيدة فى وصفه ؛ - مطلعها

وضيق واد بترت طويل كما امتد للماء خرطوم فيل

ثم شفعها الاديب الالفي سيدى الطاهر بن على بن عبد الله بأخرى
مطلعها :

لك الفضل ترت على ما به يخاطبك اللودعى الجليل (١)

ثم مضت ايام بعد رجوعى من السفر وشيوع القافيتين ؛ فاذا بهسذه
القصيدة الجديدة؛ وقد قالها الاديب الالفي سيدى الحسن بن على بن عبد
الله ؛ حكاية على لسان الغ تحتج على ذكر ترت ونسيانها؛ هي؛ والقصيدة:

كجدول ماء بغد اسيل	اتنى الخ بدمع يسيل
تحلى بعز ومجد ائيل	تنادى الاديب الاريب الذى
وكنز المحاسن لا لامثيل	جمال الوجود ومفخره
شفاء لكل فؤاد عليل	رئيس المعارف مختارنا
تبجل (ترت) بذكر جميل	تقول اليس من الحيف ان
حظيت لديكم ولو بقليل	ايشر ذكر لرت وما
ب وينسيك أهلا وكل خليل	وما ترت الا ممر يشيد
ط اذا ما مرنا به فى مقيـل	يذكر ضيقا ممر الصرا
وأنتم سليل ونعم السليل	على أننى للعلا محتد
ثناء لغيرى وحقى جزيل	ولكن هجرت فاحفظنى (٢)
وما يحتوى من سرى نبيل	اينسى بسيطى وما فوقه
روخير قرى يتلقى النزـيل	وما وسطه من ربا للزهو
ين وما مهدوا من سوء السبيل	وما بين ذلك للزائر
تسر مبردهم والخليل	اتنسى علوم من انحو كم
سم هنا ما لهم من مـثيل	اينسى نحارير فى كل علم
سوى مستحق اعتراف الجميل	اشادوا المعالى وما فيهم
مكانة الغ المقام الجليل	الا فانظرن يا ابن الغ الى
ق الغ اهتبالا بكل دليل	ففى كل ناحية يستح
عزيز وما (ترت) غير الذليل	وما الغ بين البلاد سوى
ل اذا كان فى الشعر قال وقيل	اينفى العزيز ويبقى الذليـ
فتنسف هذا الكتيب المهيل	الا غيرة منك القيسة
ت تشكر عن الغ فى كل جيل	لعلك ترأب ما قد صدعـ
كطيف خليل سرى لـخليل	فالغ سرت تحت ذيل الدجا
منك ومن صنوك المستطيل	تراود انصافها بالقريض

(١) والقصيدتان فى (الرحلة الثالثة) من كتاب (خلال جزولة)

(٢) احفظه : اغضبه

فان القوافى لتتصف ما تسارع انت وذاك الزميل
فتكلفت الجواب تكلفا لا يرضى الادب مطلقا لا الالفى ولا الادب العام

فقلت

فما لك بين القرى من مثيل
اليك بها كم وفود تسييل
يزورك الا نسيم الاصيل
بيان المروق بالسلسيل
لدى وان لم يكن من دليل ؟
لروعه كل طود يميل
فهوم كما جال سيف صقيل
عزائم ما لهم من عديل
ش فيصدر كل برد الغليل
يزور مقامك وهو عليل
ك تشم كزهر بروض بليل
الا اعجب لذي صحة بالليل
ف حولك كل قبيل قبيل
راى من عليم فصيح نبيل
يردها مثلا كل جيل
ترى كعذار بخد اسيل
يكذب انك قطر جليل
ك ومنك لاجلك كل سبيل
تجاوره فهو ايضا جميل
ت واشباهها ولنعم المنيل
ت وكل قريض ففى الغ قيل
ابيت بالغ وفيها اقبل
غ مفاخر ما ان لها من مثيل
غ ؟ فيالك ظنا كبرق يخيل
عن مرقم لم يكن بالبخيل
ن لالغ المعارف خير سليل
اخى خير نسل وخير زميل

حنايك الخ المكان الجميل
اما كنت فى بهجة فذة
اما كنت روضا اريضا فما
قرائح منك يفجرها الـ
اينكر شانك بين القرى
اما فيك شعر بليغ ترى
اما فيك علم تفننه الـ
اما فيك صوفية لهم
اما فيك رى لكل العطا
ثراك شفاء لكل فتى
صباك تفوح بخلق بنى
فيا طالما صبح من شمها
شرفت شرفت الى ان تشر
فله ذاك البسيط فكهم
اذا قال قافية فذة
او ان حبرت كفه مهرقا
كذلك يا الغ انت ومن
فلا عجب ان يطيب اليـ
فيدرك (ترت) نصيب ومن
فانت تنيل الجمال لتسر
فكل مديح لهدى الجها
ايطرق لى بالحصا وانا
وفى كل وقت انت عن الـ
امنى عقوق يظن لالـ
وكيف وانى اوالى الثنا
سينكشف الدهر عنم يكو
اذن يعرف الناس منى ومن

ولنختم هذه القوافي الالغية بأخرى كانت صدرت مني يوما قبل أن آلف
الالغيين ولمأزجهم اثر ما نزلت بهم في منفاى عام ١٣٥٦ هـ

(يقولون واقول)

فقلت نعم لكننى كيف أصبر؟
فقلت لقد حاولته ثم اقهسر
أباغت حيناً بالدموع تفجسر
تباعدت لكننى على الرغم احضسر
فقلت لعيش بينهم ليس يكفسر
الى أن يعودوا؟ قلت لا لست أقدر
على كل حال اننى لست اغدر
يفى فى النوى الا فتى متخير
ولكننى من ودهم لا أحرر
ومن هو أذكى مخبرا حين يخبر
وليس كراء من بذلك يخبر
ومن مورد منهم حميد ومصسر
سيورد من شتى البحار ويصسر
لبحث عويس دونه الفكر يعسر
كجدوة نار فى يفاع تسعر
فقلت انا مختارهم ما اخير
فقلت بلى لكن لمن ليس يشعر
فقلت متى فى البدو فضل مشهر؟
فقلت وءاداب بها كان يذكر
تظنون انى للولادة منكر؟
فقلت لانى بعدكم متحضسر
فقلت وخلق من كلىنا مغير
فقلت وخلف بيننا اذ نفكر
يعنفنى ان صحت بالشكو معسر
مداركهم لم تدر كيف التفكير
حياة بتنغيس الجمود تمرر؟
فاودعها شعرا بليغا فتدخر
جزوع عظامى بالاسى تتكسر
بان صفاة الحر لا تتأسر

يقولون صبرا انسه بك اجدر
وقالوا تكلف ما استطعت فربما
وقالوا تجلد فى الندى فقلت قد
وقالوا تباعد ما استطعت فقلت قد
وقالوا اتبكي كل من قد تركتهم؟
وقالوا ألم تقدر تناسى ذكرهم
وقالوا اهم ايضا وفوا؟ قلت اننى
وقالوا قد استعبدت بالشوق قلت هل
وقالوا الست الحر؟ قلت لهم بلى
وقالوا من أعلى الناس عندك سؤددا
فقلت بنو الحمراء شيخا ويافعا
وقالوا ومن اولى الورى بجوارهم
فقلت بنو الحمراء من كان جارهم
وقالوا ومن اذكى الانام اذا سما
فقلت بنو الحمراء اصحاب فكرة
وقالوا سبى المراكشيون عقله
وقالوا اما فى الغ والاهل غنية
وقالوا اذن انكرت فضلا مشهرا
وقالوا اما فى الغ علم وحكمة؟
فقالوا ألم تولد بالغ؟ فقلت هل
وقالوا لماذا اليوم تعرض جامحا؟
وقالوا اهذا كل ما كان وحده؟
وقالوا سيكفيك التخلق امره
وقالوا وما التفكير؟ فقلت أبعد ذا
فانى يكون الحر بين معاسر
امن بعد هذا تستطاب بالفكر
ومن عجب أنى أجيش بفكرة
فيحسب من فى الغ أنى خائر
فيعطف بعض كى يسلى وما درى

وما هي الا وثبة من خياله
فتودع في الاشعار خير ذخيرة
فكم شاعر فحل تخيل نكبة
فكيف أنا يا قوم أفلتها وقد
اكل مصاب فاض بالشكو جازع
فما كل ذي رزء اذا ان خائسر
ايظن من اي البراكين ان طغى
وفورة جاش تستهل فتزفر
لكل اديب لا فح الفكر يشعر
لكيما يجيد القول فيها فيبهر
عركت بها عركا يقض ويسهر
خصوصا اذا يشكو خليا ويستتر ؟
ولا كل ذي شعر شكاً متأسر
من احشائه الاتون الا التفجر ؟

هذه القوافي هي التي وقفت عليها مما قيل في الغ التي كنت قلت
فيها من قديم متشوقا :

الا ليت شعري هل ابتن ليلة
والعصر بفتح الهمزة
وهل اردن يوما مياها بعنصر ؟
وهل يبدون بردي لطرقي وأمقسو ؟

والشيخ هو الوقود الوحيد في الغ وبه طبخهم : وسكسو هكذا ينطقون
به لا (كسكسو) والعنصر بفتح الهمزة
بفتح الباء وسكون الراء وفتح الدال : من بسيط الغ الشمالي وأمقسو :
بفتح الميم وسكون القاف جبل عال في الشمال الشرقي من الغ
والبيتان عورض بهما البيتان المشهوران اللذان عورضا كثيرا من الادباء
قديما وحديثا

الا ليت شعري هل ابتن ليلة
بواد وحولي أذخر وجليل ؟
وهل اردن يوما مياها مجنة ؟
وهل يبدون لي شامة وطفيل ؟



تقسيم الكتاب

١ - القسم الاول في المرابطين ابناء الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد الذين يقطنون في الغ وفي اكادير ايزرى وامثالها من كل مكان فيسسه مساكنهم بتلك الناحية • وفيه فصالان

الفصل الاول في المرابطين ابناء الشيخ الذين درجوا قبل عام ١٣٧٥ هـ
الفصل الثانى في المرابطين ابناء الشيخ الذين لا يزالون احياء بعد عام ١٣٧٥ هـ

٢ - القسم الثانى في الالغيين غير المرابطين من المانوزيين والايغشانيين والوفقاويين والاغوديدين ؛ وقد نذكر من هؤلاء من لا يسكنون في الغ؛ بل في قبائلهم الداخلية ؛ وفيه خمسة فصول

الفصل الاول في الاغوديدين
الفصل الثانى في النازلين بالسكنى في قرية (دوكادير) وليسوا أصالة من الالغيين •

الفصل الثالث في الوفقاويين

الفصل الرابع في الايغشانيين

الفصل الخامس في المانوزيين

٣ - القسم الثالث في أسانذة الالغيين في القرآن والعلوم والتصوف •
وفيه فصالان :

الفصل الاول : في مشايخهم في التصوف

الفصل الثانى في أسانذة الالغيين في العلوم وبينهم بعض كبار من اسانذتهم في القرآن

٤ - القسم الرابع في تلامذة الالغيين علوما وتصوفا ؛ وفيه فصالان :

الفصل الاول : في تلامذة مدرستهم الالغية خاصة •

الفصل الثانى في مشاهير الاخذين من زاويتهم من العلماء واللامعين من غير العلماء

٥ - القسم الخامس : في اصدقائهم السوسيين الذين يترددون اليهم •
أو كانوا هم الذين يترددون عليهم حتى تكونت بينهم حمة كالاستاذية والتلميذية • والمقصود بسوس جنوب مراکش

هذه هي اقسام الكتاب • وارجو من الله ان يوفقني ويسهل لى
حتى يتم كما قدرته وخزنته فى نفسى • فانه ان تم على ذلك النمط
سيؤدى مهمة تحيى غالب الاسر السوسية أو بعضها على الاقل ؛ كما ستشعر
من تراجم المتأخرين صحفا ان نشرت كما نريد فستفتح لسوس تاريخا
واسعا يمكن لمن بعدنا ان يستتم عليه • وانا منذ الان اقر بعجزى وبقصر
باعى • وبكونى بلا ريب اقع فى اغلاط • ولكن حين بذلت جهدى
وافرغت ما فى وسعى فلا عتب على والكمال انما هو لله وحده



الفصل الاول

من القسم الاول

ويتضمن تراجم هؤلاء :

عبد الله بن سعيد الجد الاعلى للمرابطين السعديين
احمد بن عبد الله بن سعيد ولده
محمد بن عبد الله بن سعيد ولد له آخر
علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
حسين بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
احمد بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاخضيري
ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد التاكانزي
بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد التيبوتي
احمد بن بلقاسم ولده
سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه في اهله السليمان
ابراهيم بن سليمان ولده
احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه في الصالح
صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد
محمد بن بلقاسم التيبوتي الفقيه الاول في القاسمين
الحاج علي التيبوتي الفقيه
الحاج عبلا بن صالح ابو الاعلام
العلامة سيدي محمد بن عبد الله ولده مؤسس المدرسة الالغية منبع مجد
الشيخ سيدي الحاج علي بن احمد الدرقاوي مؤسس الزاوية المنبع الثاني لمجد

العلامة سيدى على بن عبد الله
 الفقيه سيدى الحسن التياسينتى
 الفقيه سيدى صالح بن احمد الاوفقىرى
 الحاج بلقاسم بن عبد الله
 سيدى عبلا باولا
 النجيب سيدى احمد بن محمد بن عبد الله الصالحى
 الفقيه سيدى البشير بن الطيب
 الفقيه سيدى موسى بن الطيب
 النجيب الحسين بن احمد بن الحاج صالح
 السيدة تاكدا أم الشيخ اللفى
 سيدى ابراهيم بن احمد الطالى
 سيدى احمد ابو الفسدام
 الفقيه الاديب سيدى على بن صالح الاوفقىرى
 النجيب سيدى الحسين بن ابراهيم الصالحى
 النجيب سيدى عبد الله بن احمد الصالحى
 سيدى صالح بن احمد الصالحى
 سيدى احمد بن محمد التاهالى
 سيدى احمد بن الشيخ اللفى
 سيدى عبد الرحمن بن محمد الصالحى
 النجيب سيدى محمد بن عبد الله بن محمد الصالحى
 النجيب المعتبط عبد الحى بن عبد الله الصالحى
 العلامة سيدى المهنى بن على بن عبد الله الصالحى

سیدی عبد الله بن سعید التہالی

نحو ۹۵۵ هـ - بعد ۱۰۵۱ هـ

نسبہ :

عبد الله بن سعید بن حسین بن یبورك؛ اوحسین بن مسعود علی ما فی بعض الرسوم اوحسین بن یبورك بن مسعود ان جمعنا بین ذلك وقدرنا ان یبورك انما سقط فی بعض الرسوم •

هذا هو الجد الاعلی الذي تنتسب الیه قبیلتنا السعیدية؛ وهو علی شهرته غامض من نواح عدیده؛ حتی ان اصله ومسقط رأسه غیر معروف الا رجم ظن؛ وأقویل تتداولها الالسنه؛ والمعروف أيضا من سلسلة نسبه لم يتجاوز أولئك الثلاثة او الاربعة؛ والكلام حوله للباحث قلما یجد ما يستنضی به فی طریق بحثه الوعرة المدلهمة؛ وها نحن اولاء سنبدل جهدنا فی ذلك؛ علی حسب ما یتراءى لنا من كلام المؤرخین ومن رسوم وظواهر توصلنا بها؛ ونستعین مع ذلك بسوق ما یقولہ اولاده او یشیع عنهم هنا وهناك •

ما شاع عنه فی الالسنه

شاع عند اولاده شیوعا متواترا أن اصله من (تامدولت أوقا) وأن ولادته هناك ثم انتقل بعد الى أكادیر تنبسیست بین ساموکن وتامانارت؛ ثم من هناك اتصل بشیخه الرجل الصالح سیدی یحیا بن عبد الله التملی (وشیخه هذا فی التاریخ معروف موصوف بأنه شیخ یربى المریدین؛ ویرشده السالکین؛ ویصفی القلوب لتتصل بالملا الاعلی؛ وهو من اهل القرن العاشر؛ وقد توفي نحو عام ۹۹۹ هـ) فلأزم خدمته علی سلب الارادة؛ فیحكى انه وکله علی غرس بستان من الرمان؛ فقام علیه منذ الغرس حتی اثمر؛ وبعده ذلك امره ان یاتیه برمان لاضیاف عنده؛ فأتاه به؛ فاذا به مر؛ فقال له ما هذا؟ او ما تعرف اننا اردناه للاکل؛ فقال له : اننى لا اعرف مذاقه؛ فقال له الشیخ : او لا تعرف الحلو من غیره فی البستان وانت القیم علیه من أول یوم؟ فقال : انک یا سیدی لم تأذن لى فی الاکل منه؛ فكان ذلك اول ما لاحظہ الشیخ ملاحظه خاصه (۱)؛ ثم فی یوم آخر وقد تکثر ااضیاف اخرین

(۱) مثل هذه الحکایة توتر قبل ذلك العصر بین الشیخ التباع و بین نلمیذه الغزوانی •

عند الشيخ؛ امره ان يوقد الفران للخبز؛ فصار يتردد الى الشيخ بعد ما
 حمى وطيسه يعلمه بانقاد الفران حتى اضجره؛ فقال له بغضب : ان اتقد
 فادخله فبعد لاي قال الشيخ لاضيفه قوموا بنا الى ذلك الابله ؛ فانه
 لا يبعد أن يلج الوطيس لما سمعه مني من الكلمة الفارطة ؛ فوجدوه داخل
 التنور جالسا؛ والظي في الاشتعال؛ غير انه لم ينله ادنى ضرر؛ الا ما كان
 من رؤوس اظافر رجله فقد نالها بعض احتراق؛ فامره بالخروج ثم ودعه؛
 فامره ان يسكن في وادي (ايمور) حيث قضى عمره كله

ويقال ايضا انه لما سكن هناك دبت عقارب الحسد في اهل
 البلد؛ فراح عنده الشيخ يوما؛ فاشتكى عليه؛ فامره باغماض بصره ثم
 بفتحه؛ فاذا به يرى الوادي كله يسيل خيلا ورجلا؛ فقال له هذه جنودك؛
 تسلط على كل من تعدى عليك؛ فصار اهل البلد كلها امتدت من احد يد
 اليه يصاب بسوء فانكفوا عنه بذلك .

التطفيات التي اسسها في القفار

ثم يقولون ان من حكاياته ان له نطفية في (دراووغ) فمر به هناك
 بعض الملوك بجيش كثير ؛ فاضر بهم العطش في ذلك المحل - وهو
 معطشة الى الآن؛ - فقال الملك لمن حضر من يقدر ان يسقيني انسا
 وجيشي؛ فلم ينتدب احد؛ فكرر ذلك فمثل بين يديه عبد الله بن سعيد؛
 وهو مشتمل برداء ؛ فقال له أنا أسقى الجميع ؛ فقال له : او تقدر
 على ذلك يا صاحب الشملة ؟ فقال له ستري؛ فمال بالجيش الى نطفية
 له كان قبل بناها هناك؛ فصار الجند يمر بها فيصدر ربا؛ وهو يناول لكل
 من شرب خبزة يتناولها من تحت ابطة حتى روى الجيش .

ثم يذكرون ان عادة الشيخ ان يدور مع تلاميذه في القفار؛ فيؤسس
 النطفيات حتى انه اوصى اولاده فيما اوصاهم به؛ ان يقوموا على نطفياته ؛
 فقام بنوه على ذلك الى الآن ؛ ووال أكادير ايزرى هم القائمون بهذه المهمة ؛
 لا يقرطون فيها ويعدون تلك النطفيات اثنتي عشرة؛ وكانت تسمى بنات
 الشيخ عند المتحدثين وهي

١ - (انبد نتوميلين) في الطريق المارة بين (اكرض وايشت) بوادي
 (تاما نارت)

٢ - في (بو الجير بين تاكجكالت نيت تيكني) وبين (اوسا)

٣ - في الطريق بين (اداي) و (افران) في قفر هناك

٤ - في ايخف ايعير وينتكونا ؛ بين (تيمولاي) و (بوزاكارن)

٥ - فوق المراكع فى (تازاروالى) وسمعت من بعضهم ان هناك اثنتين
أخريين

٦ - فى ءايت (بومريم) فى مسجد بناء هناك

٧ - المذكورة فى (دراووغ) التى اصدرت ذلك الجحفل اللجب ربا حتى
ضرب بعطن فيما يقال :

٨ - فى (سمون ايسان) فى القفر الذى يوجد فى جنوبى الخ

٩ - فى (تينوضفيوين ييزين) فى طريق تامانات من الخ

١٠ - فى (قم ايفاغ) فى شرق (اكجكال) بالغ

١١ - فى ءودرى بتهالة

١٢ - فى (اكرض ايمالان) بـ (ايسى)

هذه هى النطقيات التى تواتر عند المرابطين ان جدهم هو الذى
اسسها ثم اوصاهم بتعهد ترميمها؛ ولا يزالون على ذلك الى الان

ويقولون ايضا انه هو الذى بنى مسجد ايت بومريم ولا يزال قائما
يضاف الى الشيخ .

تلك هى الترجمة التى يلقيها اليك جميع مرابطينا؛ وهى فى الحقيقة
لا تتجاوز فى بعض ما فيها مانعج به بعض الكتب التى يهرف بعض اصحابها
بما لا يعرف اذ كان يقول ما لا يدري؛ ونحن لا نستبعد ان يقع كل ذلك
لانا نعتقد ان قدرة الله لا يتعاضها شىء؛ وان الامانة التى تدل عليها
الحكاية الاولى؛ وخرق العادة فى عدم الاحتراق فى الحكاية الثانية؛ واصداره
جميع الجيش طعاما وشرابا بتناوله من جنبه كل ذلك ممكن؛ ولكن الاصل
بقاء سنة الكون على ما هى عليه؛ ونحن كما امرنا بالانصياع لسريعة
الكتاب المنزل امرنا ايضا بالانصياع لسنن الكون؛ وهذا هو اصل ديننا؛
ولا ننتقل عن هذا الاصل الا بوقوع غيره وقوعا محققا او مظنونا بما
تثبت به المعلومات؛ وابن السند الذى يشبث به هذا؟ على ان امثال هذا
الشيخ رضى الله عنه يمكن ان يقع منه مثل ذلك او اكثر؛ وقدرة الله لا
يتعاضها شىء؛ ومثل ذلك متواتر عن امثاله قديما وحديثا؛ لا يتوقف فى
امكان وقوعه الاغبي جاهل؛ او من يكفر بقدرة الله تعالى؛ لكن المحدثين
يؤمنون من اطاع امره فى مثل دخول القرن؛ لحديث لاطاعة لمخلوق فى
معصية الخالق؛ الوارد فى مثل هذه القضية نفسها حين امر حذيفة من معه
فى سرية ان يتساقطوا فى نار امرهم بايقادها - هذا رأى المحدثين بل
راى النبى صلى الله عليه وسلم فى مثل هذه القضايا؛ ثم لا نظن بمسلم
عافل ان يتخطى ذلك الا اذا غلب على حاله؛ وذلك ما يؤول به ما يقع
لبعض الصوفية فى هذا المقام . وبهذا تعلم ان لكل من المحدثين والصوفية
وجهة هو موليا استباقا للخيرات؛ وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا فى كل
قضية على حدة .

وثائق واقوال المؤرخين

قرأت معنى ترجمة الجدة التي يتداولها احفاده؛ وتعال معي لنسلك طريقا اخرى بين الوثائق التي بايدينا وبين العبارات التي وجدناها لبعض المؤرخين. فلعلنا نجد في اثناء ذلك ما يتلج الصدر؛ او ينقع الغلة على الاقل لعلنا نقع فيما بينها على ترجمة الرجل الحقيقية التي يمكن لمن يعرف كيف يؤرخ الرجال باعمالهم ويوزنون بقدر افعالهم التي يمكن الاطمئنان اليها؛ لادراك كنه هذا الشيخ منها؛ فانا لواجدون هنا بصيصا من النور يعرف به من هو الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد؛ ان لم نجد النور الوهاج الذى يلقى الشمع التام على حياته

١ - نسخة من رسم (بعد ما يندب تقديمه لافتراق المنافع به؛ والام بيد سيدى محمد بن ابراهيم الغرموزى الكرسيفي؛ قال فيه بعد الثناء على الله والصلاة على نبيه المختار تزوج على بركة الله وسنة نبيه عليه السلام المرباط السيد عبد الله الايمورى زوجه المباركة زينب بنت احمد بن ابراهيم الغرموزى بصدائق معلوم غير مجهول سماه لها عنه وكيله على (بن حسين بن يورك) بعد ثبوت وكالته اياه بعد دفعه صداقتها وهو خمس وسبعون دينارا فضة - كذا - قبضه وكيلها (قبض معاينة) وهو جدها عنما الطالب محمد بن ابراهيم الغرموزى بوكالتها (بالنطق) اذ هى ثيبة (لها طلبة) بائنة من الازواج واعتدت عدتها؛ وعلى اسماء بمعروف او تسريح باحسان؛ وبه شهد وشهد من ساقته القدرة للحضور محمد بن الحسن بن عبد الله بجمادى الاولى سنة واحد وثمانين وتسعمائة؛ ابراهيم ابن ايوب فى هذا التاريخ .

الحمد لله تفكير؛ ما فى وجهى الاساوير خمس وعشرون دينارا ونصف دينار ودرهم وثلث درهم؛ واربعة خيوط مفصلين بادز - كذا - واربعة حروز . الحمد لله؛ جملة الجهاز للمجهزة المذكورة؛ وصادقها بمقلوبه ٦٨ ح ٠٠٠ ابراهيم ٨ ٠٠٠ (١) ٧ دراهم وذلك (١) ر بلفاسم ابراهيم من دين زوجه فاطمة بنت عبد الله ٣٤ درهما انتهى ما ظهر وتبين لنا نسخة من اصله بالاولا وكتبه من شهد فى المقابلة والمماثلة من غير زيادة ولا نقصان والله اعلم؛ باواخر ربيع الثانى عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن على بن احمد بن ابى بكر الغسانى وفقه الله تعالى)

هذا ما وجد مع بياضه الاصلى وقد ابقينا من البياض ما لم نهتد لفهم الساقط منه؛ واما ما اهتدينا اليه فقد وضعناه بين قوسين؛ واما قولنا

كذا بين عارضتين فهو ازاء كلمات لم نعرف المقصود بها؛ او لم تتضح لنا غاية الوضوح . وقد رأيت في آخر الرسم ما يظهر منه انه بقية كلام سقط من المنسوخ منه اصاله؛ وهو تنمة كلام فيه وصف الجهاز وقد تنبه لذلك من نقل عن الاصل فاعتذر بما رأيته .

٢ - فحامله المرباط الخير السيد عبد الله بن سعيد التهامي الساكن بوادي ايمور ابقيناه على ما كتب له مولانا ابو فارس اعزه الله من اسقاط كافة التساخير المخزنية واكربياتها ويبقى على ما عهد له من الاحترام التام والوقار العام وعلى الواقف ان يعمل به ولا بد؛ وكتسب بجمادى الاولى عام ٩٩٩ هـ خديم المقام (١) (٠٠٠) ثم في الطرة ما نصه المذكور بعرضه؛ لا تخرق عليه العادة؛ وكتب عبد الله مملوك مولانا نصره الله لطف الله به اه . كما نقل من أصله؛ وقد سقط اسم الموقع للاصل واما ما في الطرة فهو بخط آخر لهذا القائد الذي سمي عبد الله؛ ولا شك ان هذا من قواد السلطان احمد الذهبي؛ وما ذكره في وسط الكتابة وسماه ابا فارس؛ هو الذي اشتهر من بين اولاد الذهبي ومن المتولين بعده؛ وقد كان قائدا لابيه على سوس في اواسط العقد العاشر من هذا القرن

٣ - الشيخ احمد بن ابراهيم سلام عليكم؛ وبعد فموجه ان الفقير المرباط السيد عبد الله بن سعيد من وادي ايمور تجرون امره على ما كتب اليه القائد احمد بن منصور حفظه الله في احترامه من السخر والا (نصافات والضيافات) والسلام عام ١٠٠٧ كتب به عبد الله تعالى ٠٠٠٠ لطف الله اه كما وجد؛ وقد وقع فيه بتر في المحل الذي تركنا فيه البياض

٤ - ابقينا الفقير المرباط السيد عبد الله بن سعيد على ما كتب به القائد احمد بن منصور في احترامه من جميع السخر والضيافات وسائر الانصافات والسلام وكتب به اواخر رجب عام ١٠٠٧ هـ عبد الله تعالى وكتب احمد بن ابراهيم التهامي لطف الله به

وفي الطرة ما نصه يبقى المرباط المذكور على احترامه من كافة الانصافات والضيافات يبقى على توقيره واحترامه على عادة امثاله المرباطين وقيد عبد الله اوائل شعبان المعظم عام ١٠٠٧ هـ انتهى كما هو؛ ويظهر ان القائد احمد بن منصور قائد عام على هذه النواحي واحمد بن ابراهيم التهامي رئيس آل تهاالا؛ ولم نعرف الان القائد احمد بن منصور ولا احمد ابن ابراهيم التهامي؛ وما اضيع تاريخ بلادنا

هـ - ... وباطنا يفرع اليه من كان ملهوا فيغيته؛ ومكسورا فيجبره
ومن نزع الشيطان بينه وبين اخوته يداويه ؛ ويصلح بين الناس عامة ؛ مع
كمال اوصاف دينه ؛ ومن عسرت حاجته قدم في طلب قضائها ففضيت؛
ذو بركة في جميع احواله؛ ويتبعه المريدون ويرشداهم من البلاد واقطارها
وجعل له ولاة الامور وقارا وجاها ؛ فابعدوا ساحته من مطالبهم كما حرروه
وعظموا حرمة من غير طلب ذلك منهم بل بمجرد علمهم انه اهل لذلك
فواظب على حالته كذلك حتى فارق الدنيا بالوفاة فترك أولاده متمسكين
بأوصافه سالكين سبيله ؛ على جهد الاستطاعة ؛ وهم ممن يستحقون التوفير
وان يدخلوا في جملة المتبعدين عن المطالبة بالوظائف المخزنية لبعدهم عما
فيه المستحقون للمطالبة بذلك؛ فترغب من امير المؤمنين المنصور بالله امام
وقته مولانا أبو العباس أحمد الشريف نصره الله تعالى وأيده ؛ أن يلحقهم بأمثالهم
في التحرير والخروج بهم عن المطالبة على عادته في اهل الخير والصلاح ؛
والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى بحق جدهم المصطفى صل الله عليه
وسلم وبه كتب اعلاما به اصغر عباد الله؛ بأوائل رجب عام ١٠٩١ هـ احمد
ابن علي بن ابراهيم التوييتي لطف الله به

الحمد لله؛ الامر كما ذكر وان المذكورين تجردوا عن الناس وملابستهم
واستقلوا بالله وبانفسهم ؛ عازلين انفسهم عن سواهم؛ ولم ينسبوا انفسهم
لقبيلة بل مستقلون لعبادة ربهم وما فيه صلاح دينهم ودنياهم؛ وتركوا ما لا
يعنيهم ؛ اعلمكم به ابراهيم بن الحسن بن محمد بن علي بن داود
السملائي لطف الله به؛ ومحمد بن محمد بن عيسى لطف الله به.

الحمد لله الامر على الوصف المذكور حسبما ذكر شهد به كاتبه محمد بن
محمد بن سعيد السملائي؛ وفقه الله بمنه

الحمد لله اعلم بشبوته وصحته احمد بن علي بن عبد الله السملائي؛ لطف
الله به ؛ ومحمد بن علي بن عبد الله بن احمد بن الحاج عمرو السملائي لطف
الله به .

المرابطون المذكورون اهل التوفير والاحترام كتبه العمل على ما رسم
اعلاه ... فيه أعلم بن محمد التمل به حيا وميتا ؛ وله الاعتناء بمصالح
المسلمين الى ان مات رحمه الله ؛ وقام أولاده بعده باقتفاء أثره ... بسلوك
طريقته؛ موثرين طريق المسكنة؛ ومحبين لاهل الخير والصلاح فيما ظهر ؛
والله يعلم ما تكنه الصدور ؛ وكتب اعلام العبيد الذليل؛ لربه الجليل أبو بكر
بن عبد الله التامانارتي؛ كان الله له وليا ونصيرا وسمح له بمنه ويمنه؛ ومحمد
ابن عبد الله بن عمر التمل لطف الله به؛ وسعيد بن علي بن ابي بكر السملائي

لطف الله به في الدارين آمين وعبد المومن بن محمد بن علي بن محمد الدنيا
العصماني وافته الله بمئة؛ ومحمد بن احمد بن الحسن الجمادى لطف الله
به؛ ومحمد بن عبد الله بن عمر الساموكيى بمئتين ابى القاسم عفا الله
عبيد الله تعالى محمد بن احمد بن عمر من (فم الحصن) تاب الله عليه؛ وع
الله تعالى الحسن بن عبد الله بن محمد من فم (الحصن) لطف الله به أمير
ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الكرسيفى وافته الله بمئة وكرمه آمين

هذه وثيقة جليلة وقعها كما ترى ثمانية عشر عالما من علماء القرن الحاد
عشر؛ وقد عرفنا بضعة منهم كعبد المومن الديانى عالم الغ فى عصره؛ واهرام
ابن محمد بن ابراهيم الكرسيفى المذكور عنه انه كان من قادة الناس فى عصم
وكمحمد بن محمد بن سعيد السمالى احد العلماء العباسيين المشهورين؛ و
تزال آثار قلمه محفوظة؛ وجلهم نجهل تاريخه ومركزه فى قومه؛ وان كنت
نعرف حق المعرفة انه لا تعتبر الشهادة فى هذا المقام؛ الا ممن كان لا يستانة
حكمه؛ ويعلم منه انه ليس من المتحيزين فى حكمه؛ فلذلك لا نشك انهم كل
علماء كبار فى عصرهم ذلك. وكفى بشهادة ثمانية عشرة من الاكابر المرتضى
عند الناس علما وديانة.

ثم ان هذه الوثيقة قد وقع فيها بتر قليل فى مفتحتها؛ وان كان ذلك
يضر لان المقصود منها أمكن أن يفلت من ذلك البتر؛ وقد وجدنا هذه الوثيقة
بين وثائق التحريرات والظواهر؛ وقد حوفظ عليها بينها؛ وذلك ما يدلنا على
المقصود بها هو الشيخ صاحب الترجمة الذى سقط اسمه فيما سقط من أول الوثيقة
وقد كتبت الوثيقة كما ترى فى سنة ١٠٩١ هـ بعد وفاة صاحب الترجمة بك
ولكن كل هؤلاء أو غالبهم قد أدركوا عصره أو عرفوه معاينة ومصاحبة؛ وه
السلطان الذى رفعت اليه الوثيقة سمي فى وسطها كما قرأته بأمير المومن
احمد؛ وفى ذلك اشكال لان سلطان ذلك العصر اسماعيل. من سنة: ١٨٢
هـ الى سنة: ١١٣٩ هـ ولا ندرى كيف وقع؟ فهل هذه الوثيقة رفعت الى احد
ابن محرز صاحب الثورة المشهورة على اسماعيل؛ او الى من اسمه احمد -
اولاد اسماعيل؟ ويكون قائدا عاما على سوس تحت نظر والده؛ وتكون لفظ
(ابن) ساقطة من قلم الكاتب؛ ذلك كله ممكن؛ وان كان يستبعد باعتبار آخر
ويمكن ان الكاتب غلط فى اسم السلطان فسماه احمد؛ وهذا الامكان ابع
وابعد؛ على انى الآن لا استحضر كيف حال سوس فى سنة ١٠٩١ هـ وتحتنا
هذه النقطة الى تامل طويل؛ ربما تنفرغ له بعد ان شاء الله؛ فنعلم هل احمد
محرز فى سوس فى ذلك العهد اولاً

ثم اننى راجعت فوجدت ان سوس فى هذا العهد تحت احمد بن محرز
الذى لم يفتك به الا بعد ذلك؛ فهذه الوثيقة مرفوعة - اذن - الى احمد بن

محرز بلا شك واما اولاد اسماعيل محمد العالم فاخوانه؛ فلم يولهم ابوهم على سوس بالتوالى الا بعد هذا الحين؛ على انه ليس فيمن تولى منهم على سوس من اسمه احمد

٦ - نقل من ام صحيحة بعد الثناءين؛ الحمد لله؛ صر سيدى عبد الله ابن سعيد المرباط من وادى (ايبور) لزوجه زينب بنت احمد بن ابراهيم الغرموزى من (اكرسيف) جميع الخمس المصحح له من بين اولاده الاربعة والامة والدار المعروفة بوادى ايمور فى البلد والبلاد (صح) الناطق والصامت تصميرا تاما فاطعا بالبيع الصحيح القاطع فى جميع حقوقها الواجة لها عليه بل قبله ؛ صداقا وجهازا بحيث لا رجوع أبدا عليها فى ذلك بسببه ؛ وعرف قدره من شهد عليه من الشهود به ؛ وبحال كمال الاشهاد ؛ تاريخ أوائل ربيع النبوى سبعة وأربعين وألف أحمد بن بلقاسم بن أحمد الكرسيفى لطف الله به وهو عدل ورضى لموته ؛ بلقاسم ايضا؛ ما فى النسخة المنسوخ منها نقله بأول صفر عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن على بن ابراهيم ومعه فى النقل عبد الله بن على ابن أبى القاسم من نسبه تاب الله عليه آمين اه كما وجد ؛ وفى قول الاصل بلقاسم أيضا اشكال ؛ ولعله ابن بلقاسم فسقط (ابن)

٧ - منقول من ام صحيحة فيها بعد ما يجب تقديمه؛ وافق المرباط سيدى محمد بن عبد الله بن سعيد من ايمور وأخوه سيدى بلقاسم والدهما الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد فيما صيره لزوجه زينب بنت احمد من خمس ماله فى ديونها قبله صداقا وجهازا عليه فيما يطلق عليه اسم ماله فى الرباع والعقار وحازته باتم الحوز؛ وفقا تاما وبراآه فىرى؛ واشهد على اشهادهما وعرفهما وفى رجب عام ١٠٥١ هـ ابو القاسم احمد ابن سعيد الكرسيفى ومعهما موسى ابن عبد الله بن سعيد؛ لطف الله به فى الدارين؛ بالنبى صلى الله عليه وسلم ءامين ءامين ءامين ؛ آخر شعبان عام ١٠٩٢ هـ موسى مته هـ

ثم يليه اعلم بثبوت مضمون مقلوبه اعتمادا على شهوده وبه كتب برسم الاعلام له فى مهل رجب ١١٠٢ هـ عبد المومن بن محمد بن على وفقه الله .

ثم يليه اعلم بثبوت وصحته على بن ابراهيم بن محمد بن احمد السمالى لطف الله به آمين . انتهى ما فى الاصل ونقله مقابلة ومماثلة بلا ولا . سببه تعدد المنافع بتاريخ أوائل صفر عام ١١٣٣ هـ عبد الله بن على بن أبى القاسم الساموكنى ؛ وقد صح النقل والمنقول منه قال من شهد من أصله ابراهيم بن على بن ابراهيم الساموكنى ؛ لطف الله به آمين .

٨ - يعرف شهوده المرحوم بالله السيد عبد الله بن سعيد بن حسين

من وادى ايمور معرفة صحيحة تامة ويعلمونه توفي رحمة الله علينا وعليه ؛
 فاحاط بميراثه زوجه زينب بنت أحمد الغرموزى وبنوه السيد محمد والسيد
 احمد وسيدى بلقاسم وسيدى موسى وامامس ثم توفيت زوجه المذكورة
 فاحاط بميراثها ابنها السيد احمد المذكور؛ لا وارث لمن ذكرت وفاته سوى
 من ذكر فى علم شهوده؛ محمد بن محمد بن سليمان من (ترسواط) واخوه
 عبد القادر وعلى بن يحيى بن على من النسب؛ وابن عمه ابراهيم بن محمد
 ابن على تحقق ذلك فى علمهم؛ وقيدت شهادتهم مسؤولة منهم؛ وقيد عنهم
 عارفهم باواخر ذى القعدة الحرام عام ١٠٩٠ هـ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم
 الكرسيفى وفقه الله ؛ وعبدالله بن على بن عبد الله الترسواطى؛ تاب الله عليه
 انتهى الاصل بمقابلة مماثلة باوائل صفر عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن على
 ابن ابراهيم الكرسيفى ومعه فى النقل عبد الله بن على بن ابي القاسم
 من نسبه ؛ تاب الله عليه

٩ - نسخة اصل من ام صحيحة؛ والاصل بيد السيد محمد الغرموزى
 لا فراق المنافع به؛ مفصلة الشيخ بلقاسم بن ابراهيم الكرسيفى الغرموزى
 مع ابنتى اخيه احمد بن ابراهيم زينب بنت احمد ايم الميراث سيدى عبد
 الله بن سعيد بوادى ايمور انتهالى ام السيد احمد بن عبد الله؛ وشقيقها
 انعامية زهرة بنت احمد فى جميع ما اورثهما الله فى ابويهما المذكورين
 فى أكرسيف وأحوازه ؛ والجرفة وأحوازا ؛ أرضا ومياها راكدا وجاريا ؛
 واشجارا؛ نوادر وديارا؛ و (قلاقل) - اى اطلاقا - غامرا وغامرا؛ سهلا
 ووعرا ؛ مايسمى باسم المالية على تنوعه ؛ وسعايتهما بعد ان قبضنا منه
 خمسة وعشرين مثقالا ذهباً سداسيا جواديا (كذا) ثمانية مثاقيل من ذلك
 لزينب المذكورة ؛ زادت ذلك على جهازها المجهزة به من بين اخوتها ؛ واخذت
 فى ذلك الموصوف؛ فدان الارض بـ (اخرىك) والحدود من القبلة؛ الميراث
 السيد الحسين بن عبد الله اليوم؛ وجوفه (اى غربيه) ابو القاسم المذكور؛
 وبمينه الوادى وشرقه (اى الشمال) بنو احمد بن عبد الرحمن مع نصف
 الصنوة (اى نصف معلوم من حظ) الماء أمركز ؛ على العين بأعلى اكرما
 ومفتاحة الارض بتسمتر ؛ وعزلا لذلك بين السيد أحمد بن عبد الله ؛ وذلك
 بحساب الناقد (اى المناقش الذى يناقش الحساب ويحرره) حتى عرف كل
 واحد منهما ما هو ماله وانفصل معهما فى ذلك - انفصالا قاطعا جميع
 الدعاوى والحجج؛ بحيث لم يبق بينهم الا مودة ورحمة؛ وقتلا فيه الاسترعا
 بالاسترعا؛ المقدمة والموخرة وبه كتب من اشهده بذلك؛ بافتتاح المحرر
 عام ١٠٣٩ هـ (كذا) محمد بن عبد الرحمن الكرسيفى لطف الله به ءامير
 واحمد بن بوبكر بن ابراهيم من النسب لطف الله به ءامين واحمد بن ابراهيم

ابن محمد من النسب تاب الله عليه - آمين انتهى ما في الام وقوبل باصله
مقابلة ومائلة حرفا بحرف بلا زيادة ولا نقصان؛ وبه نقل بثامن من ربيع
الثاني عام ١١٣٣ عبد ربه سعيد بن علي بن يعقوب بن ابراهيم الغشاني
لطف الله به - آمين وعبد ربه احمد بن علي بن محمد بن داود من مشمس
جدمانة اغشان لطف الله به - آمين .

الحمد لله؛ اعلم بصحة النقل والمنقول منه وثبوتهما مع عبيد ربه محمد
ابن علي الغشاني؛ وفقه الله آمين اه كما وجد

١٠ - ليعلم الواقف عليه ان المرحومتين الاخنتين الفقيرتين خالتي
زينب بنت احمد بن ابراهيم واختها زهرة بنت احمد بن ابراهيم الغموزي
انهما تصدقتا على المرحوم المرباط سيدي عبد الله بن سعيد من زاوية
ايمور بجميع ما اورثه الله ورسوله لهما من ابويهما باكر سيف خاصة والله
اعلم به؛ وكتب بعد الطلب؛ وذلك هو المعتمد عليه المعول عليه بذى قعدة
عام ١٠٦١ هـ بلقاسم احمد بن سعيد الكرسي لطف الله به آمين .

اقول لعل لفظة ابن سقطت بين كلمتي بلقاسم واحمد . فيكون الكلام
هكذا بلقاسم بن احمد الخ .

١١ - اشهدني سيدي عبد الله بن سعيد التهاالي انه حضر لمحمد بن
احمد العسري - به عرف - البعيلي؛ حين دفع لابن سيدي عبد الله
المذكور احمد ستة عشر مثقالا سداسيا من جهاز زوجته مريم بنت عبد
الله؛ واستوفى ذلك منه برضى زوجته المذكورة وابراثة منها ابراء صحيحا
حالا ومثالا وشهد به بحال كمال الاشهاد وعرفهم سعيد بن احمد بتاريخ
رجب عام ثلاثة وعشرين وألف انتهى من أمها بعد المقابلة والمائلة؛ قاله
ناقله بأوائل ذى قعدة عام أحد وثمانين وألف؛ عبد ربه محمد بن علي بن
احمد بن يعقوب امrch البعيلي السطحي غفر الله ذنبه؛ ومحمد بن عبد
الواسع المرزوقي البعيلي؛ لطف الله به اه

١٢ - وكل واستتاب الشاب الاكرم احمد بن سيدنا عبد الله بن سعيد
ابن حسين التهاالي صاحبه في الله احمد بن عبد الرحمن من نسبه لينسوب
(عنه) ويفقد له تكاح زوجته المباركة المسعوده بنت (عبد) الله بن عيسى
البعيلي وهي الثيب وفوض له في (امرأها ووكله) توكيلا تاما مطلقا عامسا
اقامه مقامه (في كل ما يراه وظهر له) في صحة وجواز انتهى

١٣ - شهد لدى السيد احمد بن بلقاسم بن احمد بن يحيى الكرسي
انه حضر للمرباط السيد عبد الله بن سعيد من ايمور حين ذكر جهاز مريم
بنت عبد الله البعيلي؛ وهي ام السيد عبد الله بن احمد بن عبد الله بن

سعيد من ايمور نهاية جهازها ستمائة اواق بين الذهب والفضة والحلج
وغيرها تحقق ذلك فى علم شاهده بغير شك ولا ريب وقبل ذلك شهادته
مسؤولة منه عارفهم بتاريخ اواسط جمادى الثانية عام تسعة وسبعين والف
احمد بن محمد بن عبد الله الكرسيفى وفقه الله؛ ومحمد بن احمد بسن
بلفاسم بن محمد من النسب اه *

١٤ - المرباط الافضل سيدى عبد الله بن سعيد بن حسين التهاى
مسكنا من تيطهاارين الساموكنى وطننا وتوفى بتيطهاارين يوم الاربعاء
السابع والعشرين من ربيع الثانى عام اربعين والف ؛ هذا ما قاله الرسموكى
فى كتابه (الوفيات) وهو قد ادرك بعض عصره *

١٥ - عبد الله بن سعيد بن حسين التهاى مسكنا الساموكنى وطننا
كان رضى الله عنه رجلا فاضلا متصوفا مريبا للمريدن ذا كرامات وجهادات
وعبادات وصالحات وظهرت له الكرامات وشوهدت له الخيرات؛ لقي اكابر
العلماء؛ وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين؛
وارشدهم وسعى فى مصالحهم جهده وانتفع به خلق كثير توفى بمسكنه
بتهاالة سنة اربعين والف

هذا ما قاله الحضيكى فى (طبقاته) عن صاحب الترجمة؛ وقد كتب عليه
شيخنا يقول الكاتب عبد الله بن محمد الالفى من ذرية سيدى عبد الله
بن سعيد هذا ما قاله الشيخ الحضيكى رحمه الله فى تاريخ وفاة سيدى
عبد الله بن سعيد كذب محض لا شك فيه ان صح عنه هذا النقل فقد
رايت بعينى رسم تصوير سيدى عبد الله بن سعيد لزوجته خمس ماله مورخا
بسميع واربعين والف؛ ورسم موافقة اولاده فى ذلك مورخا بـ ١٠٥١ هـ وكذا
نسبه لساموكن كذب ايضا ؛ هذا ما كتبه شيخنا على نسخة للحضيكى نقلته
من خطه

استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك

اقول هذا كل ما توصلت اليه يدي مما يمكن ان تستخرج منه للشيخ
سيدى عبد الله بن سعيد ترجمة صحيحة يمكن الاعتماد عليها ؛ فلقد آلفت
هذه المخطوطات الخمس عشرة ضوءا واضحا وضوحا ما على حياته التى
نحن اليوم فى صدد جلوتها الى عين القراء ؛ فلنتبع هذه المآخذ المتقدمة
مأخذا - مأخذا؛ لندرك ما تحتوى عليه تصريحاً او تضمناً *

١ - فى وثيقة الزواج نعرف (اولا) ان الشيخ تزوج سنة ٩٨١ هـ
بزوجته زينب الكرسيفية؛ ولكن لتتساءل اهذه اولى زوجته ام ثانيتهما؟
لان ما بايدنا فى الوثيقة الاخرى رقم ٨ يدل على ان هذه انما ولدت له من

اولاده احمد بن عبد الله فقط؛ واحمد هذا هو الذى رأيت فى وثيقتى ١١-١٢
 قد تزوج بمريم بنت عبد الله البعلبية سنة ١٠٢٣ هـ واما محمد وموسى
 وبلقاسم المذكورون فى الوثيقة رقم ٧ فهم من زوجة اخرى؛ قد ماتت قبل
 ان يتوفى الشيخ لان الذين احاطوا بميراثه ليس فيهم من زوجته الا زينب
 كما ترى ذلك فى رقم ٨ فان كان تزوجها ولا فيمكن لنا ان نحزر مبتدأ
 حياته على اقل تقدير فى نحو ٩٥٥ هـ لان خمسا وعشرين سنة ونحوها؛
 هى اقل ما يحتاجه من كان لابد - بعد ان يحتلم - من ان يمر تحت يد شيخ
 من نيوخ القرية ؛ يخدمه سنوات وقد تواتر انه كان عند شيخه يحيى
 ابن عبد الله قبل ان يتزوج؛ وانه خدمه ما شاء الله حتى ليحكون انه غرس
 بستانا قام عليه حتى أثمر ؛ وأما اذا كانت هذه هى الثانية من أزواجه فلا بد
 ان نقدر ولادته على اقل تقدير ايضا فى سنة ٩٥٠ هـ لان الزمان الذى
 يحتاجه بعد أن تزوج الاولى فى العادة وفى الغالب ؛ لا يقل عن نحو خمس
 سنوات على ما كنا قدرناه فى الزمن الذى يحتاج اليه فى الاتصال بشيخه؛
 على الاعتبار المتقدم فسيكون له عند الزواج الثانى نحو ٣٠ سنة؛ واما كان
 فان ولادته فى نحو اوائل العقد السادس من القرن العاشر ولو كنا عرفنا
 ان احمد بن عبد الله اكبر من اخوته هؤلاء لربما ترجح الشق الاول او لو
 توصلنا بعقد نكاح الزوجة الاخرى التى نجهل اسمها واهلها كل الجهل
 لانحلل العقدة من اصلها؛ ولكن عقد نكاحها معدوم من ايدينا؛ ومن يتناول
 الى المعدوم فقد يتناول الى المحال

هذا؛ وقد زعم العم ابراهيم - وقد سمعته بعد ان كتبت ما تقدم -
 ان ترتيب اولاد الشيخ هكذا فأكبرهم محمد ثم بلقاسم ثم احمد ثم
 موسى؛ وهو غير مدفوع عن معرفة ذلك؛ فان ثبت ما قاله فعليه يتبنى
 هذا البحث؛ وقد ذاع عند غير العم ذلك؛ هذا وقد اخبرنى الفقيه سيدى على
 من (اكرض افقيير) من اهلنا ان نساء سيدى عبد الله بن سعيد متعددة ؛
 النهائية من اساكا واصان من تهالة ويعد اليوم من تجكالت ؛ وهى ام سيدى
 محمد بن عبد الله ؛ والاقرانية وهى أم سيدى بلقاسم بن عبد الله ؛ وسيدى
 موسى شقيق لاحد هذين ؛ وكذلك كانت هناك زوجة اخرى ساموكنية لاعقب
 لها معروف ؛ ولا يدري من هى أم بنت الشيخ مماس ؛ قال : كنت رأيت هذا
 مخطوطا بين رسوم المرباط سيدى عبد الله بن محمد من ايت اورخا من
 اكادير ايزرى؛ وهناك بيان اكثر مما هنا؛ قال الا اننى لم استوعب كل
 ما هناك

(رجع) ونعرف (ثانيا) ان السادة الكرسيفيين هم اخوال احمد بن عبد
 الله بن سعيد؛ واخوال اولاده؛ وان لنا معشر اولاد احمد بن عبد الله

بالاتصال بهذه الاسرة المباركة شرفا نيرا نستمد من ذى النورين جسد الكرسيفين ثالث الخلفاء رضى الله عنه حقق الله فينا ذلك بالعلم والتقوى بفضلله ونعرف (ثالثا) ان هذه السيدة الشيب التى ربما كانت للشيخ عبيد الله بن سعيد - ان تزوجها اولا - مثل ما كانت السيدة خديجة للنبي صل الله عليه وسلم؛ فلئن كنا نجهل معاملتها معه فى حياته - والاسرة قائمة؛ والضرورة موجودة بمرأى منها - فقد وضحت لنا نفسيته وخالصها لزوجهها فيما تصدقت به على ورثته؛ كما ترى ذلك فى رقم ١٠ فلئن قيل انمسا ذلك مجازاة للشيخ بما صيره لها من الخمس الذى حازه بين اولاده الاربعة؛ حين خمس ماله بينه وبينهم فى اواخر حياته كما فى رقم ٦ نقول لكن هل يعزى بالاحسان عن الاحسان الا المصطفون الاخيار؟ ثم ان فى وصفها هى واختها زهرة بالفقيرتين لاشارة الى انهما اختارنا مسلك الشيخ الصوفى.

ونعرف (رابعا) أنها تأخرت وفاتها عن وفاة زوجها لما رأيته من عسدة الورثة فى رقم ٨ كما نعرف ايضا انها توفيت قبل سنة ١٠٦١ هـ ضرورة ان الرسم الذى فيه الادلاء بهذه الشهادة؛ كتب فى السنة المذكورة وعبر فيه عنها مع اختها بالمرحومتين؛ ولا يطلق هذا الوصف الا على المتوفى فى العادة؛ هذا مانستنتجه فيما يتعلق بالسيدة زينب زوجة الشيخ وجدتنا العليا ٢ - فى الوثائق الموضوعة تحت رقم ٢ ورقم ٣ ورقم ٤ ورقم ٥ فوائد شتى؛ منها نستفيدها وحدها وما كنا لنفعل عليها لولاها؛ لان الالسنه وان كانت تلوك بعضها ولكن شتان ما بين ما تلمسه باليد؛ وبين ما تتنوره بنظر عال من اذراعات (١)

اولا - نتحقق الان تلك المكانة التى كانت للشيخ فى زمنه؛ وفى ربيع حياته؛ حتى رأيناه قبل سنة ٩٩٩ هـ يتمتع بها بين الاهالى حتى توصل بذلك الى الاستقلال بهذه الاحترامات الحكومية؛ فان سنة ٩٩٩ هـ تطلع على الشيخ قبل ان يطعن فى العقد السادس من عمره بل نشك انه اذ ذاك استتم ٤٥ سنة على ما تقدم وان المجد والشرف والسمعة الطيبة التى يكلل المرء بتيجانها فى هذه السن لتدل دلالة صحيحة على انه فى ريق شبابه؛ كسان يجتهد فى الارتقاء الى المعالي كل الاجتهاد؛ ثم ان هذه التجارب المتعددة فى أيام سلطان واحد؛ لما يحمل على مجد يتزايد؛ فتتزايد الاحترامات والاكبارات من أجله .

على ان هناك فى عصر مولاي احمد الذهبى الذى افتتح بسنة ٩٨٦ هـ وانتهى بسنة ١٠١٢ هـ نظرة خاصة الى امثال هؤلاء المتزين بالصالح والتصوف فان رجال الحكومة اذ ذاك ينظرون اليهم نظرا شزرا ادى بكثير منهم

(١) تنورتها من اذراعات واهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عال

الى ان يلاقى التنكيل والهوان ؛ فقد قرأت في وثيقة سقطت الى ؛ كتبها احد علماء جزولة يوم الاثنين الاول من ربيع الاول؛ سنة ٩٨٨هـ حين فتح مولانا احمد الذهبي هذه البلاد من جديد ؛ ونظمها تنظيما تاما ؛ ان السلطان امر ان لا يتخطى بالوظائف المخزنية احد من ارباب الزوايا؛ الا اولاد الشيخ سيدى بيورك بن الحسين الهشتوكى المتوفى قبل هذه السنة بنحو اربع سنوات ٩٨٣هـ والا اولاد سيدى خالد الكرسيفى؛ والا الشرفاء الكثريون والركراكيون والفلاليون واولاد سيدى يعقوب والشرفاء المعلومون؛ واما من عداهم فيلحق ببقية الناس فى الوظائف المخزنية؛ وليس صاحب الترجمة واحدا من هؤلاء.

هذا ما كان قرره احمد الذهبي سنة ٩٨٨ هـ ولا نشك فى ان هذه الفكرة انما اقتفى فيها والده السلطان محمدا الشيخ الذى نعهد منه سيلا طافحامن التنكيل بشيوخ من الصوفية الكبار فى زمانه ؛ فلهذا نعرف أن صاحب الترجمة ما كان لينال من رجال الحكومة هذا التوقير الجديد وهذا الاحترام الفائق لو لم يكن له حال كبير وسمعة طائرة؛ وشهرة ترغم صفحة ذلك السلطان الصلب الارادة على ان يلتفت اليه باعتبار جديد يستجده له بين ارباب الزوايا الذين ربما لا يزالون منزعجين حينئذ فى غمار الناس ؛ وما يدرينا لعل السلطان الذهبي نفسه هو الذى رأى منه تلك الكرامة فى (دراووغ) التى كنا ذكرنا ان اهلينا يرونها عن الشيخ بالتواتر ؛ اذ يقولون انه اصدر جيش سلطان شبعنا وريا حين مروره هناك ؛ فلئن كانت هذه الكرامة كما يسميها اهلينا ؛ مما لا بد أن تزيد فيها الالسنة ما يصيرها اقصوصة من الاقاصيص فلا نستبعد ان يرى منه هذا السلطان مثل ذلك فيتصل به الناس فيموهونه بما تشاء لهم اخيلتهم والسلطان الذهبي الذى نعرف من هو فى التاريخ؛ لا نظنه ممن يتنازل الى احترام ذى زاوية من جديد؛ واعلان تحريره ومحاشاته من بين ارباب الزوايا الذين سامهم ما سامهم؛ بعد ان سد هذا الباب واحكم اجافته؛ الايباعث آخر جديد يجفزه فلذلك نرى انه صاحب هذه القصة ؛ او الكرامة ؛ وانه هو الذى مر بمعطشة دراووغ حيث يتعرف به هناك الشيخ بما يحمله على ان يلتفت اليه التفاتاً خاصاً؛ وقد قرأنا فى الوثيقة التى ذكرناها ان الغ من منازل احمد الذهبي اذ ذاك؛ وقد مانه فيه الوفقاويون والايفشانيون والحريليون؛ ولا يزال محل فى بسيط الغ يضاف الى سلطان ؛ ويقال له (اغرم اكليد) كما لا يزال محل مشرف على وادى ساموكن يضاف اليه ايضا ؛ ويقال له (اضار اوكليد) ويقول الساموكينيون الى الان ان هذا المحل الاخر يضاف الى احمد الذهبي ؛ وقد نزل هناك حين نازل حصن القبيلة الووكرضائية ؛ الكبيرة اذ ذاك ؛ وقد وجدنا فى تلك الوثيقة ذكرا لهذه الحرب المشبوبة بين الذهبي والقبيلة الووكرضائية ؛ وقد اجلاها اذ ذاك وشتت شملها والغالب ان هذا المحل المضاف الى سلطان بالغ هو منزل احمد الذهبي ايضا ؛ كما رأيت هذا

المحل الآخر هو الذى اضيف له ؛ فنعلم من كل ذلك ان احمد الذهبى يمكن ان يمر بدراووغ المجاور لالغ فى مروره الى منزله بالغ من منزله بافران المعداد ايضا من بين منازل فى تلك الوثيقة؛ ويمكن ان يصح بعض تلك النقص المتقدمة؛ وان تكون سبب اتصال صاحب الترجمة بالسلطان الذهبى وبرجال حكومته اذ ذاك ؛ فيتسبب عنه هذا الاحترام الذى رأينا آثاره فى تلك التحريات .

ثانيا - ندرك ان احترامه فى وسطه كان احتراما كبيرا ؛ وانه مانال ذلك بجاه او عشيرة؛ بل ادركه بتفانيه فى منافع الامة؛ فيسعى فى اصلاح ذات البين بين المتخاصمين ويجرى فى الامور العامة التى لا يابه بها الا من جعل الاخلاص رائده فى كل ما يزاوله؛ والمصلحة؛ ونفع العباد ايا كانوا نصب عينيه فيقبل على المعاطش ؛ فيؤسس فيها نطفيات تنفع غلات ابناء السبيل وقد جعل جل همه فى امثال ذلك حتى ان اثنى عشرة نطفية اسسها فى محلات معلومة بين الفيافي والقفار وكان يسميها بناته؛ فكان مما اوصى به بنيه ان يحافظوا على بناته هذه بالترميم والتعهد حيناً بعد حين؛ فكان اولاده عندهم اوصية؛ فهذه ثلاثة قرون مضت ولا تزال هذه البنات موضع عناية هؤلاء الابناء البررة

وزد ايضا على هذه المهمة التى قام بها اذ ذاك ؛ انه كان يطوف بطائفة من مردييه بالبلاد لتعليم الدين؛ وارشاد العباد؛ وعلان كلمة التوحيد والتزهد فى زهرة هذه الحياة الدنيا الفانية؛ حتى لا يهتبل بها اكثر من الحاجة؛ وحتى لا تفسد العقيدة الدينية بها؛ فيستولى الشر الذى لا تتكون جرائمه الا من حماة الالحاد فبهذه الاوصاف وما اليها مما نعهدهم من الصوفية المرشدين ؛ وصفه اولئك العلماء الذين وقعوا تلك الوثيقة الجليلة الموضوعة تحت رقم ه فقد ادركنا بواسطتها ان كل مايقوله بنو الشيخ اليوم ويتخذونه محورا للاشادة بجدهم الاعلى ؛ صحيح كله؛ وان كانوا يقولون ذلك بلسان الاقاصيص وهوؤلاء العلماء الثمانية عشر؛ اتوا بذلك على لسان الشهادة التى يعلم صاحبها ان شهادته ستكتب ثم يسئل عنها غدا

اوليس ان اولاده يعلنون ان جدهم ما ترك لهم الا الدين وارشاد العباد اليه مع الاحتراف بطرق المعاش ؛ وانه نهاهم أن يسلكوا طرق ابناء الزوايا؛ الذين يألفون التكلف وجمع الزيارات ؛ مع نبذهم شارة الدين ؛ وتنبههم محجات اسلافهم المرشدين؛ فهذا ما يقوله ابناء صاحب الترجمة اليوم؛ وهذا ما وصفه به احد العلماء الثمانية عشر امس؛ وتلك - لعمري - منقبة افضل من كل المناقب فالاشتغال بالدين ؛ وسلوك سنن المهتدين؛ والتعفف ورفع الهمة عما فى ايدي الناس والاحتراف بالطرق المشروعة فى المعاش؛ والمجاذبة بالتى

هى احسن فى المعترك الحيوى مناقب عظيمة؛فاية متقبة افضل من هذه بالناس؟

سدا والله نعدم صفحة ذهبية من حياة الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد
لو سنا عدمنا هذه الوثيقة الجليلة؛ فقد ارتنا كيف ينظر الى الشيخ من مختلف
القبايل المجاورة لتهالا بلدته والنائية عنها ؛ فالعلماء السملاليون والايغسانيون
والاكماديون والساموكتيون والتاماناريون والايسيون؛ كل هؤلاء قالوا ماراوه
وشاهدوه فى الشيخ ومن خلفه فى مقامه من اولاده؛ او رروا ذلك عنم رآه
وشاهده فى الشيخ؛ وتحرى بعضهم ان لا يزيد على ما يشاهده؛ فقال هذا ما
فى الظاهر والله يعلم ما تكن الصدور؛ فالشهادة من امثال هؤلاء المتحرين
الذين يظهر انهم ممن يزنون مايقولون ؛ فلايلقون الكلام على عواهنه ؛ ولا
يجرون ذيل ظاهر الانسان على باطنه هى - والله - شهادة لها عند ذوى
الالباب مكانة مكيئة؛ ومقام له من السمو والاعتبار ما له .

كثير من الذين حظوا بالشهرة فى حياتهم؛ وظفروا بالسنة رطبة حول
ذكرهم ؛ لايكادون يرمسون ؛ وتنفض الايدى من غبار القبر ؛ حتى تبدأ تلك
الشهرة فى الاضمحلال ؛ ورطوبة تلك الالسة؛ يدب اليها الذبول؛ ولكن
الشيخ صاحب الترجمة؛ مضى عن وفاته يوم كتبت هذه الوثيقة عقدان بلل
اكثر؛ ثم جاءت هذه الوثيقة تعلن ان تلك الشهرة لم تزل فى الانتشار؛ وان
تلك الالسة الرطبة؛ صارت لاجلها الاقلام رطبة بدورها فأتت بما نقرأه اليوم
بعد قرنين ونصف ؛ فننصور الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد من الافذاذ
الذين وقفوا حياتهم فى سبيل المنفعة العامة ؛ فلايكاد يرى ثلثة يتسرب منها
الى عباد الله ضرر حتى يبتدر اليها بكل ما اوتيته من قوة وعزيمة واخلاص ؛
ثم لا يفارقها حتى لا يكون منها لعباد الله الا برد وسلام

كنا عرفنا الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتى معنا باصلاح الطرق
وتسويتها فى الهضاب الصعبة ؛ واقامة الجسور على الاودية ؛ وتأسيس النطفيات
فى المعاش؛ فها نحن نرى ثانيا صاحب الترجمة؛ معنا بمثل ذلك غاية
الاعتناء؛ فهل كان صاحب الترجمة يعرف الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم
التمنارتى فادرك منه ما لهذه المهمة من الاجل الجليل؛ والذخر الباقي؛ ان
معرفته به لا تبعد؛ فقد كان زوارا للصالحين والعلماء؛ وقد اتم الشيخ
الخصيكي فى ترجمته التى كتبناها تحت رقم ١٥ بهذا الوصف؛ وقد ادرك
عبد الله بن سعيد زمن التمرتنى فان الشيخ التمرتنى توفي سنة ٩٧١هـ وصاحب
الترجمة اذ ذاك ربما اوفى على العقدين او يناهز؛ ولما كان الشيخ التمرتنى
علما جليلا طائر الصيت فى عصره؛ فما الذى يمنع هذا السيد الامى ان يتردد
الى زيارته ؟ وان يتخذ عنه هذه الطريقة المحمودة التى هى نفع العباد فى
مصلحتهم العامة وخصوصا حين يرى ان الكثيرين ممن ينتمون الى الخير والارشاد

لا يهتمون بمثل هذه المصالح العامة في الفجاج والقفار كما يهتمون بها فسي القرى والمساجد ؟ ولذلك لانستبعد ان هذه الفكرة انما اقتبسها صاحب الترجمة من الشيخ التمرتى مصلح طريق (تيسا) في بعقيلة ؛ ومقيم الجسر على وادى الغاس وناصب التطفيات المتعددة المعلومة الى اليوم فى قفار شتى

ثالثا - نعلم هذه التحليات التى يحل بها صاحب الترجمة فى هذه الوثائق من الوثيقة الاولى الى الوثيقة الاخيرة انه اى لا يحفظ القرآن فضلا عن ان يلم بالعلوم ؛ لان هؤلاء انما يصفونه بالفقير المربط ؛ ولا يوصف بذلك على العادة الا من كان له مقام فى الصلاح ؛ وظهرت عليه سمات خاصة ؛ واتسم بصفات تحمل كل من جالسه على ان يعترف بانه ليس من مطلق الناس فى الوجهة الربانية؛ التى ولى اليها وجهه؛ ثم ليس له من حفظ القرآن ولا من العلوم شئ والا فيوصف بالطالب ان حفظ القرآن لاغير او بالعالم ان كانت معه علوم؛ هذه هى العادة المستمرة؛ قلما تتخطى عند التحليات؛ فكون هؤلاء لا يصفون صاحب الترجمة الا بالفقير المربط الصوفى نتحقق به ما عند اولاده الى اليوم من أنه اى لم يتشرف الا بالصلاح فقط ؛ ويزيد جيرانهم ان الشيخ واولاده الاولين ظهر صلاحهم بالامية ؛ وان الاخيرين ظهر صلاحهم بالعلوم فهكذا عرفنا أن أحفاد الشيخ عندهم من أوصاف جدهم ما ليس بقليل؛ وأنهم وان ادخلوا فى ترجمته فى اسماءهم ما يشبه الاقاصيص ؛ فان الحقيقة فيها لا تزال واضحة وضوح الشمس ؛ ولذلك نعتمد على حكاية أخذناها عنهم وان لم نجد لها فى هذه المستندات حلقة تنمك بها ان تطلبنا النص الصريح

يقولون ان الشيخ وان كان أميا يحب اهل العلم وينحاش اليهم ويستشيرهم ويعنى بما يعنون به وهذا الوصف نجده فى ترجمة الحضيكي

ثم يقولون بعد ذلك فى تدعيم هذا انه كان من الواقفين على مدرسة (أوجو) حتى اسسها الفقيه سيدى سعيد الاوجوبى المعاصر للشيخ (وقد توفى هذا الفقيه سنة ١٠٤٧ هـ) فجعل الشيخ نصيبا للمدرسة من الجيوب يؤديه كل سنة من صلب ماله ؛ ثم أوصى اولاده بعده بالمواظبة على ذلك ؛ فواظبوا عليه منذ ذلك اليوم الى الآن .

فهذه الحكاية المدعمة بهذا الفعل المتسلسل الى اليوم ؛ مما يزيد لصاحب الترجمة درة أخرى غالية القيمة فى تاجه ؛ فقد عرفنا بذلك أنه ليس من بعض الصوفية الذين يعادون العلم وأهله ؛ ويناصبونهم العداء خوف أن يفضحهم ويكشفوا الستر عن تمويهااتهم؛ فتراهم عند تشييد الزوايا يهرعون وعند تشييد المدارس يقبعون ؛ فدل ذلك أيضا زيادة على ماتقدم أن صاحب الترجمة واقف عند حده ؛ معترف لكل ذى فضل بفضله ؛ ولا يعرف لاهل الفضل الا ذووه .

وما عبر الانسان عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل
فهذا ما أمكن لنا أن نعرفه صراحة أو استنتاجا من هذه الوثائق التي
كتبناها تحت هذه الأرقام ٢-٣-٤-٥ والحمد لله الذي يسر لنا ذلك جدا
كثيرا

٣ - في الوثائق الموضوعة تحت أرقام ٦-٧-٨ نعلم أن أولاد الشيخ
الأربعة محمدا وأبا القاسم وموسى وأحمد قد بلغوا كلهم أشدهم في حياة أبيهم؛
فاستحق كل واحد منهم أن يدير أسرته الخاصة بنفسه ؛ فالغالب أن والدهم
زوجهم جميعا كما زوج أخاهم أحمد علي ما تراه فيما تحت رقمي: ١١ - ١٢
فسلك بهم الشيخ الطريقة التي يسلكها أولو الحزم في الدين والدنيا ؛
الذين يتقون مشاكسة النساء المختلفات اذ يقسمون أموالهم لأولادهم قسمة
لا تصطدم وقانون الميراث الشرعي من عدم المساواة يفعلون ذلك
لأولادهم وهم لا يزالون في الحياة خوف أن ينشأ أيضا بين أولادهم حول
الميراث بعدهم ما يتسبب عنه فساد ذات البين وانقطاع أواصر الرحم ؛
فهذه الطريقة هي التي سلكها الشيخ فخمس ماله بينه وبين أولاده الأربعة
وذلك الخمس الذي صار له ؛ هو الذي صيره لزوجته المباركة في مقابلة كل
ما لها قبله ؛ وقد رأيت رسم ذلك التصيير ثم قرأنا في رقم ١٢ - موافقة
أولاده على هذا التصيير

مثل هذه الموافقة تهيؤ لما قد يطرأ بعد بين الورثة ؛ والا فالمال للشيخ وهو
لا يزال حيا ؛ فليفعل ببعضه بل بكله ما شاء ما دام صحيحا ؛ على ما يقوله
المالكية رحمه الله ؛ ثم إن الموافقة انما حصلت من محمد وأبي القاسم وموسى
ولم يذكر فيها أحمد ؛ لانه ابن المصير إليها ؛ وهو الذي سيؤول إليه هذا
المال متى هلك المصير لها لانها أمه ؛ وقد صار الامر كذلك ؛ فصار هذا الحظ
إليه وحده ولا وراث لها سواه كما ترى ذلك في الموضوع تحت رقم ٨ ثم انه
تبين أيضا من ذلك أن للشيخ اعتناء بتأثيل الاملاك على اختلاف أنواعها ؛ وهذا
ما لا نشك فيه ؛ لانها مادة القوت الوحيدة (١) في هذه البلاد ؛ فكما أن له في
أيامه أملاكاً كانت له أيضا أملاك أخرى في مختلف النواحي ؛ رأينا رسوم
بعضها واستمرارات تتعلق ببعض آخر ؛ ولخوف التطويل لم نضمها الى هذه
الوثائق المتقدمة ؛ ولأن كون الانسان ذا املاك ليس بعجيب حتي نحتاج الى
الاستدلال على وجوده بوثائق تساق ؛ وإن كان غالب العامة وبعض الخاصة
من المتفكرين يحسبون أن الرجال الصالحين المشار إليهم بالاصابع الذين
يوصفون بالزهد والخير والاقبال على ما فيه منفعة العباد وإرشادهم ؛
ويتصدرون في منصة التربية للمريدين كصاحب الترجمة ؛ لا يتأتى منهم

(١) وحدة بلا ياء وهذا وحيد كما يقال ايضا وحيدة .

الاشتغال ولو بما يحتاجون اليه ؛ مما اذن لهم فيه شرعا وطبعاً ؛ ولا يخفى أن هذا قول مافون لا يصدر الا من لا يعرف ماهو مدلول الزهد فى دين الاسلام ؛ ولا ما ينفع من المال ولا ما يضر ؛ ومثل هذا ينبغي أن تصك آذانه بقول أبى الدرداء ؛ وربما روى حديثنا ضعيفا . عمل لديك كأنك تعيش أبدا ؛ وعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

وبقوله أيضا : من فقه الرجل استصلاحه لمعاشه . وأن يصرخ عليه بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر بن العاصى نعم المال الصالح ؛ للرجل الصالح . وبقوله أيضا على ما يروى عنه (ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته او آخرته لدنياه ؛ وانما خيركم من أخذ من هذه وهذه) أو كما قال فى أحاديث كثيرة فى الموضوع ؛ ويتلى عليه من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ ما عسى أن يقتنع به ان أراد الله به خيرا ؛ وقد ادى هذا الظن السيئ غالب الناس حتى حسبوا ان كل الذين يشار اليهم بخير من المتقدمين ما وصلوا ذلك المقام الا برهبانية وانزواء ونفض ليد ؛ حتى لا يضعون لبنة على لبنة ؛ ولا يؤكثون على صرة ؛ ولا يفتحون عينا على عقار متائل ؛ فضلوا بهذا الضلال ضلالا بعيدا حتى أنهم متى رأوا فى أحد معاصريهم ممن ينتمون الى صلاح أو علم استصلاحا لمعاشه ؛ واشتغالا بما لا بد منه من دنياه ؛ لأكوه بالسنتهم ؛ ورشقوا عرضه بسهامهم ؛ ويتمضمضون فى أنديةهم بالتكلم فيه ؛ فصاروا يحملونه على المقياس الذى توهموه لمن سلك ذلك المسلك من الاخيار ؛ ومتى فسد المقياس ؛ فسد المقياس والمقياس عليه ؛ ورحم الله صاحب الابريز الذى أنحى على من يكتبون على ذلك تراجم الصالحين المرشدين ؛ اذ يتركون التكلم حول هذه النقطة ؛ حين يترجمون واحدا منهم ؛ فجروا القراء الى أن يخالوا ما ليس فى الواقع

اذن تأثل صاحب الترجمة املاكا لابأس بها ؛ تقوم بأوده ؛ وتكفى أسرته فكان من ذلك أمران أحدهما أنه لم يدر ورثته عالة يتكففون الناس ؛ بل ورثهم ما انموه فأدر عليهم خيرات حسانا ؛ وثانيهما انه غادر فى اولاده هذه العادة المحموده المتركة من التعفف والاحتراف بطرق المعاش المشروعة ؛ ومن الاعتماد على النفس اعتماد الاباة الذين يريدون ان تكون يدهم دائما هى العليا واليد العليا خير من اليد السفلى ؛ فرحم الله ذلك السلف ؛ وبارك فى هذا الخلف .

هذه نظرات فى الذى وضعناه تحت أرقام ٦-٧-٨ وقد بقى منها ما يتعلق بتعيين زمان وفاة الشيخ ؛ وسنعود الى ذلك فيما ياتى

٤ - فى الوثيقتين الموضوعتين تحت رقم ٩-١٠ نعلم بعض ما يتعلق بزوجه زينب الكرسيفية ؛ وقد المنا بذلك فيما تقدم ؛ وذكرنا أنها توفيت قبل ١٠٦١ هـ ونعلم أيضا ان أسرتها الغرموزية ؛ أسرة مجيدة مذكورة فى

قوامها فقد عبر عن أحد أفراد عائلتها بالشيخ بلقاسم والشيخ في عرفنا هو أمجاد الذي يرأس اخوانه ؛ ولا يمكن أن يرأس الانسان في هذه البلاد الا إذا تاهل للرياسة تاهلا طبيعيا ؛ من ماله وعقله ومركزه الاجتماعي ؛ وقد رأيت أثر هذا الشرف في كثرة الاملاك التي تذكر في رقم ٩- الذي فيه المفصلة ونعام أيضا ان هذه الاملاك الكرسيفية ؛ هي التي تصدقت بها زينب مع اختها على ورثة زوجها ؛ ان كانت الصدقة بعد وفاته ؛ أو على الشيخ نفسه ؛ ان كانت الصدقة في حياته ؛ لان الرسم على كل حال لم يكتب في حياتها ؛ بل هو استرعاء املاء من علمه على من حرد الرسم ؛ ثم ان الذي يشكل هو التاريخ الموجود في رقم ٩ الذي فيه ١٠٣٩ هـ فان هذا التاريخ غلط ؛ اما من كاتب الاصل ؛ أو من الناقل عنه وهو الاقرب لانه بينما هو يعبر عن السيدة زينب بلفظة ام ؛ اذا به يأتي بهذا التاريخ الذي يدل على انه كتب في عصر زوجها الذي لا يزال حيا سنة ١٠٣٩ هـ وسيتجل ذلك للقارئ حين يرى الكلام فيما يأتي على زمن وفاة الشيخ .

هذا ما يتعلق برقمي ٩ - ١٠ وهذه هي النظرات المتيسرة حولهما .

٥- في الوثائق الموضوعة تحت أرقام ١١-١٢-١٣ تجد مايتعلق بزواج ابن صاحب الترجمة ؛ فقد اختار له والده كما هو العادة في الشرق أجمع ؛ أن يختار الآباء للابناء ؛ كريمة من بعض الاسر الاماسينية المعقيلية الشريفة ؛ وهي غنية كما يتجل لك ذلك في الفضة والذهب والخلي التي جهزت بها السيدة ويساوى جهازها ستمائة اواق ؛ وهذا من مظاهر الثروة في بلادنا هذه ؛ وللأوقية في ذلك العصر؛ قيمة تساوى من نقد اليوم كثيرا؛ ولكل ناحية مقياس خاص في الثراء يعرفونه ؛ وهذا الاختيار مما يدل على سمو نظر صاحب الترجمة وعلو همته ؛ فانه لايسف الى غير الشرفاء الاعلين الايمن ليس له شرف ولا علو همة ؛ فهل يتجنب الابناء الا الاخوال ؛ اوليس اننا كثيرا ما ننشد هذا البيت :

والمرء لا يشبهه الا ادخليس وكل ماقد كان فيهم الكيس؛(١)

أو ليس أننا نروى فيما بيننا هذا الكلام الماثور: خولوا أولادكم فقد خول صاحب الترجمة أحفاده ؛ فانجبت هذه السيدة الاماسينية السيد عبد الله بن أحمد؛ الذي ستعرفه فيما بعد ان شاء الله ؛ فجاء نموذجا من أبيه أحمد؛ ومن جده صاحب الترجمة ؛ كما ستشاهد ذلك ؛ وقد توفيت مريم هذه قبل سنة ١٠٦٣ هـ كما رأينا ذلك في رسم مناداة لعبد الله بن أحمد على مالها الذي ورثه عنها ؛ ولا يورث الا الموتى .

(١) والمرء لايشبه الا اخواله وكل ما قد كان فيهم فاكه فيه

هكذا عرفنا ناحية اخرى من نفسية الشيخ باختياره الكرائم لاولاده
كما اختار لنفسه قبل تلك الكريمة الكرسيقية ؛ وهل يعرف المرء الا باختياره

قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلا على اللبيب اختياره

ثم ان في استنباط احمد بن عبد الله بن سعيد ؛ لاحد بن عبد الرحمن
من نسبه لدليلا لما سنستنتج منه حين نبحت عن اصل صاحب الترجمة؛ فيما
ياتى قريبا فانتظر فانا معك من المنتظرين .

هذا ما استفدناه تصريحاً او تضمناً من هذه الارقام الثلاثة ١١-١٢-١٣
زيادة على ما كنا استفدناه قبل منها في تلك النظرات السابقة .

٦- ثم في الوثيقتين الموضوعتين تحت رقمى ١٤-١٥- المذكور فيهما
ما فى ترجمتي الرسموكى والحضيكى مع ما كتبه شيخنا سيدى عبد الله بن
محمد فوائد جلية ؛ منها ما استوفينا حوله الكلام فيما تقدم ؛ ومنها ما لابد
ان نقف ازاءه ملياً ؛ حتى نتوفر عليه .

أولاً - نجد فى ترجمة الحضيكى زيادات فى الاوصاف على ما عند
الرسموكى؛ فبينما هذا لايزيد على قوله - الم رابط الافضل - اذا بالآخر يصفه
بكونه - رجلاً فاضلاً متصرفاً مربياً للمريدين ذكراً مات وجاهدات وعبادات
وصالحات ؛ ظهرت له الكرامة ؛ وشوهدت له الخيرات ؛ لقي أكابر العلماء ؛
وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائراً وخدمهم ونصح المسلمين وأرشدهم
وسعى فى مصالحهم جهده ؛ وانتفع به خلق كثير ؛ فهذه الاوصاف الجليلة التى
زادها هذا المؤرخ المتأخر عن صاحب الترجمة بنحو قرن على ما قاله المؤرخ الذى
أدرك عصره ؛ مما تكاد نقف ازاءها ؛ ونحن نرسم علامة الاستفهام ؛ لو لم نجد
ما يؤيدها من الاوصاف التى وصفتها به الوثيقة رقم ٥- التى وقعها ذلك اللبيب
من العلماء ؛ ومن الاوصاف أيضاً التى لا تزال تتردد بين الالسنه الى الآن ؛
فان كانت تلك الوثيقة تقف عند وصفه بالارشاد والصلاح والسعى فى ذات
البين وما اليها من الفضائل التى يستحق بها المرء العامل؛ الذكر الخالد بين
الناس والثناء العطر من الاقلام ؛ فان فى السنة المحدثين نسبة كرامات اليه
أيضاً ؛ فجاءت ترجمة الحضيكى جامعة بين الامرين ؛ وضاربة بكلا السهمين ؛
وهذا المزج نفسه بين آثار العلم وأثار التصوف؛ منه تكونت شخصية الحضيكى
والتحمت به نفسيته ؛ فان لم يكن عبد الله بن سعيد عالماً فيكفيه شرفاً انه
يزور أكابر العلماء ويدور عليهم ويحبهم ومن أحب قوما حشر معهم على أسلأت
البراع أولاً ثم فى مقامات المحشر ثانياً ؛ فهذه الاوصاف - اذن - التى زادها
الحضيكى على ما قاله الرسموكى ؛ ليس منفرداً بها ؛ فقد وصفته تلك الوثيقة
أيضاً بمثل ذلك أو أكثر فى بعض النواحي

ثانياً - ان صاحب الترجمة موصوف كما ترى بالتصوف وانه يخدم أكابر

الصلحاء ويزورهم والمقصود بالصلحاء هم الصوفية فأما كونه يستخدم الصوفية ؛ فلم نعلم ممن اتصل منهم الا شيخه يحيى بن عبد الله التملى ؛ ولم نعلم انه اتصل بغيره ؛ وان كنا لانكاد نشك انه يزور اكابر الصوفية الذين ادرك أعصارهم كالشيخ أحمد بن موسى والشيخ محمد بن ابراهيم التامانارتي من الاكابر ؛ فضلا عن اقرانهما واصحابهما الذين يعدون اذ ذاك بالعشرات ؛ وكذلك لانعرف ايضا انه اتصل بأحد من أكابر العلماء ؛ وهم كثيرون جدا فى ذلك العصر - الا ماكان من الفقيه سيدى سعيد الاوجوى الصوابى وقد تقدم ذكر ذلك ؛ ولكن الحضيكى حين قال انه لقي اكابر العلماء وصحب افاضل الصلحاء ؛ ودار عليهم زائرا وخدمهم ؛ لانظن الا انه تلقى ذلك عن الجيل الذى أدركه ؛ ولا شك أنه يدرك من يروون عن ادركوا الشيخ صاحب الترجمة بكثرة ومثل الحضيكى لانظن منه الا التثبت فيما يقوله أو يكتبه حسب علمه .

ثم ان التصوف الذى اتصف به صاحب الترجمة يظهر انه تصوف عملي ؛ مشيد بأقامة مصالح العباد؛ وبنصح المسلمين وارشادهم ؛ والسعى فى مصالحهم جهده - كما وصفه بذلك الحضيكى - وانه ليس بذلك التصوف الجامد الذى يحمل صاحبه على الانزواء فى قنن الجبال ؛ أو فى مغارات الاودية ؛ فحصل له بذلك نفع نفسه أولا ؛ بزجه نفسه فى جماعة المسلمين ؛ ويد الله مع الجماعة ؛ وبمشاركتهم فى كل ما يحسون به من خير أو شر ؛ وخصب أو جدد ؛ فيتجه لوجهتهم ؛ ويضع همه بين همومهم ؛ ولا خير فيمن لايهتم بأمر المسلمين .

ويظهر -ايضا- ان التربية للمريدين الشائعة عنه حتى انتفع به خلق كثير كما قال الحضيكى ليست بالتربية الاصطلاحية عند القوم ؛ كما فصلتها راية الشريشى بل هى تربية ارشاد لكل من لقيه من العباد من غير ان يتخذ له سيما خاصة ينسب بها اتباعه ؛ وينحاشون الى حظيرتها وحدهم ؛ كما هو الغالب على من ينتهجون طريقة التربية الاصطلاحية . وادل دليل على ذلك اننا لم نر من ينتسب اليه من اشياخ الجيل الذى درج وراءه ؛ وماكان الرسموكى الذى ادرك عصره ليسكت غالبا عن ذلك لوكان ؛ مع اننا راينا انه وصف بذلك الشيخ سيدى محمد بن احمد الحرييل المتوفى سنة ١٠٢٠هـ والشيخ سيدى احمد بن محمد السكرادى المتوفى سنة ١٠٦٧هـ ولعمري ان هذا الارشاد العام من غير تقييد بسما خاصة ؛ لهو الذى يوافق صاحبه محجة السنة البيضاء التى ليلها كنهارها لايزيغ عنها الا هالك .

وقد دخل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوجده مملوءا بحلق وكل طائفة حلفت على كبير من الصحابة فعلاهم عمر بالدرة ؛ فامرهم بالاجتماع حلقة واحدة ؛ فقال لهم : اتريدون ان يقال غدا اصحاب فلان واصحاب فلان ؟ هذا ماقرأناه فى مختصر تاريخ ابن عساکر

ولم نسقه بلفظه لطول العهد به ؛ وكأنه رضى الله عنه يتوجس خيفة مما وقع بعده فى المسلمين ؛ وكأنهم لا يتلون قوله تعالى «ولا تكونوا من المشركين مسر» الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا» وقوله ايضا «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ليست منهم فى شىء»

فهذا الذى كان عليه الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد من اقوم طرق الصوفية على ان طرقهم كما يقولون كالازهار ؛ تختلف ألوانها وان كان الماء الذى تسقى به واحدا

وقد اخبرت ان الشيخ الوالد رحمه الله كان مرة فى مشهد صاحب الترجمة مع الفقراء فقال ان هذا السيد كان شغله فى عصره كشغلنا هذا ؛ وكانت نظراته صوفية ؛ كما كانت نظراتنا بفضل الله كذلك او كما قال :

ثالثا - ان كلا من الرسموكى والحضيكى وصف الشيخ بأنه ساموكنى وطنائا تهال مسكنا ؛ سبق بذلك الرسموكى فاخذه عنه الحضيكى على عاداته فى غالب اشراجم انتى اخذها منه بعزو او بغير عزو ؛ فبقى ذلك مشكلا عند كل من يراه من اولاده لامور شتى ؛ منها ما يزعم من ان قبيلة ساموكن قبيلة منحلة فى انظار الناس فينسبون اليها حكايات واقاصيص جعلتها فى المجتمع كباهلة بين قبائل العرب حتى ان بعض من لا يستحيى جاء باكدوبة عن الشيخ الحضيكى ؛ فعوها انه سأل مرة انسانا ممن هو امام مسجدهم ؛ فذكر له انه طالب ساموكنى فزعم ان الشيخ قال لـ اوصيكم بعد اليوم ؛ فان وجدتم طالبا (ولتييا) فذاك والا فتبلغوا بطالب (ازغارى) فان لم تجدوا الا اماما ساموكنيسا ؛ فاربجوا مسجدكم تلك السنة ؛ الى ان يتيسر لكم امام آخر فهذه الاكدوبة وعشرات من امثالها يتعاطاها سفلة الناس ورعاهم وجهالهم فترسب بها هذه القبيلة فى انظارهم ؛ فاما ذوو العقول الراجحة فانهم يعلمون ان الناس سواسية ؛ وان بنى آدم كلهم كاسنان المشط لا يتفاضلون الا بالتقوى بل يزيدون اننا اذا نظرنا الى اقامة الدين ؛ والاقبال على استظهار كتاب الله ؛ ونبوغ بعض العلماء فينة بعد فينة ؛ وعلمنا ان هذا وامثاله مما تتسامى به القبائل وترفع به راسا عاليا ينطاح الجوزاء فان لقبيلة ساموكن حظا غير قليل فى ذلك؛ فيما اذا فضلها القبائل الاخرى ياترى ؟ وهل يميل الى هذه الشعبية الممقوتة الا ذوو الراى الفائل ولكن مع مدافعة ذوى العقول هذا الدفاع المجيد عن هذه القبيلة ؛ فان اذان الرعاع صم دونه حتى أنهم ليزعمون فيما يزعمون ان الفضلاء الساموكنيين انفسهم سرعان ما يتملصون من هذه النسبة؛ كلما وجدوا الى ذلك سبيلا فقلما يتغرب احدهم ويبقى على هذه النسبة ؛ هذا ما يتفوه به من لا يبرعون الا ولاذمة وهذه بلاشك فرية افتروها من سخافة عقولهم؛ والا فمن ذا الذى يتبرأ من نسبه وبلده وان كان ماكان .

لهذا يتبرأ أهلنا من أن تكون بينهم وبين آل ساموكن أواصر؛ وينظرون الى كل من لمزهم بذلك نظرا شمرزا ؛ حتى ان من اراد ان ينزهم او اراد ان يداعبهم فانه يضرب على هذا الوتر الحساس؛ فاذا بأحدهم يثور بشعور أو بغير شعور .

لازال اتذكر اننى كنت مرة -وانا فى طور البلوغ- فى دار الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم القشاني ؛ فضاحكنى وداعبني فلم يشب ان لمس هذه النسبة فتاورته فى ذلك ؛ وانا كنت اجهل ماوراء الاكمة ؛ فقام رحمه الله الى الحضيكي فارانى هذه الترجمة ؛ فاطرقت حياء فلم اجد ما اقول ؛ فصرت ادافع -اذن-عن الساموكنية ؛ ولكن مضضا فى نفسى أحس به يخزنى وخزا ؛ وغرارة الشبيبة لاتزال تشب فى التعصب الممقوت ؛ ثم اننى بعد ذلك بكثير قرأت فى تاليف الاستاذ مورخ رجال هذا الجيل الماضى بسوس سيدى محمد بن احمد الرفاكي فسمح الله فى أجله ؛ أنه بات ليلة عند الرئيس الحاج ابراهيم القشاني ؛ فكان هذا اراد ان يستفز ضيفه ؛ فصار يعلى امامه ثان مرابطينا السعديين ويعرض فى أثناء ذلك بالسادات شرفاء (تيمكيدشت) ويغمز نسيتهم الى الشرف ؛ فلم يصبر الاستاذ أن قال من هم مرابطوك هؤلاء ؟ وهل هم الاساموكنيون ؟ فجاذبه رب منواه فى ذلك ماشاء الله ؛ فاحتج عليه الاستاذ بالحضيكي ؛ فاتى به فوجد الامر على ما قال .

هذا ماقرانه فى كتاب الاستاذ حفظه الله ونحن نعلم ان ذلك منه انما هو حكاية عما وقع فى ذلك المجلس ودفاع عن اشياخه ؛ والبادئ اظلم .

هذا بعض ما يروج حول هذه الساموكنية ؛ ولا يعتمد ذلك كما ترى الا على الشعبية الممقوتة ؛ التى ينبغى ان تنطوى بين المسلمين .

ومما يحول ايضا بين اهاليها وبين قبول هذه النسبة ان ذلك لم يعرف قط ولا كانت عليه اثاره من علم ؛ فيما رووه عن آبائهم واجدادهم؛ فما عرف عندهم ان الشيخ صاحب الترجمة استوطن وادى ساموكن ؛ ولا كان ما يدل عليه ولو توهم ؛ قالوا ان الجد لم يزل ساكنا بآيمورطوال حياته حتى اقبل فيه ؛ وليس هناك فى وادى ساموكن ما يدل على أنه كان نازلا فيه ولو حقه من الزمان فلا دار له هناك ؛ ولا املاك ؛ ولا ما ينسب اليه والعادة تقضى فى البداية ان من الم بمحل وسكن فيه زمنا لابد ان يدع فيه اثرا من الاثار ؛ وليكن على الاقل دارا نزلها وحيث لا يوجد شيء من ذلك هناك ؛ فلا شك ان هذا غلط من قائله ايا كان سواء قاله الحضيكي من عند نفسه او نقله عن غيره ؛ وهذا الذى يقال للحضيكي يقال لغيره ممن سبقه الى ذلك؛ فقلما ينتقل الانسان من بلد الى بلد الا لاحد امور ثلاثة:

- اما جلاؤه عن ظلمة لايحترمونه الى محل يجد فيه امانا على نفسه .
- وأما أن ينتقل الى املاك تأنلها فى مسكنه الجديد ؛ فيجب أن يجاورها؛ وأن يكون استغلالها تحت نظره .

— واما ان يكون المنقول اليه بلدا فسيحا طيبا ينتقل اليه من بلد وخيم الهوا، ضيق الرقعة يصعب فيه المرعى والمورد ؛ قالوا فهذه البواعث الثلاثة ينتقل الانسان من بلد الى بلد ؛ وهى كلها منتفية ؛ فليس هناك فى ايمور من يضايق الشيخ حتى يحتاج الى النقلة منه الى ساموكن ؛ بل كان من الاحترام هناك فى المكانة التى يغبط عليها كثيرون؛ ولا كانت له فى ساموكن املاك تأهلها فأحب ان يجاورها فلو كانت له هذه الاملاك هناك لذكرت بين الاماكن التى فيها عقاراته وقد راينا رسوم تبريحات احفاده بعضهم على بعض تتعدد فيها الاملاك المتنوعة فى امكنة مختلفة ؛ ولم يجر فيها ذكر لساموكن ؛ وكذلك أنت رأيت فى هذه الوثائق ما ذكر فيه بعض امكنة فيها عقارات للشيخ ولا ذكر فيها لساموكن افقدت ان الشيخ باع ما تألله هناك بعد أن ملكه؛ وهو من عرفنا منه التوسع حتى لا يحتاج الى بيع مثل العقارات التى تكون فى ذلك الوادى والعادة جارية ان عقارات الاودية آخر ما يباع من المتاع ؛ فهذا كله يعرف انه لاصل له هناك ولاعقار يمكن ان يحفره الى النقلة اليه ؛ وكذلك لايمكن ان يحمله ايضا على مغادرة(تاهالا) الى ساموكن فسحة أرجاء ذلك الوادى وصحة هوائه ؛ واتساع مراعيه مع ان الواقع ان ذلك الوادى عميق واضيق من سم الخياط ؛ واعمق من لهاء الاسد ؛ فلايتلقى اهاليه الشمس على اعالي ابنتهم الا بعد متونع النهار بكثير ؛ ثم يودعونها قبل الطفل ؛ فى حين ان تاهالا بلد متسع الارعاء منفسح المرعى ؛ لايمكن ان يغادره ذولب باختياره ليزج نفسه فى ذلك القبر العميق قالوا فهذا يدرك معنا كل متامل انه حين انتفت هذه الاسباب التى بهاغاليا- ينتقل من بلد الى بلد ؛ ينتفى كذلك المسبب ضرورة ان المسببات تنتفى بانتهاء جميع اسبابها •

قالوا قد راينا انه حين تزوج عام ٩٨١هـ وصف فى عقد النكاح بنسبته الى ايمور ؛ ثم عاش بعد ذلك ستين سنة او اكثر ؛ على مانعلمه فيما سياتى فى أى وقت توطن فى واد ساموكن ؟ أقبل هذا الوقت ؟ فيستحق حينئذ النسبة فى رسم النكاح الى ساموكن ؛ مع انه لم ينسب فيه كما رأيت الا الى ايمور خاصة ؛ ام بعد ذلك وقد تزوج وولد الاولاد ؟ فما الذى يحمله -اذن على السكنى هنالك- والانتقال باولاده اليه ؟ الا تلك الاسباب التى ذكرنا انها هى التى بها ينتقل الانسان -غالبا- عن بلده ؛ فقد راينا انها كلها انتفتت افلا ينتفى كذلك المسبب ؟

قالوا عجا ! ايعرف غيرنا عن جدنا ما لانعرفه عنه ؟ مع ان اهل مكة ادرى بشعابها ؛ يستحضر كل واحد من اهاليها الذين يعدون بالمالات ابا عن اب ؛ الامكنة التى اسس فيها ما اسسه فى حياته حتى اتنا لنعرف ما بين المهامه الفيج والقفار المترامية ؛ آثاره اثرا اثرا ؛ ثم ننسى شيئا مما وراء ذلك ؟ أفليس

الاصوليون المحدثون يقولون انما ورد عن طريق الاحاد ؛ وان كان مرويا عن عدول ضابطين ؛ وكان بمثابة ان يروى بالتواتر لو كان موجودا في الواقع ؛ ان ذلك مخدوش في بل ان بعض الاصوليين لا يقبله البتة ؛ ايعرف واحد من تاغاتين او من بعض قرى قبيلة رسموكة ؛ ان جدنا توطن وادي ساموكن ثم يخفى عنا ذلك جميعا ؟ ان هذا لعجب عجاب .

قالوا لا يسبقن الى ذهن القارئ اننا ممن يرمى تلك القبيلة بما يرميها به رعاينا او نأبى ان ننتظم نحن واياهم في سلك واحد ؛ فلسنا والحمد لله من ذوى الشعوبية الموقوتة ولا ممن يتصلون مما ثبت ؛ ولا ممن يتناولون الى مالم يكن ؛ فان آل ساموكن اناس فضلاء فيهم ما في الناس جميعا ؛ ذهب وخرف ولوصح اننا واياهم يجمعنا جذم واحد اوضح ان جدنا سكن بين ظهرانبيهم لتلقينا ذلك بكلنا اليدين ولا بديناها للناس اجمعين ؛ فاننا في شرف نفسي يكفينا عن كل شرف وراء ذلك ؛ ولكن الواقع ان هؤلاء الفضلاء في واد ونحن في واد فان ثبت ذلك بعد بما ثبت به المعلومات من الادلة والحجج والبراهين وتبين ان جدنا كان من ذلك الوادي فاننا ممن يتشرف بهم اهل ذلك الوادي كما تشرفت برسول الله صلى الله عليه وسلم عدنان .

قالوا اننا نرى الرسموكي وتابعه الحضيكى يقولان في الشيخ التهالى مسكنا الساموكنى وطنا ؛ فهذه العبارة لانكاد ندرك لها معنى ؛ فلاندرى هل المقصود ان وطنه الاعلى هو ساموكن ؛ ثم اتخذ تهالا بعد ذلك مسكنا ؛ فان كان هذا هو المقصود وهو الاقرب ؛ فاننا نحتاج اولا ان نعرف اين ولد الشيخ واين مسكن والده لندرك مقدار ما لذلك من صحة ؛ ولكننا لانعرف على مايقوله الناس الا ان الشيخ بنفسه هو الذى قدم من (تامدولت) ولا يمكن ان يقدم بنفسه ؛ مع اضافة ذلك له ؛ الا اذا بلغ مبلغ من يقدر على النقلة وجوب البلاد ؛ فحيث تواتر عند الناس انه كان في اكادير تنبسيست ؛ ثم بعد ذلك كان عندشيخه يحيى بن عبد الله سنوات ؛ ثم تزوج سنة ٩٨١ هـ في ايمور حيث عاش ستين سنة او اكثر ؛ ففي اى وقت يكون ساموكن وطنه ؟ كماقاله الرسموكي ؛ في حين اننا نرى نقلته من تامدولت فسكنه في اكادير تنبسيست ؛ فانقطاعه الى شيخه سنوات ؛ فتزوجه سنة ٩٨١ هـ هذه الامور كلها لابد ان تتابع كما ترى وقد قدرنا لهذا الوقت كله نحو ٢٥ سنة ثم تلقى من ذلك اعوام الصبا فما الذى يبقى بعد ذلك ؟ حتى يستوطن فيه ساموكن استيطاننا يستحق ان ينسب له ؛ حتى يكون في مقابلة سكنه في تهالا الذى كان ستين سنة فاكتر وان لم يكن هذا مقصود الرسموكي بتلك العبارة ؛ فليت شعرا ماذا يقصد بها؟

قالوا فتبين لنا من كل هذا ان هذه العبارة لابد ان تكون غلطا من قائلها والحاصل ان اهلينا يابون بكل ما في امكانهم ان ينسب الشيخ الى ساموكن مطلق نسبة وان يكون به ولو مرور ما ؛ ويرد ذلك علماؤنا كما ترى في رقم ١٥ ما

كتبه شيخنا على هذه الجملة من كلام الحضيكي ان ذلك كذب محض ؛ فهذه الاجوبة التي ذكرناها تفصيلا ومددنا فيها القول ؛ واتينا فيها بالحجج والبراهين المنطقية تارة ؛ والخطابية تارة هي كل مايمكن ان يتمسك به من ينفي ذلك ؛ وقد سمعت غالب ذلك من اهاليها فنظمته كما ترى .

اما انا فقد وقفت ازاء هذه المسالة ؛ موقف من لا يريد ان يسير الا بمصباح ينير ما امامه ؛ فقد فتشت واكثرت التسال عن مولد الشيخ ومكان منشئه ؛ ومقبر والديه ؛ علني ان اعرف ما استند اليه في هذا البحث ولكنني لم ارجع بعد كثرة السؤال الا بخفي حنين؛ فعولت على ان ارجع الى هذه الوثائق نسفها لعلني اجد فيما بينها ما يفتح لي هذا الباب .

كنا قرأنا في الوثيقة الموضوعة تحت رقم ١- ان عليا عم الشيخ هو الذي كان وكيله عند عقد النكاح ؛ وقرأنا ايضا في رقم ١٢- ان احمد بن عبد الرحمن توكل في عقد نكاح احمد بن عبد الله عنه ؛ وقد ذكر كاتب الرسم أنه من نسبه ؛ فأدركنا بذلك أن لاسرة الشيخ فروعا موجودة ؛ وأدركنا أن الشيخ ليس وحده ؛ ولكن ابن يسكن هؤلاء الفروع ؟ فهل كانوا يسكنون الشيخ بايمور ؟ او كانوا في اكادير تنبسيست وانما يزورونه هناك عند امثال هذه الافراح كما تجرى به عادة ذوى الارحام ؛ لاندرى ؛ ولا طارق الحصى يدري اى هذين كان كما لم نخرج ايضا بعد مراجعتنا لهذه الوثائق كلها من جديد ؛ الا بجهل مطبق عن هذه النقطة ولا يسترعى نظرنا الا ما عند الرسوموكي الذي يدفعه اهاليها بما رايت .

اكثرت التأمل فخطر لي انه يمكن ان يجمع بين مايقوله اهاليها ومايقوله الرسوموكي بتاويل كلامه .

ان اهاليها يقولون ان الشيخ كان في اكادير تنبسيست قبل ايمور ولم يكن في وادى ساموكن فقط ؛ وقال الرسوموكي أن وطنه هو ساموكن ؛ أو ليس أنه يمكن أن ساموكن اذ ذاك كان يطلق على ما يعم اكادير تنبسيست؟ وهو في جواره ؛ فلئن كان الامر هكذا فان الرسوموكي اذن صادق ؛ ولا اقرب من هذا التاويل والجمع متى امكن لا يصار الى الترجيح كما هي القاعدة الاصولية ؛ وايضا اننا نستبعد ان يلقي الرسوموكي الكلام جزافا فيما هو بصده في كتابه ؛ وقول المورخين لا يطرح بسهولة خصوصا من عاصر وشاهد اوشاهد من شاهد ؛ ومتى تناولنا كلامه هذا التاويل القريب فانه يمكن لنا ان نجمع بينه بكل سهولة مع ما عند اهاليها كما ترى ؛ اوليس هذا مما يترجح ؟ فنذكر اذن- ان الشيخ ما انتقل الى ايمور الا قبل تزوجه بحقة ؛ وكون عاقد رسم النكاح لم يصفه الا الى ايمور ؛ ولم يصفه الى مكانه الاصل ؛ لايدفع هذا لان الانسان بمثواه الان ؛ لا بما درج منه على أن العقود لا يستدل بها الا فيما

سبقت له لاغير . واما ماسوى ذك فلايستدل عليه بها وذلك معلوم عند كل فقيه

بهذا عرفنا وغلب على ظننا ان اصل الشيخ من اكادير تنبسيست كما يقوله اهلينا وتواتر عندهم ويدل عليه قول الرسموكى ان فهمناه ذلك الفهم الماضى ؛ واما نسب الشيخ ؛ فسترى امامك الكلام حوله .

ثم هانحن اولاء ترجح عندنا ان الشيخ كان فى اكادير تنبسيست ؛ قبل ان ينتقل الى ايمور ؛ ولكن هل ولادته ومنشاه هناك ام كان فى تمدولت ؛ كما يقوله اهلينا ؛ اننى ارجح فى هذه النقطة ان ولادة الشيخ ومنشاه فى اكادير تنبسيست ؛ وان الذى انتقل من تمدولت احد اجداد الشيخ ؛ والذى رجح هذا عندى أن وقت جلاء تامدولت الشهير كان فى أوائل القرن التاسع اوقبله بدليل انهم يقولون ان الشيخ على بن يونس الاغشمانى هو الذى كان سبب هذا الجلاء فى حكاية تحكى ؛ وعل هذا كان حيا فى القرن التاسع ؛ وترجمته واخباره ينسبها النقلة الى الشيخ احمد بن عبد الرحمن المسجدادى المتوفى حوالى مولد الشيخ صاحب الترجمة ؛ ثم يظهر من ترجمته لعل بن يونس انه لم يدركه ؛ وحياة المسجد ادى فى النصف الاول من القرن العاشر ؛ وقد توفى سنة ٩٤٨ هـ فهذا نذكر ان الجلاء التمدلتى كان قبل الشيخ صاحب الترجمة ولايمكن ان يكون هو بل ولابوه من بين الجالين . فربما كان الجالى هو جده الاذن او الاعلى ؛ ويرجح عندنا ان الشيخ ليس هو الجالى بنفسه ؛ ان السنوات التى حزرناها له قبل زواجه وقبل اتصاله بشيخه يحيى بن عبدالله اقصر من ذلك واضيق ؛ ثم اذا اضفنا الى ذلك المقدار المحزور من عمره ما عاشه بعد فان ذلك يناهز نحو ١٠٠ سنة ولانعلم ان الشيخ عاش اكثر من ذلك حتى تزيد فى ذلك القدر المحزور سنوات اخرى يتانى له فيها ان ينتقل من بلد الى بلد انتقالا يضاف له كما يقوله اهلينا .

هذا ما ترجح عندنا فى هذه النقطة والله اعلم ؛ واما ان نقول ان اصله الاصيل من ايمور ؛ بدليل وجوده هو فيه فهو ضعيف ؛ لاننا لم نجد لذلك دليلا مسموعا ولامعقولا ؛ الا ماكان من الاستصحاب المعكوس الذى هو ان نقول ان وجوده هو فى ايمور ؛ دليل على وجوداصوله هناك فهذا هو الاستصحاب المعكوس وهو ضعيف فى الاستدلال ؛ وكون المتواتر عند اهلينا هو ان اصله من اكادير تنبسيست ؛ يكفى فى رد هذا التوهم وخصوصا حين يتايد هذا الخبر المتواتر بما قاله الرسموكى ، من ان وطنه من ساموكن وقد عرفت ما مقصوده بساموكن فيما تقدم على ما أولنا اليه كلامه ؛ وهذا منتهى ما أمكن لنا فى الموضوع ؛ والحمد لله . وقد كان اكادير تنبسيست من قرى ساموكن قبل أن يستلحقه آيت على المريضيون

رابعا - انك قرأت فى ترجمتى الرسموكى والحضيمكى الموضوعتين تحت

رقمى -١٤-١٥- ان الشيخ توفي يوم الاربعاء ٢٧ من ربيع الثانى سنة ١٠٤٠هـ ثم قرأت بعد ذلك انتقاد ذلك لشيخنا الالفى حفظه الله مستدلا بما فى رقمى -٦- و -٧- من رسم التصوير المورخ باوائل ربيع النبوى سنة ١٠٤٧هـ ومن رسم الموافقة من اولاد الشيخ على هذا التصوير المورخ برجاسة ١٠٥١هـ وماخذ مذهب اليه شيخنا فى ذلك ان الرسم الاول يظهر من لوائح عبارته ؛ انه كتب حين الاشهاد كما يظهر ايضا من الثانى ان ذلك الابرار اولاد الشيخ لايبهم كتب فى حياته وان تاريخ الابرار هورجب سنة ١٠٥١م وان كان الرسم لم يكتب الا فى سنة ١٠٩٢ هـ حين طلب ذلك من الشهور فاملوه استرعاء ؛ وعينوا وقت وقوع ذلك ؛ فبهذا استدلل شيخنا وبهذا انتقد ان يكون الشيخ توفي سنة ١٠٤٠ وتكون وفاته على هذا بعد ١٠٥١هـ وقد كنا حزرنا ولادته فى ٩٥٥هـ فيكون عمره يناهز المائة كما ترى .

ثم اننا ان تتبعنا هذه الوثائق الماضية ؛ نجد ايضا فى التى وضعناها تحت رقم -٩- فى رسم المفاصلة بين السيدة زينب زوجة الشيخ وبين آلهما فيما ورثوه عن آبائهم انه وصف هذه السيدة بايم الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ثم ارخ ذلك الرسم سنة ١٠٣٩هـ فكان فى ذلك غرابة ؛ لاننا نيقن ان صاحب الترجمة فى هذه السنة لايزال حيا ؛ وكيف توصف قرينته بام وهذا غلط بلاشك ؛ ولا يعتورنا ريب فى ذلك ونظن ان هذا الغلط ممن نسخ من الاصل ؛ وكأنه اراد ان ينقل ١٠٥٩هـ فسبقه القلم فاستبدل -٣٥٥- او مثل ذلك

اذن فلم يبق بين ايدينا الا ما للرسموكى وما فى رقمى -٦-٧- فالتبادر هو ما ذهب اليه شيخنا الذى دل عليه ما فى هذين الرقمين ؛ لان من يبعد عن الانسان ؛ ولا يخالطه - كما كان ذلك من الرسموكى مع صاحب الترجمة اقرب الى الغلط من الموثق الذى يجعل بين عينيه تاريخ الوثيقة التى يكتبها وان كنا نستبعد ايضا باعتبارات اخرى عدم تثبيت الرسموكى فيما تصدى له من تحرير وقيات معاصريه . ويتايد هذا الاستبعاد بالمعاصرة ؛ وبان غلط الممتد الى ما فوق احدى عشرة ؛ كثير قلما يقع للمتصدي لمثل ذلك ؛ ويتايد ايضا بانه عين يوم الوفاة وعين الشهر وذلك كله مما يدل على التثبيت ؛ ولكن مع كل هذه الاعتبارات ؛ وهذه المؤيدات لقول الرسموكى ؛ لانزال مع شيخنا فيما يرجح عنده ؛ لان عبارات مافى وثيقة التصوير وما فى اختها اقوى اعتبار من هذه الاعتبارات الاخرى ولنقتصر اذن على انه توفي بعد ١٠٥١ ولنبقى على ذلك الى ان يظهر لنا ما ينقلنا عنه ؛ واما الحضيكى فانما هو تبع للرسموكى فيما ذهب اليه ؛ نقول ذلك وان كنا نميل احيانا الى التردد حين يتجلى تشبه الرسموكى من جهة اخرى فتنجير ؛ والله اعلم .

هذا ما يمكن لنا ان نقوله فى وقت وفاة صاحب الترجمة ؛ وبذلك ندرِك انه
معه حتى ناهز نحو ١٠٠ سنة رحمه الله .

هذه نظرات حول هذه الوثائق الخمس عشرة ؛ وقد بينا فيها كل ما
وصلت اليه بحوثنا ؛ وابدينا ما تدل عليه تصريحاً او تضمناً ؛ ولم يبق لنا
الا كلمة اخيرة حول كلمة قرأناها فى الوثيقة الموضوعة تحت رقمه - وهى
قول احمد بن على بن ابراهيم التويىتى فيما خاطب به السلطان «فرغب من
امير المؤمنين المنصور بالله امام وقته ابى العباس احمد الشريف نصره الله
تعالى وايده ؛ ان يلحقهم بامثالهم فى التحرير والخروج بهم عن المطالبة على
عادته فى اهل الخير والصالح والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى
بحق جدتهم المصطفى صلى الله عليه وسلم» فقد رايت انه قال بحق جدهم
المصطفى صلى الله عليه وسلم فما معنى ذلك ؟ امقصوده انهم شرفاء ؟ هذا ما
لم يدعه قديمنا ؛ ولا سمعنا من ادعاه لهم او انما هى كلمة ارسلها
التويىتى على عواهنها ؛ وذلك ايضا بعيد ؛ ولهذا يحتاج المقام الى تأن وتبصر
حتى ندرك ما يرمى اليه هذا الكلام الذى وقعه ثمانية عشر عالماً ؛ ولكى نعرف
ذلك ينبغي لنا ان نجول ببصارتنا من هنا وهناك .

قرأت معي فيما تقدم ؛ البحث عن منشأ الشيخ واصله ؛ وقد استقر رأينا
اخيراً على ترجيح ما يقول اهلنا من ان الاصل الاصيل من تادمولت ثم لايعرفون
ما وراء ذلك ولم اجد انا ولم اسمع شيئاً آخر يمتد منه نسبهم ؛ الا ما كان
الاستاذ سيدى محمد بن احمد الاولوى الاموزى اخبرنى به منذ سنوات
انه راي رسماً كتبه بعض آل الشيخ قبله ؛ ذكر فيه النسبة الى الجعفرية
يعنى الى جعفر بن ابى طالب ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ؛ قال انه رآه
فى بعض السلات من جهتهم ؛ هذا ماسمعته لاغير ولكن هل لهذا من صحة ؟
فان اهلنا بقوا جاهلين هذه النسبة الى الان ؛ ولم اعرف لها روجاًنا بينهم
قط ؛ الا ما كان من رسالة رايت فيها هذه النسبة وهى مخطوطة بيد الاستاذ
العلامة سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله كتبتها الى تلاميذه بابى هروان ؛ ولا
ادرى من اين تسرب اليه ذلك ؛ بل ولا سمعت بعد عنه ذكراً يروج حول ذلك
هذا كل ماخطر حول هذه النسبة ثم لم يتصل بذلك رواج بل ولا عرف له
مستند ؛ حتى جاء الاستاذ سيدى محمد بن مسعود المعدرى فصار يخاطب
بهذه النسبة شيخه الشيخ اللفى فى قصائد ورسائل ؛ بل وسم بذلك قصيدة
نونية ستقرأها ان شاء الله فى ترجمة الشيخ (هز الراية الجعفرية ونشر
النفحات العنبرية فى المنافحة عن الطريقة الالقية بذكر بعض مالها من
المآثر السنية فى كتاب الترياق الداوى)

وقد سألت شيخى سيدى سعيد التتاني عن استقنى من عنده هذا الاستاذ

هذه النسبة ؛ ومن اين توصل بها ؟ فذكر عنه ان الشيخ سيدى الحاج الحسنى التامودين تى ذكر له أنه رأى ذلك فى طرة كتاب ؛ هذا هو مستقى ما يقوله الاستاذ ابن مسعود ؛ ثم عنه انتشرت اخيرا هذه النسبة فوصلت الى مسامع اهالىنا فاما الذين عقولهم فى اصمختهم فانهم تلقوا ذلك كانه ثابت بما تثبت به المعلومات ؛ واما ذوو الالباب فلا يزالون فى ريب لان الانساب لا تثبت بمثل ما فى الطرة ؛ ولو كان الرسم الذى ذكره الاستاذ الامنوزى موجودا ؛ وتحققنا منه هذه النسبة لكان ذلك مثارا لمن اراد ان يظن هذا الظن - ومثل هذا يكتفى فيه بالظن - ولكننا لم نتوصل بهذا الرسم لنعلم ما هناك ؛ لان هذه النسبة لو كانت صحيحة لما فرط فيها الاولون وحافظوا عليها ؛ فنقول اذن فى حقهم الناس مصدقون فى انسابهم ؛ واما حيث لا يذكرون ذلك ولا يرفعون به راسا فلا مصير اليه الا بما تثبت به المعلومات ؛ لايما وجد فى الطرر ثم اننى كنت سمعت ان هذه النسبة كانت مكتوبة فى جدار مشهد الجدد صاحب الترجمة ثم محيت ؛ ثم لادرى اكانت مكتوبة قبل تجديده فى اول هذا القرن ام لم تكتب فيه الا بعد تجديده ؟ ولهذا يضعف ايضا الاستدلال بها .

هذا كل ما عرفه رانجا عن هذه النسبة الجديدة وانا الى الان لم تبلغ عندي حتى درجة الوهم ؛ لاننى استبعد ان يكون ذلك ثم ينسأه الاباء ؛ ولم يملأوا به مسامع الابناء مع أن كثيرين ممن انتقلوا من (تامدولت) عضوا على هذه النسبة بالتواجد وحافظوا عليها بالحفاظ على سلسلة انسابهم الى الامام جعفر ؛ ويتعهد ذلك بظواهر الملوك ؛ كابناء على بن يونس الافغانيين فلم يمسس سلسلة نسب متصل الى جعفر ستراه عند ذكرهم ؛ واستبعد ايضا ان تكون هذه النسبة موجودة لعبد الله بن سعيد ؛ ثم تتخطاها تلك الوثيقة التى حشر فيها اولئك العلماء ما عرفوه .

ثم لقائل ان يقول ان هذه الوثيقة هاهى ذى تنادى بان جدهم هو المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ فيكوتون حينئذ شرفاء ابناء فاطمة من الحسن الى الحسين ؛ فاذا علقنا صحة هذه النسبة بمثل هذه الوثيقة مع انها هكذا ؛ فلم لا يحكم بان الشيخ صاحب الترجمة شريف وان ذريته شرفاء ؟ اقول هذا لعمري ايراد له حظ من النظر . ولكن الذى يمنعنا من قبول ذلك ان مثل هذه النسبة لو كانت لما فرط فيها الاولون ؛ ولعلنوا بها فى كل مناسبة ولربنا ظواهر الملوك التى بين ايدينا عدة منها ؛ وقد ذكرنا منها اثنين فيما تقدم وسنذكر فى آخر هذه الترجمة سائر ما تصرح بذلك وتعلنه على عادة الظواهر الملوكية فى ذلك ؛ وهذا كله جدير ان لا يقبل به ذلك القول الذى صدر من الفقيه سيدى احمد بن على التويستى فى تلك الوثيقة .

ثم لقائل آخر ان يقول اولم يمكن ان تفسر هذه النسبة الشرفية التى

ذكرت في الوثيقة هذه بانها هي النسبة الجعفرية ؛ لانها ممتدة الى زينب بنت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فكما انها ولدت الحسن والحسين ابني علي بن ابي طالب كذلك ولدت زينب بنت علي بن ابي طالب التي اولدها جعفر بن ابي طالب سلالة الزينية وهي مشهورة ؛ فما المانع ان يطلق علي هؤلاء الزينبيين ايضا ان جددهم هو المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ كما يقال ذلك في اولاد الحسن والحسين اقول ان لهذا القائل مغزى ساميا وقولا فيه مايلفت نظر المتأمل .

حقا ان قوله اقرب ما تؤول به قوله تلك الوثيقة وهذا القول علي الاقل نجد فيما يروج اخيرا من يلوكة بلسانه ؛ وان لم نعتد عليه ؛ ولا كانت عليه لوائح البرهنة ؛ علي ان ابناء المصطفى اختصوا عرقا - بابناء الحسن والحسين منذ القرن الثامن الى الان وهذا مما يستبعد به ان نمد ايدينا الي تقبل ما يقوله هذا القائل برمته .

يطرق آذاني فينة ان هناك نحو وادي ايسى شجرة نسب للشيخ صاحب الترجمة صارت الى بعض الناس هناك احتجتها ؛ ولم ادر ؛ اهذا الذي يطرق آذاني صحيح او هو من بنيات الالسنه ؛ وطالما حثت بعض الناس اليه لعلهم يجتهدون في التوصل بنسخة منه علي الاقل ؛ لعلنا نجد فيه مانخرجه مما يدور عليه هذا البحث ؛ ولكنني بكل اسف لاجد الا كسلا واعراضا ولا حول ولا قوة الا بالله .

نخرج من هذا البحث ؛ ونحن كما دخلناه ؛ شكا علي شك في هذه النسبة وما منا لم نجد هذه الشجرة وذلك الرسم الذي يذكره الاستاذ الامنوزي فاننا لانجد الابا موصدا امام نتيجة يتناول اليها بعض من لم يفهم شرف الاسلام العام ؛ وأبى الا أن يزج نفسه في الطالبين ؛ ولا ندرى ؛ فلعل الابام تصدق ظنهم ؛ فيقع لنا في هذا مثل ماوقع للاستاذ احمد بن خالد الناصري الذي اعلن الشك في نسبة الناصريين في الجعفرية في كتاب الاستقصاء ثم لم يلبث ان ظفر بما تقوى به عنده ماحده الى ان يرجع هذه النسبة في كتابه (طلعة المشتري) .

هذا آخر ماتيسر تحريره فيما يتعلق بالشيخ سيدي عبد الله بن سعيد رحمه الله فقد بذلنا في ذلك جهدنا ؛ واسهنا بعض الاسهاب ؛ علنا نتعرف منه نواحي غامضة ونحن نسلك طرق البحث التحليل بقدر الامكان ؛ ونتمسك بما رايناه صحيحا بالبرهان ونلقى ظهريا ما لاندعجه حجة .

وله من الاولاد من رايتهم فيما تقدم فاما احمد فستري ترجمته ؛ واما محمد فدفن في (كاور) بمجاط ؛ واما بلقاسم فدفن في قرية (تيدلي) بقبيلة ايفسان واما موسى الذي مات بعد والده بلاعقب كما قاله العم ابراهيم ؛ ولم

يعقب كما يعقب اخوته ؛ فانه قال ان الغالب انه دفن في ايمور ؛ لان قبره لم يعرف كما عرفت قبور اخوته في اماكنها ؛ وقد اخبرنا شيخنا سيدى عبد الله انه رأى رسماً مورخاً بنحو ١٠٩٨ هـ يتضمن وقف بعض ماله على ضريح والده قال وقد توفي موسى اذ ذاك في تلك السنة كما نبه عليه كاتب الرسم ؛ ثم ذكر انه رأى مثل ذلك الوقت من زوج موسى ؛ وانه مورخ بسنة ١١٠١ هـ فدل هذا على ان موسى تاخرت وفاته كثيراً ؛ وانه ليعقب له مع انه متزوج لانه عزب كما هو متوهم .

اخبرنى الفقيه سيدى على بن صالح من اكرض اقفير انه رأى فى سلة سيدى بلا ارخا وهو عبد الله بن محمد من اكادير ايزرى بين رسومه ما يدل على ان ازواج سيدى عبد الله بن سعيد متعددت ؛ فالتهالية هى ام محمد ؛ والافرائية هى ام بلقاسم والكرسيفية ام احمد والساموكية ليعقب لهما يعرف ؛ وذكر ان اولاد الشيخ خمسة فزاد اثنين منهما موسى ؛ والخامس مان فى حياة ابيه ؛ ولم يسم ؛ ثم قال ان التهالية من تاجكالت انتهى ما كتبه عنه ثم اننا كنا سقنا فيما تقدم ثلاث تحريرات من السلاطين ؛ فلنتبعها الان بكل ما تابعها وراء ذلك من الملوك الى الآن ؛ لتجتمع الفائدة فى محل لمن ارادها

(٤)

ظهر السلطان على ابودميعة التازروالتى حملته اولاد المرباط الصالح سيدى عبد الله بن سعيد التهالى من تظهيرين يبقون على عادتهم من التوفير والاحترام والتحرير التام ولا يطالبون بسائر الوظائف المخزنية باسرها ؛ وبه نوكد الابى ببا على (١) بن الحسن وغيره وكتب بر رمضان سنة ١٠٦٣ هـ

عبد الله سبحانه
على

(٥)

ظهر فى ايام السلطان مولاى عبد الله بن اسماعيل كتابنا هذا اسماء الله ؛ واعز امره ؛ واطلع فى سماء المعالى شمس المنيرة وبدره بيد حاملية المرباطين سيدى صالح بن عبد الله ؛ وسيدى احمد بن على ؛ وسيدى عبد الله بن موسى احفاد الولى الصالح سيدى عبد الله بن

(١) احسبه على بن الحسن بن احمد بن موسى ولعله كان قائدا على جهة ايمور والى فاستحق ان ينسب على ذلك

سعيد رحمه الله وقديس روحه يتعرفون منه بحول الله وقوته اننا جددنا لهم على ما يديهم ؛ من ظهائر سيدنا ومولانا اسماعيل قدس الله روحه ؛ وظهرت الملوك السابقين من قبله من التوقير والاحترام لهم ؛ ولجميع من تعلق بهم والواقف عليه يعمل به ولا يتعدى والسلام فى مهل رجب الفرد عام ١١٥٢ هـ وعليه طابع ليس بجميل ؛ لم نهتد لقراءة مافيه وقد ذكر فيه كماترى ظهائر اسماعيلية واعلمها هى التى تمزقت بين تلك الظهائر ولم يبق من بعضها الاطابع كتب فيه : (وصيف المقام العالى منصور بن الرامى وفقه الله) وفى دائرته ما يتسنى (وما توفيقى الا بالله عليه توكلت) ولاندرى من منصور هذا ؛ ولا من كان وصيفه من الملوك (ثم عرفت انه قائد من القواد الكبار فى الجند الاسماعيل وقد كان ولاه على سوس حيناً) .

(٦)

ظهر حسنى

يعلم من كتابنا هذا اسمى الله مقداره واطلع فى سماء الاسعاد شمساه واقماره اننا بحول الله وقوته ؛ اسدلنا على المرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس ؛ اردية التوقير والاحترام ؛ وحملناهم على كاهل المبرة والاكرام ؛ وحاشيناهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ فالواقف عليه من خدامنا وولاء امرنا يعمل به ولا يجيد عن كريم مذهبه والسلام صدر به امرنا المعترز بالله فى ٢٤ جمادى الثانى ١٣٠٠ هـ وفوقه طابع صغير فيه الحسن بسن محمد الله عليه .

(٧)

ظهير عزيزى .

يعلم من كتابنا هذا اسماء الله واعز امره ؛ واطلع فى سماء الاسعاد شمساه واقماره ؛ اننا بحمد الله وقوته وشامل يمنه ومنته جددنا للمرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس حكم ما تضمنه ظهير سيدنا الوالد المقدس بالله من سدل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل المبرة والاكرام ؛ ومحاشاتهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ تجديدنا تاما نامر

الواقف عليه أن يعمل بمقتضاه ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه والاسرار
اصدرنا به امرنا الشريف في ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦هـ وفوقه طابع في
عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه .

تحرير للقائد سعيد الكلوي الحاحي الذي كان قائدا عاما على تزنييت ومر
اليها سنة ١٣١٥هـ .

مضمن كتابنا هذا اسعده الله يستقر بايدي حامله المرابطين الاخيار
معادن جواهر الاسرار السيد الكامل والمربي الواصل يثيمة عقد الاولياء
وخلاصة القوم الاصفياء سيدي عبد الله بن سعيد السوسي دفين زاوينة
بايمور عمرها الله بذكره على ممر الدهور يعاملون بمقتضى حقهم من مزيد
التعظيم والاكرام وزائد التوقير والاحترام ؛ تميزا لهم عن غيرهم من العوام
وتنزيها لساحتهم المطهرة عن سامها بقصد ذلك او رام وامثالا لامر الله
بتعظيم حرمانه التي هتكها من كبائر الاجترام وتنفيذا لحكم ما تضمنه ما
بايديهم من ظهر سيدنا المقدس من انهم لا يسامون بادنئ تكليف ولا يسامون
باقل توظيف وغير ذلك مما هو المعتاد من القيام بالخدمة المخزنية ؛ واداء
الوظائف الامامية من الهدايا والمواصلات ؛ سوى ما اوجبه الله عليهم من اداء
الاعشار لزوايتهم التي للعلم والتي للفقراء قيما بواجب التعاون على البر
 والتقوى ؛ ونبذا لمنهى الاثم والعدوان ؛ فلما حيد لهم عن ذلك ولاسيلا لحد
من العمال اليهم بوجه ولا بحال ؛ هذا ونامرهم بالوقوف عند حدود الله سرا
وعلانية واقفاء سنن سلفهم ؛ وان لا ياتوا ما ينافي الانخراط في سلوكهم
ونعهد اليهم ايضا بتوفيرهم - ظاهرا وباطنا - جزيل حقوق القائمين بامر
الدين وحماية حوزته ؛ الوارثين للجد الاكبر في طريقته ارباب الزاويتين
العلمية والفقرائية ؛ السيد البركة سيدي الحاج عبلا بن صالح بزواينة
تحت الحصن وولده الشيخ صالح العلماء وعالم الصلحاء الفقيه سيدي
علي بن عبد الله وحاشيته القريية وكذلك قدوة السالكين ومربي المريدين
الشيخ سيدي علي بن احمد الدرقاوي وحاشيته كذلك ؛ فان هؤلاء ممن وجب
عليهم القيام على ساق الجد في خدمتهم بحسب الاقتداء ؛ لما خصوا به من حلية
العلم وزينة الوقار ونشرهم في الناس بضاعتهم من النصيح والعلم والاسرار
في هذا استوجبوا من ولاة امور المسلمين ومن غيرهم السعي في خدمتهم ؛
والاجتهاد في قضاء اوطارهم وان لا يواخذوا بما يواخذ به عامة المرابطين من
مصالحهم المخزنية او غيرها رعا لمنصب العلم ؛ وذبا عن جناب حزب الهدي
وفريقه ؛ امن الله سيرنا من مخاوف طريقه وامدنا بنور توفيقه واعلم بهذا
من سيقف عليه من ائمة المسلمين بعد ان شاء الله ؛ في ٢٤ ذي الحجة عام
١٣١٥هـ ووقعه احمد بن محمد الكلوي الذي هو خليفة القائد سعيد ؛ وعضده

الايمان اذ ذاك والذي حرر هذا بقلمه الاستاذ محمد بن عبد الرحمن التامري الشهير بالدرقاوي ؛ وقد توفي سنة ١٣٤٠ هـ

(٩)

ظاهر مجدى لجلالة سلطان العصر محمد بن يوسف حفظه الله

يعلم من كتابنا هذا اسماء الله واعز امره ؛ اننا بحول الله وقوته وشامل يمينه ومنته جددنا للمرابطين اولاد سيدى عبدالله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس حكم ماتضمنته ظهائر اسلافنا الكرام ؛ قدس الله ارواحهم في دار السلام ؛ من بدل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل الجرة والاكرام وحاشيتناهم وعائلتهم من خدمة الطرق التي يكلف بها العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ تجديدا تاما ؛ نامر الواقف عليه من عمالنا وولاة امرنا ان يعمل بمقتضاه ولايجيد عن كريم مذهبه ولايتعداه والسلام

صدر به امرنا المعتز بالله تعالى في ٦ صفر الخير عام ١٣٥٣ هـ وقد سجل هذا الظهير الشريف في الوزارة الكبرى بتاريخ ١٣ صفر عامه الموافق ٢٦ مايو سنة ١٩٣٤ م محمد المقرئ وفقه الله ؛ وفوقه طابع صغير فيه محمد بن يوسف الله وليه .

هذه هي الظهائر والتحريرات التي وجدناها في الموضوع ؛ وهناك رسائل ايضا في تأييد التحرير من القائد سعيد الكلولى يكتبها هو او خليفته احمد بن محمد تركناها هنا اختصارا ؛ للاستغناء عنها بذلك المرسوم ؛ واما ظهائر الملوك الاخرين فانها تمزقت حتى لم نهتم منها الا الى كلمات لاتسمن ولانقنى من جوع ؛ ولاثبت هنا ابيانا كنت قلتها صبيحة ٢٠-١-١٣٦٢ هـ وقد بت هناك بايمور قصد زيارة تربة الجد

لله رحلتنا الى ايمور	كيما نزور هناك خير مزور
عقدت يد الاسعاد منها رحلة	جمعت شتيت مسرة وجبور
طويت جبال ثم اوداء بها	طى ابتهاج فى الذ مسير
يعدو بنا الشوق المبرح للذى	فيه الجدود ثووا طوال دهور
حيث استفاض الدين منهم مشرقا	كالشمس تشرق فى طفاوة نور
حيث المنابع صافيات للهدى	والرشد صين من الهوى بالسور
حيث استتب اساس اصلاح لكـ	ل المكرمات مشهر ماثور
عمل له الاخلاص مصفاة وما	اسماء من عمل لهم مشكور
شهدت لهم طرق اشادوا حولها	ماكان خير مشيد مذكور

كانت معاشي ليس تسلم غيرها
 لله منك الهمة القعساء يسا
 علما لعصرك كنت ثمت خلفت
 فكذا يكون الصالحون وهكذا
 زدت الكرامة والتشرف والرضا
 وتقفت الإبناء ما رسمت لهم

فإذا بها ضمنت صدور العير
 من كان مثل التاج في أيمن
 أيديك ما يبقى طوال عصور
 تشذى مناقبهم من المسطور
 ممن يدير دواليب المقدور
 أيديك من عمل رضى مبرور

هذا آخر ما يتعلق بجدنا الأعلى عبدالله بن سعيد رحمه الله ورضى عنه



سیدی احمد بن عبد الله الاغی

نحو ۱۰۰۰ھ نحو ۱۰۸۰ھ

نسبه

احمد بن عبد الله بن سعید بن حسین بن یبوردک •
هذا ولد من اولاد جدنا الاکبر الذی قرأت ترجمته ؛ وقد رایت ان له اربعة
بنین هذا منهم ؛ وهذا هو جدنا آل الغ ؛ ومن نسله انتشر صلاح کثیر وعلم
غزیر ؛ ولكننا لم نعلم ایضا من اخباره علی الحقيقة الا بعض تنف تلقفنا
بعضها من السنة المحدثین والا بعض امور توصلنا بها من اثناء تلك الوثائق
التي قرأتها معنا ؛ ومن رسوم أخرى لانطیل بسوقها •

رايت فيما تقدم ان والدته هی زینب الکرسیفیة وان والده زوجه نحو
سنة ۱۰۲۳ ھ بهریم بنت عبد الله بن عیسی البعقلی التي سافت الیه ذلك
الجهاز الذی ذکرنا انه ستمائة مثقال ؛ وهی ام ولده عبد الله بن احمد الذی
ستقرأ ایضا ترجمته فیما بعد ان شاء الله ؛ ثم انه تزوج ایضا بامرأة
أخری من آل (اغرابو) کما رایناه بخط الفقیه سیدی ابراهیم بن سلیمان؛
وهذه الاخرة هی ام اولاده کلهم ماعدا عبدالله الذی ولدته الاولى •

وكان صاحب الترجمة ساکنا فی مسکن والده بایمور حتی انتقل الی الغ
بسبب لانه رفقه کما لاندري ایفا کیف اختار هذه القرية التي هی الی
الصحراء المقفرة اقرب منها الی العمران ولم یقع الینا فی ذلك الا هذه
الحکایة التي اخذناها جزافا کما نلقیها الیک جزافا

یقولون ان سیدی احمد بن عبدالله جاء یوما علی حمارة له ؛ وقد جلا عن
ایمور فنزل فی سفح الجبل الشاهق فی شمالی الغ ؛ فاجتمع علیه هنالك
الوقفاویون والابغشانیون والتاکانزیون والحربیلیون الایغیون ؛ فصارت کل
قبيلة تقترح علیه ان یسرفها بالنزول بین ظهرانیهما وانها قائمة به احسن قیام
فاتبذ الشیخ عنهم فصار رؤساء القبائل یتجاذبون الحدیث حول ذلك ؛
وکل یرید ان یستبد بالشیخ ؛ ولكنهم حین لم یتفقوا بمجاذبة الکلام ؛ شاور
بعضهم بعضا ؛ وکادوا یمیلون الی امتشاق الحسام لولا ان اسرع الیههم ذلك
السید المتنبذ عنهم فهداهم ؛ وربط علی قلوبهم بهیئته ؛ فامر باقامة صلاة
العصر ؛ وكان وقتها حائنا ؛ فاصطفوا وراءه ؛ وقد نبذوا ما هم فیهِ ؛ فمکادت

الصلاة تنقضى حتى علت في جنوبي مصلاتهم ذاك ؛ طلقنا من البارود تترى
 مشى فالتفت اليهم -وقد سلم من الصلاة- فقال لهم ماذا ؟ فقبل له ان هناك
 في قرية دو كادير رجلا صالحا كان مريضا . ولعله توفي الآن - والعادة ان
 الطلقين لا تتابعان كذلك الا اذا حدث امر غير عادى فقال لهم ان الاولى بسنا
 الان ان نعتنم اجر الصلاة على هذا الرجل الصالح اولا ؛ ثم بعد ذلك ننظر فيما
 اختلفتم فيه ؛ فقام يقدم ذلك الجماء الفقير ؛ فواروا الرجل الصالح سيدى
 احمد الفقير -وهو اسم ذلك السيد المتوفى اذ ذاك ثم لما نفخت الايدي من
 القبر وتمت سنة التعزية التفت الشيخ الى الحاضرين فقال لهم : انسى
 نازل في هذه القرية المتوسطة بينكم جميعا ؛ فكون كاني نازل بين ظهراني كل
 قبيل منكم ؛ فرضى من حضر بذلك ؛ وتفرقوا على احسن حال ثم ان ذلك
 المصلى الذى صليت فيه العصر ؛ لا يزال يسمى الى الان (اكن تناكرين) ويقولون
 انه سمي بذلك اضافة لتلك الصلاة العصرية التى صلت فيه اذ ذاك
 (شعب العصر)

ويقولون ايضا ان ذلك الصالح المتوفى سيدى احمد الفقير كان اهل القرية
 الحريليون الذين آووه للتبرك به وللتيمن بوجوده بين ظهرانيهم ؛ قالوا
 له وهو مختصر وهم حوله يبيكون لمن تركنا وراءك ياسيدنا ؟ فاننا سنصبح
 بعدك في مضيعة اذ نعدم منك مرشدا بارشاده نهتدى في السبل ؛ فقال لهم
 لا عائله لاتضيعون ؛ فلاندفون احمد الفقير حتى ياتى اليكم الله باحمد آخر .
 هذه هى الحكاية المتداولة المتواترة التى تذكر سببا لسكنى صاحب
 الترجمة في هذه القرية ؛ ونحن لانرى في كل هذه الحكاية ما يعد مستغربا
 بل كلها في دائرة الامكان ؛ وان كنا نرى في بعض حواشيتها ذيو لا ممانعه
 مثله في الاساطير ولكن التاريخ فلما يسلم من امثال هذه الاهداب المذهبة
 للمساءة

هكذا استقبلت قرية دو كادير هذا الرجل المبارك الذى يقود اليها بحماره
 من الصلاح والعلم والدين والعمران مالا يقوده كثيرون ممن يقبلون الى
 مكان بجياد جرد عتاق .

تلقى الحريليون اصحاب القرية ضيفهم بكلتا البيدين واستهلوا فرحا
 باختياره قريتهم الضئيلة دون تلك القبائل التى كادت تتناحر دونه ؛ فقاموا
 بقضهم وقضيضهم فبنوا دارة ؛ وافسحوا له في مزارعهم وحقولهم . فعينوا
 له مواضع منها ؛ فاستقر باولاده في القرية ؛ وطاب له المقام ؛ ولا شك انه
 باتباعه عن ذوى رحمة باليوم يجد سعة وفسحة مما لا يمكن أن يجدهما بين ذوى
 رحمة ؛ ورحم الله عمر الذى كتب الى ابي موسى قل لذوى القربى يتزاودون
 ولا يتجاوزون

ثم ان هناك حكاية اخرى تؤثر بعد ان استقر صاحب الترجمة بسداده

الجديدة وبعد ان رأى من جيرانه الجدد اكبارا واحتراما ؛ لايبراهما لوكان لايزال بايمور ؛ او ليس انهم اسسوا له منزلا بين منازلهم ؛ وجعلوا له حقولا ومزارع بين حقولهم ومزارعهم غير انهم بعد شهور كثيرة ؛ صاروا - كما يحكى الحكاؤون - يشاهدون منه مصائب تصيب بهائهم وماشيتهم ؛ فكل بهيمة اوشاة افلتت الى حقوله او مزارعه لاتقلتها مصيبة عاجلة ؛ ففكر بذلك مرات ؛ حتى انتدى اهل القرية يوما ؛ فاجالوا القداح بينهم لعلهم يقعون على دواء فقال ذو رأى منهم ان هذا السيد مادام يصاب ولايصيب ؛ وتقلت ماشية الناس الى حقوله ؛ ولاماشية له هو تقلت الى حقول الناس لايزال الامر كما ترونه ؛ والدواء الوحيد ان تجعلوا له ماشية كما لكم ماشية فلا بد ان تقع ايضا ماشيته فى حقولكم ومزارعكم غلطا ؛ فقتساوى الكفتان فيزول ما ترونه لامحالة ؛ فاتبع اهل القرية رأى هذا الرجل الخبير ؛ فجمعوا ما بينهم صرمة من غنم ساقوها الى الشيخ ؛ فانقطعت تلك المصائب ؛ وعادت المواشى الى عاداتها ؛ فلم يسمع بعد بضرر الم بها ؛ هذا ما يحكى نسمعه لك ايها القارئ الكريم ؛ كما اسمعنا من هم اكبر منى ومنك ؛ ولك الخيار فى القبول والرد وما على انا كمورخ الا ان ابلغه اياك .

اخبرني العم ابراهيم بن احمد ان الجد سيدى احمد بن عبدالله ؛ كان فى عمره كله لا يهتم بتاثير الاملاك من جديد بعد ماورثه عن ابيه ؛ قال ولم نرله رسما واحدا فى ذلك ؛ بل ماكان يهتم باقامة الزاوية بالغ ؛ يحمل الناس الى الانحياش اليها ؛ ولم يثاثر كل هذه الاملاك التى بايدى احفاده ؛ ولا اقسام الزاوية وشانها كما ينبغي ؛ الا ولده على بن احمد ؛ واما والده احمد فقد تبلى بما تيسر مكتفيا بذلك ؛ منحاشا الى المسكنة والانقباض ؛ هذا معنى ما قاله العم ؛ وكان هو وحده من صار اليه خبر من مضى من أهلنا ؛ وحين كان بهذه المثابة ؛ وكانت هذه شهادته فى صاحب الترجمة فلنكتف بها

رايت انه تزوج نحو سنة ١٠٢٣هـ والغالب ان يكون فى ذلك الوقت ابن عشرين اوفوقها بقليل او تحتها بقليل ؛ ولذلك حزننا ولادته بسنة ١٠٠٠ وهذا هو الغالب ان يتزوج فيه الناس ؛ وان امكن ان يكون اكبر من هذا ؛ وان تكون ولادته قبل الالف ؛ وان كان الغالب ما حزننا لانه اصغر من اخويه محمد وبلقاسم كما قيل وقد عرفنا انه أُمى لا يشتغل بالقراءة التى يتأخر بها الزواج فى الغالب بهذه البلاد ؛ واما وفاته فلانكاد نهتدى الى وقتها ؛ ولم نجد على ذلك الا ما يفيدنا الوهم فقط ؛ فقد راينا ولده عبد الله فى رسم كتب سنة ١٠٦٣هـ ينادى فيه على من كان تحت ايديهم متخلف امه مريم بنت عبد الله بن عيسى البعيلى وقد توفيت اذ ذاك كما دل عليه ذلك الرسم قمنا ثم لم يذكر فى ذلك الرقم ما يشعر بان والده توفى اذ ذاك ؛ وكذلك راينا لآخيه

محمد بن عبدالله بن سعيد ايضا رسما آخر كتب سنة ١٠٧٨هـ يشهد فيه اخوه محمد انه اقبض اخاه احمد بن عبد الله صاحب الترجمة - بعض ما كان لزوجته مريم في ايام والده - ولم يتعرض فيه لوفاة سيدى احمد؛ بل الذى يتوهمه منه القارىء انه لايزال حيا اذ ذاك وان هذا الرسم كتب فى مقابلته ولكن هذا انما هو وهم فقط؛ ويا كان فلم نهتد الى وقت وفاته تحقيقا واطنا الا ما كان من العلم ابراهيم ؛ فانه ذكر ان وفاته فى آخر العشرة الثامنة؛ ولذلك رايتنا وضعنا رقم الوفاة نحو ١٠٨٠هـ

ثم ان هناك حكاية اخرى ان ثبتت فان وفاته تتأخر ايضا عن سنة ١٠٨٠هـ وهى ان بعض المسنين ممن يجولون فى الاخبار حكى لى ان السلطان مولانا الرشيد مر بالغ بعد ما قوض دولة ايلغ وشنت شملها ؛ فطاف بجانب صاحب الترجمة بنىء - ولم يستحضر ذلك كما هو - فانس منه مصيبة حملته على تحسين ظنه به ؛ واكبار مقامه .

هذا ما حكاه لى هذا المسن فانصح هذا فان وفاته وراء رجب من سنة ١٠٨١هـ لان الرشيد القى كلكله على ايلغ فى ربيع النبوى - كما وجدته مقيدا فربض فيها اربعة اشهر حتى خرب دار بودميعة ؛ ولم يدع فيها حجرا على حجر ؛ ولا سقفا قائما ؛ ولا بابا فى محله ؛ فيكون رحيله فى شهر رجب من هذه السنة ان حسبنا الاربعة اشهر ؛ فيكون مروره بالغ فى طريقه الى تارودانت فى اثناء هذا الشهر . هذا ما يمكن لنا قوله فى حين وفاته ؛ وذلك كما ترى وهم فى وهم ولم نخرج بعد كل هذا البحث الا بمثل ما دخلنا به من الشك فلو شاعت هذه الحكاية الاخيرة شيوعا يستثير الظن لان كانا عليها فى طريقنا الى هذا الحزر ؛ ولكن كفى بها ضعفا اننى لم اسمعها الا من واحد من غير أهلنا ولصاحب الترجمة من الاولاد (١) عبد الله المذكور (٢) محمد (٣) على (٤) ابراهيم (٥) مسعود (٦) الحسن (٧) موسى . فاما موسى ومسعود فلا عقب لهما ؛ واما الحسن فقد عدا عليه اخوه ابراهيم وقتله فى ايام والده ؛ فخلف الحسن عقبا يسكن اليوم بايمور ؛ ولكونهم لم يرثوا جدهم صاحب الترجمة بسبب اعمامهم الذين حجبوهم ؛ لا يذكرون فى اولاد الشيخ ؛ ولا يتناولون من ندور مشهده حتى نسى انهم من اعقاب صاحب الترجمة .

ومن العجب ان العلم الذى هو ماهو فى انسابنا ؛ ومن املائه كتبت فى غير هذا الكتاب (١) جميع اعقاب صاحب الترجمة الى اليوم؛ لم يعرف عن هؤلاء انهم من اولاد الحسن بن احمد ؛ حتى نبهه الى ذلك ولده الاستاذ عبد الله بن ابراهيم ؛ استاذ مدرسة ايمور اليوم .

واما الباقي من اولاد الشيخ ؛ فهم (١) عبد الله (٢) محمد (٣) على (٤) ابراهيم فاعقبوا كلهم خيرا كثيرا .

سیدی محمد بن عبد الله

نحو ۹۸۰ھ نحو ۱۰۶۰ھ

هو اكبر اولاد الشيخ سیدی عبد الله بن سعيد ؛ ويذكر ايضا بالصلاح
وقد استقر في جهة (كاور) وله دار في كاور وفي (تالات غزيفن) وفي اكادير
(ازرى) ولا يزال الناس يرون من ضريحه حيث مشهده في (كاور) ما يدل على
ان له روحانية عجيبة ؛ ولها احوال غريبة ؛ وتقام عليه حفلات سنوية الى اليوم
وله اولاد كثيرون ؛ عقبهم اليوم في (اكادير ازرى) وفي (تركا اخضر) وفي
ايت (بوصحيب) ؛ (ادبران) وبعض اهل (اكرض افير) وفي (تاكانزا) وفي
(انويدير) وفي (تأحواوات) وفي (دوتمنروت) بـ (أيت وقفا) وفي (ايمور)
وهم انمى من أبناء عميهم احمد وبلقاسم



سیدی علی بن احمد الالغی

نحو ۱۰۵۰ھ بعد ۱۱۳۰ھ

نسبہ

علی بن احمد بن عبد الله بن سعید بن حسین بن یبورد .
کنت رایت فی ترجمۃ والدہ انه لم یزد علی ان انتقل الی الغ ؛ ولم یتائل
فیه مزرعة جدیدة بالشراء ؛ وانما اکتفی بما یدرہ علیہ ماتصدق بہ آل القرۃ
ولایزال حقل کبیر حول هضبة (اوسایک) ینسب لہ الی الان ویسمی اودری
ولعلہ هو الذی تصدق علیہ بہ من الحربیین ؛ کما لانزال دارہ الی اسہا
لہ من تلقوا نزولہ بینہم بکلنا الیدین ؛ مشہورۃ الی الان

خلف صاحب الترجمة والدہ ؛ فوجد لاهلہ امامہ ذیلا ممدودا من الاحترام
من جیرانہ ؛ فانم الله علیہ نعمتہ ؛ فزادہ شرفا الی شرف ؛ وقد کان آل
(تاکانزا) جلوا عن وطنہم بسبب ما ؛ فاستردہم الیہ بوجاہتہ ؛ وکان مقامہ
عند الحربیین مقاما کبیرا ؛ وسترى فی بطاقة کتبہا الیہ عبدالرحمن الساموکی
فی شان آل سیدی احمد الفقیر - وقد نشرناہا فی ترجمۃ هذا الابیۃ - ذلک
الخطاب العظیم الذی یخاطبہ بہ امغار قبیلۃ ساموکن ؛ وقد وافقت ایامہ
العصر الاسماعیل الممتد ما بین ۱۰۸۲ ھ الی ۱۱۳۹ ھ فقد مر بنا فی رجمۃ
الجد ما یدل علی ان هناك ظہائر اسماعیلیۃ لہذہ الاسرۃ ؛ ولانشک فی ان علیا
هذا هو الذی تلقاہا ؛ لانہ رئیس الاسرۃ السعیدیۃ ؛ الی کان لہا فی زمنہ
مقام سام بین جیرانہا ؛ وقد وقفت علی رسوم صدقات کثیرۃ ؛ من الحربیین
الساموکیین وغیرہم لزایوۃ صاحب الترجمة ؛ وان کان جل ذلک کلہ منسوباً
لوالدہ ؛ لیتأتی لاخوانہ اجمعین أن یتوصلوا منہ بحظ ؛ وهذا مما یدل علی سمو
نفس ، وعلو ہمۃ ، وسلامۃ سریرۃ ؛ قال العم ابراہیم : ان ہذہ المعاریف (۱)
التي تقام علی مشہد سیدی احمد بن عبد الله من آل (ادای) و (تاجارمونٹ)
وامتضی و(تاکانزا) وغیرہم انما تنافس هؤلاء بها طلبا لعلو الشان ؛ کما
طابت ایضا نفوسہم بحب وثمار بکیل معلوم علی کل اسرۃ ؛ یعینون بہ
سنویا الزایوۃ الالغیۃ ؛ قال : وهو الذی حمی اکادیر نیت علی لآل مریبض ؛ وعین

(۱) حفلات الطعام العامة علی مشاہد المعتقدین والمفرد معروف .

لهم صنجة يزنون بها ومكيالا يكتالون به ؛ ودعا لهم فيه بالبركة ؛ ثم لم يزل ذلك معمولاً به الى سنوات الاحتلال حين حدث الكيلو والعبرة الفرنسيان منذ عام ١٣٥٤ هـ وهو الذى حمى بسببه زاوية والده سيدى أحمد الالغية هذه ؛ والمساكن التى يسكنها صاحب الترجمة ازاءها ؛ وهاك رسماً مصححاً من تصحيف فى عبارته :

اتفقت جماعة اهل الجرفه الحربليون - وهم آل (تاكازرا) وجماعة بنى وفقاً وجماعة آل ايفشان ؛ على المصالح فى زاوية الشيخ الولي الصالح المرحوم بالله السيد احمد بن عبد الله بن سعيد المرباط بنظاهرين اصلاً ووجاراً ؛ وفى دار بنه السيد على بن احمد بن عبد الله على امر السراق وغيرهم مما لا يلىق بين المسلمين ؛ فجميع من سرق شيئاً فى هرى الشيخ وفى دار ابنه المذكور يعطى لضمان قبيلته اثني عشر مثقالاً ؛ كما يعطى السارقون من الحصون ؛ ومن سرق شيئاً ايضاً فى حوزة حرم الشيخ وساحته وفى حرم الدار يعطى ايضاً مثقالاً واحداً ؛ اتفقوا كلهم على ذلك اتفاقاً كلياً برضاهم رضا تاماً ؛ فكل من حام حول ذلك الحمى فلا يلوم من الانفسه ؛ فى رجب ١١٣٠ هـ محمد بن محمد ابن عبد الله بن يوسف بن حسين الميمونى الايسى ومحمد بن احمد بن ابى القاسم بن عبد الله من النسب اه بعد ما اصلحت فيه كلمات وهذبت عبارات

وهكذا تعينت الزاوية العليا وصارت لها حرمة رسمية بين جيرانها؛ فياويع من حدثته نفسه ان تمتد يده الى شئ منها ؛ ثم لا يزال الحال على ذلك الى زمن الاحتلال ١٣٥٢

كانت دار سيدى احمد بن عبد الله مبنية فى القرية السليمانية ؛ وهى لانزال الى الان شاخصة ؛ ثم لما دفن سيدى احمد فى دار البرج كما كان اذ ذاك يسمى ؛ وبنى عليه مشهد ازاءه مسجد ؛ بنى صاحب الترجمة داره ازاء المشهد ؛ واتخذها دار سكناه ؛ واختار تلك السعة لئلا يضيق على اخوته فى مساكنهم فى القرية السليمانية ؛ ولا يضيقوا عليه ؛ وهذا المشهد وتلك الدار هما اللذان رايت من الوثيقة المتقدمة ما جعلته لهما القبائل الالغية من الحرمة

اكتت لانزال تذكر تلك الوثيقة الكبرى المتقدمة فى ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد اتنى وقعها ثمانية عشر عالماً ؛ انها كتبت فى ايام صاحب الترجمة ؛ ويقلب على الظن أنه هو الذى طلبها منهم ؛ وانهم ما وصفوا من ذرية الشيخ عبد الله بن سعيد الا ما رواه من هذا السيد صاحب الترجمة ؛ وبذلك نستدل على ان له فى مصالح المسلمين سعيًا حثيثاً متواصلًا حتى يصح لـه الانصاف بتلك الاوصاف العلية التى وصف بها خلف الشيخ ابن سعيد فى تلك الوثيقة .

ثم ان لصاحب الترجمة اربعة اولاد (١) بلقاسم (٢) محمد (٣) احمد (٤)

عبد الله ؛ وكلهم اغقبوا بعده كما سيمربك فيمن يصلح ان يذكر منهم ان شاء الله .

ثم اننا رمزنا لوفاة صاحب الترجمة بانها وقعت بعد سنة ١١٣٠ هـ والذي حملنا على ذلك ماتبيناه من التاريخ الذي في تلك الوثيقة المتقدمة ؛ ثم انه في سنة ١١٥٣ هـ لم يكن والله اعلم حيا ؛ لانك رايت فيما كتبناه تحت رقم ٥٠- من الظواهر الملحقة بترجمة الجدة ان الذي حضر هناك ولده احمد بن علي مع بنى عمه ؛ والغالب انه اذ ذاك لم يعيش بعد ؛ او كان شيخا كبيرا لا يقدر على السفر ؛ والله اعلم .

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١٠٥٠ هـ فيشمل ذلك العقد الخامس والسادس من القرن الحادى ؛ توهما ذلك لما رايناه من تصدره على اخوته ؛ وتولييه الزاوية بينهم ؛ وشفوفه عليهم مع وجودهم ؛ والغالب ان لا يكون كذلك الا اذا كان من كبارهم ؛ ولانستحضر الان ترتيب اولاد سيدى احمد بن عبد الله فى السن ؛ لنعلم منزلته بينهم ؛ وان كنا نستشف وراء ما يهر بين ايدينا ان اخاء عبد الله بن احمد اكبر من على هذا ؛ ثم على ؛ ثم باقى اخوته وكيفما كان ؛ فالذى يظهر لنا ان ولادته فى نحو ١٠٥٠ هـ ان لم تكن قبل ذلك بكثير . هذا ما امكن لنا فيما يتعلق بسيدى على بن احمد رحمه الله ورضى عنه .



سیدی عبد الله بن احمد الاغی

نحو ۱۰۴۰ھ بعد ۱۱۰۲ھ

نسبہ

عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .
كنت يوما اطالع الطبقات للحضيكي ؛ فوجدت فيها في ترجمة سيدي محمد
ابن محمد الحضيكي صنو جد المؤلف ما يأتي .
واخبرني الفاضل الولي الصالح عمنا الشيخ السيد محمد الغساني انه
بات عنده مرة هو والرجل الصالح عبد الله بن احمد حفيد الولي سيدي عبد
الله بن سعيد التظهري ؛ قال فعقدنا النية على زيارة صالحی (أسا) من
ناحية الصحراء فلما كنا بالطريق اشتھينا الطعام والفاكهة فقلت لهما اما اننا
فما معی شيء ولكن تركت المزود في دارى معلقا على الوتد ؛ فمن قدر ان ياتينا
به منكما فليفعل ؛ قال فقام الفقير محمد الحضيكي ؛ فقال باسم الله فاخذه
براس عكازه وهو لا يبرح من مكانه ؛ ونحن جلوس فاكلنا ؛ فلما رجعنا من
زيارتنا وقع لنا مثل ذلك .

اذن كان سيدي عبد الله بن احمد ممن اشتهر في عصره بما يشتهر به
العباد والصالحون في العادة من اصحاب الكرامات ؛ فقد افادتنا هذه الحكاية
انه ممن يقن به انه قد تخرق له العادة ؛ فاردت ان اشفع ذلك بما لعله يعرف
عنه بين اهلينا ؛ فسالت جهينة اخبارنا : العم ابراهيم ؛ فذكر انه كان مشهورا
بالصلاح والعبادة والتسك والقناعة بما تيسر في عصره ؛ ولم يؤثر عنه
الاهتبال بتاثير الاملاك كما اثر عن اخوته ؛ وقد اشتغل بخويصة نفسه
وباستقلال ما ورثه عن ابيه وامه ؛ قلت انني وقفت على رسوم تبريحات
متعددة له حول ماصار اليه من ارث ابيه وامه ينادى فيها على من اعتمرها
من آله ؛ وللاختصار لم نجلبها الى القارئ وقد وقفت ايضا بين الرسوم على
بطاقة بخط الاستاذ القاضي سيدي عبد المؤمن بن محمد الايفساني ؛ وهي هذه
كتبت فيها شهادة لبعضهم

(اعترفت زوجة ولدي عبد الله وهي حواء بنت علي بن الحسن الحريلية ؛
واقرت على ان ما وضعته بوجه الامانة بيد المربط سيدي عبد الله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد التهاى من ايمور ؛ من ثوبين قبضت جميعها ؛ وانها لم

تضع غيرهما عنده ؛ وبه كتب برسم الاشهاد عنها بذلك في تاريخ ١١٠٢ هـ
عبد المؤمن بن محمد بن علي بن محمد وفقه الله بمنه .

تتأمل هذه البطاقة فنفهم منها ان صاحب الترجمة كان مقصودا بالودائع
وان امانته اهله ؛ لذلك ؛ ثم نفهم ايضا انه كان لا يزال حيا في هذا التاريخ ؛
لان الغالب ان هذا الابراء لو كتب بعد وفاته ؛ لترحم عليه كاتبه ؛ كما هي
العادة ؛ ولذلك رمزنا لزمان وفاته بعد هذه السنة كما رمزنا لولادته بنحو
١٠٤٠ هـ لان هناك في رسوم تبريحاته ما هو مورخ برجب سنة ١٠٦٣ هـ
والغالب انه لا يتولى ذلك بنفسه الا من له ما فوق عقدين ؛ ولا يتم رشده في
العادة الا بذلك ؛ وامه مريم بنت عبد الله توفيت قبل ١٠٦٣ هـ لاننا راينا
قام يتطلب اذ ذاك بمتخلفها وحفظها بين اخوتها .

ويظهر من حائه انه وان كان في سمة الصالحين ؛ كان مشتغلا باقامة
اسباب معاشه ؛ ذائدا عن حفظه يدكل من يمتد اليه ؛ وكونه لم يشتر هـر
بنفسه شيئا كما قال العم ؛ لا ينافي هذا وهذه الحكاية بنفسها هي حالة حياة
مرا بطينا ؛ دين وصلاح في ضمنه الكد وراء الحلال ؛ لئلا تمتد يدهم في فاقة
الى استجداء

واستف ترب الارض كيلا يرى له علي من الطول امرؤ متطول

حكي العم انه لما اظل اجله ؛ اقترح على اهله ان يزيروه قبر جده بايمور
فحملوه وهو مريض ؛ فباتوا به في قرية (سلات) فاجتمع اليه اهل القرية ؛
فطلب منهم في آخر المجلس ان يتفضلوا بحمل قنطرة من قريتهم الى ايمور ؛
فما اصبح الصباح ؛ حتى فاظت نفسه ؛ فكان هو القنطرة المحمولة على ايدي
اهل (سلات) الى ايمور ؛ فدفن ازاء قبر الجد ؛ رحم الله الجميع

ولصاحب الترجمة من الاولاد ثلاثة سليمان وصالح ؛ وحسين ؛ وكلهم
اعقبوا غير حسين الذي مات عزبا ؛ وسترى بحول الله ترجمته فيما بعد



سيدي حسين بن عبد الله اللاغى

من اهل القرن الثانى عشر

نسبه

حسين بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبوركا .
هذا من اولاد المتقدم ؛ وتوثر عنه بركة ؛ وكان سيدى الحاج عبلا بن صالح
يرفع من شأنه ؛ والناس كذلك يقصدون ضريحه ، بالزيارات والندود ؛ خصوصا
من كان ذا ارب فى النسل ؛ فانهم يرون انه مجرب لذلك ؛ وذكر العم انه
مات عزبا عن غير عقب ؛ ولذلك يستأثر عصبته بنو صالح بما ذبح على قبره
وهو من اهل القرن الثانى عشر ؛ ولم نعرف عنه غير ذلك الآن .



سيدي احمد بن علي الالغري

قبل ١١٠٠ هـ بعد ١١٥٢

نسبه :

احمد بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

كان والده علي بن احمد رئيس الزاوية الالغية ؛ كما قرأت ذلك في ترجمته ثم بعده تولاهما احمد هذا ؛ ولكنه كما يظهر ليس له من خصال جدوده الا انه يجول في مسلاتهم ؛ ولم يؤثر عنه اي شيء ؛ كانه لم ينحدر من تلك الاصلاص التي تركت افعال اصحابها دويا لايزال يدوي الى الآن ؛ واطنه كان كثير من ابناء الصالحين من ارباب الزوايا ؛ ورث جاها وحرمة واعتقادا ؛ فاراد ان يستقلها من غير عمل جديد يضع به لبنة في الجدار ؛ وكفى من خموله اني لم اسمع به بذكر الا في الوثيقة التي وضعناها تحت رقم هـ - في ترجمة الجد وهو احد الثلاثة الذين ذكروا فيها ؛ والا في خبر سقط الى ايضا اخيرا ؛ وذلك ان بعضهم ذكر في معرض حروب بعقيلة ومجاط ؛ ان بعقيلة علا كعبها مرة على مجاط ؛ وصاروا يتوصلون منهم بالاناة على راس كل سنة فسافر امغار علي بن باها بمجاط الى (تامانارت) ليمتار لاهله تمرا ؛ ولكنه طرق اذنه من ملعب التامانارتين اشعار شلحية من النظامين ؛ يخزون مجاط باسفاف الهم وموت النفوس حين جعلهم البعقيليون مطايا ذلا يمتطونهم كيف يشاءون فلم يطق امغار علي ان يصبر بعد ؛ وقد استشرت منه النخوة ؛ وجرح من الشعور جرحا يتدفق دماء حارة ؛ ففارق (تامانارت) من غير ان يتذكر الحاجة التي ورد بسببها فمر برئيس زاوية الغ وهو صاحب الترجمة فكشف له عن عجره وبجره ؛ وقال له ادع لي ؛ فاني انوي مغامرة ؛ فاما القبر واما الله فداه سيدي احمد علي ان ياتي الامر من بابه ؛ فامره ان لا يستبد بذلك عز رئيس ايلخ - ولعله احمد بن محمد بن بودميعة الايلغي اوولده سيدي يع وهو آنذاك كما استرد شان ايلخ وجالت يده من جديد بين القبائل ؛ وكان متواه ملتقى عاما ؛ وندوة للرؤساء متى ارادوا ان يترأوا في اموره ما يريدونه من المصالح ؛ وقد تقلصت ايضا ذبول الحكومة منذ توفي مولاه اسماعيل ؛ وكانت يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله ؛ لا تطل ايضا على هذه القبائل .

ذهب امغار على بن باها ؛ ففاوض الرئيس الايليغى ؛ وقال له اننا لانصبر بعد لاداء هذه الاتاوات باى وجه ؛ واننا لمناجزون بعقيلة حتى نردهم عنا وعن حرماننا صاغرين ؛ فقال له الرئيس ماهكذا ياسعد تورد الابل ؟ وماهكذا تناس الامور ؟

ان الحيلة فى مثل هذا - وقد استشرتني ووضعت فى ثقتك - افضل لما ترمى اليه والتدرج اسهل واقرب الى السلامة ؛ اذهبوا الى اصحابكم واطلبوا منهم ان يتجاوزوا لكم عن هذه الاتاوة فى هذه السنة ؛ وتطلبوا عذراتلفقونه لهم ؛ ثم عدوهم ان توفهم السنة القادمة اتاوة سنتين فى واحدة ؛ فيستلبون اذ ذاك مشاورتي ؛ فسارمى بحجرى معكم ؛ واستحسن ذلك ؛ فهكذا فعلت مجاط فقالت لها بعقيلة سننظر فى ذلك ؛ ثم نرد اليكم رينا الاخير ؛ فقالوا فيما بينهم ليس عندنا مانبرم حتى نراجع الايليغى فالقوا اليه الحديث ؛ فقال لابس بالنظرة ان استعسر اصحابكم فهى اولى من مغالبة لاندرون فيها من الانتصار ؛ فقال ذو راي من بعقيلة ان هذا امر تدبر لبيل ؛ وما طلب تاخير هذه الاتاوة فى هذه السنة الا علامة ان القوم بدا لهم راي آخر ؛ وعزيمة جديدة ليزيلوا بها هاماتهم من تحت ايدينا ؛ قال الحاكم فكان ذلك اول ما انفكت مجاط فى ذلك العهد من بعقيلة ؛ بمعاونة الرئيس الايليغى ؛ وببركة مشاورة سيدى احمد بن على اوسيدى يحيى ثم كان ذلك ايضا اول افتراق بين ايليغى وبن بعقيلة ثم امتد آخر الدهر ؛ ثم ان بعقيلة آنست من اصحابها تمرا ؛ ورفع الجاه مما يدل على ان رفع الاتاوة فى تلك السنة معناه قد انتهى ذلنا منذ هذه السنة ؛ قال فصارت بعقيلة تقتل لمجاط فى الذروة والغارب ؛ وتربص بها يوما يمكن ان تصبحها فيه بقارة ملحاح لاتبقى ولاتذر .

كان فى (وانكيسا) رجل يلقب (بزم) وكان من روساء بعقيلة ؛ فصارىختلف الى (ازغار) كانه يخطب هناك امرأة ؛ وهو فى السرية كبرى يجتاح بها (تيزلى) ففى مرة ذهب مع روساء امثاله كانهم ياتون بالعروس ؛ فامر بطعن ذرع كثير وخبزه ؛ ففى وسط ليلة جاء ومن معه يقدمون آل ازغار ؛ ثم يجرون كل من مروا به من البعقيليين ؛ وقد تعرضت بقال موقرة خبزا فى ثنية هناك ؛ فتناول من الاخباذ التى فيها ماتت من المغاوير الاشداء خبزة خبزة وعند انشاق الفجر ؛ كان الجيش يتجاوز التخوم ؛ ويخوض فى بجوحة (تيزلى) وقد طاف النهب والقتل بالاموال والنفوس ؛ فما متع النهار حتى تجاوزت الطلائع تازامورت ومجاط فى دهش المبغوت يتظايرون فرارا امام هذه القارة الشعواء ؛ حتى تلاحقت جماعات من مجاط فى (كراما) فتواقفت هناك ؛ ثم صمدت للبعقيليين الذين اكتسحوا كل ما امامهم ؛ فواقفهم ساعة ثم هبت نسمة من النصر لمجاط ؛ فمالوا على الآخرين ؛ وهم مقترون بما نالوه

صباحا ؛ فاقبلوا عليهم قتلا واسرا ؛ حتى ان فارسا قتل بالسلاح الابيض م
(كراما) الى بسيط وانكيسا ٢٧ رجلا ؛ وقد انجلت الوقعة بتشتت شمل
المغيرين ؛ وقد سقط منهم ٢٨٠ قتيلًا ؛ ثم انضافت وانكيسا كلها الى مجاز
وصارت تخوم بلادها فى اكادير تنزكتن ؛ وقد وضعوا فيه حرسا كثيرا
لم يزل الامر كذلك حتى كاد لهم البعقيليون بعد سنة بوقعة اخرى خر مس
المجاطيين فيها ٢٠٠ من حرس ذلك الحصن ؛ فاستردت بعقيلة وانكيس
هذه هى الحكاية برمتها ؛ وقد ذكر من حكى لى - وهو ممن يعرفون مايقولون
انها مكتوبة هكذا عند بعض رجالات وانكيسا ٠

ثم ان سيدى احمد ان ثبت ان له فى هذا العهد هذا الذكر؛ فذلك يدل على ان
طال عمره بعد اوائل القرن الثانى عشر ؛ لان هذه الحكاية - ان صح انها
وقعت فى ايام الرئيس احمد بن محمد الايليغى ؛ ولم تقع فى زمن سيدى يع
ولده او فى زمن سيدى على حفيده - يظهر انها تاخرت عن سنة ١١٥٢ هـ والا
اعلم

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١١٠٠ هـ لاننا راينا انه هو الاكبر مس
اخوته لتولييه امر الزاوية بينهم ؛ وتلك هى العادة المتبعة ؛ وقولنا نحو كذا فى
امثال هذه المواضع نقصد به العشرة التى قبل والتى بعد او اكثر من ذلك .
وقد خلف صاحب الترجمة رحمه الله ثلاثة اولاد (١) الحسن (٢) محمد
(٣) بلقاسم



سيدي عبد الله بن موسى الاوخصري

نحو ١١٠٠ هـ بعد ١١٠٢ هـ

نسبه

عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد .

هذا هو جد بعض آل اكادير ايزرى ؛ وجده محمد بن عبد الله بن سعيد كان له ملك في قرية (كاور) بمجاط ؛ فانحاز اليه عن ايمور ؛ فوافاه هناك بجله وقبره هناك مزاردة مقصودة الى اليوم ؛ وهو جد آل اكادير ايزرى ؛ وقد اعقب اولادا منهم موسى والد صاحب الترجمة .

كنت رايت في الوثيقة الخامسة من ملحقات ترجمة الجد ذكره مع سيدي احمد بن علي ؛ ومع سيدي صالح بن عبد الله بن احمد فظهر بذلك انه من تبار الاسرة السعيدية اذ ذاك ومن وجهائها المذكورين ؛ لانه لايقف في امثال تلك المواقف الا الرجال المتفوقون في الاسر .

سالت عنه العم ؛ فقال لي انه من افذاذ رجالنا ؛ وممن عضوا بالنواجذ على التراث السعدي ؛ وماهو الا الاقبال على ارشاد العباد ونصحهم والتفاني في مصالحهم ؛ مع اقبال في نفسه على ربه ؛ مجتنباً للاسفاف الذي يبتلى به ابناء الزوايا ؛ وقد كانت له سمعة وصيت في عصره ؛ واعتقاد من الناس يسوقهم الى انتياب حضرته ويوثر عنه من الاحوال ما تشنف به المسامع فبهذه الحلي حلاه العم حفظه الله .

ثم ان له دارا اتخذها في قرية تاركا اوخخير التي نسبنا اليها ؛ فحبب له سكناها فهناك قضى ما شاء الله من عمره حتى توفي ؛ وقبره مزاردة عند اهل تلك الجهة ؛ ويقيمون عليه حفلة طعام في راس كل سنة ؛ وهو من لدات سيدي احمد بن علي المتقدم ؛ ولذلك رقمنا له في الولادة والوفاة بما رقمنا به لذلك .

وله عقب كثير كما ذكرناه من آل اكادير ايزرى رحمه الله .

سیدی

ابراهيم بن بلقاسم التاكانزی

قبل ۱۰۹۰ هـ - ۳ - ۱۱۵۸ هـ

نسبه

ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد *

ابن عم المتقدم ؛ وكان بلقاسم من اولاد سيدى محمد بن عبد الله بن سعيد وله
هو خمسة اولاد (۱) ابراهيم صاحب الترجمة (۲) عبد الله ؛ وهو جد
المرايطين السعیدین الساکنین بقرية (دوتمنروت) بايت وفقا (۳) محمد بن
بلقاسم ؛ جد مرايطى قرية انويدير (۴) الحسن جد مرايطى قرية تاحواوان
(۵) على انقطع عقبه بعدما انتشر فى قرية انويدير *

ابراهيم هذا رجل صالح مذكور فى عصره وبعده ؛ وان كانت شهرته لم
تصل شهرة ابناء اعمامه الاخيرين ؛ كان متوطنا اولاً فى قرية انويدير فبقى هناك
ماشاء الله ؛ وقد نشأ له اولاد ؛ من بينهم ولده على ؛ وكان يرعى غنم اهله
فتاور مرة رجلا امنوزيا تعدى عليه ؛ فاذا بالمرايط استاسد على ذلك المعتدى
فكان الله فى عونہ ؛ فمزق احشاءه بطعنة ؛ فاجفل والده باسرتة عن تلك
القرية التى بنيت فى نحر امانوز وقد خاف على ولده الامانوزيين الذين لا
يعرفون المعتدى من المعتدى عليه ؛ ولا يعرفون الا ان ولدهم قتل ؛ فلا بد ان
يقتلوا قاتله ؛ فمر بقرية تاكانزا ؛ فطلب منه اهلها ان يحط رحله بين
ظهرايهم ؛ ثم لايمس جانبه ماس باصبع ؛ فنزل هناك وقد تحول بكل مايملكه
ثم ان ولده عليا الذى اسكرته خمرة الغرارة ؛ لايزال يتناوب الخ ؛ ولا يحسب
حسابا للامانوزيين ؛ فذهب به والده الى قرية اخواله آل قرية اكرض افقر
فزوجه هناك ؛ قصد ابعاده عن بسيط الخ ؛ وقد كانت زوجة صاحب الترجمة
بنات داود بن الفقير احمد بن داود بن يوسف الحرييل التى ستقرأ
ترجمته ان شاء الله فيما ياتى

ثم ان سيدى ابراهيم بقى بين ظهراىى التاكانزيين الكرام مبعجلا محترما
موقرا ؛ الى ان التحق بربه فى ذلك التاريخ ؛ وتونر عنه احوال سننية مما
نعرف امثالها من ابناء عمه الابرار ؛ وقد اعقب سنة ذكور •

(١) على (٢) بلقاسم (٣) محمد (٤) محمد (٥) صالح (٦) الحسن •

فاما محمد «ضما» فمات عن غير عقب ؛ واما محمد «فتحا» وصالح والحسن
فبعد ان انتشر لهم عقب انقرض ؛ فلاديار منهم اليوم ؛ واما على وبلقاسم
فمنهما انتشر ما انتشر ؛ ومن آل على كان الاستاذ سيدى على بن صالح الافريرى
الذى ستقرأ ترجمته ان شاء الله فيما ياتى ؛ وهو الذى افادنا ترجمة جده هذا
واوقفنا على تاريخه جزاه الله خيرا •

ثم انه دفن فى تاكانزا فى مقبرة (تافراوت او كادير) ؛ وتقام له حفلتان
طعاميتان على راس كل سنة حفلة من اولاده ؛ وحفلة من الذين اكرموا مثواه
فى حياته ؛ ثم لم ينسوه بعد وفاته رحمه الله •



سیدی بلقاسم بن علي التیمیوتی الالغی

من اواسط القرن الثاني عشر الى اواخره

---o---o---o---

نسبه

بلقاسم بن علی بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن بيورك .
كان لسیدی علی بن احمد المتقدم اربعة اولاد تقدم منهم احمد وهذا اخوهم
بلقاسم واما محمد وعبد الله فلم يؤثر عنهما ما يذكران به .

بلقاسم هذا صنو عمه عبد الله مبداء ؛ فكلاهما يؤثر عنه الصلاح والانزواء
الى استصوف ؛ والذي يظهر لي من حال صاحب الترجمة ان له مقاما ربما اوفي
على مقام عمه وقد ادركت ذلك من اخبار تنهال على من اهلينا ؛ وقد اُخبر
ان ينتبذ عن قرية اهله ؛ فنزل في (تیمیوت) وهو اول من اختط ديارهم هناك ثم
اورثها اولاده ؛ والغالب انه كان اشترى هناك اولاً من اهل الكجكال الذين لهم
اوساط بسيط الخ ؛ قبل ان يبعوها لمرابطينا هؤلاء ولكن بعدهم ؛ ثم تحقق
عندى انهم وهبوا له تلك البقعة ؛ فيكون ملكه هناك سبب نقلته عن قرية
اهله ؛ وهناك حكاية مهلهلة مما يلهج بامثالها في امثال صاحب الترجمة ؛ ولي
سبب نقلته تقول

انه طاف به امر امر وكره شديد من قرية اهله ؛ فصار ينادى الاوليا
ليمنظروا في حاله ؛ وليختاروا له مسكنا ملائما ينتقل اليه ؛ فاكثروا من
الاستغاثة بهم اكثارا ؛ ثم انه طلع لجبل ايفشان الشاهق وهو ملتقى الاوليا
فيما يقال - ثم صار ينادى بأعلى صوته ؛ اين انتم يارجال الاغاثة فاني في
ضيق وكره شديدین ؛ ثم اهوى براسه مضطجعا ؛ فوقف عليه بعضهم مناما
او يقظة فيما يزعمه بعض من حكى لي ؛ فقال له اهذا انت ؟ اهكذا يرقد من
كان مجزونا ويرفع صوته بالاستغاثة بنا ؟ قم لاريك مسكنك الجديد ؛ فاداه
موضع قرية تيمیوت ؛ كانه نقطة متلائة في وسط هذا البسيط ؛ قال فكان
ذلك هو اول ما تنبه الي سكنائها ؛ فبنى داره ومسجده في بقعة وهيها له
الاكجكاليون ؛ ولايزال هؤلاء يتداولون ذكر هذه الهبة الى الان . ثم استقر
القرار ؛ وطابت له السكنى ؛ ووجد هناك فسحة في قلبه وداره ؛ ماكان ليجد

مثلها في قرية دو كدير ؛ حيث بنو ابيه مقيمون ؛ يتزاحمون على ما خلفه ابوهم سيدى على ؛ وهناك حجر معلوم في جدار داره الاصلية يتبرك به الناس ويقولون ان احد الاولياء ؛ هو الذى اعطاه له ليضعه في داره ؛ وهو ظاهر في وجه الجدار المقابل لمسجده الذى اسسه ازاء داره ؛ وقد فتح اليها بابا من المسجد

ذكر العلم ان صاحب الترجمة كان ساكنا في هذه الدار التي بالقرية السليمانية وهي دار كان والده على بناها قبل ان ينتقل الى مستقره الاخير بالزاوية العليا ازاء والده سيدى احمد بن عبد الله ؛ وهي بنفسها مسكن سيدى محمد بن ابراهيم السلامي - وستاتي ترجمته - ولا تزال في ملك اولاد صاحب الترجمة الى الان ؛ وقد ابوا ان يبيعوها بعدما خوطبوا بذلك مرارا حافظوا عليها اثر ا خالدا من آثار جدهم هذا ؛ وذكر ايضا من احواله انه صاحب خمول وديانة ؛ وافناء الاوقات كلها في الاذكار فكان ذلك مما شهره حتى صارت الوجوه تلتفت اليه ؛ لانهم يعرفون منه ما يعرفون من آباءه السالفين .

اقول يجوز في ظني ان صاحب الترجمة ؛ مامال الى الانزواء في ذلك المسكن الجديد ؛ الا انه رآى من ابناء ابيه مشيا آخر غير ما يعتاد من اسرتهم الكريمة من عهد الجد الاعلى ؛ فيحفزه ذلك الى ان ينتبه عنهم كل الانتباه والله اعلم .

ثم اننا لم نتيقن بل لم نصل ولو بوهم الى وقت ولادته ولاوفاته؛ وانما يعرف انه ممن عاش في اواسط القرن الثاني عشر ؛ وانه توفي في اواخره .

وقد ظن العم ان وفاته تكون قبل ١١٧٠ هـ وعند الله علم ذلك .

وقد اعقب اربعة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) عبد الله (٤) ابراهيم وكلهم اعقبوا الا الاخير ؛ فقد انقطع عقبه بعدما انتشر ؛ رحم الله الجميع .

وقد وقفت على ان محمد بن بلقاسم المذكور توفي يوم الجمعة ١١-١١ عام ١٢٤٧ هـ وعلى وفيات بعض اولاده ؛ وهم مريم بنت محمد توفيت ليلة الاثنين ١١-٦-١٢٣٢ هـ واحمد بن محمد بن بلقاسم عند الظهر في يوم الثلاثاء ١٨-١١-١٢٤٠ هـ ومحمد بن محمد بن بلقاسم في السبت ١٣-١٢- عام ١٢٦٠ هـ وولد هذا عبد الله بن محمد بن محمد بن بلقاسم في الاربعاء ٢-١٢ عام ١٢٠٤ هـ وامرأة محمد بن بلقاسم المذكور فاطمة بنت ابراهيم في الثلاثاء ١٨-٢-١٢٦١ هـ .

وقفت على هذه الوفيات في طرة دليل الغيرات لهذه الاسرة ؛ فجمعتها هنا لفائدتها .

سيدي احمد بن بلقاسم التيميموتي

نحو ١١٥٠ هـ - بعد ١٢٤٥ هـ

نسبه

احمد بن بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن ببور
هذا ولد سيدي بلقاسم المتقدم ؛ وهو من رجال الخ في اوائل القرن
الثالث عشر ومن رجال الصلاح الذين تضرب اليهم اكباد الابن من مرابطينا
في ذلك العهد ؛ ورث من ابيه تالدا من الشهرة والاحترام ؛ فزاد هو مجدا
طارفا اشتهرت به قرية تيسوت الحديثة اشتهارا ؛ وكان ابوه يرتفع شأنه بمقدار
ما يحبه هو من الخمول ؛ ويتطير صيته كلما امعن تحت ذيل الانزواء ؛ فجاء
ولده فتلقى مكانة والده هذه بحالة حسنة ؛ وسريرة طيبة ؛ فكان من التابعين
له باحسان فارتفعت منزلته وعلا مقامه وكان له من المظهر الصالح الهادي
للدن الذي يجول فيه ما يستحق به ان تتخذ عتبة بابه متعلق الانظار ؛ وله
مع ذلك غرائب صدرت منه في عصره ؛ وراى برهانها منه الناس عيانا ؛ فسلموا
حاله ؛ وعلموا له منزلته .

هناك خوارق متعددة تتداولها الالسن ؛ ولما كنا في هذا الكتاب نتسكب
الاكتثار منها ما امكن ؛ لعدم تثبت الرواة ؛ اضربنا عن ذكرها صفحا ؛ الا ان
هناك واحدة اشتهرت كل الاشتهار ؛ حتى صارت تحت كل لسان ؛ وفي ضمن
كل اذن ؛ وقد تلقيت بالتواتر ؛ فرأينا ان نسوقها

كان لصاحب الترجمة غنم في مرتب ازاء (تاركاتنظام) وكان لاهل ذلك
الموطن تعال وقوة ؛ لا ينظرون بهما الى الضعفة كمرابطينا ؛ الا كما ينظر
المختال القوى الى خنفساء تعرضت امام قدمه في الطريق ؛ فعمد بعض رعااه
الى غنم هذا السيد ؛ وقد اقبلت للمورد فذاها عنه ظلما وعدوانا ؛ والماء
موجود ؛ والعين ثرارة ؛ وقد اصدر كل الرعاء ؛ فرجع الغنم بعطشه فبلغ
ذلك صاحب الترجمة فثار منه ما يثور من كل مظلوم ففرع الى الباب الذي لا
يفلق دون دعوات المظلومين ؛ فنفذ السهم واستجيب الدعوة ؛ فاصبحت عين
اولئك الطاغين غائصة ؛ لا تبض بعد بقطرة وقد بذلوا كل الجهود في حفرها
بعد ؛ فاصبح الماء واقفا لا يجري ؛ فدامت تلك العين اثرا خالدا من آثار دعوات
المستضعفين .

هذه حكاية صحيحة رويت بالتواتر ولا تزال العين ماثلة شاهدة لصاحب الترجمة بتلك الدعوة التي لم توصل ابواب السماء دونها

ثم انشر لسيدى احمد بن بلقاسم مال واولاد شيوخى ظل ذلك المجد الوريف فصار الشيطان ينزع بينهم وبين بنى سليمان معاصريهم فى قرية (دوكادير) فعدا عبد لصاحب الترجمة على ولد آل سليمان فارداه ؛ وكان ذلك نشأ بين الاسرتين لما بينهما من المعاصرة والقربى والغنى - والاقارب دائما كالعقارب ولا ينيك مثل خير - وقد وقعت على وثيقة فيها فصل هذه القضية بخط الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ابن الشيخ سيدى محمد بن احمد الحضيكي ؛ وهى هذه (وبعد فقد حضرنا وتوسطنا بين اخواننا سيدى احمد بن بلقاسم من ذرية الولى سيدى عبد الله بن سعيد التيطهايرينى من تيسوت ؛ وبين ابناء سيدى سليمان المرابطين من (تحت الحصن) ؛ منهم سيدى ابراهيم بن سليمان واخوانه وخالى احمد بن محمد بن سعيد وغيرهم فى شان المقتول من ابناء سيدى سليمان فاتفق رايهم على ان يقتلوا عبد سيدى احمد بن بلقاسم ؛ الذى قالوا انه هو القاتل له ؛ فاذا قتلوه انقطع نزاعهم وانفصل امر الثار المذكور ؛ وانجبر رايهم ولم يبق بينهم شئ من دعوى مال ولا غيره الا تهمتهم لاولاد سيدى احمد بن بلقاسم بانهم هو الامرون لعبيدهم بالقتل فمتى طلبوا منهم الحلف على نفسى دعواهم ؛ استخلفوهم ؛ طال الزمن او قصر ؛ وعلى هذا اتفق رايهم ؛ وتفاصيلوا فى ذلك ائقتل بذلك تفاصيلا صحيحا قاطعا ابدا مؤبدا واما ما كتبوه بينهم من العرف الفاسد بحضور بعض اولاد سيدى احمد بن موسى فلم يبق عليه الحال بينهم لكونه مخائفا طريق الشريعة المحمدية ؛ وكتبنا هذا بينهم فصلا قاطعا للنزاع بينهم بتاريخ اواخر ذى الحجة عام ١٢٤٥ هـ عبد ربه محمد بن عبد الله بن محمد الحضيكي بزواية الفلالى ؛ كان الله له)

اقول ان خوولة مرابطينا آل سليمان آل الحضيكي نشأت من ان مريم بنت محمد بن سليمان تزوجها آل الشيخ الحضيكي

امتحن صاحب الترجمة فى اواخر ايامه بهذه المحنة ؛ وكثيرا ما يمتحن الاصفياء بامثالها الا من عصمه الله ؛ فلاندرى كيف تلقاها ؛ وكيف تجلدا زاءها وان كنا نتيقن انه مغلوب فى آخر عمره باولاده ؛ فهم الموردون المصدرون ؛ النقم الشيطان عقولهم فقادهم الى ما ايس من الهوى ان ينفادوا اليه ؛ ولكن الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الحضيكي اغاث الله به الاسرتين السليمانية والقاسمية ؛ وهم يمتون اليه بخوولة ؛ فجبر الصدع ؛ واتى بحكمة القصاص وفى القصاص حياة عند اولى الالباب

ثم انك رايت لا يزال حيا سنة ١٢٤٥ هـ ثم لم تطل به الحياة بعد ذلك ؛ وقد قال العم انه توفى حوالى ١٢٦٠ هـ وكيفما كان ؛ انه لم يعيش بعد ١٢٦٠ هـ رحمه الله من رجل صالح لا يزال صيته يرن الى الآن ؛ وله من الاولاد المعقبين على ؛ ومحمد .

الفقيه سيدى سليمان بن محمد الالغى

نحو ١١٣٠ هـ - ٩-١١٩٩ هـ

نسب

سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا اول فقيه اعرفه من قبيلتنا السعيدية ؛ واول من بدا له ان يول وجهته مع قريبه الاتى ذكره سيدى احمد بن صالح شطر المعارف ؛ فانفتح بهما باب جديد لاهالينا لم يلبثوا بعد ان ازدحموا فى عتبته ازدحاما يأخذ فيه البعض بعنق البعض - فى لجة امسك فلانا عن فل -

كانت القبائل السملالية والايسية والتملية بل والايفثمانية ؛ يتالامها العلماء من ازمان ؛ واهلنا فى الغ فى نسك وعبادة وامية قد تجرف باللسان مابناه بالسيحة البنان واخيرا وفقت الاسرتان الصالحة والمحمدية الى ان يرسلوا اولادهم فى هذا الميدان ؛ فجاء سليمان بن محمد بن احمد ؛ واحمد بن صالح بن عبد الله بن احمد ؛ يحملان الى قومهما قبسا من العلوم ؛ فادركا به من الشماو مآظهر به للسعيديين الذين لا يعرفون الا الامية المتدنية ان للعلم شرفا خالدا ؛ ومجدا مؤثلا اكثر من شرف ما ورثوه عن آباءهم ؛ ومن المجد الذى عرفوه من قبل .

على ان صاحب الترجمة لم نقف من اوليته على شيء ؛ حين كان يتلقى القرآن ؛ وكدنا نجهل ايضا استاذه فى العلوم ؛ لو لم تهدنا الصدف الى مخطوط قال فيه (ذكر شيخنا سيدى مسعود بن محمد المرزكونى كذا) وكنت قبل ذلك وقفت على عقد نكاحه فوجدته مكتوبا بخط هذا الاستاذ سنة ١١٥٦ هـ ثم عرفنا ان هذا الاستاذ من اصحاب سيدى احمد بن ناصر ؛ وانه كان يدرس فى سملالة ؛ وقد تخرج به الاستاذ سيدى محمد بن الحسن التوغزيفتى الشهير ؛ فوضح الصبح حينئذ لدى عينين ؛ فعرفنا المنبع الذى استقى منه سليمان ؛ ومن اين تلقى تلك القبسة العلمية التى يتنورها جبران الغ بنظر عال

اذا كانت سنة الكون تتمشى على نظام واحد ؛ وعلما انه من المستحيل العادى وجود نبات بلا بذرة ؛ ووجود دخان بلا نار ؛ فلا بد كذلك ان ننظر ما هو الحامل لهذه الاسرة المحمدية - آل صاحب الترجمة - حتى مالوا بولدهم الى

المدرسة من بعد ان كانوا لا يعرفون عن اهلهم الا المسرح لسوائهم والمحرب لعبادتهم فلنقتس اذن- عن المرأة - كما يقول نابليون- لعنا نجد من ام سيدى سليمان ما يدعم لنا هذه السنة الكونية التى يذكر عنها انها لا تنخرم فيما يزعم راجعنا ذلك العقد الذى ذكرنا اولا انه محرر بقلم الاستاذ مسعود بن محمد المرزكونى السملالى فوجدنا اثناء ان ام صاحب الترجمة - وهى عائشة بنت الطالب الحسن بن على التوييتى- وهبت لابنيها سليمان هذا وصنوه سعيد كل ما كان لها مما يسمى مالا من املاك وحبوب وعقار وخرثى الدار ؛ ما كان لها حينئذ وما سيكون ؛ وكذلك جهازها وحفظها من ابوها ؛ وهبت لهما ذلك هبة تامة

اذن ام سليمان هى عائشة التوييتية ؛ وابوها هو الطالب الحسن بن على ؛ وقد كنا راينا فى الوثيقة الكبرى التى نشرناها فى اول ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد ؛ فقيها يسمى احمد بن على بن ابراهيم التوييتى ؛ فيكون اذن احمد هذا خال صاحب الترجمة ؛ ولذلك رايناه فى تلك الوثيقة اول من عقد فصولها ؛ ثم اتبعه العلماء الآخرون فهو حينئذ انما يشيد بذكر اصهاره ثم جاء عطف اولائك العلماء ينفى من التهم ما لعله يتوجس فى مثل هذه الشهادة اننى صدرت من هذا الفقيه لاصهاره فعائشة والدة سيدى سليمان هى التى ضرب عرقها فى ولدها ؛ فبزته الى اسرته لعلها ترى منه خلال خاله احمد بن على ؛ وشرفه العلمى ؛ اذن اتضح السبب ؛ وجاءت سنة الكون مدعمة بهذه النتيجة فسلیمان العالم انما ورث العلم عن اخواله ولعل الطالب الحسن بن على عالم ايضا ؛ والطالب اذ ذاك يطلق على العالم ؛ وقد عرفنا ذلك من قصة سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ حين قال ان اهل بلادنا لا يسمون العالم الا الطالب فلان ؛ لكن بعد اقرارنا له بالعلم ؛ ما مقدار غور علمه ؟ وما هى المكانة التى تبوأها من بين علماء عصره ؟ اما آثار قلمه التى رايتها فى الرسوم ومخطوطات القسمات ؛ وفى اثناء سؤال رايته رفعه الى عالم ذلك العصر سيدى احمد بن بلقاسم انكرسيفى المفتى المتوفى ١١٨٠ هـ فانها تدل على رقة فى العربية ؛ يتبين ذلك من ثانيا عباراته المهلهلة التى يتعثر فيها اليراع عشرة بعد عشرة ؛ واما منزلته فى عصره ؛ فهى منزلة متوسطة ؛ لانه لا بدلى بينهم لابلقاء ولا بالتدريس ؛ وكيف يظهر ؟ والاستاذ الحضيكى معاصره واقترانه الافاذ قد ازدحموا فى هذا الميدان فلا يجاريهم الاكل بازل قنعاس (١)

وابن اللبون اذا ما لرفى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس وانما الذى عرف به ان يتعاطى قسمة التركات؛ ويفصل ما بين الخصوم فى النوازل غير العويصة ؛ فقد اخبرت ان فى ايفشان ومجات وكل القبائل التى تحاذى الخ مخطوطات يده فى ذلك ؛ كما اخبرنى به العم حفظه الله ؛

(١) البازل الذى له تسع سنين والقنعاس بكسر القاف : العظيم من الابل

واما رسوم القرية وما اليها في ذلك العصر ؛ فتكاد تكون مقصورة عليه وعرف
 قريته سيدى احمد بن صالح الاتى ذكره فقد عجت سلات اهلينا بمخطوطاتهما
 وقد مرت بين يدى مرة سلة رسوم لاسرة فقيرة ؛ فرايت مخطوطات رسومه
 بين مافيهما كثيرا جدا ؛ وعلى ذلك فليقس ؛ وكان رحمه الله عدلا نبيا دينا
 مشهورا ببركة وصلاح ممزوجين بهذه القصة (١) من المعارف فتكونت له بذلك
 حلة ضافية ؛ وله مع ذلك ثروة لاتماثل بين اخوته ؛ وكانه بسببها انتشر له
 من الذكر ما انتشر ؛ فهو اول من اثل الاملاك بين المتأخرين في مختلف البلدان
 بالغ وبنامانات وغيرها ؛ ولا يزال اولاده الى الان يتوسعون فيها ؛ اثلها لهم
 مما اشترأه من الوفائيين ومن الجربيليين ؛ وبوادي تامانات ؛ وقد صار في
 زمنه بهذا العلم والمال والدين رجل الخ المقصود في آخر القرن الثاني عشر ؛
 بعد ان تناسى بعض ابناء عمه سيدى على بن احمد ما كان لايهم ولجدهم ؛
 فاقبلوا على الدنيا وحدها وكانت له زوجتان احدهما عائشة بنت عبد
 الرحمن بن محمد البقيلية التي عقد عليها سنة ١١٥٦ هـ فكان له منها فاطمة
 بنت سليمان المولودة في رمضان ١١٥٧ هـ ومحمد بن سليمان المولود وسط
 ربيع النبوى ١١٦٠ هـ واحمد بن سليمان -٣- من ربيع الاول ١١٦٣ هـ والزوجة
 الثانية ؛ فاطمة بنت احمد بن ابراهيم بن محمد الاسدرمى ؛ تزوج بها قبل
 ١١٦٧ هـ وكان الاولى ماتت اذ ذاك فولدت له عائشة في رجب ١١٦٧ هـ ومحمد
 بن سليمان ١٠-١٢-١١٦٩ هـ ومحمد الاول مات اذ ذاك ؛ ثم ولده الفقيه
 ابراهيم -١٦-٨-١١٧٨ هـ وسعيد بن سليمان وسط رجب ١١٨١ هـ واحمد
 ابن سليمان -٤-١٢-١١٨٣ هـ وكان احمد الاول مات اذ ذاك ثم سمي الثانى
 باسمه ؛ والله اعلم

نقلنا ولادات هؤلاء من خط صاحب الترجمة ؛ لنذكر منها ان اعتناق
 للمبدأ العلمى قد اماله الى الافادة بالقلم ؛ بعد ان كان اهلوه الاولون لا يعرفون
 كيف يقبضون القلم ؛ وقد توفي رحمه الله عن سن عالية ربما اوفت على ٨٠
 سنة بكثير وانما رقمنا لولادته بنحو ١١٣٠ هـ لاننا حين رايناه تزوج سنة
 ١١٥٦ هـ قدرنا انه اذ ذاك بعد ان مضى له دهر فى تلقى القرآن ؛ والتقلب فى
 المدارس لا يقل عمره على نحو ٢٤ سنة على ما هي عليه العادة المألوفة التى
 استمرت الى عصرنا فى تلك الجهة واما زمن وفاته فقد افادناه ولده سيدى
 ابراهيم رحمه الله ؛ وكندا نجهلها كما جهلنا كل وفيات من تقدم ؛ ولكن من
 أدخل الى داره اليراع ؛ وورثه بنيه فاول فائدة يستفيد منها هذه الفائدة
 التى ليست بقليلة ؛ وان جهلها كثيرون .

وممن اخذ عنهم المترجم الشيخ سيدى محمد بن يحيى الازاريفى المشهور
 هذا وباسم المترجم سميت القرية ايت سليمان ؛ وان كان فيها غير اولاده
 كابناء سعيد اخيه .

الفقيه ابراهيم بن سليمان

١١٧٨-٨٠١٦ هـ = نحو ١٢٦٣ هـ

نسبه

ابراهيم بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد .
لم نعته بالفقيه الا متابعة لصاحبه محمد بن ابراهيم السلامي ؛
فاننى رايته فى رسم وصفه بذلك وهو رفيقه الدائم ؛ ومجاوره المكاسر (١) ؛
ويدل ذلك بعض الدلالة على انه كان معروفاً بذلك الوصف فى عصره ؛ والوصف
بالفقيه فى بلادنا هذه يضمن به الناس ولا يكادون يضيفونه الا لمن يستحقه
حقيقة او ظناً ؛ وليست عادتنا كعادة احوال الحمراء وما وراءها حين يتدفق
هذا الوصف على كل من دب ودرج ؛ وعلى من مر بالمسجد ؛ وان لم يتقن حتى
حفظ الفاتحة ؛ مادام يجز الجبة والسلهام وعلى راسه عمامة كالمنسف (٢) .

لم نعرف من اولية صاحب الترجمة شيئاً بل حتى من اخرياته ؛ وكل
ما عرفناه انه من حفظة القرآن ولكن لم ندرك كيف تلقاه ؛ وهل سافر وراء
تجويده كما هي عادة بعض الناس ؛ او انما جوده فى القرية فقط ؛ وكذلك
عرفنا ان عنده قبضة من المعارف يستطيع بها قلمه ان تقل عثراته قلة ما ؛
ويمكن بها لاصحابه كابن ابراهيم السلامي ان يصفه بالفقيه ؛ ولكن لاندرى
من اين تعلم ؛ امن عند ابيه ؛ ام من عند الاستاذ سيدى محمد بن الحسن
التوغزيفتى خليفة استاذ والده سيدى مسعود المرزكونى بسملاية فسسى
التدريس ؛ وقد امتد عمر التوغزيفتى الى ما بعد ١٢١٢ هـ ام من عند تلاميذه
الخصيكي واولاده الذين يخوضون بحار العلوم فى المدرسة الفلالية بين سجر
الغ ونجره فى هذا الجين ؛ ام من عند عبد الله الجشتى التلى الذى مافارق
المدرسة الجشتية سنة ١١٩٦ هـ حتى خلف فيها استاذاً يسير على خطه فى
التدريس فهؤلاء وكثيرون من امثالهم من الاساتذة الكرسيفين وغيرهم من
رفعوا راية التدريس فى ذلك العصر ؛ فلاندرى بمن منهم اتصل صاحب
الترجمة ؛ فاقبىس علم الشركات ؛ وفصل بعض النوازل والقيام بتحرير كل
رسم فى القرية مع صاحبه سيدى صالح بن عبد الله الاتى ذكره ان شاء الله
ومع جاره السلامي الذى ستعرفه ايضا .

(١) الجار المكاسر الذى يسكن فى كسر دارك بكسر الكاف اى جانبها
(٢) المنسف بكسر الميم وفتح السين الغربال الكبير

اخبرني العم ان يده في معلوماته اقصر من يد والده ؛ ادرك عنه ذلك من محبرات يده التي رأى منها مات ؛ واما انا فلم يمكن لي ان ارى الا بضعة عشرات من تلك السلة التي ذكرتها في ترجمة والده .

ثم انه يشاع عنه وراء هذه المنزلة صلاح كثير وكشف وخوارق ؛ وكرم لكل من قصده ؛ فكانت هذه الخصال التي تجمعت فيه يدعم بعضها بعضا ؛ والكرم يحليها برواء براق من الثروة التي صارت اليه من بين ما خلفه والده ومما استجده هو ايضا فتحوطه تلك الخلال بسياج متين سميك

اخبرني بعض الناس ان بعض المسنين الذين ادركهم ؛ قال عهدي به في مسغبة والناس يتضورون جوعا ؛ والاملاء -وما اقلهم- اوصدوا ابوابهم دون رغبات المدقعين الراغبين ؛ وهو يظل وعليه سراويل سوداء يدور على قدور منصوبة عند باب داره تفور بالجزر اليابس والحفنات من الطعام ؛ وهو يناول كل من وقف عليه من ابناء السبيل حتى يفرغ ما في القدور دام على ذلك طوال تلك المسغبة ؛ وهذا ما امكن من الكرم في بلادنا الفقيرة

واخبرني آخر من مجاط انه كان مرة عندهم وهم يعتقدون فيه خيرا كثيرا ودعوة مستجابة ؛ فراثه امرأة منهم وشاهدت له بركة ؛ فبقيت بعد ذلك تذكره ؛ وهي التي اخبرت من حكى لي

واخبرت ايضا انه كان صاحب مرة معاصره سيدي صالح بن عبد الله الزاوي - الاتي - فزارا المقبرة العليا التي هي من آثار سيدي بلقاسم التسيوي وهو الذي استحدثها ودفن فيها زوجته أولا ؛ ثم دفن ازاها ثم تتابع الدفن فيها حتى اتسعت زارا من هناك ؛ ثم مشيا في غريبها حتى وصلا محل المدرسة اليوم ؛ فقال احدهما لصاحبه ماتسمع ؟ فقال اسمع قراءة ؛ ثم انحدا حتى وصلا ببر العنصر شمالي القرية السليمانية فقال ايضا احدهما لصاحبه ما تسمع ؟ فقال له اسمع اذكارا يجهر بها ؛ قال المخبر فهذا منهما كشف بالمدرسة والزاوية قبل ان تخرجنا الى الوجود باكثر من نصف قرن اقول ان هذا المخبر الذي اخبرني عدل ثقة ؛ ولكن اشك فيمن اخبره وهو لم يدرك الحادثة ؛ وقد انقطع سندها ؛ ثم انني لم اسمعها الا منه ؛ وهذا كله ماتندق به هذه الحكاية حتى تكون ارق من شعرة ؛ فلا تواتر ولا سند متصل ؛ فماذا يبقى بعد ؛ على ان امثال هذه الاخبار كثيرة ؛ تسيل بها السنة المحدثين ؛ وقد رايت وسمعت من مثل ذلك كثيرا ؛ فلو كان لهذه ما يثبت به امثالها لتلقيناها بكلنا اليدين فان الكشف طبيعة روحية تكون في بعض الناس متجلية اتم التجلي وربما كان ذلك في المسلمين وفي غيرهم ؛ ولذلك لايقبله اساطين ارباب هذا الفن الا بشاهدي كتاب وسنة ؛ وذلك لا يستبعد حصوله الا من كان غلف العقل وان كان يتظاهر بانه احق الناس ؛ ولكن لما كان الكذب والتقول في ذلك

كثيرا ينبغي ان لا يقبل ان لم يصدم الكتاب والسنة الا بعد الوقوع وقوعا صحيحا ؛ تحقيقا او ظنا قويا (ثم بعد كتيبي هذا وقفت على ما يؤيد تلك الحكاية من اقوال اناس آخرين مما يدل على شيوعها)

اتصل صاحب الترجمة بالقلم فيحرر رسوم القرية قبل وفاة والده سنة ١١٩٩ هـ كما رايت ذلك في رسم كتبه قبل هذه السنة بقليل ؛ ثم ادب على ذلك الى نيف وستين من القرن الماضي ؛ فوافاه اجله ؛ وقد فتشنا لعنا نجد مقيدا لبعض اولاده ينسب على وقت وفاته ؛ ولكننا لم نجده ؛ والعم يقول انه توفي نحو ١٢٦٣ هـ لان والدته (تكدا) بنت عدى (التي ستاتي ترجمتها) ادرسته حيا حين تزوجت الى الغ سنة ١٢٦٠ هـ ثم عاش بعد ذلك ؛ ولذلك رقمنا له بما ترى .

ولصاحب الترجمة ثلاثة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) والطيب ؛ وكلهم اعقبوا اولادا كثيرين بارك الله فيهم .

هذا فالترجم هو الحافر للبير في (تاغيا) سنة ١٢١٤ هـ وهي ملك للمرابطين للحريليين ؛ وقد وقع فيها خصام بينهم حوالى ١٣٦٢ هـ فادلى الاولون برسم شهد فيه الحريليون انفسهم اذ ذاك بان الحافر هو سيدى ابراهيم فى سنة ١٢١٤ هـ وذكروا القدر الذى انفقه فى الحفر ؛ وقد حكم فى القضية شيخنا سيدى الطاهر بن محمد ولكنه حين راى ماراى نبذ عنه الفصل فى القضية وهو يقول بلسان الحال : ربي وصلاتي



سيدي احمد بن صالح الالغي

قبل ١١٣٨ هـ - بعد ١١٨٥ هـ

نسبه

احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا قرين الفقيه سيدي سليمان بن محمد المتقدم وما اولاه ان يدعى بالفقيه ؛ ويوصف به مادام قرينه هذا يوصف به وصفتها واحدة ؛ ومجالتهما واحدة ؛ وقد طلعا على ابناء عبد الله بن سعيد بفجر جديد من انوار المعارف هي ابقي وادوم

عاشا معا يتقلبان في قسم التركات وفرض بعض النوازل ؛ يكتب احدهما فيعطف عليه الاخر ؛ وكان سيدي سليمان هو الذي له الصدارة ثم يليه احمد هذا ؛ فلا يزالان دائما كائفرقين

ذكرنا في ترجمة سيدي سليمان ان شيخه في العلوم التي عنده ؛ هو سيدي مسعود بن محمد المرزكوني ؛ فهل صاحبه هذا ايضا كذلك ؟ فاننا لم نقع الى الآن على ما نستدل به في هذه النقطة ؛ ولم اتصل بشيء من كتبه لعلني اقع على كلمة نفهم منها ما فهمناه من الكلمة التي وقفنا عليها لسيدي سليمان حتى اخباره لم اعرف منها الا ما ذكره لي العم من انه رديف سيدي سليمان في كل ما يزاوله ؛ وقد سالت شيخنا سيدي عبد الله بن محمد عنه لعله يفيدني فما زاد على ان قال انه راي في مخلفاته ما يدل على ان له يدا في الفرائض والحساب والهيئة ؛ ومشاركة قليلة من العربية والفقه ؛ فهذا كل ما نفصل عنه ؛ ثم لم يتيسر لي ان ارى من رسومه ومخطوطاته ما ادرك انا به بدوري ما لعله يخفى عن اولئك ؛ حتى مبتدأ حياته ومنتهاها لم ندر كيف هو ؛ وكل ما نعرفه انه معاصر لسيدي سليمان الذي كان حيا من نحو ١١٣٠ هـ الى ١١٩٩ هـ فلتلك المعاصرة رايت رقم الولادة مرقوما بما قبل ١١٣٨ هـ والوفاة بما بعد ١١٨٥ هـ فاحتطنا في زمن الولادة والوفاة

ولم يعقب الا من ولده عبد الله وحده رحم الله الجميع •

سیدی صالح بن عبد الله الزاوی

قبل ۱۲۱۰ ھ - نحو ۱۲۶۰ ھ

نسبه

صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
سیدی صالح کاسمه ؛ صلح هو ومن امتد منهم ؛ ومن امتدوا منه ؛ فقد
رايت ترجمة والد جده عبد الله بن احمد ؛ وما وصف به ؛ ويذكر مثل ذلك
الصلاح في جده صالح بن عبد الله وفي ابيه عبد الله بن صالح ؛ ولكن منعنا
ان نقردهما بترجمة اننا لانعرف عنهما الا هذا الوصف فقط ؛ وهذا الوصف
في الحقيقة كثير من اتصف به من اهلينا الى الان ؛ وشرطنا ان نعرف
للرجل ما يستحق ان يذكر له وراء صلاحه ؛ الا اذا كانت له شهرة بصلاحه
تلفت الانظار فاننا نعتني به بدورنا ؛ ونلتفت اليه ببصرنا ؛ وهل يراعى
المورخ الا ما يراه بصره ؟

حفظ صاحب الترجمة القرآن ؛ واتقن رواية المكي ؛ واستبصر شيئا
مما وراء ذلك فكان ممن يحرق بقلمه كل مانع من الرسوم وما اليها من اول
القرن الماضي الى وسطه وقد جرى ذكره في كلامنا على سیدی ابراهيم بن
سليمان وقد حكى عن سیدی صالح اخبات كثير وديانة ومسكنة ودعوة
مستجابة ؛ وكشف لايزال يذكر به تواتر عنه الى الان ؛ وكان قليل ذات اليد
فلا يملك الا حمارة وبقرة يحرث بهما فيجمع البركة التي تيسرت فيزيكها
فتنزل البركة ؛ فتكفيه ما تكفي مات الكثيرين ؛ حكى لي مجاطي عن مجاطقة
ان فلانا من كبار مجاطة سماه ؛ كان من رؤساء قومه ؛ فصادف مرة صاحب
الترجمة قد جمع من محصول فلاحته مقدار عشر غرائر ؛ فقال له ان هذا
لايكفيك مؤنة السنة فلماذا لا تكثر الفلاحة ؟ فقال له صاحب الترجمة وكم
تدخل انت من محصولك ؟ فقال ادخل المائة فاكثر فقال له: وما يدريك ان يتوقف
صاحب المائة على صاحب العشر ؟ فلما توسطت السنة ؛ ووصل وقت الحرث
احتاج المجاطي الى البذر ؛ فجاء اليه فيلسفه اياه ؛ وكثر ايضا تحدث الناس
بانه كان سنة ۱۲۵۵ ھ صباحا في متوضا مسجد الزاوية ؛ فاخبر من حضر

بغرق كثير فى وادى تامانارت ؛ وبعد يوم جاء الخبر بان سيلا جارقا حمل سقى تامانارت واجتث اشجارها ؛ وهذه الحكاية يتحدث بها الناس تحدثا كثيرا وقد كان تزوج امرأة من تاكشيشت بسملالة ؛ فولدت له ولده الحاج عبد الله وحده ؛ ثم لم يرزق سواه ؛ فبقى كذلك سنوات كثيرة ؛ فوفد عليه اصهاره يوما وقد عرفوا له مكانته من الصلاح ؛ وراوا ان يجبروا خاطره - فقالوا ان كان لك غرض فى زوجة اخرى ؛ فلا تمنعناك اختنا ؛ ولا الحياء منا ؛ فقد طينا نفسا بذلك ؛ فلا احب الينا من ان تعمّر هذه الدار ؛ فقال لهم ان جعل الله البركة فى عبد الله فانه يكفى ؛ فالعبرة بالبركة لا بالكثرة وان لم يجعل الله فيه البركة فماذا يجدى مائة من الاولاد ؟ فسرعان مايطوف الوباء الجارف فاذا هم لاعين ولا اثر فاعقب عبد الله وحده ؛ فكان منه الخير الطيب ؛ والنسل المنتشر المبارك •

كان سيدى صالح مقصودا فى عصره بالرقى والتمايم والدعوات ؛ معروفا بذلك فلا يخلو مكانه من الواردين ؛ وكان اذا رآى من اطال المكث عنده يقول ان اردت دعوة او تميمة اورقية فهاهى ذى عندي؛ وان اردت مائدة ممدودة وفراشا مبسوطا فعليك بسيدى ابراهيم بن سليمان ؛ يقول ذلك لان هذا غنى كريم ؛ موطوء العتبة بكرة وغشيا بالوارد والصادر •

سيدي

محمد بن احمد السعيدى

نحو ١٢١٥ هـ - ٢١٦ هـ

نسب

محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد
هذا جد والدى ومربيه ومعينه على حفظ القرآن ؛ كما سترى ذلك فى
ترجمته ان شاء الله ؛ وقد كان لوالده احمد وجاهة وذكر ومال ؛ ولكنه لا
يذكر الا بهذه الوجاهة وهى ما لا نعتبره فى اهلينا بالترجمة الخاصة ؛ ما لم يكن
معا صلاح مشهور او علم لان امثال هذه الوجاهات فى قبيلتنا وجاهات شخصية
لا تعدو نفع الاسرة ؛ ولا تجد القبيلة منها ظلا وريفا ولا تسمع منها كلمة نافذة
ولذلك اسقطنا شرطها فى اهلينا خاصة •

كان صاحب الترجمة ممن اتقن كتاب الله الكريم ؛ ومن اشتهر بصلاح
وبركة وشهرة وسطى لم تدرك شهرة معاصره سيدى صالح المتقدم الذكر ؛
وكان الناس يتناوبونه للرقى والتمائم والتطبيب خصوصا فى المرض الذى
يسمونه قطع اللحم ؛ فانه ممن اشتهر عنه مداواته ؛ وقد طال عمره كثيرا حتى
استوفى تسعين ؛ وله من الاولاد جدنا احمد الذى هو والدنا آل الشيخ ؛
واعمامنا ؛ ثم بعد سنتين لحق ايضا سيدى احمد بابيه ؛ وذلك سنة ١٢٩٨ هـ
وولادته نحو ١٢٣٠ هـ وقد خلف عمنا محمدا المتوفى ١٣٢٩ هـ وعمنا الحاج
عبد الله المتوفى فى الحجاز فى ذى الحجة سنة ١٣٠٥ هـ والشيخ الوالد الذى
سترى ترجمته ان شاء الله ؛ والعلم ابراهيم الذى افادنا جل مافى هذا الكتاب
وسترى ترجمته ؛ والعلم بلقاسم المتوفى ٦ ذى القعدة ١٣٦٦ هـ

فهؤلاء اولاد احمد بن محمد رحم الله الجميع والحقنا بهم مسلمين •

سيدى محمد بن بلقاسم التيديوتى

نحو ١٢٥٠ هـ - نحو ١٢٨٩ هـ

نسبه

محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
هذا اول فقيه علامة متمكن شهير نشأ بالغ من اهلينا بعد الفقيه سيدى
سليمان المتقدم فرقع راية الافتاء رفع من يخلق ويفرق ؛ ويقبل ويدبر ويترجم
معاصريه باكتاد العماليق الذين يكون لهم الخصل فى كل مسابقة ؛ والاستحواذ
فى كل مزدحم ؛ لولا انه سقط بقصر العمر دون المدى .

جاء الفقهاء المتقدمون سليمان بن محمد وابنه ابراهيم واحمد بن صالح
بعلاية يتبلغ بها ؛ وبفجر له نور ضئيل ؛ لم يشب ان ذهب بلا آثار باقية
ولا اخبار توثر فظهر انه الفجر الكاذب الذى يتعرض تعرض ذنب السرحان ؛
ثم لم يلبث ان تجيش عليه الدياجير فتغمره ؛ ثم جاء الفجر الصادق البين
الذى يتبين به الخيط الابيض من الخيط الاسود بصاحب الترجمة العلامة
الفهامة الفقيه المتمكن فى تفهم النوازل وفقها غاية التمكن ؛ فلم يلبث اصحاب
القضايا وارباب الخصومات ؛ ان سالت اليه بهم الا باطح ؛ وهو يقضى
ويحكم بما اراه الله ؛ وقد طار صيته بين فقهاء عصره فكاتبهم وكاتبوه ؛
وعرفوا له مكانته التى اطل منها مابين الاقران ؛ ثم بينما هو يتأهب فلكه للارساء
ويستعد للترجوع ؛ اذا به اعتبط او فر ما كان نشاطا واعلى ما كان شهرة فذهب
مبكيا على شبابه النضر ؛ وابقى ثلثة واسعة فى الخ اذا ابكت قلوب الاصدقاء
واشتمت افئدة الحساد ؛ وما اكثرهم فى كل عصر ولكن ان ذهب سيدى محمد
ابن بلقاسم ؛ فان الخ يتمخض عن علامة آخر سينزع نزعاً ينسى نزع ابن بلقاسم
ويرد البشر الى الذين سالت اعينهم دما بالرزء بصاحبهم هذا ؛ حتى تعود
الثغور كلها به بواسم وايام الخ به وبآثاره وبقا آثار معاصريه اعيلا ومواسم هكلا
جاء صاحب الترجمة كبرق اومض ؛ ثم لم يلبث ان تبعه خصب كثير ؛ او
كفجر صادق لم تنشب بعده الشمس ان طلعت فاستوت فى رابعة النهار
فلئن كان هو امضى حياته هذه القصيرة بين النوازل واربابها فقط ؛ فسياتي
من يضيف الى ذلك مجدا موثلا ؛ فيؤسس مدرسة يتدفق اليها الطلبة من كل

فج عميق .
 بداية صاحب الترجمة غامضة ؛ فلم ندر متقلبه في حين اخذه للقرآن ؛
 ومن هم أساتذته فيه ؛ وهل عمل الرحلة وراءه اولا ؛ وكذلك لاندرى عن
 شيخه الاستاذين محمد بن محمد المافاماني ومحمد بن محمد بووازي الساموكني
 وقد خاطب كل واحد منهما بشيخه ؛ اين اخذ منهما ؛ والاستاذ المافاماني
 كان في المدرسة الافشانية حوالي ١٢٧٠ هـ ماشاء الله سنوات كثيرة ؛ والاخر
 كان أيضا في مسجد (ايشوكاك) في أكادير ايزري ؛ فهل أخذ منهما في هذين
 المحلين او في غيرهما ؟ الجواب عن ذلك درج في غفلة التاريخ ؛ ولكن شيوخه
 الذين نعلمهم حقا ؛ ونراه لازمهم كل الملازمة هم آل اكشتم الحاج عبد الله بن
 عبد الرحمن واخوانه محمد والحاج احمد وربما اخذ ايضا عن والدهم شيخ
 الاسلام عبد الرحمن بن عبد الله الذي لايزال حيا يوم التحق بتلك المدرسة قبل
 ١٢٦٨ هـ فهؤلاء اشيائهم حقا المعروفون ؛ فلولا انه انتسب بالتلميذية للاستاذ
 ابن المافاماني والساموكني لما توهمنا انه عدا هؤلاء الجشتميين الى غيرهم .
 ثم اننا راجعنا كتبه التي خلفها ولا يزال اهله يحافظون على هذه الخزانة
 الى الان ؛ محافظة الضنين على درهمه الوحيد ؛ فراينا نسخ البهجة للسيوطي
 وانما بعد العصر بالسبت الثاني من شعبان ١٢٦٨ هـ والتاودي على الزقافية
 في الاثنين الثاني عشر من رمضان ١٢٦٨ هـ والاجوبة الروضية عن مسائل
 مرضية ؛ في المبيع بالنثيا والوصية ؛ والمقنع ؛ وشرح الزواوي والفقهيات
 للجشتميين والتاودي على التحفة ومتن الزواوي ؛ وكنز العربية شرح الاجرومية
 للصنهاجي وبعض شرح السلم ؛ والدردير على المختصر والازهرى على
 الاجرومية ؛ وابن كثيران (كذا) على ابن عاشر ؛ وابو الحسن على الرسالة ؛
 هذه كلها نسخها بيده وربما نسخ غيرها ؛ لان من ارسلته ورأى ذلك قال انه
 لم يتبع كتبه كل المتبع حتى يعرف ابقي وراء هذه من مخطوطاته شيء ام لا قال انه
 لم يورخ من منسوخاته الا التي ذكر تاريخها لاغير ؛ فمن هذا النسخ والصبر
 عليه تدرك همة الرجل واكبابه بكل ما في جهده على التحصيل ؛ فعين كانت
 كتب الدراسة تعوزه والمطبوعات اذ ذاك لما توجد في الاسواق للبيع ؛ ولا هناك
 خزائن يستعار منها اقبل على الانتساخ ؛ ولا تكون هذه الهمة الا في الافذاذ
 الذين يجعلون نصب اعينهم التحصيل .

كثيرا ما اسمع بعد رجوعي هذه المرة الى الخ بصاحب الترجمة واناخلو
 من علمه ومعرفة شأنه قبل ؛ فصرت ابحت عنه علني اصادف من ادركه ؛ او
 من عنده حقيقة خبره ؛ فلم اجد الا العم فنفض لي بعض مايتعلق به ؛ والاما
 كان من شيخ كبير السن من آله ؛ هو ابن اخيه فقال لي استحضرن انا صغير
 ارعى بهم (١) أسرتنا في سفع ربوة مشرفة على قريتنا ؛ والفصل فصل الربيع وقد

(١) البهم بفتح فسكون صغار الغنم

اتشمت الربا بالازهار وبرزت الارض في برد موشى قشيب ؛ فشاهدنا ونحن صبية صفار جنازة مضى بها اهل القرية فسمعنا من يقول انها للفقير سيدى محمد بن بلقاسم ؛ وقد ادركت من مباحثته ان تلك السنة ربما كانت ١٢٨٩م ثم حكى لى ايضا - وقد سألته عما يسمعه من عند اهله عنه - قيل لهذا الفقيه لماذا نرى المتخاصمين يتناطحون ويتشاكسون ويتراعى بعضهم على بعض ؛ فاذا جلسوا اليك لا يلبثون ان يرجعوا فى هدوء وسكون ؛ ماذا تصنع بهم حتى تفتر شرتهم ؛ وتسكن من حديثهم ؟ فقال اذا جلس المتخاصمان الى فلا يخلوان معا من احد امرين اما ان ينقادا معا لحكم الشريعة ؛ ويتبعان الحكم الذى احكم به عليهما ؛ فيقومان حامدين شاكرين ؛ وقد ادرك صاحب الغلط منهما غلظه واما ان بلد أحدهما والآخر ممن يتحمل الصبر ؛ فيستجيب منى ؛ فاننى أكلفه ان يتنازل عن بعض حقه فيخرجان راضيين معا ؛ فليل له ولما اذا كانا معا من ذوى الالداد ؛ وذوى الصمم عما تقول وممن لا يستجيب منك ولا يهتبل بمقامك ؛ فقال اذا كانا كذلك فاني اعالجهما بالتى هي احسن حتى اصرفهما عنى وكنل ما أطلبه منهما ان يهدءا حتى يتعدا عن مجلسى ؛ قلت هذه السياسة التى اوتيتها هى لاريب التى رفعت من شأنه ؛ واعلت من مقامه ؛ وأسألت اليه البطاح باعناق المطايا ؛ فان الاخلاق الحسنة ملاك العلم ونخاعه الذى به يقوم صلبه وكان من عادته انه يأخذ ممن له الحق حظا يتفاوضان عليه وقد ادرك مسن العلماء من يقولون ان قضاة البادية الذين لا يتوصلون بحقهم من بيت المال وقد انتصبوا للقضاء وبمضون فيه جل اوقاتهم فى مراجعة المسألة ومحاسبة وكتابة وتتمع الرسوم لا بد لهم من اجرة ؛ واولى دن يعطيها من صحت له القضية ؛ وفاز فيها ؛ هذا قول بعضهم (١) وللبعض الاخر كلام آخر ؛ وعلى تلك الطريقة يسير غالب علماء سوس ؛ وعلماء الغ قديما وحديثا ؛ ومن بينهم صاحب الترجمة ؛ فكان يفاوض فى ذلك صاحب الحق حتى يتراضيا على اجرة تطيب بها نفس المعطى وقد اخبرنى المسن ابن اخيه المذكور انه سمع ان بعض الوقاويين كان حكمه وصاحبا له فى قضية فحكم له وتوصل منه بما تراضيا عليه ثم ان الوقاوى راجع الفقيه فقال له اننا غلطنا فى الحساب حين ادفع لك اجرتك ؛ فقال الفقيه اننى تحققت ماتوصلت به منك ؛ ولم يجتز الى درهم واحد يزيد على ماتراضينا عليه ؛ فكان الوقاوى تناوله بكلمة مست شعوده فثار عليه فقال لتؤاخذنى بين يدى الله ان خنتك فى درهم واحد ؛ ولتقف فى باب الجنة ان قدرت حتى تصدنى بدانقك ان مر الى ؛ فطوى الوقاوى البساط ؛ وقد جد الجد وراى من الاستاذ انه لم يبق ذلك الم رابط الضعيف

(١) لعبد الرحمن الجشتى

لنا اسوة بالاقدمين شيوخنا فكم اخذوا اجر الفتاوى وقد اغلوا

المستكين - بعد ما اعلی العلم شأنه ؛ وارهف حده ؛ وازال الغشاوة عن بصيرته

أخال ان سيدى محمد بن بلقاسم فارق المدرسة الجشتيمية نحو ١٢٧٥هـ قبل السنة التى سافر فيها استاذة سيدى الحاج احمد الى الحج ؛ ثم انه مئذان لازم داره وانقطع عن الاخذ اقبل على فض النوازل ؛ وقسم التركات ؛ واجالة

قلم الفتوى وما اكثر مخطوطات يده فى ذلك ببلاد الوفقاويين والمجاطين والحرييليين ؛ وكان الذى يصاحبه غالبا سيدى الحاج عبد الله بن صالح ؛ وقد اخبرت انه هوالذى قسم املاك ايت اورعى ببغلاش ؛ اخبرنى بعض البغلاشيين المسنين بذلك ؛ وقال انه يستحضر ذلك الوقت وهو صبي صغير

ان اعجب مارايته لصاحب الترجمة اعتناؤه بتحرير المسائل ؛ فما تنزل بين يديه نازلة الا امعن فيها بل يشاور علماء عصره ليدلوا فيها بأرائهم فقد وقفت له على اسئلة يوجهها الى الاستاذ محمد بن محمد المافامانى ؛ والى الاستاذ محمد بن محمد بووازي الساموكنى ؛ ومعاصره الاستاذ الحاج ياسين والفقيه محمد بن صالح الساموكنى ؛ والى الاستاذ احمد بن على العركوبى ؛ والاستاذ محمد بن محمد الايسى الملقب هموش ؛ والاستاذ على بن محمد التوزونتى المجاطى التمهيدى شتى ؛ والاستاذ احمد بن محمد الايغرى التامانارتى والاستاذ سعيد الاساكى الافرانى وأشياخه الجشتيميين وربما كتب سوالاتا واحدا فى قضية واحدة ؛ ففرقه عليهم جميعا ليرى جواب كل ؛ وهذه همة الافذاذ الذين يودون ان يقفوا على الحقيقة ؛ وشيمة المنصفين الذين لا يتكبرون من ظهور جهلهم ولا يتعالمون على معاصريهم حتى لا يتنازلوا الى مساالتهم فى مسألة ؛ وكذلك رايت له ايضا مكاتبات بينه وبين الفقهاء سعيده بن على البريمى التازروالتى ؛ والاستاذ الحاج الحسين الافرانى ؛ وهذه بطاقة كتبها اليه هذا الاستاذ

ه وبعد فقد أذنت للفقهاء سيدى محمد بن بلقاسم التسيوتى سلاله سيدى عبد الله بن سعيد فى تنفيذ الحكم الذى ابرمه سيدى احمد بن محمد المنكبى -الايغرى- على محمد بن بلقاسم مطوس ؛ به علم الالقى بعد أن ألقى السلاح ولم يات بما ينفعه كتبه بأذنه فى ٢٣ من ذى الحجة عام ١٢٨٥ هـ عبد ربه الحسين ابن الحاج احمد بن الحاج بلقاسم الافرانى كان الله له وليا ونصيرا»

وهذا مايدلك على شهرة صاحب الترجمة بين معاصريه ؛ على قرب رؤوه بينهم فقد رايت فى مخاطبات بعضهم اليه اجالا واحتراما ؛ ثم ما زال صيته يدوى حتى وصل الخبر مسامع يعسوب هذه الجهة فى ذلك العصر ؛ الشريف الحسين بن هاشم الايليغى فاستحضره على بغلة مسرجة اتى بها عبيده ؛ فركبها وهو لابس خنيفا غليظا مما اعتيد لباسه فى الشتاء فى ذلك العهد ؛ وفى مدخل راسه التندى وراءه كتاب فقهى صاحبه معه هكذا تحكى حياته تعجبا لان المعتاد من العلماء تحسين الهيئة ؛ فتوى بايليغ فبعد أن رحب

به رب المثنوى سآله عن مسألة فقهية تتعلق بملك جرى فيه خلاف بينه وبين رئيس الجراردين امغار محمد بن على ؛ وقد كان علماء ايليج وهم كثيرون اذ ذاك افتوا بان الحق لسيدى الحسين ؛ ولكن اراد هذا ان يتثبت خوف ان يكون هؤلاء انما هبوا بالريح التى توافق خاطر صاحبهم فذكر له صاحب الترجمة ؛ وانه قوال للحق ؛ لايبالى باحد فلذلك استحضره فقال له مآظهر لك فى مسآنة صفتها كذا وكذا ؟ فاستمهله هذا الى الغد ؛ فراجع حتى عرف ماهنا لك ؛ وفى اليوم الثانى قال له الرئيس الق مسآلتك على هؤلاء العلماء فانهم قالوا فيها قولهم ؛ ثم انفل الرئيس عن المجلس ليترك الفراغ لمن اراد ان يبدى ما ظهر له بكل حرية ؛ فالتفت سيدى محمد بن بلقاسم الى العلماء فقال لهم انكم افتيتم فى هذه المسآلة بخلاف الحق ؛ اين انتم مما قال فلان ونص عليه فلان ؛ وقال فلان انه هو المشهور ؟ ثم ناقشهم فيما ذهبوا اليه فآطرقوا كلهم بعد ان قطعت جھيزة قول كل خطيب .

حضر الشريف فاعلن له ضيفه الحق فى المسآلة ؛ وان الملك انما هو للجرارى ؛ وليس له ؛ فآلقى سيدى الحسين على اذنا به من اولئك العلماء نظرة طويلة من النظرات التى يلقىها الانسان على من يعسف عن طريق الحق نزلفا اليه ؛ فكان ذلك لصاحب الترجمة كمذيع اذاع شهرته ثانيا الى عسان السماء ؛ ثم صار صاحب ايليج يرسل اليه فى الرمضانات لدرس الحديث المعهود ؛ الى ان انقضى اجله بسرعة .

هذه الحكاية سمعتها من اناس كثيرين فكانت لنا كالمجهر الذى نستقرب به ماتباعد عنا مما يتعلق به (ثم بعد هذا اتصلت باوراق كثيرة من مساءلاته للعلماء ومن فتاويه ؛ فبعد ان عزمى على سوق بعضها هنا ؛ رايت ان احيل القارئ اليها فى كتابنا -آثار فقهية للمتآخرين بالغ وغيره- فقد حشرنا فيها كل آثاره التى لاتعدو الفقهيآت ؛ لان الادباء الذين كتب لهم هذا الكتاب- لايسامحوننا ان سقنا بين ايديهم مسائل فقهية التى يعدونها - فيما يزعمون- من المستقالات)

كان الاستاذ التيبوتى اتصل بالجهتيمين كما رايت فى تواريخ نسخته لتلك الكتب قبل سنة ١٢٦٨ هـ اوفى تلك السنة بنفسها ؛ واخال انه اخذ عن المآفامانى والساموكنى قبل ان يتصل بالمدرسة الجشتيمية ؛ اخذ عنهما المبادئ والله اعلم . ثم قبل ١٢٨٠ هـ رجع موفورا مودعا من اساتذته الجشتيمين الى داره ؛ وقد وقفت على مقيد لآسرتة بينوا فيه مالكل من الاخوة ؛ وهويهم بينوا ذلك ليلتحق كل واحد بحظه متى شاء ؛ ثم بقى الشمل منهم بعد ذلك مجتمعا ؛ وكانت اسرة غنية تحدثت اليها الثروة ممن قبلها ؛ وقدرات فى ترجمة عمه الرجل الصالح سيدى احمد بن بلقاسم انه كان ثريا ؛ ولكن

الإخبار تحدث عن هذه الاسرة بغنى وافر اكثر مما يظن ؛ حتى انهم ذكروا لها عبيدا ومدخرات ومواشى كثيرة ؛ حتى ليقال اتفاقا ولدت - ١٠٠ - شاة فى يوم واحد ؛ ولا يخلو هذا من اغراق ؛ ولكن ذلك على كل حال يدل على ثروة خطيرة بحسب مقياس هذه البلاد الفقيرة التى يعد فيها من يملك اذلا كمائة ريال كرتشارد الاسرائيلى المشهور فى بلاد اوربا ؛ على ان ماناله الاستاذ من المكانة والشهرة بسرعة مما يشهد لذلك ؛ لان الناس عبيد المال فى كل عصر ؛ وكلمة من ملكه هى العليا دائما ؛ وقد اسس الفقيه من بين اسرته دارا خاصة به ؛ واثل املاكا جديدة من وراء ما يتوصل به فى قضائه ؛ فعزم على التزوج وقد اعد كل شئ اذا به مرض غير طويل الم به ؛ فلم يفارقه حتى اراحه القبر

وبعضنا قائل ما اغتاله احد وبعضنا ساكت لم يوت من حصر ووفاته فى نحو ١٢٨٩ هـ كما ذكره العم ابراهيم ؛ وكما تبين ايضا من حديث ابن اخيه المسن المتقدم ؛ وهو على كل حال لم يدرك جمادى الثانية من سنة ١٢٩٠ لانى رايت بطاقة فيها تحرير امة من اخوانه احمد وعبد الله ومحمد - فتحا - بخط الاستاذ افكان - وقد نشرناها فى ترجمته - فلم يذكر بينهم ؛ وقد اطلعت له على مورخ بسنة ١٢٨٦ هـ وقد تاخر عنه الفقيه الحاج على ابن عمه بسنوات ؛ كما اخبرنى به المسن المذكور ؛ فلذلك نرجح ان وفاته فى نحو تلك السنة ولو كان يورخ دائما مايكتبه لربما استدللنا لذلك بكثير مما رايناه له ؛ ولكن عمت البلوى منه ومن غيره من فقهاء هذه البلاد بعدم الاعتناء بالتاريخ الا فى الرسوم ولو كان ايضا يمكن لنا ان نتبع الرسوم المحررة بيده لربما امكنت مقارنة معرفة وقت وفاته ؛ ولكن اين من يعنى بذلك ؟ فياضعة الاعتناء ومدفنه فى قرية تسيوت فى المقبرة هناك ؛ وعليه بيت ؛ واما وقت ولادته فقد قررناها بنحو ١٢٥٠ هـ احتياطا والا فالغالب ان ولادته قبل بقليل ؛ وقد رايناه حين اتصل بالجستيمية سنة ١٢٦٨ هـ او قبلها كان حصل على بعض المبادئ حتى امكن له ان يعنى وينسخ ويكتب مايكتب فى آخر منسوخه ؛ والغالب انه اذ ذاك كان ابن نحو - ١٩ - سنة او اكثر ؛ وقلما يكون اقل فى نظر من اعتبر ما يتقلب به ابناء هذه البلاد قبل ان يشدوا ويدركوا هذا المدرك .

هذا ما امكن لنا ان نقوله عن الفقيه الاول بالغ سيدى محمد بن بلقاسم التسيوتى الذى ابتهجت به الخ حينما قصيرا ؛ ثم رزته سريعا ولم يخلف لها الا تلك الآثار الفقهية لا غير ؛ رحمه الله ؛ وجعله فى اعلى عليين

الحاج على التميميوتي

نحو ١٢٤٥ هـ - ٢٥ - ٤ - ١٢٩٨

تسببه

على بن محمد بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد هذا فقيه آخر من قرية تميموت ؛ وان كان لم يحظ بما حظى به ابن عمه سيدي محمد بن بلقاسم ؛ لتفوق ذلك عليه في المعلومات ولفارقته المدرسة ؛ ولتصدره في ميدان الشهرة ؛ ولاشك في ان آل بلقاسم ارادوا ان يزاحم اولادهم آل سليمان الذين كانوا اذ ذاك علماء الغ ؛ فمالوا باولادهم هؤلاء الى المدارس فحظى سيدي محمد بن بلقاسم ؛ وكبا الحاج على ابن عمه دون المدى

التحق بعد حفظه للقرآن بالمدرسة المولودية ؛ عند الاستاذ الحاج ياسين فبقى هناك ماشاء الله ؛ حتى حج مع استاذه ؛ ثم لم يزل رابضا بتلك المدرسة يتمصص من بعض معلومات الى ان زار اهله سنة ١٢٩٨ هـ فمرض فلحق بربه في وقت الصبح يوم الجمعة من غير ان ينزع بقوسه نزعا نعرف به متانة عضلاته ولا اخاله الا انه كان خديم استاذه الحاج ياسين ؛ لانه من القرين اليه .

حكى لي ذلك المسن التميميوتي السالف في الترجمة المتقدمة ؛ ان صاحب الترجمة كان كثر اللحية ؛ وقد ابيض نصف شعرات لحيته شيبا حين توفي ؛ قال وهو اكبر من ابن عمه المتقدم ؛ وقد حكى كيف احتضر ؛ وان القرقرة وسكرة الموت اشتدتا عليه حتى اشمته بعض نسائه طيبا فهدأ حتى خرجت روحه ؛ وكان ترأته من بين اخوته من متخلف والدهم مصونا في بيت ؛ قال وبه استعان وراثته في المسغبة التي دهمت الناس ١٢٩٩ هـ بعد موته قال وكان متقشفا لايبالي بنفسه وكتبه لم تزل بالمدرسة المولودية حتى توفي ؛ فجاء استاذه الحاج ياسين تميموت فعزى اهله .

وقد ذكره لي العم ابراهيم وقال انه ضعيف المعلومات ؛ كانه بليد ؛ ولكنه اجتهد غير ان القدر حرمه من مئاة ؛ فهذه الشهادة من عمنا الذي يعتمد قوله في مثل هذا المقام ؛ ندرك ان اضاءة صاحب الترجمة اصغر من عين بقة ؛ وان ساحة مجال فهمه كصفحة وجنة الذبابة ؛ ولولانا شرطنا ان نذكر كل من له مسكة من العلم او الصلاح من اهاليها كيفما كان ؛ لكان الاولى ان لا يذكر من لم يقد لافي حياته ولا في مماته شيئا فقد حيى بلا آثار ؛ وتوفى بلا آثار ؛ فقد حيى في تلك

المدرسة حياة كثيرين من بلداء الطلبة ؛ حتى شاب ثم ذهب كان لم يكن حيا ؛ ومن
لم يحي في التاريخ بآثاره ؛ فلاحياة له
ولبعض الالغيين :

بنفحاته الذكيات	الفجر بالنور وزهر الربا
يوثر عنه في المجالات	لولا فرند ذى الفقار وما
له فقط في المشرفيات	ما رايت اليوم من ذاكر



الحاج عبد الله بن صالح الالغمي

١٢٤٥ هـ - ٢٦ - ١٢ - ١٣٢٢ هـ

نسبه :

عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد .

كثيرا ما تجد بين الاسر اسرة واطئة تقتحمها الانظار ؛ وليس حولها ما بلغت اليها العيون . حتى لكانها لاتزال بعد في مكنون العدم ؛ ولكنها لاتلبث ان تتمخض عن بعض افراد ينبتون بينها مثل ما تنبت نبتة تنشق عنها النواة فتراها بين صفار النبات ؛ ؛ ومفرش النجم ؛ كان ورقها الضئيلة من فصيلة اوراق تلك النباتات التي حولها ؛ ثم لايمضي الا حقبة حتى تراها تعلو ما حولها شيئا فشيئا والايام تمضي ؛ والليالي تمر كما تمر جنبات الدولاب ؛ ثم لايشعر بها حتى تعلو متناول اليد ؛ وهي تسرع الى كبد السماء ؛ ثم لاتنشب ان تراها سحيفة فارعة كأنها عماد من عمد السماء ؛ لو كانت السماء مما يحتاج تدعيمها الى عمد ؛ ثم تتفرع عنها عراجين وعناكيل ؛ ثم تدر على اهلها اكلمها كل حين باذن ربها .

مثل تلك النخلة مثل هذه الاسرة الصالحية ؛ فقد عهدناها منذ عهدجدها عبد الله بن احمد ؛ ممعنة في الانزواء والمسكنة ؛ ولايزيدها صلاح اهلها وميلهم الى الخير ؛ وانجاشهم الى زاوية لايزاحمهم فيها احد من الثريين من ابنا اعمامهم الذين يتهاككون على كسب الدينار والدرهم ؛ الا ربوضا على الارض واطراقا عادة الرجال الذين قيل فيهم :

ان لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا انها ليست لحى وطننا
تخذوها لجة واتخذوا صالح الاعمال فيها سفنا

جاء صاحب الترجمة اميا وحيد والده ؛ فجعل الله فيه البركة التي قال والده فيها انها هي المعتبرة لا الكثرة ؛ فتزوج رقية بنت الحسين الاغوديدية فنشر الله منهما خيرا كثيرا ؛ واخرج من صلبهما من يرفرف بهم على الغ لواء خفاق يشاهده الاقارب والاباعد الى الان .

ورث الحاج عبد الله من والده ذلك الصلاح المتقدم عنه؛ والبركة الموضوعة في بنانه؛ فحاصرت يده مريضا ولائمة ولادواء الاجاء الشفاء سريعا؛ حتى ان ذلك ليلفت الابصار؛ فقد ساله والدي مرة من اين يستقي تلك الادوية التي يصفها للناس؛ فقال له انما ذلك شيء ينقذ في ذهني عند سؤال سائل ويصحح ما قاله انه ربما وصف في وقتين مختلفين شيئين متضادين؛ لداه واحد للسائلين؛ فيشفي كلاهما بما وصفه له ورث ذلك الطب عن والده سيدي صالح؛ ولكنه لم يرث عنه ذلك الانزواء الذي ازجى به حياته؛ بل تخلص هو من الخمول الذي صاحب آباءه منذ الجد الاعلى سيدي عبد الله بن احمد؛ فجاء بهمة عالية في كل النواحي ففعل وكسب واثل وتاجر؛ فلم تتوسط العشرة الثامنة - ٧٥ - من القرن الماضي حتى كانت له مانية كثيرة في ايساف مرتب اهاليها الالفين؛ فقد كان نوى من ولده البكر سيدي محمد الذي ولد سنة ١٢٦٥ هـ ان يقوم له بماشيته؛ ولكن هذا يهرب من ذلك الى المسجد؛ فما زال اهله يردونه الى الرعي حتى هرب ست مرات؛ فحينئذ فهم والده عن الله؛ فاعتنى بتعليم ولده القرآن فتسارط له في داره استاذا خاصا كما سترى ذلك في ترجمة ولده؛ ثم لما اطل سيدي محمد بن بلقاسم على الخ بروعة العلم التي اظلمت له انحاش اليه صاحب الترجمة؛ فصارا يتصاحبان كما رايته في ترجمة المذكور؛ ولاشك ان ذلك هو الحامل له على انفاذ الجهد في تنقيف ولده؛ ومن هنالك جاءت هذه الفكرة التي طلعت على الخ بخطوة لم تطلع بمثلها اية فكرة اخرى.

وكان ايضا يصاحب امغار محمد المجاطي؛ لما لهذا فيه من حسن نية؛ واخبرت انه صاحبه مرارا الى افران؛ كما اخبرت ايضا ان له بال (أسكاك وبلاغ) اتصالا؛ وان الشيخ احمد ابلاغ الاساكي؛ قال لمولاي الحسن حين زار سوس ١٣٠٢ هـ وقد كان هناك احد اولاد صاحب الترجمة؛ ان والده هذا سيدي الحاج عبد الله شيخنا.

هكذا خرج من انزواء اهله؛ فصار يعمل لكل جانب حركة؛ ولكل حركة بركة؛ فاتصل بالناس وتعرف باهل عصره؛ واشاد بذلك من جديد ذكر آل عبد الله بن سعيد؛ مع امعان فيما يعود عليه بفائدة دينية اودنيوية وقد اخبرت انه قارضى مرة بعد ١٢٩٥ هـ الفقيه سيدي محمد بن احمد التيمولاي في دراهم اشترى بها زراعا كثيرا نحو مائة غرارة في تيمولاي فليل له ان الزرع رخيص جدا لاربح فيه؛ فقال يكفيني فلس واحد للصاع ان ربحناه وقد ولد له ايضا بعد ابنه محمد المتقدم اولاد آخرون رباهم كما شاء؛ فمنهم من رباه للدين والعلم والارشاد؛ ومنهم من رباه للجانب الاخر الذي لا بد منه والطائر لا يطير بغير الجناحين؛ فقد ولد له ولده الحازم الملازم للصف سيدي

احمد سنة ١٢٧٥ هـ والاستاذ على سنة ١٢٧٦ هـ وابراهيم ١٢٨٢ هـ وكلهم اعقبوا خيرا كثيرا ؛ اطال الله عمر ابيهم حتى شاهد ابناء ابنائه بكثرة ثم ايده الله فادى فريضة الحج سنة ١٢٩٣ هـ فى رفقة الاستاذ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارنى ولذلك افضل الله عليه .

غرس من اولاده ما غرس ؛ واعتنى بتعليمهم اعتناء كثيرا ؛ فبعد ان كانوا يتعلمون فى المسجد القرآن رآى ان يخصص لهم استاذًا على حدة ؛ ففعل ذلك بولده الاستاذ الكبير ؛ وكان احب اولاده اليه ؛ ثم التحق بالمدرسة الثانكرتية ؛ فرجع منها سنة ١٢٩١ هـ فقررت عين الوالد بما توجهت اليه همة ولده ؛ فكان له خير معين ؛ ثم تأسست المدرسة ؛ وقد طبقت شهرة ولسنه الاتفاق ثم توج شرفه بالثول بين يدى مولاي الحسن سلطان عصره فاقبلت اليه الرفاق من كل جهة ؛ ولكن الزمن الذى اقر عين الوالد بما حظى به الولد ؛ لم يلبث ان ارمض كبده باعتباطه شابا كما سترى ذلك ؛ فاحتسب عبد الله مصيبته به ؛ ثم جاء على ولده الاخر بمارد الحياة الى الوالد وعرف به ان فى الباقي خلفا . فطال عمره عقدين آخرين ؛ وولده هذا فى شغوفه على الاقران شغوبا كبيرا ؛ وامتنعه الله بطول العمر حتى رآى من جميع اولاده تفوقا فسي العلم والدنيا والدين ؛ وكان لعلو همته لايحب الا معالى الامور ؛ حتى فى البناء فلا يحب الا العالى المتين ؛ وكثرا مايقول اذا رآى من بناء الفقراء فى زاوية الوالد ؛ انما هذا جمع احجار لمن سينبنى بعد ؛ وليس ببناء وماصدقته فى ذلك رحمه الله ؛ ولكن الشيخ الوالد يقول اننا سنمضى فيه اعمارنا والامر اسرع من ذلك ؛ ولمن جاء بعدنا ان يفعل به ماشاء على كيفية تروقه ؛ وقد رزى ايضا صاحب الترجمة بموت حفيده احمد بن محمد انجب مايكون فكان رزؤه به كرزؤه بوالده قبله .

اما اخلاقه فانها هينة لينة لايبالغ فى العتاب ولا يستقصى فى التانيب ؛ وقد ذكر الاستاذ على ولده ان والده ماكان يتكلم معه فى اى شىء حتى يبلغ فيه الحزم الطيبين ؛ ثم لايتجاوز كلمة او كلمتين ؛ ولكن ولده يفهم منها ما يريد به والده ؛ ومبلغ تاثره فى ذلك الامر .

واما دينه وملازمته للصف الاول فى المسجد فاشهر من نار على علم لايجول بينه وبين ذلك اى حائل ؛ ومواظبته على ذلك فى ايام اقلال اسرته والا كمواظبته عليه اذ اسرته تدرك الف غرارة فاكثر من محصول الفلاحة ؛ والحظائر تعج بالمواشى والمدرخات تكنظ بها المخازن ؛ لايطبئه عن ذلك اى شىء من هذا كله ؛ ولسان حاله ينشد قول بعض الافغين .

ومن عرف الدنيا كمعرفتى بها فليس بمفتقر بقل ولا كثر
ومن عرف الرب الذى خلق الفنى نظيرى فانى يطبى عنه بالوفرا

(١) اطباء بتشديد الطاء استعماله

واما نظراته في مختلف الامور فهي صائبة ؛ ويؤثر عنه كشف كثير ؛ وآراء
سديدة ؛ وحكم ماثورة ؛ حكى لى استاذى سيدى عبد الله بن محمد انه القى
يومامن صدره مقدار بيضة من دم متجمد ؛ قال فحصل لى دهش كثير ؛ فذهبت
بها اليه ؛ فقال لاباس عندك ان هذا من اثر الشفاء ؛ فكان الامر كذلك
وقد توفيت رقية ام اولاده المتقدمة سنة ١٣١٤ هـ كما اخبرنى به العم
ثم اقترن ايضا بعائشة البعليلية ؛ ورقية تلك توصف بالخير بين نساتنا ؛
وكفاه شرفا انها تكشفت عن هذين العلامتين اللذين هما ماهما
وفي اواسط سنة ١٣٢٢ هـ كان مرض يعتري صاحب الترجمة ولكنه يبل منه
فشاع مرة انه توفي مع انه ابل من ذلك المرض ؛ فوفد بعض الوفقاويين
المنزبة قال حفيده استاذنا عبد الله فوجدنا امام الدار ؛ فقلنا انه الان ميل
من ذلك المرض ولاباس عنده ؛ فاستحيا الوفقاوى فرجع ؛ فاخبر الجد بذلك
فقال اوتقول الناس ذلك ؟ انى اذن لميت قريبا ؛ قال ثم لم تمض ايام حتى
سقط ؛ فالتحق بربه في ليلة جمعة ؛ فغسله ولده الاستاذ على بن عبد الله
والشيخ الوالد ؛ ثم صلى عليه هذا ؛ فوورى فى القبة ازاء ولده الاستاذ محمد
ابن عبد الله ؛ وفي بقية من كفته كفن الفقيه الصالح سيدى عبد الله بن محمد
ابن القاضي الايديكى الذى توفي بعد هذا بشهور
وقد رثاه شاعر العصر فى القطر السوسى ؛ الاستاذ الطاهر بن محمد
بقوله : يعزى ولده الاستاذ على بن عبد الله

على مثل هذا الحادث القادح الوقع
ابعد مصاب المسلمين بفقد من
وبعد مصاب الدين بالواحد الذى
وبعد ابي الاشياخ افضل والى
لقد زلزلت ارض السيادة بعده
وغيب منه اللحد بدرا تكشفت
وفلل منه الموت لادر ددره
واوحش ربع الدين منه وطالما
فأى امرئ يفرى العويص قربه
لقد كان للمجد المؤئل ساعدا
فو الله ما قام النعى بموته
فصبرا امام الدين فالصبر صارم
ففيك لتشييد الكمال كفاية
فلا تخضع الصم الصلاب لزعرع
فلا رزء الا دون رزئك فليكن
فدونكها مولاي من فكرة ذوت
تسر وفاء لوتمد بمنجد

تذال نفوس لامصون من الدمع
يقوم مقام العين للمجد والسمع
ينوب اذا عد الكرام عن الجمع
يساء بضر او يسر بما نفع
ودكت جبال المجد من نفخة الروع
عن الدين والدنيا به ظلمة النقع
شبا صارم ان سل فل شبا النبع
ناى جنبه جنح الظلام عن الضجع
ويكشف وجه الراى فى الجلب والدفع
فمات فكف المجد منى بالقطع
فاخرس الا والكمال هو المنعى
يسل فيرمى مارن الرزء بالجعد
اذمال منه الركن تجذب بالضبع
يهب وانت فى العلا علم الرفع
تلقيك امر الله بالسمع والطوع
نضارتها اذ خانها مسعد الطبع
من القول لاستقص مدى الواجب المرعى

الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى

١٢٦٥ هـ - ٢٢ - ٤ - ١٣٠٣ هـ

نسبه

محمد بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد .

الغ عبارة عن هذا البسيط الافح المتسع الذى زويت عنه زهرة الحياة الدنيا ؛ ولم يحظ بالرياض الاريضة والجنان الخضراء ؛ والسجداًائق الغناء والمزارع المخصبة والالفاف القلب ومتنوع الاشجار ؛ والجداول المطردة والانهار الفياضة والمراتع التى تفيض حيناً بالعشب النضر ؛ وحيناً بالغشاء الاحوى ؛ كل ذلك منعه منه يد الطبيعة ؛ وحرمت اهله من الاستمتاع به ؛ فما هناك الا عاصير شمالية او قبولية او دبورية ؛ تصرصر فى هذا البسيط الاجرد فتثير زواج تتدافع متتابعة ؛ وهى قائمة ممتدة من الغبرا الى القبة الزرقاء ؛ كانها صفوف نخيل متدافع ؛ وصرير الجواء يصك الاذان ؛ وتلاطم مختلف الرياح كانه صفير الجنة فى اوديتها .

فاية حياة ياترى تستطاب فى بلد هذه بعض صفاته ؟ او اى عمر يظن من أمضوا اعمارهم فى وسط تلك المهائم القفار ؛ انهم امضوه تحت قبة السماء - كما يمضى الناس اعمارهم فى هذه الحياة الاولى تحت قبة السماء - ولكن رب العباد الشفيق الرفيق الذى شملت رحمته كل شيء ؛ لا يزوى عن بلدة متعة من هذه المتع ؛ الا عوضها متعة اخرى من ناحية اخرى ؛ فباى متعة ياترى عوضت الغ بعد ما حرمت مما ذكرناه

متعة الغ التى فاز بها فى هذه الحياة الاولى ؛ هى متعة الدين والعلم والادب وكان الذين نبعت هذه النعمة العظيمة من ايديهم رجالا نبغوا اخيراً فى الغ ؛ فى مقدمتهم الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله صاحب الترجمة

فهو اول من وضع الحجر الاساسى فى العلم والادب الالفين ؛ واول من علم لبنيه حق التعليم كيف السيادة بالمعارف ؛ وكيف تستخرج دفائن الافكار بعلم الادب ؛ ثم باشارته وبمعاونته اسس الشيخ الوالد زاويته بالغ بعدما زام ان يسكن فى موضع آخر ؛ هو اليق بالحياة وامكن ان يتيسر له فيه ما جعله نصب عينيه كما سترى ذلك فى ترجمته ؛ فالت الغ ببركة الاستاذ ابن عبد الله مكانة وعظمة املت على لسان شاعر سوس ؛ وريب الغ شيخنا الافرانى ان يقول من قصيدة فى الاستاذ على صنو صاحب الترجمة الذى كان ثانى اثنين

في الاشارة بمعارف الخ المجادة :

ناهت بواحدھا السخ فقلت اھا ايه فقد سلمت مصر وزوراء
ارض ثراها عبر والنسيم شذا والماء راح وكالياقوت حصبا

الاستاذ محمد بن عبد الله هو اول من ذاق العلم من اهلينا ذوق من
ادرك منه انه اساس السيادة الدينية والدنيوية ومغنطيس جميع المقامات
اعليا التي تشرئب اليها نفوس الاحياء الاباة ؛ فاقبل عليه وعلى تعليمه اقبالا
غريبا حتى لا يحول بينه وبين تعليمه منصب القضاء الذي انتصب فيه بين هذه
القبايل ؛ فلم يكن كالاستاذ التيسوتي المتقدم الذي استراح في الدرجة الاولى
واكتفى من وراء علمه بمنصب القضاء

الاستاذ محمد بن عبد الله هو المنبع الاول لجميع العلوم التي اشتهرت
بها الخ ؛ ووسمت بها من اواخر القرن الماضي بين البلدان السوسية ؛ حتى
صارت مثلا مضروبا في الاندية العلمية ؛ فكل من زاول العلم بعده من الالفين
وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم ؛ وهم عشرات انما هم كلهم حسنة من حسنات
هذا الاستاذ

الاستاذ محمد بن عبد الله هو الذي وضع بفكرته البذرة الاولى لعلم
الادب بين ما يليقيه من المقطعات والقصائد لتلاميذه ؛ ثم ما زال نبغاء اصحابه
ونبغاء تلاميذهم ينتهجون منهجه ؛ حتى صاغوا لالخ خاصة ؛ ولسوس عامة
بل والجنوب المغربي اجمع تاجا من الادب مرصعا ؛ يتلألا فوق هامات هذا العلم
العالي الذي لا يتعالى اليه الا المصطفون الاخيار ؛ فلئن كان شعر الاستاذ ليس
بما بلغ به المدى ؛ فان من بعده ممن سار في طريقه ؛ حازوا به خصل السبق
وتلك سنة النمو والتدرج والترقي ؛ ولا يمكن في العادة ان تنخرم سنة الله في
كل شيء ؛ وان تجد لسنة الله تبديلا

فليعلم العالم اجمع هذا الاستاذ ؛ ولتخلده آثاره في الخالدين ؛ وليبقى
ذكره معسولا في افواه ذاكره في ندوات التاريخ التي لا تزدد بتقادم الازمنة
الاجدة وظلاوة .

فليحيى الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ وليحيى ذكره امد الدهر ؛ وليحيى
كل من بذل جهده في اعلاء شان العلم والادب ؛ وليحيى هذا الادب الاندلسي
التفسير الذي ما ازهر في الخ بل في الجنوب المغربي الا بسببه

مبتدأ

كان بكر والديه وكانا يطمعان منه ما يطمعه كل والدين من مرابطينا

اصحاب المواشي من ابنتهما البكر ان يكون ساعدا لهما ؛ ومعيناعل مشاق الحياة
وكانا يميلان به في الصغر الى رعاية الغنم ؛ ولكنه كان يهرب الى المسجد ؛ وقع
منه ذلك ست مرات ؛ فانعكست به القضية المعتادة ؛ لاننا لانشاهد الا مسر
يهرب من المسجد لامن يهرب اليه فكان ذلك كارهاص لما سيؤول اليه امره

كان مسجد الزاوية كانه موقوف على طلبة دويمالان التملين احفاد
الشيخ سيدى يحيى بن عبد الله شيخ جدنا عبد الله بن سعيد ؛ فكان اولاده
محترمين عند اهاليها يتيمنون بهم فتداولوا هذا المسجد ؛ وكان في تعليمهم
نقص فاستحيا منهم اهل قرية الزاوية ان يستبدلوهم بغيرهم فمن عند احدهم
افتتح صاحب الترجمة ؛ ثم لما راي والده ان القراءة بالمسجد عرجاء ؛ شارب
له في داره الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم افكان فوجد افردنا له ترجمة
فيه تخرج في القرآن وذلك نحو ١٢٨٠ هـ

في مدرسته تانكرت

كان من اول ما لاحظت عيون السعادة صاحب الترجمة ان وفق والده
فالحقه بهذه المدرسة ؛ حيث كان الاستاذ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي
الافرانى والد استاذنا سيدى الطاهر ؛ فهناك رابط كل سنوات اخذه ؛ ولم
يتجاوز ذلك الاستاذ في كل ما اخذه ؛ حتى افعوعم اناؤه ؛ وعنتت رحيقه
فرجع يخال في رضا استاذه ؛ وقد حمل بين يديه مهمة عظيمة ؛ جعلها كل
منه في الحياة ؛ فزعم على ان يمضى فيها عمره كله ؛ وماتلك المهمة التي جعلها
نصب عينيه الابث العلم ونشره ؛ فلا حياة الا بعلم ؛ ولا علم الا بهمة ؛ ولا همة
الا ممن نفخت فيه روح تستمد من الملا الاعلى ؛ وكانت سنة اياه من تانكرت
١٢٩١ هـ

في مسجد قرين

قف بنا الان قليلا لنلقى نظرة عجل على هذا الطالب النحيف الذي لا يحرك
جسده الضئيل الا بعض دماء تجرى في شرايينه ؛ والا همة عالية تتناول
الشريا من القعود ؛ فعهنا به وقد هاجر منذ عشر سنين ؛ من قرية ساذجة
منتهى سمو اهله في التعلم ان يحفظوا القرآن ؛ ومنتهى سمو جيرانها الذين
تعلموا بعض علوم ؛ ان ينصبوها حبال لفصل الدعاوى وفض الخصومات
لينتشر عليهم من ورائها بضعة دراهم ؛ فهذا الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم
التيبوتى هاجر ما هاجر وكد وتعب حتى حصل ؛ ثم رجع فوجد اهله يتنعمون بمال
وافر ؛ وثروة كثيرة ؛ وانعام يضيح فيها العد ؛ ثم ماجال في ذهنه ولا مثل بين
عينيه الا ان يجعل عمره كله في فض النوازل ومزاولة الخصوم ؛ ليزيد تلك

الثروة ضخامة الى ضخامة ؛ ولم يدرك في خلده ان يبث ما حصله في صدور النشء ولا حاك في صدره ان مثله من يؤسسون المدارس وان نظيره يبني له بمثل هذه الاعمال مستقبلا كفيلا بدوام المجد وخلود الذكر ؛ ووفر الاجر عند الله فكان منتهى عمله وهجره ان يظل يدور من ايت وفقا الى امتضى الى مجاط الى ايليق ؛ ليحتقب مستجدا يزیده الى ماعنده فكان جزاؤه بعد ان امضى في ذلك نحو عشر سنين انه لمامات مات ذكره ؛ وكادت آثاره تنمحي من الوجود لو لم تنصل ببعضها ؛ فاستخرجنا منها بعض ما يتعلق به ؛ واما صاحبنا هذا الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ فقد رجع بهذه الهمة العليا ؛ وبهذه النظرة التي لا ترى الا السماوات العليا ؛ فجعل امام عينيه ما جعل مع ان دار والده ان قيست بدار آل الاستاذ التسيوتي قفراء لولا بعض ما استجده فيها والده الحاج عبد الله بسعيه الخيبي الجديد ؛ ثم ليس هناك شيء آخر يعتمد عليه في أداء مهمته هذه ؛ ولكن همم الرجال اذا توجهت الى شيء كونه الاسس اولا ؛ ثم رفعت عليها بناء مشمخرا يناطح اجواز السماء ثم لم يطل العمر بالاستاذ محمد ابن عبد الله منذ توجه الى مهمته هذه الا بمقدار ما طال بالاستاذ التسيوتي منذ فارق المدرسة ؛ وانتسب في القضاء ؛ ولكن ان وازنا بين العاملين ؛ ندرك ما بين الرجلين ؛ فهؤلاء تلاميذ الاستاذ محمد بن عبد الله قد ملأوا هذه الارضاء علما ؛ فاين من اباقهم الاستاذ التسيوتي من عمله ؟ واين ما يذكر به اليوم بعد ان صار من المرموسين ؟

هذا الاستاذ محمد بن عبد الله قد رجع بهذه الهمة ؛ وها هوذا قد انتصب في مسجد قرية الزاوية بالغ ؛ وها هوذا يحول المسجد الى مدرسة فيزيد بعض ابناءه يتسع بها المكان ؛ وهؤلاء الطلبة يجتمعون عليه ؛ وها هوذا يمونهم من عنده وها هي ذى دروس علمية منتظمة تتوالى في المجلس الجديد الذي اسسه هناك وها هي ذى سنوات ٩١-٩٢-٩٣- قد مضت وهو لا يزداد الا نشاطا ؛ والطلبة المنقطعون اليه قد بدأت حالات النجابة والتفوق تستدير بهم ؛ فها هذه الاعمال ؟ وما هذه العزائم ؟ افليس الرجل غريبا بهمة النادرة ان قيس باهله وبعلمائهم ؟

في المدرسة البومروانية

اذا اراد الله بانسان خيرا هياك من حيث لا يحتسب اعانات ؛ واركانا يتكئ عليها بنيانه ؛ حتى لا تزعجه العواصف ؛ ولا تنسف القواصف فهذا بعينه ماجرى لاستاذنا صاحب الترجمة ؛ فان سنة ١٢٩٤ هـ كانت على ابواب السفينة العظيمة التي امت بسوس ١٢٩٥ هـ فاجتاحته فاهلكت النفوس ؛ وافنت الاموال ؛ وابت على اسر كثيرة وعلى قرى عامرة فاجتشت اصولها ؛ ولا يدري الا الله كيف تكون حالة الاستاذ لو بقي في ذلك المسجد في تلك المسغبة

وقد تطوق بمؤونة طلبته الفقراء الغرباء ؛ ولكن رعاية الله فوق كل رعاية ؛ فقد حدثه العناية الربانية التي لا يعدمها العاملون المخلصون الى المدرسة البومروانية فشارك فيها ؛ والمدارس لا تخلو من زرع مدخر ؛ ينفع في امثال هذه المساعب وقد كان الاستاذ يفضل شيئاً مما يتوصل به من شرط مسجد الزاوية فتجمد له في السنوات الثلاث ما اضافه الى ما يتوصل به من شرط المدرسة البومروانية من سنة - ٩٤-٩٥- فكان زرعاً كثيراً فصار يشتري الاملاك في تلك المسفة والاملاك من ارخص ما يكون ؛ والمدخرون للحبوب قليلون ؛ والجهد يحمل الناس على بيع نفائس ما يملكون برخص ؛ فحاز بذلك املاكاً كثيرة في قرينه وما اليها ؛ ففي سنة ١٢٩٦ هـ وهو لا يزال مشارطاً في المدرسة تلك ؛ عزم على تنفيذ فكرة جعلها نصب عينيه فبادر الى تأسيس مدرسته الخاصة وقصد شجعه ما بيده ؛ وما صار اليه ببركة شرطه الذي باعه ؛ ومن الاملاك المفلة قرأى ان يستشير من هم اكبر منه ؛ فان المشورة لاتاتي الا بخير ؛ فاعمل رحلة الى شيخ العصر وبركة تلك الجهة سيدى الحسن بن احمد بن محمد التمكنشتى فاستشاره فأذن له بعد ما اشار عليه ايضا العالم المدرس مسعود بن محمد البونعماني بتأسيس مدرسة كما حدثتني بذلك تلميذه الفقيه سيدى عبدالرحمن العوفى عن ابي الحسن صنو المترجم وخليفته في مدرسته الالقية صانها الله وكان سيدى الحسن يشك في مقدرة الاستاذ لما رآه من ضؤولة جسده ؛ ونحافة قوامه فظن انه رجل اقوال لارجل افعال ؛ ولم يدر ما قال الشاعر

ترى الرجل النحيف فتزدرية وفي اثوابه اسد هصور

وكان سيدى الحسن اسر الى بعض جلسائه ما يدل على ذلك في صورة مبسطة يسأله هل يقدر هذا على تنفيذ مايقول ؟ فتكفل الزمان بجواب سيدى الحسن حين توسطت سنة ١٢٩٧ هـ فشاهد المدرسة تشيد ؛ وما كان مظلونا صار محققا

المدرسة الالقية تؤسس

كان الاستاذ لا يزال بالمدرسة البومروانية ؛ وهو يوالى الدروس لتلاميذه بهمة المعروفة ؛ فما كان يجب ان يبطل درسا في وقته ما استطاع الى ذلك سبيلا ؛ فحين كان لابد له من القيام على بناء مدرسته بنفسه ؛ استدعى الشيخ الوالد ؛ وكان اذ ذاك مشارطاً في المدرسة الفوكرضية ليقوم مقامه في موالة الدروس لتلاميذه فاسعفه الوالد ؛ فودع فوكرض ؛ فجاء مع من معه من التلاميذ فحل محل صاحب الترجمة فى بومروان سبعة اشهر حتى تمت الدورة السنوية التى شارط عليها الاستاذ اصحاب المدرسة ؛ وقد تمت المدرسة الالقية ؛ وفصلت بيوتها الكثيرة ؛ ولكنها بعد ذلك ضاقت بالطلبة ؛ فصار من له منهم طاقة يبنى من جديد لنفسه .

المعهود في كل المدارس السوسية المنبثة بين القبائل انها تؤسس على ايدي اهل القبيلة الذين يجمعون من عندهم اجرة اساتذتها ؛ ومن اعشارهم للطلبة القرباء المنقطعين فيها ؛ ولم يعهد بسوس فيما نعلم من قام بنفسه بتأسيس مدرسة وحده كما يفعله اساتذة السباعيين ومن اليهم حيث تتوفر لهم الاموال ؛ ويوجد معينون مقتدرون ؛ الا ماكان من صاحبنا الاستاذ محمد ابن عبد الله انصامي الذي اتكل على ربه اولا؛ ثم على جهوده ثانيا؛ فانه اشاد مدرسته الالقية وحده ؛ جمع عليها العملة ؛ فقام بهم من داره مؤونة واجرة ولم نعلم ان احدا اعانه سوى الحاج ابراهيم الايشاني ؛ فقد سمعنا انه امده ببعض اعانات ثم عزم الاستاذ على ان يقوم باود من ينقطع اليها - بلسفوا مابلغوا- وحده مما تدره عليه املاكه المستجدة كما ذكرنا ؛ ثم طابت نفوس بعض جيران الف باعانات من اعشارهم التاكانزيون والتاجرامونتيون والاغوديديون احوال الاستاذ واما آل (اسيف مقورن) فقد انعموا بان يمدوها بالحطب دائما ؛ واما مراطونا الذين يجب عليهم ان يكونوا خير معينين لابن اخيهم انذى قاد اليهم المجد المثل بأرسانه ؛ فجعله في متناول ايديهم ؛ وفتح لهم بفتح هذا الباب بابا خالدا لا يوصد امام قاصديه ثم اهلبهم ليوجهوا اليه ابناءهم لعلهم يدركون من الشفوف مالم يخطر على بال لهم ولا بائتهم من قبل ؛ هؤلاء الذين يجب ان يتبادروا كلهم اجمعون اكتبون ابتعون ابصعون قد انقسموا فرقتين ؛ فأما من شرح الله صدورهم للفقوى وانا الله بصائرهم بأنوار حب الخير ؛ ومسحت صدورهم من الاحن والاضغان والحد ؛ فقد انضموا الى جانب الاستاذ ؛ وأبلغوه ان اعشارهم سيكون منها للمدرسة نصيب ؛ فهم أولى بذلك من التاكانزيين ومن معهم باعانة هذه المدرسة ؛ ثم صاروا ياتون بذلك في بعض السنوات بصفة غير منتظمة ؛ واما الفريق الآخر فقد اصبحوا ممن يتخبطهم الشيطان من المس تتاكل قلوبهم مما ينفسونه على اخيهم فيما آتاه الله من فضله ؛ فأوحى اليهم حسدهم ما اوحى فأقبلوا يؤسسون بزعمهم مدرسة اخرى بايمور ؛ ازاء مشهد الجند سيدى عبد الله بن سعيد ؛ فصاروا يدفعون اليها بقبضة من اعشارهم؛ فكانت مدرستهم كمسجد الضرار - كما سماها بذلك والدنا الشيخ رحمه الله - ولكن مضت ايام فايام ومدرسة الاستاذ في ترق واشتهار ؛ ومدرستهم كانما بنيت فى قعر بير ؛ لان المدارس باساتذتها لاباسمائها ؛ كما ان الصمصامة بساعد عمرو ابن معد يكر ب لانبصلها ؛ فما مضت سنوات حتى راينا وراى العالم من خرجتهم المدرسة الالقية ؛ فارونا ايها الايموريون واحدا تخرج من مدرستكم ؛الاحين شارط فيها الاساتذة سيدى احمد بن صالح الافرانى ؛ ويسليه سيدى

محمد بن الحاج ؛ وسيدى المكى البزبدى وهؤلاء من تابعهم انما علمهم مسر
الاساتذة الالفيين الاخرين وما هم الانفحة من نفحات المدرسة الالفية ؛ لان هؤلاء
خربجوها واولادها والمربون فى حجرها

الاستاذ فى مدرسته الجديدة

طارت الاخبار بارتكاز المدرسة الالفية على الجد والاجتهاد ؛ فانها اليها
الطلبة من كل حذب ينسلون فصار من يرد يجد من تلك الثلة التى كانت
صاحبت الاستاذ من اول يوم اذ كان فى مسجد القرية ؛ وفى المدرسة اليوم وانية
كالاستاذ العربى الساموكنى واقترانه من قدماء تلاميذ الاستاذ قد تفوقوا ؛
ونالوا فى تعلمهم المقام الذى يتمكن به صاحبه فيقبل ويرد ؛ ويزن بالقسطاس
وزن الناقد البصير ؛ فاتخذوهم قدوة فى الاجتهاد ؛ واملوا ان يصبحوا امثالهم
غدا ؛ ان ساروا على الدرب الذى سار عليه هؤلاء قبل ؛ فمن بين من التحق
بالمدرسة ؛ فى تلك الحقبة الاستاذان الكبيران شيخنا الطاهر الافرانى وابوالقاسم
التاجرمونتى وامثالهما الذين سترى لهم بعد ما ترى ؛ فيقبل الاستاذ كل من
ورد عليه ويركزه فى الطبقة التى تليق به ؛ فيقبل عليهم تهذيبا وتربية ؛ وكان
طلبتها فى ذلك العهد لا يتجاوزون خمسين ولم تدرك شاو المدارس القديمة
العهد التى تزخر اذ ذاك بما فوق المائة لكل واحدة ؛ كالمدارس الادوذية
والبونعمانية والبوعبدلية والتمكدشتية والارازانية الراسلواوية والمحمدية
التهشوكية ؛ فان لم تدرك الالفية الحديثة العهد هذه القديمات المكتظة
بالتلاميذ ؛ فان العبرة بالفائدة الحاصلة ؛ وبعدد الخريجين لابتكرة المجتمعين

بغات الطير أكثرها فراخا وأم الصقر مقلات نزور

كيف دراسته الاستاذ

كما ان مهرة البنائين يرون ان منتهى الفكرة هو مبدأ العمل ؛ وان وضع
اسس بناء فكرت فى ان تجعله عاليا ؛ لابد لها من ارض صلبة ثابتة ؛ حتى
تطبق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم راسية لئلا تتزعزع اركانها
تطبيق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم راسية لئلا تتزعزع اركانها
واختلاف تقلبات الجو ؛ كذلك مهرة المعلمين الذين يربون النشء ؛ يرون ان
البدايات مجلى النهايات ؛ وان الخطط تبني على ما رسمت عليه من اول يوم
فتراهم يسلكون بالمبتدىء مسلك الحفظ وتنبية ذاكرته شيئا فشيئا بمعاودة
ما يدرس ؛ ليتمرن على الاستحضار ؛ وعلى تفهم ما يتلقى فيستكثر له من
تكرير القواعد وممارستها فى كل فرصة ؛ مع اجالتها باسالات لسانه ؛ فذلك

ادعى للرسوخ ؛ ولان تكون له ملكة ثابتة مع الزمان حتى لا ينساها ولا تناسي
 له مع غيرها ان امكن بعد في طرق العلم الشتي التي يدفع اليها متى شدا فعل
 هذه الطريقة سار الاستاذ في تعليمه ؛ فبتها لكل من درج بين يديه فعات
 محجة لكل من يعلم من الالفين بعد ؛ فلئن كان بعض المبتدئين يجدون في ذلك
 بعض صعوبة ؛ فانهم يحمدون مغبتها بعد حين ؛ ثم بعد ان يشدو تلميذه وقد
 اتقن الاجرومية التي يقرأها لابد مرتين في اللوحة بشرط ان يحفظ كل الحدود
 حتى ان لم يدرك معناها كله الان فانه يعدها في حافظته لاسياتي ؛ وقد قرأ
 ايضا المتون الصغرى الجمل والزواوى واللامية والمبنيات وهذه هي متون
 المبتدىء في النحو ؛ واما في الفقه فابن عاشر ؛ فان استتم هذه واتقنها
 ولو باعادتها مرات ؛ يستقبل الالفية والرسالة ؛ والمقامات ؛ وهو ماخوذ
 بحفظ كل الشواهد وما يكتب في لوحته ؛ لان الدرس في هذا الطور الثاني
 لا يكون أيضا الا بها ؛ وهو وطبقته يطالع النجباء لهم الدروس التي سيقرونها ثم
 يعيدونها هم بانفسهم مرات بعد ان درسها لهم الاستاذ ؛ واعراب الحزب بين
 المشايخ للمبتدئين امر لابد منه ؛ فهكذا لا يمضي للتلميذ سنتان فثلاث حتى
 يتمكن وقد اتم الالفية والرسالة فيقبل به الى المختصر والتحفة والزقافية
 والعمل والمنهج والالفية بالاشموني ؛ وقد كان في المرة الاولى يقتصر له على
 البهجة والمكودي ؛ ثم في هذا الدور الثالث يدفع به الى خوض كل شيء من حديث
 وتفسير وفرائض وحساب بعد ما اتم من هذين بشيء قليل في الدور الثاني
 هذا وهو في عشية الاربعاء وفي يوم الخميس يتلو في كتب الادب التي كان
 يتلقح جرائمه من المقامات الحريرية التي يدرسها يوميا ؛ بل ويحفظها وفي
 العواشر تدرس قصائد ادبية اخرى كلامية العجم ؛ وبانت سعاد ؛ والمعلقات
 السبع ؛ والدريدية والدالية لليوسى والهمزية والبردة ؛ فيدرك الطالب
 بذلك كله شأوا كبيرا ثم يطالب في مناسبات مختلفة ان يترامى على
 صوغ الرسائل والقصائد ؛ ثم ان ظهرت فيه اهلية وظهر بقريحة جيدة فانه يعتنى
 به في الادب والانشاء ؛ والا فيكتفى منه بان يدرك القصة من القصة ؛ والتمرة
 من الجمرة ؛ وفي الدور الثالث يدرس ايضا علم البيان في متون التلخيص
 والاستعارات بمنظومة ابن كبران ؛ والاصول في جمع الجوامع ؛ هذه خطة
 الدراسة الالفية ؛ وعلى هذه الوتيرة يتمشى اهلها ؛ ولا يتخطون هذا النظام
 والاستاذ يستعين بحذاق تلاميذه في مختلف الطبقات ليتدربوا ايضا على
 التعليم ؛ فجاءت هذه الطريقة بنتيجة عظيمة لا يمكن ان يهتدى اليها الا من
 سار بنظام ؛ والنظام والتؤدة والرفق والتدرج شيئا فشيئا ؛ ما دخلت في
 شيء الا سار هو بنفسه بالطبع حتى يكون من المثل العليا يشاهده كل احد .
 هذا ما اسسه الاستاذ محمد بن عبد الله في مدرسته الجديدة التي سار
 فيها سيرا منظما متوازنا ؛ وقد حفظه الله من العثرات التي توالى عليه بعد
 ان كاد ينبطح في بعضها ؛ وما اولع العثرات بالساعين في انجاز الاعمال .

العشرة الاولى

ماكاد الناس يفلتون من مسغبة ١٢٩٥ هـ حتى جاءتهم سنة ١٢٩٩ هـ بمسغبة اخرى اشد واعظم ؛ والاستاذ قد امكن له ان يتملص من الاولى بانحيائه الى المدرسة البومروانية التي كفته مؤنة تلاميذه ؛ وأبقت على ما اقتصدته في مسجد الزاوية قبلها وامتدته بشرط آخر تأتي له به وبما في يده ان يخرج فائزا من تلك السنة الشهاء باملاك وافرة هي معتمده يوم اسس المدرسة ولكن هذه الاملاك بورية ؛ وقد افلت سنة ١٢٩٨ هـ من غير ان تريخ الى خزائنه حبة واحدة ؛ ثم طلعت السنة التي بعدها فاذا الناس يتضورون سغبا ؛ ويسقطون بالجوع في الطرقات ؛ فماذا يفعل الاستاذ الان ؟ والمدرسة قد اجتمع فيها عشرات من المنقطعين ؛ والسنة الماضية محلة ؛ وهذه الحاضرة ادهى واهم ؛ طعن الاستاذ هذه الطعنة ؛ فلم يجد لها دواء الا ان يجيل على تلاميذه نظرة فيستبقى منهم من تقدم في التعلم وظهرت نجابته ؛ ثم يودع سواهم ويواعدهم يوم يعود الدهر بخيره ؛ وهل يوجد عمر الا اذا جاد الله ؟ فذهبوا وفؤاد الاستاذوراءهم ممزق شعاع ؛ ودموعه على وجناته تساقط سمطين سمطين كما يقول الزمخشري

زار الشيخ سيدى المدني الناصرى تلك السنة الغ ؛ فنزل بالاستاذ واذ كان لابد من شكوى الى ذى مرؤة يواسى او يسلى او يتوجع ؛ نقض الاستاذ شكواه الى صيفه فقال له وعينه مغرورقتان بالدموع - كما حكى من حضر- اننى ياسيدى كنت شيدت هذه المدرسة لتعمر ؛ وأهاب السعد اولا بالطلبة اليها ؛ حتى اذا توافروا والفناهم وألفونا اضطررتنا هذه السنة العجفاء ان نأمر بعضهم بمغادرتها وصدورنا تتأجج أسفا ؛ فكأن السعد الذى كان اذنا اولا ؛ قد طلقنا اليوم وكان الله لم يرد عمارة مدرستنا هذه ؛ لئرى بأعيننا كيف خاب فى ايدينا رجاؤنا فهذه الشيخ بكلمات مسح بها بعض ما ألم به ؛ ثم قال له قم بنا الى هرى المدرسة ؛ فمد الشيخ يده الى حفة فبارك فيها فقال له لا تخف منذ اليوم ان يخلو هذا الهرى من الشعر ؛ فان كل الاولياء يباركون فيه به مباركته رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومثلك لا يخيب له رجاء ؛ مادام قصدك حسنا - فشجعه الشيخ بكلام آخر كثير

ثم ما دارت الدورة السنوية ؛ حتى انجابت الغمة ؛ وانكشفت الفجاء وألقى الخصب بجرانه فى الغ ؛ وقد كان الناس تكلفوا ما اطاقوه من حزن والاستاذ بينهم باغ فى ذلك جهده ؛ فافاء عليه محصوله تلك السنة ما يناهز الف غرارة فيما يقال ؛ فاقوعمت مخازنه ومخازن المدرسة بالغررات التى فاضت اليها من ربها ومن اعشار الناس ؛ فراجع الطلبة المودعون مدرستهم واتبعهم آخرون فسارت المدرسة فى طريقها ؛ وانطوت تلك المسغبة الشديدة

عن الناس ؛ فاقال الله عشرة الاستاذ بصدق نيته وحسن طويته ؛ ومن كان
له كان الله له

العمرة الثانية

اشتهر الاستاذ بعلمه وفقهه كل الشهرة ؛ وصار بينه وبين اقرانه مسابقة
في ميدان الافتاء ؛ فصار ارباب النوازل وذوو الخصومات ؛ والمتطلبون لقسم
التركات يردون عليه ويحكمونه فيما بينهم ؛ ثم لم تزل شهرته تتسع وهؤلاء
يتكاثرون حتى ليكادون يحولون بينه وبين ان يودى حق المدرسة ؛ وربما
تعرض له ايضا اشغال يسافر اليها فيبقى الطلبة بلا دراسة كسفره الى
مراكش في اواسط سنة ١٣٠٠ هـ فحين اطلت سنة ١٣٠١ هـ رأى ان يستعين
بالاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم اليزيدى فشارطه في مدرسته ليتمكن
للدروس ان تتمشى بنظام ؛ ان حال بينه هو وبين موالاتها اشغال طارئة
او اصحاب النوازل الذين يصيرون امام داره كانه سوق ؛ فكان هذا الاستاذ
اليزيدى مما وقى به صاحب الترجمة من العثرة الثانية لان الطلبة الغربة لا
أقل عليهم من ابطال الدروس ؛ وتخلل الفترات بينها ؛ ولا ينبك مثل خير

الاستاذ وطلبتهم في وادي افران

بدا للاستاذ ان يزور هو وكل من في مدرسته وادى افران ؛ فقصدوا
الشيخ سيدى المدني ومعهم الاستاذ اليزيدى ؛ والدراسة سائرة في طريقها
ولم يقطعها السفر وقد وجدت للاستاذ هذه الابيات يخاطب بها سيدى المدني
هنا ؛ واظن ذلك في سفرته هذه

ويا ابن القطب احيا الدين جهرا	وجدد ما وهى وازاح جهلا
اتينا كي نزوركم وكنتم	لذلك فى اعتقاد العبد اهلا
فمنوا بالقبول فذاك قصدى	وسعدى قولكم اهلا وسهلا
ومبد للزراعة نحو ربى	ليقبل جمعنا شيخا وكهلا
وثم عليك من ربي سلام	به يرويكم نهلا وعلا

فحين حلوا دار الشيخ تطلب منهم رؤساء قبيلة تانكرت ان يتبعوا
قراهم بيانا فاسعفوهم ؛ وكان الزيت مخصبا جدا فى تلك السنة ؛ حتى كاد
يكون بلائمن ؛ فصار اهل القرى يجمعون للاستاذ والطلبة قبضة - نحو كيلو -
من الزيت لكل دار ثم اتبعوا سيرهم يتقرون ايضا قرى قبيلة اداوشقرا ؛ الى
ان حلوا بتيمولوى اسفل افران وذلك كله مجبة لاهل العلم ؛ والمنقطعين اليه ثم
رجع الاستاذ ومن معه الى الف يحتقبون خيرا كثيرا واجرا حافلا ؛ ولا جناح على
المؤمنين ان يتبعوا فضلا من ربهم من الباب المشروع

الاستاذ يعاود إدارة الدروس بنفسه

رايت ان الاستاذ اليزيدى هو الذى قام بإدارة الدراسة سنة ١٣٠١ هـ والاستاذ مشغول بأرباب النوازل المتكاثرين ؛ ثم كان نفسه لم تطيب الا بمزاولة ذلك فلازم بنفسه ؛ فودع الاستاذ اليزيدى ومكنه شرطه ؛ وجزاه خيرا ؛ ثم انتصب لما هو بصدده ؛ ثم لايجد منه المتداعون الا مافضل عسر اوقات الدراسة ؛ وقد سمعت انهم اذ ذاك يتجمعون امام باب المدرسة ينتظرون فراغه من الدروس ؛ هذا مع ان الاستاذ ضعيف البنية جدا ؛ هزيل نحيف من امراض لازمته منذ زمان ؛ لايجد متعة للحياة ؛ وقد حكى لى العم انه كان يقول الامن يعطينى صحة كاملة وجسما قويا فاناولة كل هذا المجد ؛ ولكن مع هذا الحال لم يطق ان يتخلف عن درس واحد فبقى بهذا كل هذه السنة ١٣٠٢ هـ

الاستاذ مع رؤساء إليميغ

كان يعسوب جزولة ذلك العصر سيدى الحسين بن هاشم مولعا بكل مايزيده فى المعالي لبنة ؛ فيزيد الى ارباب الصوامر والعوالى ؛ ارباب الدفاتر والاقلام ؛ فكان حوله منهم هالة كبيرة ؛ من بينهم الاستاذ المترجم الذى يده ائيه منذ كان بمدرسة تانكرت تلميذا فى الرمضانات لدرس البخارى وفسى ١٢٩٣ هـ حين ودع والده الحاج عبد الله واستاذ ابن ابراهيم الى الحج اعتمر الى الرئيس بانه يتخلف فى رمضان تلك السنة ؛ فابى أن يقبله فقال له الاستاذ ابن ابراهيم انه سيأتى فى رمضان فكان ذلك باذن استاذة اكيدا عليه ؛ ثم قال له استاذة بعد : كان يمكن ان تنفث قبل ان يالئك الرئيس واما الان فلاثم كان ذلك ديدن الاستاذ الالفى فى كل الرمضانات حتى لحق بالمالا الاعلى

الاستاذ يتصل بالسلطان

جاء السلطان مولانا الحسن سنة ١٢٩٩ هـ الى سوس فنزل ازاء تزنيست فاهرع اليه كل من له اعتبار من الرؤساء والعلماء ؛ فكان صاحب الترجمة ممن ادى الحق الذى عليه لصاحب العرش المغربى ؛ فزاره مع طلبته ؛ ثم فى سنة ١٣٠٠ هـ سافر هو والقائدان سعيد المجاطى ؛ والحسن البيرانى الى الحمراء فادوا التحية هناك فى ٢٤ - جمادى الثانية ؛ فوصل الجميع بصلات حسنة خصوصا الاستاذ فانه اعتنى به اعتناء زائدا ؛ ومن بين ما اتحفه به كسى كل من يتعلق به من اهل داره ذكورا واناثا ؛ طلب منه - كما سمعت - ان يقيد ذلك فنفذه له الجميع ؛ واذا ذاك كتب له ولجميع المرابطين ذلك الظاهر الشريف الذى نشرناه تحت رقم ٦- فى الملحقات بترجمة الجد سيدى عبد الله بن سعيد فكانت هذه الحفاوة التى لاقاها من السلطان هذه السنة هى التى حدثت الى ان يعود الى زيارته ثانيا سنة ١٣٠٣ هـ والانسان اسير الاحسان

روح الأستاذ تلتحق بالرفيق الأعلى في مراكش

ماشينا الأستاذ منذ وثبته الأولى فصاحبناه في كل تطلعاته المختلفة وفي جميع مقاماته التي يترقى فيها ولا شك ان القارئ يدرك سمو هذه المهمة الفذة التي هي كلها تطلع الى المرتبة العليا التي لا يعلى عليها ؛ وبرهن على هذه العبقرية كل برهنة ماحكاه العلم ان الأستاذ علي بن عبد الله صنو صاحب الترجمة كان يقول للأستاذ حين أقبل على تشييد المدرسة كل اقبال: ما نصنع نحن بمدرسة جديدة والمدارس المبنية في القبائل كثيرة جدا ؛ وما يعمرها الا أمثالنا ؛ ولا توصل أبوابها دوننا ؟ فبأى شيء تقوم هذه المدرسة اليوم أو بعد اليوم ؟ مع أن المدارس لا تقوم الا بمعاونة قبيلة من القبائل ؛ فقال له الأستاذ ما بنيت هذه المدرسة الا لاجرب هممنا لاعرف انحن رجال مقتدرون ام لا ؛ ولكي يعرف الناس بعد من انت ؛ هل انت رجل مقتدر نهاض بالعظام ؛ او انت خائر العزيمة ممن يردهم خيال ويرهبهم ظل ؛ ويتطايرون بنفخة واحدة ادراج الرياح ؟

هذه هي همة الأستاذ ؛ وهذه قدرته التي برهن عليها بفعله وقوله ؛ ولكن ربما يحسب بعض القراء ان التجارب التي اكتسبها من عمل طويل ؛ وان الدروس التي تلقاها من عقود كثيرة مرت به ؛ هي التي شجذت همته ؛ وارتته انه لا يفوز في الحياة الا المقدمون المغامرون ؛ فتكون تجارب شببته وكهولته هي التي اوحى اليه الفكرة العليا التي ينفذها في شيخوخته ؛ ولكن كم يطول عجه ان عرف ان هذه المهمة النافذة ؛ وان هذه الاعمال الخالدة ؛ وان هذا الاقدام الذي لا يتولى انما ذلك من شاب نشيط مغامر تواق الى المعالي ؛ وانه ودع هذه الحياة قبل ان يتسلق قمة القدر الرابع ؛ فلئن كان الأستاذ يحيا النووى ؛ والقاتح الشهير اسكندر المقدوني ؛ قاما بما قاما به ؛ فيما يقارب هذه السن ؛ فان لهذا الأستاذ من الاعمال التي يتأتى لمن كان في وسطه ان يقوم بها ما يزاوهمها به في شرفهما هذا بمنكب عريض مع مراعاة الازمنة والامكنة ؛ وما يمكن في كل عصر ؛ وما صاحبنا الاصنو سيدي ييورك بن عبد الله بن يعقوب السملالي في همته وفي علمه وفي قصر عمره .

كنا غادرنا الأستاذ بين تلاميذه في مدرسته يوالى الدروس سنة ١٣٠٢ هـ ثم في ١٣ - من ربيع الاول من سنة ١٣٠٣ هـ غادر المدرسة ؛ وقد استناب والذي في موالة الدروس مع الاشراف على صنوه علي بن عبد الله الذي هو خليفته الرسمي فساقر مع القائدين المذكورين ليجددوا التحية لصاحب العرش ؛ وقد لازمه ذلك الهزال ؛ ولكن ذا المهمة النافذة والنفس الكبيرة ؛ لا يبالي بجسده ؛ في قضاء مهمته .

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

فرجع القائدان بعد ان تم المرام ؛ وتشرفا بالثول بين يدي صاحب الجلالة مولانا الحسن فبقى الاستاذ وراءهم هناك مع لمة من اصحابه ؛ ودأؤه يلح عليه وربما عالجه بمرهم لم ينجع فيه ؛ ثم ازداد عليه مضض فاحس بدنو الاجسل فطلب ممن معه ان يخرجوا به من الحمراء ؛ فنزلوا به في قرية صغيرة في احوال تامصلوحت ؛ وهناك جاءت الدقيقة الاخيرة ؛ فلفظ الاستاذ محمد بن عبد الله النفس الاخير .

قضى الامر ؛ ونزل ماليس لبنى آدم طاقة ترده ؛ فافاق رفقائه ؛ فمالوا بالاستاذ الى مقبرة صغيرة ازاء تلك القرية فواروه فيها ؛ ثم جمعوا متاعهم فرجعوا ادراجهم الى الغ ؛ وهم يندبون سعدهم ؛ وييكون جدهم ؛ ولا يدرون باي وجه يردون على اهلهم ؛ وبأى طلعة يطلعون على الغ وقد غادروا بديره الوضاء بتامصلوحت ؛ وحفروا هم له بايديهم هناك ؛ ثم افردوه في رمس تسفى عليه الريح والهور .

دهم نعى الاستاذ المدرسة ومن حوايلها ؛ فقامت القيامة ؛ واسود وجه النهار وهم في صحو يكاد يقطر غضارة ؛ فاقبل والده الحاج عبد الله مطرق الراس عليه غبرة ترهقه قترة ؛ يفصح جبينه بما لم يقدر لسانه ان ينطق به استسلاما للقضاء فادى حق التعزية وقوبلت وفود المعزين الذين تواردوا من كل جهة من الالغيين وغيرهم ؛ بنفوس تعرف ماهو التجلد ؛ وكيف يكون الاحرار الاباة ؛ في امثال هذه المواقف الجلى ؛ وكان من بين الواردين الشيخ سيدى المدنى الناصرى ؛ فسمعت انه قال لسيدى الحاج عبدالله ؛ وقد شاهد منه نزوة ؛ حق على من رزى بمثل هذا النابغة مثلك ؛ ان تطير عليه شعفات قلبه ؛ فنطق لسان بما يكنه ؛ وان كان لسان المعزى ينطق عادة بغير ذلك وكانه ينشده بلسان الحال ماقاله بعض الالغيين بعد ذلك العصر .

نعزيك لا انا جهلنا مقام من	نعزيك فيه بين من عانقوا الموت
ولكننا نمشى على سنة مضى	عليها جميع الناس ان دفنوا ميتا
فنامر بالصبر الجميل واننا	جميعا لفي حزن عظيم كما انتا
والسننا تتلو العزاء واننا	على جزع كنا عليه كما كنتا
اسلوى وقد فات الذى كان عدة	عليها مدى اعمارنا نحذر الفوت
وكيف التسلى والذى منه نشاة	لاحيائنا قد صار فى عالم الموتى
فوورى والاشخاص منا شواخص	فمن ذا الذى من بعده يرفع الصوت
فاى كيب ليس يعدلان راي	صراخ الالى يرزون ذلكم الميتا
فما كل مرموس كاستاذنا الذى	له همة لم تدر فى عزمها حتى

تجالييد الاستاذ تنقل إلى الغ

كان الشيخ الوالد رحمه الله من الاستاذ بمنزلة اليد لاختها ؛ فهما لدنان سنا وهمة وتطلعا الى المعالي ؛ فالتحم مابينهما التحاما ؛ فقد رايت كيف ناب الوالد عن الاستاذ في المدرسة البومروانية ؛ ثم ناب عنه في المدرسة الالغية في رحلته هذه التي التحق فيها بربه فقام الوالد وصنو الاستاذ على بن عبد الله فالتحقا بالحمراء فباتا فيها ليلة واحدة ريثما تم لهما تابوت ؛ فمرا بهرمس الاستاذ فوضعا تجاليد في التابوت فأقبلا يغذان السير ؛ فدفناه عند اهله في وسط المقبرة القاسمية ؛ ثم جمع اهله همته على تأسيس قبة عليه ؛ فتول الشيخ الوالد كبر ذلك ؛ ولكن لم يلبث قبو القبة ان سقط ؛ فكان القدر يمل في ذلك موعظتين

اولاهما ان ما اسسه الاستاذ بده في ايامه ؛ واشاده في صدور تلاميذه وخلفه من بعده خالدا مخلدا ؛ هو قبته الخالدة الدائمة التي لاتنسها الاعاصير الالغية ؛ وقواصف (تيفرميت) العاتية ؛ ولاتمتد اليها يد الدهر وان تطاول فمن كانت له هذه القبة من المجد الموثل ؛ فكيف يتوقف بعد على ما لا بد ان ينهار اما اليوم واما في الغد ؟

والاخرى مانهت عنه الشريعة باحاديث صحاح لامغمز فيها لغامز ؛ ولا يمكن ان ترد باعمال المتأخرين الادنين ؛ وحين يابى الاحياء ان يقفوا عند نهيتها فان ارواح الموتى تجار الى الله في عليها ان لاتبقى متصلة ببدعة من البدع فجاءت الاعاصير الالغية ؛ والقواصف التفرميتية تؤمن على دعواتها فمالت على الجدران تسفيها هباء منثورا ؛ وما لاسس له فلا بد ان ينهار . والمعدوم شرعا كالمعدوم حيا

اخلاق الاستاذ

كان الاستاذ كما رايت محظوظا في كل ماتمهس يده ؛ وقد جعل الله البركة في عمره ؛ وانزل اليمن على عمله فبنى واثل وولد وعلم ؛ وكل ذلك في اثنتي عشرة سنة منذ فارق المدرسة التانكرتية سنة ١٢٩١ هـ الى منتهى ١٣٠٢ هـ وقد كان الشيخ الوالد كثيرا ما يذكر ذلك ويجعله مضرب الامثال في الحظوظين الذين أخذ الله بأيديهم ؛ ووقفهم حتى فعلوا ثم بقيت افعالهم خالدة فاسمع ما قاله الوالد في رحلته الحجازية حين ذكره للاستاذ على بن عبد الله خليفته في المدرسة

متبعا شقيقه محمدا من كان في الهمة فردا او حادا
من يفعل الخير الذي قد فعله ؟ يعمل في العمر القصير عمله

قد خلف الذى عليه يجرى
لانه اكرم من كريم
قد فاق بالجد والاجتهاد
فقاتهم وسلموا فى السبق
وهو الذى قد شاد فى بلدنا
وغرس العلم له تلامذة
وحبس الاحباس ثم خلفا
فهذه الثلاثة التى ذكر

فى حال موته بخير ذخـر
بأى عزم مقعد مقيم
اقرانه من زمن المهاد
من مثله فى الغرب اوفى الشرق؟
مدرسة شادت له كل ثنا
عديدة لهم فهوم نافذة
اولاده ينتجعون الشرفا
لفاعل اجر بها وان قبر

وسمعت من الاخ المرحوم سيدى احمد ؛ وكان ممن ينصف الرجال
ولا يفيطهم حقوقهم ؛ ان سيدى محمد بن عبد الله هو الذى اسس لآل سيدى
صالح ما فرعوا فيه الى الان ؛ وهم الان ديار متعددة ؛ واسر شتى ؛ قال وكل
ما فى ايدي هذه الاسر استحدثه الاستاذ فى ايامه القصيرة ؛ ثم لم يستحدث
من الاملاك بعده عشر العشرات ثم يفيض سجلا من الثناء على الاستاذ ؛ فصاحب
الترجمة محظوظ من هذه الجهات افلا ترى ان ملاك ذلك كله اخلاقه ؟ افلا
يكون أيضا محظوظا من جهتين ؟

فقد سمعت ان قضية كانت فى يده لبعض اناس من آل دو كدير ؛ فادلى
بعضهم برسم زور ؛ فردده الاستاذ ؛ فاجتهد الآخر بكل ما فى امكانه ان يقبله
الاستاذ ؛ والاستاذ يرده عليه ثم قلب له ظهر المجن ؛ فصار يتوعده لعل ذلك
يؤثر فيه فيقبل رسمه ؛ فكان الاستاذ ازاء ذلك كحائط من فولاذ ؛ لا يتأثر
بأى شيء ؛ وهذه ناحية اخرى نعرفها من خلقه بهذه القضية .

وكذلك جرت له هو بنفسه نازلة مع سملاي ؛ اشتهرت فى ذلك الحين
كل الاشتهار ؛ فظهرت أنه صلب الارادة ثبت حاذق لاتمشى عليه الحبل؛
وذلك انه دابن سماليا فى بعض المسابغ بحبوب بثمر اكثر مما فى السوق
ثم أجله وللأجل حظ من الثمن ثم لما اخصب الناس راغ السملاي ؛ فقال انما
ارد الحبوب بوجهها ؛ فصار يدلى ببعض فتاو من فقهاء يقتونه بما ذكر فيها انه
باع بالفلاء لمن كان مضطرا ؛ فى حين ان هذه ليست اخت تلك ؛ فاستغنى
هو بدوره علماء آخرين ؛ وبين لهم ان هذا الانسان ذو املاك تداين عليها ؛
فافتوه بلزوم الثمن ؛ ثم قام الرؤساء السملايون وهم يعرفون للاستاذ مكانته
فالزموا ذلك الانسان ان يغرم ؛ فالتجأ هذا الى رئيس ابلنج سيدى الحسين
فأرسل الى صاحب الترجمة ان ياتيه برسومه ؛ لينظر اهـى صحيحة ام لا ؛
فأرسلها اليه الاستاذ ؛ فأعرض سيدى الحسين عن القضية ؛ ومكن السملاي
من الرسوم فأحرقها ؛ ثم دالت الايام على سيدى الحسين ؛ وقد حاصرت القبائل

أواخر ١٣٠٢ هـ أو أواسط هذه السنة ؛ فاتصل بامغار محمد المجاطي ؛ فكان أول ما اشترطه عليه امغار محمد بين شروطان ينصف الاستاذ ابن عبد الله في قضيته ؛ فأرسل اليه في الحين ؛ فقال له الاستاذ اعطني رسومي أولا ؛ فقال له سيدي الحسين ان الرسوم قد احرقها المدين ؛ ولكنني سأقف معك بغيرها ؛ فقال له الاستاذ ؛ مادمت تريد ان تنصفني فاني ايضا اقول لك ان ماوصلك من الرسوم انما هي نسخ منقولة من الاصول ؛ واما الاصول من الرسوم فهذه هي ذى عندي . ففعلت ذلك احتياطا فجعل سيدي الحسين دعوا هما في يد الاستاذ سيدي أحمد بن ابراهيم السملالي العلامة الشهير ؛ قال سيدي الحاج احمد الزبيدي فمر بي الاستاذ بن عبد الله وأنا اذ ذاك بالاختصاص ؛ فتصاحبنا فبتنا عند الاستاذ السملالي ؛ فحكم بصحة دعوى الاستاذ والزم السملالي بالقرم ؛ وكتب له بذلك فقال الاستاذ ابن عبد الله لسيدي الحاج احمد الزبيدي الذي كان واسطة بينهما ؛ سل الاستاذ السملالي كم اجرته في القضية فقال له الآخر ؛ مثلي لا ياخذ من مثله اجرة ؛ انما اجرة امثالنا فيما بيننا هو التعاون على النوازل ؛ والتناصر على احقاق الحق فيها وابطال الباطل .

هذه الحكاية ترينا نواحي شتى من اخلاق الاستاذ ؛ فنرى منها انه لا يغلب ولا يخنى هامته ولو لرئيس ايلبغ الذي كانت له سطوة هائلة اذ ذاك ونرى ايضا احتياطا في الرسوم فأدركنا انه ممن لا يخدع ولا يقعقع له بالشنان فهذه نواح اخرى نعرفها زيادة على ما تقدم

وللاستاذ نظرات صائبة ؛ وقد راي من ولده استاذنا عبد الله وهو ابن اربع سنوات ماحمله على ان قال ان ابني هذا لجرى ؛ فكان كذلك ؛ فكانما كشف له ستر الغيب ومن اوتى العقل فقد اوتى الفراسة النامة ؛ والتوسم في كل ما يعلن امامه (واتقوا فراسة المومن)

وكان رحمه الله في الدروس جهورى الصوت فصيحاً ؛ حكى بعض سامعيه انه لم يعهد له ثانيا بعده ؛ على ان لصنوه الاستاذ على فصاحة كذلك تقرب بها الامثال .

آثاره

لاادري اى آثار اخرى ينتظرها القارىء عن الاستاذ ؛ بعد ان راي في كل ما تقدم اعمالا خالدة ؛ لاتصدر الا عن رجال عبقريين ؛ فمثل الاستاذ الذى افرغ ايامه القصيرة في التعليم ينبغي ان تتطلب آثاره في صدور اصحابه ؛ فما بعدهم له من اثر ؛ وأما آثار قلمه فقلما يتفرغ لها من كان مطوقاً بمثل ما طوق به ؛ فقد اخبرني ولده استاذنا عبد الله حفظه الله انه كان افتتح

حاشية على البهجة واسعة ؛ ولكن اعجل عنها ولم يتمش فيها كثيرا ؛ على أنه مع ذلك ابيانا كثيرة في القواعد مشهورة عند اصحابه ؛ منبهة فسى الابواب والعلوم ما بين فقهية ونحوية ولغوية وغيرها ؛ وله كذلك بعض مقطعات اديبة يكتبها الى تلاميذه ؛ حشرنا منها كل ما توصلت اليه ايدينا في كتابنا السننى سميناه (جوف الفرا) كما ذكرنا له ايضا فتاوى فقهية ؛ فى كتابنا (المجموعة الفقهية) لعلماء الفخ وغيرهم من المتأخرين ؛ فليرجع اليها هناك من ارادها واولكتنا نسوق هنا محالا فى الذوق وحلى فى العين ؛ فمن ذلك ما كتبه الى تلاميذه بالمدرسة فى ربيع الثانى ١٣٠٢ هـ من داره وقد تخلف عن الدراسة ذلك النهار للمطر ؛ قصيدة مطلعها

بدت لي احبتنا عبرة
رايت السماء بتلك السنيـ
التي ان قال :

وخير الخلائق من يعتبر
من الارض ضاحكة تكتـ

فكل الحوادث اوعية
ولكن قليل من الناس ممن
الى آخرها .

ثم كتب بعدها حفظ الله الاخوان المذاكرين ؛ وجعلنا وايهاهم لانعمهم من الشاكرين ؛ ووقى الجميع كيد سائر الاعداء الماكرين ؛ ومتعنا اجمعين بالحظ الاوفى والمنهل الاصفى بين جنده القائمين بالاسحار والمباكرين ؛ وسلام الله تعالى عليهم وعلى من بهم واليههم

وبعد : فقد كثر المطر واشتد الوحل ؛ وتتابع السيل بامر الله لابنؤ
المشترى ولا زحل ؛ وجبنا بالغيوث في البيوت؛ وانشأنا والحالة تلك ما تقرأون
من البيوت ؛ فتأملوها معتبرين واستغنوا بها عن نصاب اليوم مضطرين
واقبلوا عذر هذا المسكين ؛ فانكم عنده في الحب والله بمكان مكين ؛ وقد
قدمكم بشهادة الله على الوارد والسكين ؛ واعتقد كلانكم خير خدين بالصدق
زكين ؛ قاله يحقق ذلك فيما عنده ويكثر بنا وبكم من عباده الصالحين جنده
ويجعل اتباع السنة الاحمدية لكل منا دعه وهنده وصلى الله وسلم على الاتي
بها وصحبه؛ وعلى آله وكل من قضى على ملته البيضاء محمود نجه ؛ ومنعنا
بالحياة الطيبة من طاعته واباكم وصرف للذيذ خدمته محيانا ومحياكم ؛ وحصر
في ذلك وحده محيانا ومحياكم

ومن ذلك ماكتبه اليهم ايضا وقد عزم على السفر الى الحمراء ولعل ذلك في سفرته الاخيرة

(من محمد بن عبد الله بن صالح ؛ السلام والرحمة والبركة على جميع

الاخوان المذاكرين معنا وجميع من تعلق بنا ؛ وقصد الانخراط بسمطناوعنى
وبعد فان الله تبارك وتعالى ؛ قد شرع الاستخلاف لمصلحة الائتلاف
وجعل انتظام الامر مقصورا على الاتحاد ؛ ووعد على الاجتماع وواعد على الاتحاد
فقال : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)

ولذلك استخلفنا عليكم اخانا عليا ؛ سدد الله فيما كان له وليا ؛
فانخذوه ابا ؛ وتوقيه ديدنا وادبا واوصيه بجميع الاخوان ان يحلم عن جافهم
ويشكر سعى وافيههم ؛ وينصح جهده ويوطىء لجميعهم مهده ؛ وان لا يميز بينهم
الا بمقتضاه وان يرضى لجميعهم ما يحبه لنفسه ويرضاه ؛ واوصى الجميع الامير
والامور ؛ ان يلاحظوا الله تبارك وتعالى في جميع الامور ؛ وان يعلموا ان اعظم
الصدقة في عصرنا هو الصبر والكظم ؛ وأحق به الاقارب بالدم والعظم ثم
بالمجاورين والمجاورين ؛ مع مراعاة خدمة الله تعالى في ذلك كله؛ واعلموا قطعا
ان حقيقة العلم هو العمل بالمعلوم ؛ ومن تعلم ولم يعمل فهو مدموم مملوم
وانا استودعكم الله الذى لاتضيع ودائعه ؛ وأبضع تعليمكم في سفر الاجراء الى
النبي صلى الله عليه وسلم فانه لاتكسد بضائع ؛ ولما حان اعمال ذى الظفر
والخافر ؛ انشأت لكم مودعا فى بحر الوافر

اودع جمعكم ونظام امر

(الى آخر ابيات ثلاثة) ومن ذلك ايضا رسالة كتبها الى تلميذه الاستاذ
سيدى الطاهر الافرانى نصها :

امد الله بالعلم اللدنى ولد شيخنا المحفوف من الله بالرحمة والرضا ؛
سيدى الطاهر ؛ وامتنعنا واياه فضلا منه سبحانه بصفاء الباطن واستقامة
الظاهر وجعلنا من الطائفة الظاهريين على الحق حتى نكون لاسرار الكتاب
والسنة من اجل المظاهر وسلام الله تعالى عليه يصحبه دائما حتى يكون
بكمال الفضل من جملة المشاهير •

وبعد ؛ فاعلم ياولدى ارشدك الله وسددك ؛ واعانك على الاستقامة
وبالصفاء نذك ؛ ان النهايات على قدر البدايات ؛ وحمد البداية انما هو بكمال
الادب مع الله تبارك وتعالى سرا وجهرا بامثال امره واجتناب نهيه ؛ ومع رسول
الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وخدمة ملته ؛ وكمال التواضع لساثر
أمنته ؛ بحيث يرى العبد ساثر المسلمين اشقاءه من هذا الاب الدينى صلى الله
الله عليه وسلم ويقصد بذلك اقرار عين النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وطاعة
من هم من خير عبيده سبحانه ؛ ولاسيما الاخوان المذاكرين الذين ينتفع
المرء بمجالستهم ويزداد علما بمدارستهم ؛ فحقهم أكد وأكد ؛ وقد كنت احببت
القيام على هذه القدم لساثر الاخوان ؛ وادعو الله لهم بذلك فى كل وقت واوان

ولكن كمال بنوتى لوالده الله في مدارج العرفان ؛ وجعله في عالم البرزخ
مغبوطا لكل فان ؛ يظهر لى انى قصرت في حقه ؛ ويستقل ما ادخرت من طيب
العلوم في حقه ؛ فتفكرت في وجهه يتحقق به كمالك ؛ وتحصل عما قريب ان
شاء الله آمالك ؛ فرأيت السبيل الى ذلك هو كمال الادب والجد في الطلب
فهما شاهدان عدلان على استحقاق المدعى ؛ مايمد اليه يده ويدعى ؛ ولذلك
اوجبت عليك القيام بها ازيد من غيرك ؛ غير ملتفت الى سير غيرك في سرك
واذا علمت - اصلحك الله من انا ومن انت - تستقل كل ماجدت به بعد
واجب الادب ومننت ؛ واذا علمت ان جدك الصديق رضى الله عنه انما فاق
سائر المسلمين بالصدق الذى وفر في صدره ؛ من تعظيم النبی صلی الله عليه
وسلم وقدره حق قدره ؛ تبليج لك صباح الفلاح ؛ وتيسر لك في هذا الامر اعمال
المفتاح؛ فتح الله منا ومنك البصائر وطهر بفضل العليم الظواهر والسرائر
وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ؛ والسلام عليكم

من هذه الرسائل ومن نفسها ؛ تفهم ايها القارئ نفسية الاستاذ وكيف
تربيته ؛ وكيف احترامه لاشيائه ؛ وكيف نظرته الى جميع المسلمين ؛ وكيف
يجب من تلاميذه ان تكون نظرتهم الى ما بينهم والى سواهم ؛ وامورا كثيرة ربما
تفهمها مما تقدم ؛ فرحم الله الاستاذ الذى وان كان تيجاني المشرب على يسر
الشيخ سيدى الحاج الحسين الافرانى ؛ لا يعرف للتعصب لذلك معنى ؛ وقد
رايت في ووقات افتتح فيها والدى كتابا في شيخه سيدى سعيد ابن هب
ذكر فيها ان صاحب الترجمة هو الذى حثه على تالفيه ؛ وسماه له (المبدى)
المعد في ذكر الشيخ سيدى سعيد) فمن ذلك ترى اولئك الرجال يعرف كل
منهم لآخيه فضله ولا يعرف الفضل لاهل الفضل الا ذوه

واما آثاره الشعرية ؛ فكثر منها شعر الفقهاء كما قاله استاذنا سيدى
الظاهر الافرانى فلنسق منها ماتاتى لنا ؛ وامكن ان يقبله الادباء .

فمن ذلك قطعة حائية وقفت عليها بين اوراق للفقهاء سيدى الحسن
التياسينتى يخاطب بها استاذه سيدى محمد بن ابراهيم ؛ ويتشوق الى افرا
(وفيها بعض اصلاح لبعض الالغيين) :

هفا بالقلب من صدرى جنوح	اذا ماهب من افرا ن ربح
فيبدو منه نحوهم جموح	يشم بها اربجا من حماهم
تفكرهم فأزفر او اصيح	فاصبر ما اطيع فيرتدى بى
كان الجسم عمته جروح	ابيت على التمليل في قراشى
الى من وجهه الاسنى صيح	وذلك كله من أجل شوقى
فاغدو فى جداه كما ادوح	ابى الثانى وشيخى من حبانى
عظيم من ابى بكر صريح	محمد نجل ابراهيم مجد

تأزر بالسيادة وارتداهـا كما يغدو المرابي والنصيح
غذانا بالعلوم وليس يغدو برسل العلم مكسال شحيح
جزاه الله مايجزى عليهما له عمل بمعلمه صحيح

وقال ايضا يخاطب صنوه الاستاذ على بن عبد الله وهو اذ ذاك صغير ؛
بعد ما كتب اليه اخوه هذا مانصه :

الحمد لله فان ظهر لسيدى ان يتصدق على برقع رطل من السكر فجيذا
فقد جاءنى سيدى محمد اليزيدى ؛ ولم يجده عندى
على بن عبد الله

فاجابه : الحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه ؛ سلام
الله على كاتب الحروف اعلاه ؛ وقرب بها زعمه وطره وادناه
وبعد : فها هذا الجفاء مع الواسطة العظمى صلى الله عليه وسلم وعلى آله
يعدم الصلاة عليه ؛ فسبحان من خلق اقواما للفظاظاة والجفاء ؛ وخيلتهم ظنونهم
ذلك الصنع من عدم المداهنة واطهار الوفاء ؛ كلا ان الادب مفتاح كل وزمامه ؛
والنبي صلى الله عليه وسلم اعظم العالم الادمى وامامه ؛ (لقد كان لك فى رسول
الله اسوة حسنة) والسلام عليكم

مداعبة

فتارة ذو سرقة	وتارة ذو درقة
وحيث ضيف طريقه	بعث نحوى ورقية
وقصده بكل ذ	اذا ان يصون ورقه

وكتب اليه ايضا

سلام عليك يا على الشقيق والنس	بنى وزهرالروض من مفرق القنص
فديتك ان العلم حصن وساوس	وانت بتحت الحصن فاصعد الى الحصن
ومفتاح هذا الحصن فيما علمته	وحققه الرحمن عند الاخ الحصنى

ومن شعره ايضا

اذا الله اودع الانامل حكمة	يوضع السطور فالعطية جلست
بعد حروف من قصور جزاؤها	بخنة عدن سلها حيث ملت

وبعث الى تلاميذه وهم سبعة وقد سمعهم اقتتحوا الدرس بالصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم ؛ كماهى عادة الشيخ ابن ناصر ومن اقتفى اثره ؛
ياسبعة من سعد سبعة جمعهم ظفروا بامر نعم ما الامر
فتحو الندى بذكر من لو جال فى صخر الجنادل دكت الصخر
تلك الصلاة على النبي فيانها من لذة لم تحكها الخمر

وقال يحض تلاميذه على الاعتناء بالمقامات الحبرية ؛ ويصفها لهم
ويذكر ان من فاز بفهمها يسهل عليه قول الشعر

اذا رمتهم نظما مقفى مجبرا
فان الذى قد فاز من فهم ما بها
سيزرع فى اشعاره اسهل النزع
فزوروا مقامات الحبرى على الوسع

وقال يخاطب نداماه على الشراب

انشؤا يا خير قوم
ادب المجلس شعر
عجبا كيف حصرتم
ان كاسا دون شعور
ولكم ارجو من الله
ملحا اذ ما حضرتم
طبق معنى ما نشرتم
ولشرب الكاس صرتم
حنظل لو قد سبرتم
— مناكم ان صبرتم

وكتب على نسخة التصريح فى آخرها

أتعبت فى تملك التصريح
بالله فاحفظه أمن تملكه
واجعل الاهى من الاولاد
نفسى وما اجمعه وروحي
من بعد ربه ولازم مسلكه
مالكه او اخوتي فى النادى

وقال ايضا

تكلف الاسفار للاوطار
من عادة الاكياس فى الرجال
فى شدة الحر وفى الامطار
بشرط ان تكون فى الحال

وكتب الى الشيخ الوالد ؛ وهو اذ ذاك على قدم التجريد فساح مرة ؛
فاذ رجع الى البلد كتب اليه ما نصه

سلام كما المسك والعنبر
على من له فى ابتدا سيره
أبى حسن من بغرته انى
ارانى الزمان بشاشتته
والبسنى حلة طرزهـا
الى آخرها
على من بادران وصم بر
مهابة عال على المنبر
كسار بقلبي لم يجبر
بوصلكم الا برك الاكبر
سلاما سلاما على المخبر

هذه نماذج من اشعار الاستاذ ؛ وقد اعتنى بجمع غالبها تلميذه سيدى
العربى الساموكنى فى كراسة صغيرة مع مقطعات مما قاله لآخيه الاستاذ
على فى بدايته

الآخذون عنه

(١) الاستاذ الطاهرى بن محمد الافرانى

- (٢) سيدى ابراهيم بن محمد ابن عم المتقدم
- (٣) الاستاذ العربى الساموكنى
- (٤) الاستاذ ابو القاسم النا جار موتنى
- (٥) الاستاذ محمد بن الحاج الافرانى
- (٦) صنوه الحسن ابن الحاج
- (٧) الاستاذ الحسين التاطاروستى
- (٨) الاستاذ المكى اليزيدى
- (٩) ابن عمه الاستاذ محمد بن عبد الله اليزيدى الكبير
- (١٠) سيدى الطيب الركيبي
- (١١) الفقيه سيدى احمد الصمامى
- (١٢) سيدى الحسن بن عبد الله السملالى
- (١٣) سيدى محمد بن ابراهيم الاخصاصى خديمه
- (١٤) سيدى محمد بن الحسين البعمرانى
- (١٥) سيدى على الامرخسينى
- (١٦) سيدى الحسين بن ابى بكر الاغوديدى
- (١٧) الفقيه سيدى الحسن التياستنى
- (١٨) سيدى مبارك التاكضيشتنى
- (١٩) سيدى الحاج بلقاسم الزاوى
- (٢٠) سيدى محمد بن اليزيد السملالى
- (٢١) سيدى محمد بن الحسن الكسالى
- (٢٢) اخوه الاستاذ سيدى على بن عبد الله
- (٢٣) سيدى سعيد الاعضيائى
- (٢٤) العم ابراهيم بن احمد
- (٢٥) الاستاذ سعيد بن عبد المؤمن
- (٢٦) سيدى ابوبكر الاكيواوى
- (٢٧) الاستاذ المدنى ائماسى
- (٢٨) الاستاذ عبد الله باولا

فهؤلاء من استحضرهم العم ابراهيم ؛ وهناك من ربما نسيناه وغالب
هؤلاء اخذوا عنه فى متقلباته ؛ ثم انتهوا الى المدرسة الالفية التى تولاه بعد
هذا الاستاذ اخوه على فلازموه ايضا حتى تخرجوا مع عشرات آخرين تراهم
فى ترجمة الاستاذ على بن عبد الله ان شاء الله ؛ ولانستثنى الا اثنين منهم
هما اللذان لم يأخذا عنه الا فى المدرسة البومروانية سيدى محمد بن اليزيد
السملالى وسيدى محمد بن الحسن الكسالى ؛ وهؤلاء كلهم فقهاء وان كانوا
متفاوتين فى درجات التحصيل وسترى ان شاء الله فى ترجمة كل مقدار

غوره ؛ وفي آثاره ان وجدناها كيف نزع ؛ والله يبسر ولا يبسر
ثم اننا لم نسرده هنا الا اكابر اصحابه الذين يستحقون ان ينسبوا له
والنقاية المختارة ؛ الا ماكان من محمد بن ابراهيم الاخصاصى وسيدى عبد الله
باولا ؛ والحاج بلقاسم فانهم ليسوا من النقابة ؛ وانما ذكرناهم لانهم القيون
واما نخالة المدرسة وذلك الطغام البليد الذى لا تخلو منه اية مدرسة ؛ فلان تعرض
لهم بذكر ؛ ولا نشغل انفسنا حتى بالتفكير فيهم ؛ لان من فتح له باب المجسد
على مصراعيه ؛ ثم لم يلج فيه ؛ او اتحت له اجنحة يحلق بها فى مناط النجوم
ثم قصر بنفسه فأحر به ان ينسى اليوم كما نسى نفسه بالامس (فاليوم ننساكم
كما ننسىتم لقاء يومكم هذا) وهل التاريخ الا يوم العرض الاول الذى يسرى
يوم العرض الاكبر ؟

اذا ما أهان امرء نفسه فلا كرم الله من يكرمه
ثم ان الاستاذ صاحب الترجمة اعقب من الذكور ثلاثة احمد وعبد الله
وعبد الرحمن وكلهم ممن حمل تراثه وسترى تراجمهم امامك ان شاء الله .
مراتب

لم اقف له على مراثية من تلاميذه ؛ الا مراثية رفيقه الشيخ الوالد الذى
انقلها من خطه مع ماصدرها به ؛ ونص ذلك باختصار :

وبعد . فهذا رثاء لعلامة زمانه . ورافع راية الدراية فى اوانه . الفقيه
النبيه . الاغر النزبه الابى عبد الله سيدى محمد بن عبد الله بن صالح
بزواية (تحت الحصن) بالغ . قد قلته حين اصبنا برزية فقدته وذهب ربنا بعده

فمن للعلا وللمحاسن والوفسا
وللرغد والارشاد والقصد والندى
وللخوض فى بحر العلوم بفلکها
وللسقى فى النادى الندامى بديهه
يمل الندامى ما هداه وانه
فنفس عصام سودته وعلمت
لتبك عيوننا الفقيه محمدا
وكيف وقد بدا بمجياه للورى
ومن بعده بدت غياهب ظلمة
فلولا على صنوه وشقيقه

(١) مأخوذ من قول الشاعر
تبل الندامى ماعدانى فاننى
(٢) نفس عصام سودت عصاما
بكل الذى يهوى نديمى مولع
وعلمته انكر والاقداما

لالت بنا الاحزان من كل وجهة
وابرزه للانام شمسا وقدوة
فيشفى صدور المؤمنين بنوره
فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر

ايارب نوره ضياء بلا خفا
وسرا وترياقا غليلا لهم شفى (١)
لما فيه من اسرار ربه والشفاء
فذا القول قول الحق حقا من الشفا

قولة المؤرخ سيدي علي بن الحبيب فيه

ومنهم الفقيه العلامة سيدي محمد بن عبد الله الالفي امام عارف معترف
له بالبلاغة والبراعة مع نفس عصابة وفكرة ايسية • حافظ للترتبة • ادبا
ومروءة • الى رواية كثيرة • مشارك في فنون • من فقه وعربية وادب • انتفع
به خلق كثير في وجهته وهو اول من اختط المدرسة العلمية ببلده • فعملها
بانواع التدريس الى ان اشتهرت واشتهر تلاميذها • مستفتى في المشكلات
تصنيفه الرتب العالية ؛ فاعترف بارشاده الخاص والعام • (ومن يساجل
صوب العارض الهطل) علما وحلما •



(١) الانام كالاسباب لغة فى الانام كالسحاب

الشيخ الحاج على الدرقاوي

نحو ١٢٦٨ = ١٢-٢٨-١٣٢٨ هـ

نسبـــــــــــــــــه

على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد .

هذا هو والدى الذى بسببه خرجت من العلم الى الوجود ؛ وله على - كوالد
واجبات تحتم على ان اؤدى حقها ؛ وما هو اوكد الواجبات على الانسان ان لم
يكن حقوق الآباء على الابناء ولكنه يصعب مع ذلك على من اراد ان يتحرى الحق
فى مثل هذا المقام ؛ ان يذكر لاييه كل ما يعرفه كل معاصر له قبل ان يعرفه
هو من شموخ مجد ؛ ونباهة ذكر ؛ ان يجد بين يديه - امام من حبيب اليهم
انتقاد كل شئ - مسلكا يخرج منه سالما ؛ لانه اما ان يطنب واما ان يوجز
وكلاهما شطط عند بعض الناس ؛ فالمطنبون يتهمون بالتحيز ؛ والاشادة بمعال
يؤول اليهم فخرها ؛ ويصيرون كانما يجرون النار الى قرصهم - كما يقولون -
بل يقال لهم ماذ نفسة يقرئك السلام ؛ والموجزون يتهمون عند قوم آخرين
بالعقوق وغمط والديهم واسلافهم ماكانوا هم اعرف الناس به ؛ ولذلك يسلك
من يسلك هذه الطريقة عقبة كآداء صعودا قلما ينفذ فيها نافذ الا ارضى قوما
واسخط آخرين ؛ خصوصا فى هذا العصر الذى افتضحت فيه طرق التصوف
بكثرة الكذابين الافاكين الذين اطالوا الاكمام وارسلوا العذبات وأدعوا
مالم يكن لا للخليل ولا للكليم .

كيف يمكن اليوم لمثل ان يجلو على أنظار هذا العصر صفحة نقية من
التصوف الخالى من الرياء والشعوذة والافك والبهتان ؛ كما يعرف به كل
الناس الشيخ الوالد رحمه الله ؛ ثم يجد من ينصف ويزن بالقسطاس المستقيم
ويتانى حتى يدرك معنى ما ادركته ؛ قبل ان يخزننى بحمة عذله ؛ او يصل الى
والى من ارسل فى ترجمته يراعى بنبله ؛ فان هذا العصر وأهله خلقوا من العجلة
ومن السر السريع ؛ واقتبست عقولهم من سرعة السيارة والطيارة ؛ فصاروا
يحكمون لاول نظرة ؛ ثم لا يتهمون أنفسهم فى أحكامهم ؛ وان اتيتهم بعد ذلك
بألف دليل وبرهان

لكنى رغم كل هذا اقدم على ترجمة هذا الصوفى الكبير فانمشى رويدا
رويدا ؛ واستقرى حياته من عهده بالمهد ؛ الى ان وورى فى اللحد وسأؤيد ما

اسوقه باستقصائه واستقائه من أصفى موارد ؛ وساجعل نفسي حرا فيما أقول ؛ واجهر بالحقيقة التي اعرفها رضى من رضى وسخط من سخط ؛ جهر من يقول ما عرفه كما عرفه من غير مجمعة ولا تورية •

اننى الآن كهؤرخ يجب على ان اصدع بالذى اعلمه ؛ واشيد به للتاريخ فاوجز ان اقتضى المقام الایجاز ؛ واطنب ان استدعى الحال الاطباب ؛ وأجعل فى ذلك رائدى ضميرا ابيا حرا لا يغمط الحقائق خوف ان يتهم بالتحيز ؛ ولا يقبل كل ما يحشره من يهرق بما لا يعرف الا بتثبت وتبصر وتان ؛ ووژن بميزان العقل الذى فضل الله به ابن آدم ؛ ثم ماقصر عنه عقلى ؛ واعترفت فيما بينى وبين نفسى ان يدى تقصر دونه ؛ فانى اسوقه ان ثبت عندى وقوعه فادعه بين يدى القارىء فله ان يقبله وله ان يرده ؛ ورضى الناس غاية لا تدرك •

ثم انه يجب على كل مؤرخ ان لايهتبل بآراء بعض ابناء هذا العصر من شذاذ الافكار الذين يابى لهم حولهم الا ان يجعلوا تخيلا كل ما راوه شمين اثنين ثم لا يزالون يترددون بينهما حتى تضبح الحقائق ؛ وتشتبه السبل فان هؤلاء من انصاف العقلاء الذين لا ينبغي اعتبارهم ؛ وان كانوا يتوهمون عند انفسهم انهم وحدهم عقلاء العالم •

هائذا اقدم اقدام من يقول ما يعلم ؛ ويصحح به على اسلات اليراع التى هى أبلغ ايصالا من الواحى ؛ لانها توصل ما اودعته فى كل زمان وان تطاول على حين ان الواحى لا يتجاوز آته ؛ وأنا معتصم بحول الله وقوته ؛ ومستوكل عليهما فى توفيقى فيما انا قائله ؛ ومتجرى الحق فيه جهدى ؛ والله هو المطلع والالاف من الناس الذين يعرفون ما اعرف بكل ما اقله شاهدون ؛ ومن قال ما علم فما عليه من ملام •

ثم اعلن بكل صراحة اننى ممن يؤمنون بالروحيات وبوجود ما وراء المادة واومن بتطور الروح حتى لتتجسم ؛ وأومن بان الكرامات والكشف المشهورات أمس عند صوفيتنا اخوات ما يشبه العلم الحديث اليوم من استحضار الارواح وتشخصها ؛ حتى انها لتوزن وتصور ؛ وتانى باشياء من بعيد فى لمحة الطرف ومن لا يومن بما عند صوفيتنا امس ولا بما اثبته العلم الحديث اليوم ؛ فليول عنا وجهه بسلام ؛ فما بعد الحق الا الضلال ؛ فليس فى مسالختنا ولسنا فى مسالخته فقد ضرب بيننا وبينه حجاب مستور ؛ وانما قلت هذا لاعلن مذهبي كى استريح من ناس ضيقى الحواصل يريدون ان يجعلوا الاسلام ماديا متجبرا سامجهم الله •

موضع الولادة

عجبا ان من الناس من تكون الخطوة الاولى من خطواتهم فى هذه الحياة

فلتة من الفلتات ؛ فتبدو كرمز الى ان هذه الخطوة صدرت عن انسان غريب
 وأن حياته ستكون كلها غريبة ؛ فان كانت لاندرك غرابة تلك الخطوة الاولى
 بادىء ذى بدء كشيء يلفت الانظار ؛ ويطيل العجب ؛ فان صاحبها لا يلبس ثياب
 يجيش بعد بسيل مائج من العجائب فتتبع العيون كل ما يتصل به قبل ؛ حتى
 تنتهي الى تلك الخطوة وما يحيط بها ؛ فتتجسم تحت نظره المبهور ؛ بانسار
 صاحبها فينالها حظها من العجب .

كان في الغ في عصر واحد ؛ عظيمان كلاهما اسمه على وكلاهما يقوم بعمل
 عظيم لا يقوم به الاخر ؛ فاحدهما الاستاذ على بن عبدالله الذى ستقرأ في ترجمتهما
 تقرأ ؛ فتوقن انه من اعظم الرجال ؛ فلما تسمح البوادى بمثله وثانيهما صاحب
 هذه الترجمة ؛ وسترى امامك ماستقف ازاء مشدوها ؛ وقد ذهب بك الاعجاب
 كل مذهب فكان من اغرب الصدف ان كليهما ولدته امه في مهمه قفر في جنوبي
 الغ ؛ يتخذ منتجعا للغنم في فصل الربيع ؛ فتتبع نساء الاسر غنمهن يخفضن
 ويقفن بما يحتاج اليه الرعاء ؛ فالاستاذ على بن عبد الله نفست به والدته في
 محل هناك يسمى تارين ؛ وصاحب الترجمة ادرك امه الطلق في جانب آخر
 يسمى وينكزماضن هكذا تمخضت كل واحدة من (رقية) والسدة الاستاذ ؛
 وتاكدا والسدة صاحب الترجمة بما تحسبهما الحواضر ولدين عاديين ؛ قد
 يعيشان وقد تميل بهما شعوب وهما بعد في المهادر ؛ ومن ذا يعرف الا الله اذ
 ذاك ان ابن تارين سيكون من اعظم العلماء الادباء الذين سيفجرون من بحور
 العلم والادب ما تزرخ به الغ وما اليها ؛ وان ابن وينكزماضن سيتكشف عن
 عن اعظم رجل مرشد ترفرف على هامته الوبة الشهرة الخفاقة ويهتدى به آلاف
 مؤلفة من الناس ؛ ويتدفق به الى الغ من المريدين وطلاب الوصل الى معرفة الله
 طوائف اثر طوائف ؛ تموج بهم الطرقات ؛ ما بين وادى نون الى درعة الى الحمراء
 الى الصويرة فهكذا تسقط حبة من يد انسان ؛ فتدوسها رجله ؛ فيجتمع عليها
 الثرى ثم تمسها بلة من ندى ؛ فترسل من جدورها الرقيقة ما لاتزال تسمو به
 حتى تستحيل سرحة فينانة ملتفة الافنان ؛ متسعة الظلال يتفياها في الهواجر
 اللوافج كل من احرقته (صكة عمى)

في الكتاب

كان والد صاحب الترجمة سيدى احمد بن محمد اميا ؛ ولكن جده محمد
 ابن احمد كان من حفظة كتاب الله ؛ فكان هو القيم على حفيده فكان اذا رجع من
 المسجد وفيه اذ ذاك الاستاذ سيدى بلقاسم افكان الذى تخرج به قبل ذلك
 الاستاذ محمد بن عبد الله في دارهم يكرر له سورة وقلما يذره كما يذكر العلم
 ابراهيم يكثر اللعب ؛ فبهذين تخرج في القرآن ؛ وعليهما جوده فمما روى عن
 صاحب الترجمة اذ ذاك ما حكاه احد رجال قريتنا ؛ قال كنا نجلس في الممر

الصغير الذى هو مدخل مسجدنا فيمر بنا التلاميذ ؛ فكنا نتضحك عليهم ونقول لهم أعطونا من خبزكم لندعو لكم بما اردتم ؛ فقال لنا سيدى على بن احمد يوما ادعوا لى انا ان اكون شيخا كبير المقام ؛ قال فتعجبنا مما قال ؛ ولم كند ندرك مدلولها اقترحه لاننا لم نعرف فى بلادنا مثل مايقول ثم ما انقضى كسر الغداة ومر العشى ؛ حتى شاهدناه شيخا كبير المقام ؛ فكانت آمال الصبا وأحلام الفجر صادقة فى دور الرجولة عند متويع النهار .

فى مدرستنا تانالت

كان الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم اليزيدى يمت الى آلتنا برحم ؛ لانهم احواله ؛ فكان اذ ذاك مشهورا بالتدريس فى مختلف المدارس ؛ فحين استسقم صاحب الترجمة حفظ القرآن رات اسرته ان تسير بابنها فى الطريق التى تسير فيها الاسرة الصالحة بابنها محمد بن عبد الله ؛ فانها ارسلته لتعلم الدين - كما يطلقه عوامنا على العلم - فى المدرسة ؛ فترسل هذه كذلك ابنتها الى المدرسة وقد اختارت المدرسة التى فيها ذلك الاستاذ الذى يعلمون منه انه سيقوم بابنهم احسن قيام ؛ فكانت لهذه المنافسة المحموده نتيجة عظيمة ؛ وعقبى يالها من عقبى واذا اراد الله ببلد خيرا تنافس اهله فى العمل الصالح ؛ وفى مثل ذلك فليتنافس المتنافسون .

فى مدرسة المولود

كانت السنة التى التحق فيها صاحب الترجمة بتلك المدرسة هي ١٢٨٢ هـ وفى السنة التى بعدها انتقل الاستاذ بطلبته الى هذه المدرسة الاخرى ؛ وهو مقبل اقباله المعروف على تلميذه الجديد ؛ يتدرج به فى مدارج المبتدئين ؛ وهو اذ ذاك دون بلوغ ؛ ولكنه حببت اليه العبادة منذ ذلك الطور فقد حدث عن نفسه انه كان وهو فى تلك المدرسة ؛ ينتقل احيانا الى مشهد سيدى الحاج يعزى الصالح الشهير المتوفى عام ٨٨٨ هـ ويبعد قليلا عن المدرسة ؛ فيتهجد فيه؛ فقلبته عينه يوما فوقف عليه رجل مهيب مستنير ؛ تشع منه الانوار ؛ فقال له اتعرفنى؟ فقال له لا فقال انا محمد بن عبد الله رسول الله؛ فقال له بماذا اعرفك ياسيدى؟ فقال له تعرفنى بان الظل لا يترأى لجسدى ؛ قال فكانت هذه اول مرة رايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فى مدرسة تازروالت

مكث يوما الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم فى المدرسة المولودية ؛ اذا بأعوان الرئيس الايليغى سيدى الحسين بن هاشم اوصلوا اليه استدعاه الى الشارطة فى مدرسة تازروالت؛ وكان هذا الرئيس اذ ذاك ذاشوكة وهيبة لا يمكن

معهما الخروج عن رايه ؛ فانتقل الاستاذ ومعه تلاميذه كلهم ؛ ومن بينهم تلميذه الجديد ؛ ومن بينهم ايضا سيدى عمر الاكضيي ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح اللذان صارا بعد ذلك من اصحاب صاحب الترجمة حدثنى الاخير منهما فاه لاذنى ان من عادة صاحب الترجمة فى المدرسة التازروالتية ؛ ان يصاحبه كل عشية بعد العشاء ونوم الناس الى مشهد الشيخ سيدى احمد بن موسى ؛ قال فانام أنا وببيت هو فى التهج ؛ قال وكان اذ ذاك مراهقا وحدث سيدى عمر الاكضيي ان سيدى ابراهيم بن صالح كان له تقدم اذ ذاك فى المعلومات ؛ لانه كان سبق الى الاخذ بسنوات ؛ وسترى ذلك فى ترجمته فى (القسم الرابع) ان شاء الله فكان يعيد الانصبه (اى الدروس) لسيدى على ابن احمد ؛ يعنى صاحب الترجمة .

هذا كل مانعرفه عنه هناك فى تازروالت ؛ وكفى بذلك دليلا على مساهمته فى بحث عنه فيه وهو بتلك السن ؛ حيث تمضى عنه الحلقة الاولى فى التعلم .

فى مدرسة تانكرت

لامرأى فارق الاستاذ اليزيدى تلك المدرسة ؛ ورجع الى داره ففترق تلاميذه فالتحق سيدى الحاج احمد اليزيدى ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح ؛ وسيدى عمر الاكضيي بالمدرسة الادوذية ؛ واما صاحب الترجمة فقد راي أهله ان يلتحق بابنى عميه سيدى محمد بن عبد الله وسيدى الحسن التياسينتى فى تانكرت ليستعين بعضهم ببعض ؛ فنزل فى تلك المدرسة فى بيت مع شرفاء من اولاد سيدى احمد بن موسى ؛ كانوا ثمانية اخوة دفع بهم جميعا والدم الى المدرسة ؛ واحدهم هو الاستاذ سيدى عمر الشهير ؛ وسذكر ان شاء الله مععلماء اهله فى (القسم الرابع) فتوى هناك صاحب الترجمة من عام ١٢٨٦هـ الى عام ١٢٨٩هـ فلاحظ انه الان شاد فيها ياخذه ؛ قد تفتحت قريخته فاقبل اقبال النهم الجشع على مختلف الفنون يلتهمها ؛ ولكن انزواءه عن الناس وانقباضه عن المجتمعات فى زيادة ؛ وميله الى ماتشوق اليه روحه مما خلق له لم يزل فى نمو وقد تلقن اذ ذاك الطريقة الناصرية من بعض المقدمين فيها ؛ ولادرى من هو وانما ذكر ذلك فى بعض رسائله استطرادا ؛ وكثيرا ما اتوهم انه الشيخ سيدى المدني الناصرى الذى يجاور تلك المدرسة وقد كان المترجم ممن يحضر مجالسه فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

فى يوم من الايام اجتمع الطلبة بالمدرسة ؛ فقالوا الامن يقيم لنا حفلة فندعو له بما اراد ؛ فاقامها لهم صاحب الترجمة ؛ وابن عمه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله والقائد سعيد المجاطى وقد كان هناك اذ ذاك يتلقى القران فسأل الطلبة كل واحد عن منيته ليدعوا له بها ؛ فاما صاحب الترجمة فذكر لهم مايندل على مقام عال فى معرفة الله ؛ وقد انسيت العبارة التى تلفظ بها ؛ ولكنها تنحو هذا المنحى ؛ واما الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فقد ذكر مقام

الشفوف بالعلم والتفوق على الاقران به ؛ وأما سعيد بن امغار محمد المجاطي فقال اننى اتطلب ان اكون قائدا على مجاط ؛ فسبق فى القدر ان نفذ السهم فاستجبت الدعوة ؛ فقال كل واحد منهم مافى ضميره ؛ هذه حكاية مشهورة متداولة الى الان .

ملاقاته بالشيخ سيدى سعيد المعدري الدرقاوي

كان منبع الطريقة الدرقاوية من شيخها مولاي العربى الدرقاوى الشهير المتوفى عام ١٢٣٩ هـ ؛ فتخرج به كثيرون ممن لهم شهرة طائفة كالحراق والبوزيدى والمدنى والدباغ والبدوى ؛ ومنهم لاشهرة لهم مع انهم من كبار اصحابه ؛ ومن بين هؤلاء الاخيرين الشيخ سيدى احمد بن عبد الله المراكشى صاحب الزاوية الشهيرة بأزبزض بمراكش ؛ وقد توفى فى نحو عام ١٢٧٠ هـ فهذا تخرج مشايخ سوسيون ؛ وفى مقدمتهم الشيخ سيدى سعيد بن همو المعدري الامى الذى تفجرت منه اسرار جلبت اليه كثيرا من علماء وقته ؛ كسيدى الحاج الحسن التاموديزتى ؛ وسيدى الحسن التيملى دفين قرية ارازان براس الوادى وسيدى خالد من افلاوكنس ؛ وسيدى الحاج احمد اليزيدى ؛ وسيدى الحاج صالح الاكمارى وسيدى الطيب بن خالد الاكمارى ومحمد بن احمد بن عبد الله الكرسيفى ومحمد بن احمد بن الحسين الكرسيفى والعلامة ابى فارس الادوزى والحاج محمد البوزكارنى ؛ وسيدى محمد بن المحفوظ الزمامسى وسيدى محمد بن ابراهيم الافرانى مدرس مدرسة تانكرت التى فيها الان صاحب الترجمة ؛ وغيرهم ممن سذكركم ان شاء الله فى تراجمهم او نستطردهم فى تراجم غيرهم ؛ وكان من عادته ان يتتبع البلاد بالسياحة فيرشد العباد وينبه الغافلين ؛ وكان من بين البلاد التى يطرقها بلد تانكرت ؛ فقد رايت ان عالمها الافرانى من اجل اصحابه المعتنقين لطريقته .

حدث صاحب الترجمة عن نفسه قال مرت انا وصاحب لى بالشيخ سيدى سعيد ونحن فارغوا البال ؛ ولم نخرج اليه ؛ وهو جالس فى مكان متبذ عن الطريق فرأيناه يحدها بينا بصره ؛ فذهبنا لحال سبيلنا ؛ ثم فى العشى ساقنا اليه سائق السعد فاخذنا عنه الطريقة ؛ فقال لى بعد ذلك ان تلك النظرة الاولى هى التى فيها مافىها ؛ ثم حدث من كان جالسا مع الشيخ سيدى سعيد حين مر به صاحب الترجمة مع صاحبه اذ ذاك فقال ان الشيخ اتبعهما بصره مليا ثم قال ان هذه الذات نيرة ؛ فما اليقها بسر معرفة الله تعالى ؛ وفسى بعض رسائل المترجم مانصه :

(وقد كنت حين لقننى شيخى مستغرقا فيه - اى الذكر - من ذلك الوقت قبل قبامى من بين يديه وبعده ؛ وليس لى شغل سواه قياما وقعودا وعلى جنبى حتى اننى لا أقدر ان اقطع حتى فى حال الاكل الى ان صار خادما من غير ارادتى

فكل نفس يعلو او يهوى يكون معه) انتهى المقصود

ثم لم يمض عن صاحب الترجمة الا ثلاثة ايام مع شيخه في بعض قرى تانكرت ؛ حتى اصابه ما يسميه الصوفية في اصطلاحهم بالجذب ؛ قالوا يعترى من فاجأ روحه ما لم تستأنس به بعد ؛ فتغمره موجة تياره فيغان على عقله فلازمه ذلك اياما وقد فقد شعوره ؛ وانقطع عن الاكل والشرب ؛ واذا العقه من معه شيئا من الحليب ؛ لا يلبث ان يجش فيقذفه ؛ وقد غلبت الحرارة على بدنه حتى انهم يغطسونه في نطفية ماء بارد ؛ ثم لايزيده ذلك الا التهابا ؛ ثم بعد لاي افاق من غشيته ؛ واسترد شعوره ؛ فصار الكون كله - كما قال - امام عينيه هباء في هباء وقد ألم بهذا كله في بعض رسائله ؛ كما ألم به ايضا في رحلته الحجازية اذ قال فيها

على شفا يورثني الشقاوة
يهدى الى معرفة الجليل
في نيل معرفته الكمال
لدى والنقصان والكمال
بالله والوصاف والاحوال
والقلب منى واله حيران
هذا وكان المبدى المعيدا
يرقى بنا لحضرة الاله
وردني عن سائر النفور
بذر لكل ما لديه قصدا
عنها فقال ليس غير هذى
ترقى الى حضرة ربنا العلى
قلهجت نفسي بربي ذكرا
فيما يرى برؤية والرؤيا
ماوى ولا عن حسنه ملاهى
لكونها عن مقصدي عوائقى

قد كنت فى غياهب الغباوة
وكنت صديان الى دليل
يجلو لى القلب لكى انالا
فيستوى الجلال والجمال
وتصبح الاقوال والافعال
بيننا فؤادى نحوه صديان
اذ قبض الله لنا سعيدا
فكان آخذا بنا لله
فكان لى القبله فى الامور
بنظرة اولى لديه شهدا
اخبرنى بعيد الاستحواذ
فهكذا نسمع نظرة الولى
تركت ماسوى الاله جهرا
وقبحت عندى ملاح الدنيا
وليس لى فى غير ذات الله
فصلت عنى سائر العلائق

الى ان قال :

الى وصول خالق العباد
ومن غيون النفس والاسقام
من التانس برب الكل
بشبه ولا بفهم منكسا

ولم يزل بنا على الارشاد
فزال ما بنا من الآلام
ورجعت ارواحنا للاصل
ولدة الحضرة ليست تحكى

الى آخر ما قال

وقال ايضا في رسالته المسماة «عقد الجمان» فى ذلك مانصه :

لما من الله علينا بملاقاة شيخنا الاسعد ؛ وقدوتنا الاوحد ؛ امام العارفين
وتاج الواصلين ؛ سيدى سعيد بن محمد السملالى طينا ؛ والمعدرى وطنا بازاء
مائة قدس الله روحه فى اعلى عِلين ؛ واخذنا عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية
فثبت قلوبنا فلم تر مايملأ اعيننا فى الدنيا الا معناه وذكره ؛ وبعد ما اخذت عنه
الورد بثلاثة ايام او اربعة ؛ حصل لى مقام الفناء والجذب ؛ وسرى سر الله فى
ذاتى وروحى قلبا وقلبا ؛ ولما وقع ما وقع مما لم اره من سر الله ؛ دهشت
دهشة عظيمة وقلت ماهذا ولكن ادركنى الله بالشيخ كان فى قربنا ؛ فوصلته
فعرفنى الحال ؛ ولكن لما التقيت معه زاد على ما بى حتى انى لا اطيع ان اسمع الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم الا وذاتى تتمزق ؛ فلم اشعر بشئ يلهينى عن ذكر
جيبى واجتمع عندى فى ثلاثة ايام والحمد لله ما لايجتمع بعبادة اعوام عديدة
ببركة العارف بالله الذى التقينا به ؛ فاننا نعمل اعمالا عديدة ومجاهدة اكثر
مما عملنا معه ؛ من زياره الصالحين الاحياء والاموات ؛ ولكن لم يشف ما بنا الا
بملاقاته فى اقرب مدة واقل عدة ؛ لان العارفين بالله هم الاكسير الحقيقى
والكيمياء من التقى معهم لم يحتاج الى كثرة عمل وتعب ومن لم يلتق معهم فكمن
يضرب فى الحديد البارد ؛ يعيى ولا يقضى حاجته ؛ ولا يصل اليهم الا من اراد
الله ان يوصله اليه) انتهى المقصود

فى مصاحبة شيخنا المعدري

ان كل من لم يخالف هؤلاء الصوفية ولم يعرف اذواقهم ؛ يحمل كل ما
يسمعه عنهم على الافك والبهتان ؛ والمخرقة والتدجيل والشعوذة ؛ ويخلط
بينهم جميعا فى ذلك ولا يفرق بين الصادق والكاذب ؛ ولكن من خالطهم واستطاع
ان يميز افعال الصادقين من الكاذبين منهم ؛ فانه يشاهد منهم الوقوف مع السنة
الايماء غلبوا فيه على احوالهم او جهلوه ؛ ما يتيقن به انهم هم وحدهم الفائزون
بالاطلاع على دقائق الدين وحلاوة الايمان ؛ وانه ان لم يكن العارفون منهم من
رجالات هذه الامة فلا رجال لها بعد ؛ وقد كنت انا وصاحبى الاستاذ محمد
الغازى المكناسى كثيرا ما نتذاكر حول هذا ؛ ثم نجيل اعيننا فى بعض ابناء اليوم
الذين يخطبون خطب عشواء فى الصوفية من غير ان يعرفوا عنهم ما يقولون ولا
ما يردون ؛ حتى ان فيهم من ينكر الاشتغال بلاله الا الله ؛ والعياذ بالله فكنا
لانتجاوز ان نقول فيما بيننا ؛ من جهل شيئا عاده ؛ ثم نرجع فنعذرهم بسبب
مانراه عن ايماننا وعن شمائلنا من كثرة الافاكين الذين تصدوا فى منصات
الزوايا ؛ على حين ان بعضهم يحكى عنه انه لا يقتسل من الجنابة ؛ وانه
وانه مما هو متواتر عنه

ثم ماهذا الذى اختص به هؤلاء الصادقون من الصوفية ولا يوجد الا فى
يديهم ثم لا يكاد منصف من ذوى المناصب يتدوقه من عندهم حتى تراه قد اعرض

عن كل شيء ونفض يده من فخفة منصبه ؛ ثم لا يطيب له العيش الا بانقطاع اليهم ؟

ما هذا الذى يبهر من يكون اعظم منكر على هؤلاء الفقراء الصادقين ثم يتهاوت عليهم بعد ذلك مستسلما تهافت النحلة على خابية العسل ثم لا تنال ان كانت فى بطن الخابية من المفريقين ؟

ما هذا الذى يشاهده من كان خاض فى فنون العلوم المختلفة خوض الفهمين اللبقيين ثم لا يلبث بعد ان يلتقى مع احد هؤلاء الناس ان يعلن انه ماذاق قط حلاوة يتلج بها الصدر ؛ ويطمئن لها القلب ؛ مثل ماذاقه حين التفاته باحد هؤلاء القوم ؟

ما هذا العلم الذى قال فيه بعض كبار العارفين من لم يتغلغل فى علمنا هذا ثم مات ؛ مات مصرا على الكباتر وهو لا يشعر ؟

من هم هؤلاء المشايخ الذين ينبغون فينة بعد فينة ؛ وربما كانوا اميين ثم لا يكاد يتصل باحدهم من كان يعرف فى نفسه رياء وسمعة ؛ وثقل اعمال الخير ؛ حتى يعود كثوب مر تحت يد القصار ؛ ابيض برقا يتلالا نورا ويشتمع هداية واخلاصا ويستقيم فى اعماله ومعاملاته حتى كانه معصوم ؟

لا اكذبك ايها القارىء ؛ فانى لم ادرك من كل هذا الا شيئا واحدا ايقنته من نفسى ؛ وهو اننى اذا كنت مع هؤلاء الصوفية ؛ بشرط ان يكون الصوفية الصادقين كمن اعرفهم ؛ اجدنى لين القلب ؛ مائلا الى الاخلاص والى التواضع والعبودية خلاف ما اكون عليه حينما اكون بين يدي غيرهم ؛ وهب هذا الغير من الاساتذة المحذنين الذين يملئون المسامح بقال الله وقال الرسول ؛ ويزفرون زفرات الغيرة على هذا الدين ائحيف مع اننى فى مبدئى اخالنى على قدم هؤلاء الاساتذة الاجلاء ؛ ولكنى مع ذلك لا يجد قلبى عندهم ما يجده عند الآخرين فهذا كل ما أدركه من نفسى ؛ ولا على فى غيرى

ذاق صاحب الترجمة من بين يدي شيخه الجديد ما ذاق ؛ وحصل له فى تلك الايام الثلاثة ما حصل ؛ مما لم يثل ذرة منه - كما قال فى رسالته المتقدمة من مجاهدات كثيرة كان مشغولا بها قبل ذلك ؛ فعلقت اجنحته بصحبة شيخه فلم يطق ان يفارقه ؛ ففسى الجار والجور وابواب البيوع ؛ وجداول المناسخات فأتى مانسخ حبه الجديد ما كان يجول حبه فى قلبه قبل اليوم

محا حبه حب الالى كن قبلها وحلت محلام يكن حل من قبل وصل الخبر الى الالغيين بأن صاحب الترجمة مر به الدرقاويون اولئك الذين لا يلبسون الا المرقعات ويتطوفون بسبحات كبيرة غليظة ؛ ثم لا يكون شأنهم الا التقلب فى مختلف البلاد

يوما يحزوى ويوما بالعقيق ويو ما بالعذيب ويوما بالخليصاء

فارتاع اهل الشيخ وخافوا على ولدهم ان يجن وقد صحب اولئك المجانين الليلة - كما يحسبهم الناس اذ ذاك - ولا بد ان خبر ذلك الجذب الذي حصل له يصلهم فلا يكذبون ان الجنة مسته وكل من يعرف قلوب الوالدين في مثل هذه الاحوال ؛ لابد ان يقدر ذلك الموقف قدره : (ان المحب بسوء ظن مولع)

ثاني والده حتى عرف ابن مستقر اولئك الذين طاروا بولده ؛ فركب بغلته ولحق بالشيخ المعدرى ؛ وهو مع اصحابه بماسة ؛ فطلب منه ان يامر ولده بالرجوع معه بعد ان تكلم مع ولده فما احرار جوابا ؛ فقال الشيخ للولد لا بأس ارجع مع والدك فلا خير الا في ذلك ثم قال الوالد اني لا اريده الا للعلم وان كانت درجة افضل من العلم فليطلبها ؛ ففضى الامر ؛ فرجع الوالد والولد مترادفين على البغلة .

محاورة لطيفة

حاول الوالد ان يسمع من ولده كلمة واحدة تخرج من فيه منذ لاقاه ولكنه لا يبعد امامه اطراق الرأس ؛ وضم الشفتين ؛ وذلك ما يسمي في اصطلاح الصوفية الصمت وقد كان صاحب الترجمة تلقى من شيخه ذكر الاسم الاعظم (الله) من اول يوم مع شروطه التي هي الصمت والعزلة وهجر النوم ؛ والافلال من الطعام فاقبل على كل ذلك ؛ وابتدأ في ذكر اسم الله وهو لا يزال بين يدي شيخه في المجلس الاول - كما ذكره هو عن نفسه فيما سقناه قبل من رسالة له - لهذا لم يجد منه والده ما كان يآلفه منه من المحادثة ولكنه اكثر عليه وهما مترادفان فكانه اضجره فكان ذلك سبب هذه المحاورة اللطيفة ؛ قال الوالد : بالله عليك يا ولدي ما ذاريت في هذه الطريقة الجديدة التي اعتنقتها وهي طريقة حديثة العهد في بلادنا هذه وما كنا نعهدا في بلادنا هذه ؛ وما كنا نعهد الا الطريقة الناصرية فهي التي نآلفها وبآلفها آباؤنا واجدادنا ؛ اوليس بعجيب ان يخرج الانسان عن المعتاد مع ان الناس يقولون : العاقل يتبع الناس ؛ والاحمق يتبع الناس ؛ فقال له الولد : وما ذا ظهر لك انت يا ولدي في البيع والشراء فسي القطران الذي تاني به من قبيلة ايت رخا وتساfer به الى قبيلة آيت صواب حتى تبسعه ؟ وهل كان المعتاد في اهاليكنا الاتجار بالقطران ؟ وهل كان آباؤنا واجدادنا يعرفون ذلك ؟ اوليس ايضا يعيب ان يزاول الانسان ما ليس معتادا عند اهله مزاولته ؟ فقال له الوالد : انني يا ولدي اخترت هذه التجارة لقلة راس مالها وكثرة ربحها ؛ فاني بذلك القطران املا دارنا لوذا وتينا وزبيبنا ما استبدله به في قبيلة آيت صواب ؛ فهذا يا ولدي ما حملني على اختيار القطران ؛ ومخالفة عادة اهلي في ذلك فقال له الولد ان مثل هذه الطريقة الدرقاوية عندي مثل هذا القطران عندي ؛ فان العمل فيها ايضا قليل وما يجده القلب من ورائها كثير ولا ينبتك مثل خبير .

هكذا استدارت المحاورة ؛ ورأى الوالد ان لا يخرج ولده ؛ فهو الى ايناسه
احوج لئلا يرجع على عقبه فيلتحق ثانيا باولئك المجانين البله كما يزعم فيهم
الناس .

في مدرسة أدوز

رجعت المياه الى مجاريها ؛ فراجع صاحب الترجمة دراسته ؛ واستستم
معلوماته وقد التحق بالاستاذ سيدي محمد بن العربي الادوذي ؛ اما في اواخر
١٢٨٩هـ واما في اوائل سنة ١٢٩٠هـ فاقبل على التحصيل بكل مستطاعه وتحت
يدى كتب كثيرة كتبها اذ ذاك ؛ وهي كلها دراسية لانه الان وقد شدا ؛ وتطاول
الى تسنم القمم العليا في الفنون اعوزته الكتب فاستعار له اهله من الخزائنة
الخصيكية بعضها ؛ فاقبل هو على استنساخ كتبه الخاصة شأن الطلبة اذ ذاك
والمطبوعات كما ظهرت ولكنها لاتزال قليلة ؛ ومن بين الكتب التي كتبها يده
الدريير على المختصر ؛ وايسر المسالك على الالفية ؛ وقد ملا طرره بفوائد نفيسة
وبالشواهد وتفسير الكلمات اللغوية فيها فهي نسخة قيمة مصححة وشرح من
شروح السلم ؛ وشرح للخزرجية وشرح المحلى على جمع الجوامع ؛ والرحلة
الادوذية لاساتذه ابن العربي ؛ واضاءة الادموس للهلالي وكراسة فيها ايان
متفرقة في النحو مما يحفظه عادة من يقرأون الالفية وغير ذلك مما تشئت بين الاوراق
لان هذه النسخات كلها لم تجلد فضاعت من بينها ورقات وكرايس ؛ ومن ذلك
تدرك همته ؛ وقد بذل هناك منتهى جهده وقد كان نفعه ما كان حصله في
السنوات المتقدمة ؛ فلم يزل مثابرا حتى كان رئيس المدرسة فهما واتفانا للفنون
واكبابا على التصلع ؛ وقد اخذ من مختلف الفنون التي يعنى بتدريسها الاستاذ
الادوذي فاتقن عليه النحو واخذ عنه التسهيل ؛ وقد حفظها كلها اوجلها اذ ذاك
- كما ذكره الاستاذ سيدي محمد بن مسعود - ويدل على ذلك انه كان يدرسه بابه
- كما سترى ذلك - وبلغ ايضا في الفقه شأوا بعيدا يدل عليه مؤلفه الشلحي الذي
ترجم به مجموع الامير ؛ وقد اخذ هناك ايضا البيان والاصول واللغة ؛ وكان
مستحضرا لضبط الالفاظ ؛ متقنا للتصريف وقد عرف له اساتذه هذه المكانة
السامية التي ترقى اليها بلازمته واجتهاده ؛ فرآه وحده اهلا لاستنابته على موالاة
الدروس للطلبة في رحلته الى الحمراء مع سيدي الحسن بن احمد التمكندي
سنة ١٢٩٣هـ

حكى لي سيدي ابراهيم بن صالح رحمه الله قال خرجنا لنودع الاستاذ
اذ ذاك ونحن نحو مائة وستين من الطلبة ؛ فحين حق الوداع واصطف الطلبة
أقبل اليهم الاستاذ فقال ان سيدي على اكرام - وبذلك يدعى هناك اذ ذاك -
يتولى التدريس في مقامى الى ان ارجع ان شاء الله ؛ قال فرجعنا ثم خلص بعض
المتكبرين من الطلبة الذين ينفسون على سيدي على هذا المقام - نجيا بينهم فقالوا

وأنه لا نقبل ان يقوم هذا المربط في مقام الاستاذ ؛ فلئن توجه الى المجلس وأراد ان يتصدر ؛ ليرين منا ما لا ينسأه ابد الابدين ؛ قال فاستترقت سمع ذلك فتجنبت حتى وصل وقت الدرس فولجت عليه بيته ؛ فمنعته من الخروج الى المجلس العام ؛ ثم كان سيدى ابراهيم بن صالح قال لى اننى مع اناس قليلين من الطلبة افتتحنا عليه فى غير المجلس العام دالية اليوسى وذلك غالب ظنى الان .

قلت وقفت على رسالة صغيرة ارسلها الى اهله فى هذا الحين نصها
 (من على بن احمد بن محمد الى والده ؛ السلام والرحمة والبركة .

اما بعد فادعوا لنا بصلاح الحال والمال ؛ ونحن والحمد لله بالسلامة والعافية ؛ ونرجو ان تكونوا كذلك ؛ والفقيه ذهب الى مراكش وجعلنى خليفة على الطلبة لتذاكر معهم لكن لم يتفقوا فنذاكر من اراد حتى يرجع ان شاء الله والحاصل اننا نقرأ لم نمكث ؛ فلاتشوشوا بالكم لان هذا المكان من اراد القراءة يقرأ ابدا ؛ سواء حضر الفقيه ام لا ؛ ونحن والحمد لله لم يخصنا شىء من درهم ولا دقيق ولا ادام ونحضكم على شراء الوصيفة ان أمكن ؛ فان للتأخير آفات؛ وقرأ منى السلام على الاخت وقولوا لها يرحم الله المرحوم الذى قضى نجه)

هذه رسالة نقلتها من خطه ؛ وقد وقعت عليها صدقة من بين رسوم انسان اجنبى عن أسرتنا وهى تحقق لنا ماتقدم من حكاية سيدى ابراهيم بن صالح الذى كان رفيق صاحب الترجمة الخاص فى زمن الدراسة ؛ وقد تقدم ان كان بعيد له الانصبه ماشاء الله ؛ ثم لم يتكبر سيدى ابراهيم اليوم ان يجلس ايضا بين يديه لياخذ عنه متابعة لاذن الاستاذ ؛ وقد كان سيدى ابراهيم هذا مشاركا فى البيت لسيدى عمر الاكصبيى ؛ كما اننى سمعت ان صاحب الترجمة كان فى مشاركة سيدى الحاج احمد اليزيدى وذلك من قلة البيوت وكثرة الطلبة وحدث سيدى عمر انه ذكر انه كان يمنع رفيقه ان يدخل الى بيتهما صاحب الترجمة عند معاودتهما للانصبه ؛ قال ويجلسان معا فى براح ؛ وربما يكون الجو باردا فيناهما ما ينالهما من البرد ؛ وكثيرا ما يتأسف بعد ذلك حين صار ممن تلذذوا لصاحب الترجمة ويقول واحياه مما كنت اعامله به اذ ذاك ؛ وحكى ايضا ان صاحب الترجمة كان كلما سمع من نادى باسم الله يسقط مغشيا عليه ؛ ثم لا يستيق الا اذا صلى له على النبى صلى الله عليه وسلم مرات فى اذنه ؛ وكان مجان الطلبة يتعمدون ذلك فينادون باسم الجلالة امام بيته ؛ وقد كان حينها تكثر صمته ؛ وفارق انزواه المعتاد منه ثم قال سيدى عمر فكنت منذ رايت منه هذه الحالة الجديدة أكره مجالسته واحمل ذلك منه محامل اخرى ؛ وفى يوم جاء انسان من دار نائية عن المدرسة ؛ فاستدعى الطلبة فامتنعت انا من الذهاب معهم ؛ وما معنى الاكثره كلام سيدى على اكرام ولكن حدث الطلبة بعد رجوعهم انه لم ينبس ذلك النهار ببنت شقة ؛ وانه راجع ايضا صمته وانزواه ؛ قال ثم من ذلك اليوم انقبض انقباضا دائما حتى غادر المدرسة .

قلت ان الصوفية يقولون ان من الاحوال التي تعترى من يترقى في المقامات انه يحل مقاما يسمونه (مقام البسط) فيغلب عليه البشر وكثرة الكلام حتى ليعده من لايعرف حاله من اهل الهديان ؛ ثم ان تجاوز ذلك المقام انطوى عنه ذلك البساط ؛ ثم لايزال تتقلب به الاحوال واختلاف المقامات ؛ حتى يتمكن فبعد ذلك يصير حاله حالا دائما لايتأثر باى شيء ؛ هذا مايقولونه نحكيه عنهم واهل مكة ادرى بشعابها •

وحدثني سيدى ابراهيم بن صالح قال رايت في حين ونحن بالمدرسة الادوية سيدى عليا اكرام كثير البكاء والزفرات ؛ بسبب وبلا سبب وكثيرا ما ألقاه بقة ؛ فأجده على هذه الحال فتحينته يوما حتى كان في بيته فدخلت عليه وأنا أقول في نفسي انه بلاشك راي النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فاستهواه الشوق فدام عليه ؛ وهذا افضل من يواخيه الانسان في الله فسلمت عليه فقلت ان طلبتي عندك ان نعقد الاخوة بيننا لله ؛ والناجي منا يأخذ بيد صاحبه ؛ قال فماكاد يسمع ذلك حتى اجهش بالبكاء ثانيا وغلب على حاله ؛ حتى رحمته ورايته لايجبني بكلام فخرجت فتركته ؛ وفي يوم من الايام استدعاني ؛ فقال اليوم نعقد ذلك العقد الذى طلبته منى ذلك النهار ؛ فهذا ماعرفناه عنه رحمه الله وهو في ادوز ؛ ولولا سيدى عمر الاكصبي ؛ وسيدى ابراهيم لجهلنا كثيرا من احواله في تلك المدرسة ؛ كما جهلناها في المدارس الاخرى •

سافر الاستاذ سيدى محمد بن العربى الى الحمراء ؛ وصاحب الترجمة يدرس مع بعض الطلبة ؛ ثم بداله فالتحق بأهله ؛ فركب على بغلتهم فالتحق ايضا بمراكش ؛ وقد مكث والده دارهم يشتري بها مايريد من الكتب ؛ ولكنه لم يشتري الا قاموسا من المطبعة الحجرية القديمة ؛ وقال هذا كل ما احتاج اليه ؛ ثم اشترى لاهله مايعوزهم ببقية الدراهم (وهذه النسخة لاتزال عندنا)

ثم في اواخر سنة ١٢٩٤ هـ ظعن عن ادوز وقد ودعه استاذاه واجازاه باجازه كانت محفوظة عندي بخط الاستاذ ؛ ثم نقلتها في كناشة ثم عدا الفاد على الاولى وتقلبات الاحوال على الثانية ؛ ونحن في غرارة الشباب سادرون ؛ لم نندك بعد قيمة المخطوطات ؛ فتحن الآن وقد توقفنا عليها لم نعتض عنها الا الاسترجاع والحوالة

في فض النوازل وقسم التركات

ها هو ذا صاحب الترجمة قد رجع الان من المدرسة موفور الحظ ؛ مرموق السعد مشهودا له من اساتذته بالتبريز ؛ وبالتفوق فيما اخذ ؛ وقد سارت الاخبار بذلك وتحدثت به الركبان ؛ فلا بد ان الناس سابرون غوره ؛ ومفتشون عماوا ؛ اكتمته لينظر اصدق من شهدوا له بالتفوق ام كانوا من الكاذبين ؟

صادف أمامه قضية متشعبة بين اولاد عمه ؛ سيدى ابراهيم بن سليمان وفيها اجباس تشاكس حولها الورثة؛ وقد كان الاساتذة: سيدى الحاج ياسين وسيدى على المجاطى وسيدى محمد بن عبد الله الالفى وسيدى الحاج محمد الزيدى تواردوا عليها ؛ فلم يتفق لاي واحد منهم ان يفض ختمها ولا ان ينزل عقدها ؛ فحين رجع صاحب الترجمة رفعوها اليه وحكموه ؛ فوافق ذلك ان نزل عليهم اصحابهم من مجاط ليتعاونوا معه على ذلك ؛ فيرغمون على الحق من اباة فعالج القضية ؛ وسهل الله امرها بتساهل الورثة فيما بينهم ؛ فتم امرها وقد رايت ماكتبه لهم اذ ذاك ولكنه غير مؤرخ على عادة فقهاء اهل هذه البلاد الذين لا يباهون بالتاريخ ؛ ولكن المعهود انهم لا يفرطون فيه فى رسم المفاصلة مثل هذا ولكن هذا لم يقدر تاريخه ؛ فذهب المجاطيون الى دارهم ؛ وهم يقولون عجا من فقيه جديد من الغ لا يزال صغيرا فض دعوى متشعبة عجز الاساتذة المسنون عن فصلها ؛ بهذا اخبرنى من سمع منهم اذ ذاك

وكذلك فصل ايضا نازلة لبعض ايت (امتضى) حكموه فيها ؛ فأراهم فيها وجه الحق ؛ فرجعوا مستبشرين ؛ هكذا قدر له ان تجول خيله فيما يجول فيه علماء عصره فى هذا الحين وفقهاء قطره الذين يجعلون ذلك هجراهم ويتسابقون اليه ثم لم نعرف له انه جال فى مثل هذه القضايا بعد ؛ لان الوادى اتى فطم على القرى ؛ كما سترى ذلك ان شاء الله فيما ياتى

فى التجارة

اطلقت سنة ١٢٩٥هـ فأتت على الرطب واليابس بمسغبتها ؛ فلامحصول ولا مدخر ولا رخص ؛ فعمرت الناس عركا حتى لم يتخطها من الناس فى هذه البلاد الا من مله العمر وخرقت له العادة ؛ فقد صارت هذه البلاد كراى الاقرع اما كان من ممر وادى (درعة) ازاء تامانارت ؛ فانه اتى بمحصول جيد فانكفا اليه الناس كلهم ؛ وقد كان الفقيه سيدى محمد بن على الكوسالى ممن عاصر صاحب الترجمة فى المدرسة النانكرتية ؛ وكان تاجرا كبيرا ؛ ذا اموال يقارض بها الناس فانقل به صاحبه هذا ؛ فقارضة ستين ريبالا او مائة - الشك من العم المخبر - فتوجه بها الى تخوم معدر وادى درعة ؛ فاشترى هناك زروعا وشبهه ثم صار يبيع شيئا فشيئا ويجوز هناك تمرا جديدا ؛ قال العم وكنت ادفع للفقيه الكوسالى حتى تمت المحاسبة وانتهت المعاملة؛ فكان هذا هو شغل صاحب الترجمة فى غالب سنة ١٢٩٥هـ والشغل عند اهاليها افضل ما يتجلى به الرجل ؛ وينبه به شأنه ؛ ولا يستحيى رجل ايا كان فى النزول الى مزاولته ؛ فبذلك اتبع لفقيه الغ الجديد ان يكون ممن مارس التجارة ؛ والرجل من يطبق ان يدير كل شئ عنه ثم يكمل فيه عمله بالنجاح

فى مدرسة فو كرس مشارطا ومعلما

كان الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله قد اكب على التدريس منذ رجوعه من المدرسة ؛ والتدريس وبث العلم اسرع لرفع الشأن لكل فقيه فقد كان التحق بالمدرسة البومروانية بعد مائتة سنة فى مسجد قريته فعلا له بذلك ماتقط بسـ اسرته ؛ ويتمنى المتمنون لو كان لهم مثل ذلك الولد الفقيه فتعطر بذكرهم الاندية وتدوى بصيتهم الاحاديث •

هذا فقيه آلنا قد رجح ؛ وهاهو ذا قد جرب فى تينك القصتين ففلج فيهما سهمه ؛ افكانت اسرتنا تنقع منه بان يكون لها تاجرا يزاحم فى الاسواق ويقاير فى البيع والشراء ؛ مع ان ذلك وان كان لا ينقص به فى عرف اهلينا شرف الرجل وان كان فقيها ؛ ولكن لكل مقام رجال ؛ فهؤلاء رجال اسرتنا اخوان فقيسها متوافرون فليبيعوا وليشتروا وليقايروا وليزاحموا فى الاسواق ؛ ولكن الفقيه الاولى به فى نظر الاسرة أن يسلك طريق ابن عمه سيدى محمد بن عبد الله الذى تصدر فى المدرسة البومروانية ؛ فحدث بذلك شيئا جديدا من آل عبد الله بن سعيد ؛ فليتحق هو بمدرسة اخرى ؛ حيث يبث العلم ويهذب النفوس ويصقل الافئدة حيث يكون للأسرة من فقيها شأن كسنان الاسرة الصالحة من فقيها وليس هذا الذى اقله من بنات يراعى ؛ بل هو من صدى احايث كانت الجدة (تكدا) والدة صاحب الترجمة - تملها على فى نحو سنة ١٣٣٥ هـ وانما اسائلها عن ذلك التاريخ ؛ فكنت اراها تكبر زوج بنتها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ؛ وتتمنى من فقيها الذى هو ابنها ان يسلك طريقه ؛ ثم قالت ولكن ماكنت اعرف انه خبيء له هذا الخبر الكثير ؛ والمجد الباذخ الذى جاء بعد ذلك من غير طريق سيدى محمد بن عبد الله التى كنت لا اريد ان يتخطاها ؛ تغنى بذلك كونه شميخا مريبا ؛ فساق لها ولاسرتها بذلك من الشرف اضعاف ماسلفه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله لاسرته •

التحق فقيه الخ العجديد بمدرسة (فوكرس) فاجتمعت عليه ثلة من الطلبة يدرس معهم المبادئ ؛ ومن بينهم العم ابراهيم والفقيه المدونة الايغسانى ؛ وسيدى مولود الصوابى والحاج محمد البوزاكارتى ؛ وآخرون ؛ واخال ان التحاقه بتلك المدرسة كان فى اواخر سنة ١٢٩٥ هـ لان الاستاذ الطاهر بن على اخبرنى انه رأى رسم حبس كتبه صاحب الترجمة وهو هناك مورخا بسنة ١٢٩٥ هـ وانعم صدم على انه ما التحق بها الا فى مفتتح سنة ١٢٩٦ هـ والامر سهل ثم انه مع اشتغاله بتعليم الطلبة ؛ قد جعل لمن كانوا ينتابون المدرسة من العامة مجلسا وعظيا ؛ قال سيدى بلعيد الصوابى - وكان يحضره اذ ذاك ان ذلك الوعظ اشبه بوعظه يوم تصدر للتربية

انتم سنة في تلك المدرسة ؛ ثم اعاد معهم الثانية فمضت فيها بضعة
شهور ؛ فاذا برسول الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله يطلب منه ماياتى
في المدرسة البومروانية

رايت في ترجمة سيدى محمد بن عبد الله ماحمله على ان استتاب صاحب
الترجمة فى البومروانية ليتم له السنة ؛ فادار الدروس وتابعها ؛ كما كانت
بين يدى الاستاذ وقد جاء اليه تلاميذه الذين انقطعوا اليه فى المدرسة المتقدمة
فكان من بين من يآخذعنه من تلاميذ الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الاستاذ
على بن عبد الله الذى رجع بسببه وبمعاونته الى الدراسة بعد ان كان سمت همته
الى التجارة . والاستاذ احمد الزمامى وسيدى سعيد بن على الاعضائى وسيدى
الحسين التاطاروستى وسيدى العربى الساموكنى وسيدى الطيب الركيبى
وسيدى الحسن بن عبد الله بن محمد السملالى ؛ فكان يدرس مع هؤلاء
التلاميذ زيادة على متون المبتدئين الالفية والرسالة والمختصر والتسهيل
والقامات الحبرية ؛ فكان يجول معهم بهمته المعروفة عنه بعد ذلك فى كل
مايزاوله ؛ سبعة اشهر تامة الى ان تمت الدورة السنوية فالتحق بالغ ؛ والتحق
التلاميذ بالمدرسة الالفية عند استاذهم الذى بنى لهم هذه المدرسة الجديدة
وكانت السنة ١٢٩٧ هـ .

العزم على المشاركة فى المدرسة الوقاوية

زمت الركاب من بومروان ؛ فجزى الاستاذ ابن عبد الله صاحبه هذا على
ماقام به هناك ؛ ثم صار يفاوض الوقاويين على ان يشارط عندهم فى مدرستهم
ابن عمه هذا المترجم ؛ فتم بينهم الامر ولكن اجل ذلك الى ان يرجع الناس من
موسم (نازروالت) وقد اظل يومه ؛ ولكن حالت امور جديدة بينه وبين هذا العزم
(وتحدث من بعد الامور امور) كما يقول الحكمى

الطريقة تنقض عليه ثانيا فتطير به

قد يحسب القارىء ان صاحب الترجمة قد نفى بده من الدراقوية ؛ وانه
نسى شيخه فاعرض عنه مع انه ماكان يقطع زيارته فى كل حين ؛ اذ هو بالمدرسة
الاولوية ؛ وبعد ذلك وانما اراد ان يجبر خاطر والده ؛ فرجع اليه بعد ان اكتفى
من الاخذ بادوزهم حديثه الاقدار حتى شارط كما ترى ؛ وقد كان اخوانه الفقراء
زاروه بطائفتهم حين كان بالمدرسة البومروانية وفيهم الفقيه الكبير السدى
تجرد اذ ذاك وانقطع الى الزاوية المعدنية ؛ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى
فحين ولوا ارسل اليه هذا السيد رسالة عاتبه على ما هو فيه ؛ وحشه على ان
ينقطع ؛ وتمثل له فى الرسالة بقول الحراق

والفتى من سلبته جملة لا الذى تسلبه شيئاً فشيء

فربما كان هذا البيت وحده هو الذى استشاره من جديد ؛ حين تسوق موسم (تازروالت) ثم مضى منه قدما الى الزاوية المعدرية حيث تجرد وانقطع بين يدي شيخه ؛ واعطى للتصوف نفسه فسلبته الطريقة الدرقاوية جملة بعد ان كانت تسلبه قبل ذلك شيئاً فشيئاً •

ومن لم يجد فى حب نعمى بنفسه وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل بهذا اختتمت صفحة من نصف عمر صاحب الترجمة ؛ واستقبل سنة ١٢٩٨ هـ بما استقبل به الغزالي يوم طلق الدراسة بالمدرسة النظامية ؛ بادية العرب ؛ حيث لاقاه الاستاذ ابوبكر بن العربى ؛ وكان عهده به وهو بالنظامية وفى مجلسه اربعمائة عمامة من اكابر الناس وافاضلهم ؛ يأخذون عنه فقال له وقدراى عليه مرقعة ؛ وعلى عاتقه ركوة ؛ ويده عكازة يا امام اليس تدير العلم ببغداد خيراً من هذا ؟ قال فظفر الى شزرا وقال : لماطلع بدرالسعادة فى فلسك الارادة ؛ وجنحت شمس الوصول فى مغارب الاصول

تركت هوى ليلي وسعدى بمعزل	وعدت الى تصحيح اول منزل
ونادت بى الاشواق مهلا فهذه	منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد	لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

وقد انشد له ايضا حول هذه المقام فى لقاء آخر

قد تيممت بالصعيد زمانا	وانا الآن قد وجدت الماء
من سرى مطبق الجفون واضحى	فاتحا لا يردهن السعماء

وقفتم قصيرا بالقارىء

احب منك ايها القارىء ؛ وقد ماشيتنى منذ اول هذه الترجمة الى ان طوبنا صفحات غيرة ليلة من حياة صاحبها ؛ ان تقف معى هنا وقفة قصيرة نفكر فيها قليلا- فى الذى يترأى لنا عنه ؛ أفليس أنه محفوظ فى كل هذه السنوات التى يتلقى فيها ؛ حتى ختم ذلك بحظوة عظيمة غبطه عليها اصدقاؤه ونفسها عليه حساده ؛ يوم اناله الاستاذ ابن العربى الادوزى تلك الشهادة العليا بين جماهير من اقاربه ؛ ثم لما توجه الى مجالات فقهاء عصره ؛ وجد ايضا مكانا فسيحا واسرة لها مكائنها بين ذويه ؛ ثم لما جال فى مجالات التدريس فى المدارس كان نزعها فيها لا يقصر عن نزع ابن عمه الاستاذ محمد بن عبد الله لانه لا يرضى ان يخلفه فى منصبه ؛ ولا يتنازل ضميره الى ان يذر تلاميذه الذين هم افلاذ كبه الا فى يد من يراه كنفسه فى الالتقاء والفهم والتفهم ؛ ثم ان كل هذا لم يستطع صاحب الترجمة ؛ ولا استمال نظره ؛ ولا اعاده لمحة من فكره افلا يدرك من كل هذا القارىء الكريم ان تلك الروح الوثابة التى تملأ ما بين جوانحه ؛ غير تلك

الارواح التى تجول فى كثير من فقهاء عصره الذين لا يكاد احدهم يشيم ومضة من حظ ؛ ويجد مضفة هنيئة مريئة من مدرسة واقباله صغيرة من بضعة تلاميذ من يقول اننى اسعد الناس ؛ واحظى العلماء بالظل الوريث من العلم الشريف ؛ حتى

حقيقة ان مايفنى فيهالفقهاء اعمارهم من فض النوازل بالشرع الحنيف والانتصاب فى المدارس وهى من المساجد التى لايعمرها الامن آمن بالله واليوم الآخر ؛ ومن تعليم التلاميذ وتهذيبهم وارشادهم ؛ ووصل الامانات الدينية والعلمية والثقافية اليهم كل ذلك فيه اجر عظيم ففى مثله يتنافس المتنافسون وفى التسابق اليه يحمد المتغابطون ؛ ولكن امثال صاحب الترجمة الذى خلق لغير هذه المجالات وراينا همته تحفره الى مقامات اخرى غير هذه لابدان يكون هناك شئ وقع عليه بين اولئك الفقراء وحظى به بين اركان تلك الزوايا ؛ لم يجد مثله بين الفقهاء ولالحه فى مجالس المدارس

فليت شعرى ما الذى وجده هناك ؛ ولم يجده فى المدرسة ولا فى علومهما المختلفة ؟ اخال ان هذا الذى وجده هناك ويجده كثير من الفقهاء الذين ألقوا مناصبهم وراءهم ؛ فاقبلوا على مصاحبة الفقراء ؛ يتجل لنا فى هذا الحكاية الاتية :

دخل سيدى سعيد بن هـمـو الشيخ المعدى الى داره يوما فقال لمريدته الفقيرة عائشة الهشتوكية ؛ اخرجى واستديرى بالحائط فانك ستجدين عالمين دخلا فى طريقتنا حديثا ؛ فذاكرتهما فخرجت فوجدت صاحب الترجمة والفقهاء سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ؛ فجلست اليهما بعد ما سلمت ؛ - وهى حيزبون دردبىس - ففاتحتهما الحديث فانجز بهما الى ان وصل الى معرفة الله تعالى ؛ فجلحت بهما الفقيرة الامية الى سماوات عجزا عن مطايرتها اليها ؛ فسكتا ثم قالت لهما انما اردت بهذا العلو فى المذاكرة ان تعرفوا انتم معاشر العلماء الجامدين الذين لا يحسبون ان لله علما الا ما فى تلك النقطة الضئيلة التى تظنون اعماركم تجولون حولها فى مدارسكم ؛ ان من اناس من تعجزون عن مجاراته مع انه لم يلم بنقطة منكم هذه ؛ و اردت ايضا ان تدركوا حق الادراك انكم معروفون عندنا لانخفى عنا منكم خافية ؛ فالمنصفون منكم يدركون انهم خالون من سر انوار القلوب ؛ ومن ذوق حلاوة الايمان ؛ وان هذه العلوم التى يخوضونها ويفضرون عليها اعمارهم ويحسبوننها غاية ؛ على حين انها انما هى وسيلة للمقصود من معرفة الله ما انتهت بالمراد من انوار القلوب وحلاوة الايمان ؛ ولكن مع انصافهم هذا ؛ وادراكهم لكل ذلك حق الادراك ؛ يحسبون ان غيرهم لا يدركون منهم ما أدركوه من أنفسهم من عدم معرفتهم لله وعدم استنارة القلوب ؛ وانشرح الصدور ؛ فقال لها سيدى الحاج الحسن وكيف معرفة الله ايها الفقيرة ؟ فقالت انكم انتم العلماء ؛ وانكم احق من يسال عن مثل هذا لانا العامة الامية التى قل حياؤها فثرت بهديانها حتى جاوزت الحد ؛ فقال لها سيدى الحاج الحسن لابد ان تتكلمى ؛ فقالت لا ادري ما اقول ؟ الا ان ولدا عندى يوما ايقظته

من نومه فقال لي يا اماه : انك ابقتني من نومة عذبة حلوة لذيدة جدا جدا؛ فقلت له كيف عذوبتها يا بني ؟ فسكت مليا ثم قال نامى يا امى هنا مثل تنويعها فكذلك انا نقول لكم من اراد ان يذوق معرفة الله فليرحل الى الله بالكلية ؛ فان العجب كل العجب فيمن ادعى انه عالم مع انه اجهل الناس بمعرفة نفسه وبمعرفة ربه وقد يما قيل : من عرف نفسه عرف ربه .

هذه هي الحكاية حكاه من حكته له تلك الفقيرة رحمها الله ؛ ورسمنا زادت جملة او نقصت ولكن هذه هي الروح

وبعد ؛ فان من بين الناس من تتعلق روحه بهذه الناحية ؛ ويتكون ذلك منه من صغره كما رايت من صاحب الترجمة الذي تجلت منه هذه الناحية ؛ وهو بعد في الكتاب ؛ ثم ما كاد يلتقي بأصحاب هذه الجهة حتى انزعج فيهم كان له معهم تعارفا قديما ؛ وكان ذلك ميدان الحديث الشريف .

(الارواح جنود مجنونة ؛ فما تعارف منها ائتلف ؛ وما تناكر منها اختلف).

في التجريد وخرق العادة

لبعض الصوفية احوال عجيبة لا تزال الى الان محمولة في اعين غالب الناس على الغرابة ؛ وعلى الخروج عن المعتاد ؛ وبها تقوم في كل عصر حرب زبون ومجاذبة عنيفة بينهم وبين الفقهاء الذين لا يجدون فيما عندهم من مختلف الفنون ما يبررها خصوصا المحدثين منهم الذين يتراءى من سيرة صاحب الشريعة صل الله عليه وسلم ما لعله لا يوافقها فيما يرون ؛ فهؤلاء الفقهاء والمحدثون يحملون على من يلبس هذه الاحوال الغريبة حملات متوالية زاخرة بالحجج والبراهين والادلة ؛ ولكن الآخرين سائرون في طريقهم ؛ معرضون عما حولهم وهم كالصخور التي تجثم في صفاف البحار فلا تكاد موجة تصطدم وايها حتى تنكسر على جنباتها ثم يستحيل ماؤها زبدا ورشاشات متطايرة ؛ قلب معنى النظر ايها المؤرخ منذ تأسس التصوف في القرن الثاني واستقل كعلم خاص ؛ له مبادئه واصطلاحاته وتآليفه المدروسة ورجاله الذين يتفانون فيه ؛ ويظنون ويبيتون في تتبع دقائقه ومقدار تأثير كل دقيقة من دقائقه في نفس المعتنق للتصوف المتتبع لمقامات السلوك فيه ؛ تأمل معنى منذ ذلك العهد الى الان ؛ تجد هذه المجاذبات العنيفة التي تقع في مختلف هذه القرون وترى ما هناك راي عين ؛ فيتضح لك ان ما يستغرب في ذلك الوقت ؛ يشور به على القوم الفقهاء والمحدثون دائما ولكنهم بعد انجلاء المعركة يخرج اصحابهم وهم كما هم لم يتأثروا بعلامة ظفر من ثورة هؤلاء

ومن بين ما يواخذ به هؤلاء اصحاب التصوف هذا الذي يسمونه التجريد بالتجرد عن كل مافي ايديهم وعن كل ما هم فيه؛ حتى ليأمر ونهم بترك هيئات حسنة ؛ وشارات عرفوا بها الى هيئات اخرى وشارات زرية تتخطاها الانظار

فتنفض دون ابصارها ؛ والى الوقوف مواقف ذل وانكار للذات ؛ فقد يامر الشيخ وان يجول في مرقعة غليظة بين القرى وبين عارفيه ؛ حتى يزول منه ما يمنعه من من كان معروفا في قومه بلباس حسن ومروءة وعز وعلو همة ؛ ان يطلق كل ذلك المداومة على مثل ذلك ؛ وربما امره ان يتعرض للناس للتكفف وان يجهر بذلك في الاوساط التي كان عرف فيها بما عرف ؛ ويسمى ذلك عند مشايخ التربية (خرق العادة)

تعلو صرخات انقهاء والمحدثين باستنكار ذلك ؛ واستبشاعه بين المسلمين فيقول المحدثون لم نرقط رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ امر احدا ممن يريهم وهو شيخ المربين واستاذهم وقودتهم ان يفعل مثل ذلك ؛ وهذه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ظاهرة بين ايدينا لانجهل منها ولوطرفا ؛ افلا يسمع من يري الناس اليوم ماوسع رسول الله صلى الله عليه وسلم امس ؟ والمراد من المسلم ان يحس بالشرف وعلو الهمة وعزوف النفس ؛ لا بالضععة والاسفاف والحقارة ؛ واي مسلم الف الحقارة الا التحفها حتى امام الكفار واعداء الدين .

ويقول الفقهاء ان عرض الانسان ومروءته وشرفه لماتجب المحافظة عليه مثل ماتجب المحافظة على دمه ودينه وماله فباي دليل وبأى نص يستدل من يأمر بهتك المروءة التي هي كما يقول علماء الاخلاق كسجف رقيق متى انتهك فهيئات ان يلتئم بعد ؟ فكيف يربي انسان انسانا في الدين الاسلامي بهتك المروءة والتوقع للناس في الاسواق بالتكفف وباذلال نفسه ؛ مع اننا ما امرنا الا بعكس ذلك هذا ما يصرخ به المحدثون والفقهاء ويسهبون به في حججهم ويسوقون ما يسوقون مما يشهد كما ذهبوا اليه .

واما الصوفية فان بعضهم غالبا يجيبون بالافعال ؛ فان من يأمره شيخه ان يفعل ذلك لا يلبث بعد حين ؛ ان يتقلب جوهره ويتبدل حاله ويظهر بمظهر آخر ؛ ثم لاستمدير دورة الزمان حتى يترأى في عصره كشمس انكشفت عنها السحاب السوداء في يوم صحو فتشرق في عليائها على الكون ؛ حتى تعشى انوارها للامعة كل الناس ؛ حتى اولئك المحدثين والفقهاء فانهم لا يكاد معظمهم ممن النصفين ينكر ما ناله كبار الصوفية بعد هذه التربية

واما صوفية آخرون فانهم يصمدون الى المحدثين والفقهاء ؛ ويقولون لهم لقد ابعدتم النجعة واكثرتم حول ما لا تعرفونه صرخانكم ؛ فاننا اولا نعدركم على نمط ما يقوله الشاعر

لو كنت تعرف ما اقول عدرتني او كنت اجهل ما تقول عدلتك
لكن جهلت مقاتلي فعدلتني وعلمت انك جاهل فعدرتك

ثم اننا لانكثر معكم الجدل ؛ ولانجاذبكم ادلة وحججا انتم ادري الناس

كيف تلقى وانما نسائلكم سؤالين اولهما لوجاء طبيب فقال لكم ان مريضكم هذا لا يسلم من مرضه المزمع الذى منعه الحركة الا اذا بترت يده او ففتت عينه فحينئذ يبرأ ويقوم ؛ ثم انه سبق له ان عامل بمثل هذه المداواة مرضى كثيرين فبرئوا؛ اكنتم تدفعون اليه مريضكم وتجاوزون له ان يداويه بما ذكر وبما تبين انه دواء شاف من مداويات له متقدمة ؟ ام تقولون له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ويقول له فقهاؤكم ان نصوصنا لم ترد بمثل ذلك ؛ فيما كان موقفكم مع ذلك الطبيب الذى ادركتم صدقه هو موقفكم معنا فاننا انما نقصد بما فعلنا ببعض المريدين لاكلهم تطهير نفسه من الكبر الذى هو اخسر الشرك وان نسلك به مسلكا يتلقى فيه دروسا يخرج منها بالاخلاص التام فى اعماله وذلك هو قصدنا الوحيد؛ ثم لم نبال بالمرءة التى تقولون هنكنا هالعلمنا بأن الغاية تمرر الواسطة كما ان ذلك الطبيب لم يبال بتر اليد ولا بفقء العين فى جانب الشفاء الذى يحصل للذات كلها ؛ على ان المرءة التى يأمر الدير بالمحافظة عليها ليس منا من يقول بهتكها وانما هي بعض عوائد فى اللباس وامثاله تغير لعل ماوراءها يتغير؛ كما شرع تغليب اللباس يوم تصلى صلاة الاستسقاء على انه لم يتخذ اشيا خاذلك ضربة لازب لكل مريد مريد ؛ بل انما يامرون به من يعلمون انه لا يداويه الا ذلك ؛ وطرق التربية شتى لا تنحصر ؛ والا شياخ انفسهم تختلف تربيتهم فى مثل هذا اختلافا كثيرا ؛ كما تختلف طرق التداوى بين هيئات الاطباء فى مستشفيات متعددة وذلك كله بحسب ماجربوه من انفسهم ؛ ونحن نقول ان كل شيخ يربى مريديه على النمط الذى تربى به ؛ ومن اين لنا ان نكون تربيتنا ؛ ونحن نقر بعدم العصمة كترية النبي صلى الله عليه وسلم الذى وقفه الله ؛ وعصمه فى كل احواله ؛ وتولى تربيته وتاديبه فأحسن تاديبه فان ادركتم ايها المحدثون والفقهاء محور هذا السؤال ؛ وكنه ما نريده وراءه عرفتم متجهنا فاسترحم وارحم على اننا نشكركم على اعتنائكم بنا ؛ واخذكم بحجزتنا حتى لانفارق السنة ؛ فجزاكم الله خيرا •

والسؤال الثانى اننا رايناكم تكثر علىنا فى اتخاذنا حياة مخصوصة للمريدين ماداموا يتربون تحت انظار مشائخهم ؛ فتقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخص اصحابه بهيئة مخصوصة ؛ ولا بشارة يتميزون بها عن غيرهم ؛ بل المسلمون كلهم فى هيئاتهم كفداح السهام فى الكنائس ؛ لا يفضل بعضهم على بعض الا بالتقوى هكذا تقولون ؛ ولكننا نسائلكم فانصفونا فى الجواب ؛ اوليس ان لكم ايضا ايها الفقهاء حياة اخرى خاصة بين المسلمين؟ فما يكاد احدكم يتأهل للتصدر وينساق الى صفوف العلماء حتى نواه انتحى ناحية فيخرج اليها بالزى الخاص الذى احتكره العلماء لانفسهم ؛ فما كان جوابكم هو جوابنا فقد علمنا ان قدوتكم فى ذلك ابو يوسف ؛ ونعم القدوة ابو يوسف ؛ ولكن

لماذا لا تقبلون منّا ان قلنا لكم ان قدرتنا الجنيّد والغزاليّ وامثالهما ؛ فتقولون لنا بدوركم نعم القدوتان الجنيّد والغزاليّ ؛ فيا اخواننا العلماء لماذا لا نلتقي نحن وانتم في الوسط لتدركوا ما عندنا ؛ مثل ما دركنّا ما عندكم ؛ فتتعاون على نفع العباد انتم بتربية ونحن بتربية ؛ انتم بتربية ظواهرهم ونحن بتربية بواطنهم فان ذلك اقرب واسهل لاتمام ما نريده جميعا ؛ وقد امر الله بالتعاون على البر والتقوى ؛ والتميّز لكل طائفة بلباس خاص امر اجمعت عليه الامم ؛ فزى الكشافة وزى الاطباء ومعاونيهم وزى الجنديّ ؛ وزى البحريّين والطيارين ؛ يخالف بعضها بعضا فلماذا يلام هؤلاء القوم وحدهم ؟ فهلا انصفتهم ؟ فان الانصاف من شيم الاشراف .

هكذا يتّحاج الفريقان ما يتّحاجان ؛ ثم يتّحاجزان فيقبل كل واحد الى شانه وكل حزب بما لديهم فرحون وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا ؛ وان كان الحق بين الطرفين لا يخفى على ذي عينين

طرق آذان اسرة صاحب الترجمة اثناء سنة ١٢٩٨ هـ ان ابنها الذي كانت تنظر اليه كما تنظر الاسرة الصالحيّة الى ابنها الاستاذ محمد بن عبدالله وتتمنى من ورائه ان تدرك مثل ما دركنه تلك الاسرة من وراء ابنها الاستاذ من مجد سامح ؛ وثروة متزايدة ؛ صار يدور في الاسواق ويتكفف الناس فيها فيمديديه وهو يقول اطعموني فاني اموت جوعا ؛ وهو في اسمال رفاع متلونة كانها قوس قزح ؛ وقد تدلى وراء كتفه جراب مثقوب من اصله ؛ يلقي فيه كل ما امتدت به اليه الايدي ولكنه سرعان ما يسقط وراءه ؛ فيتتبّعه الصبيان زرافات ؛ والهمج الرعاع الذين من دأبهم ان يتجمعوا في امثال تلك المواقف

تواترت هذه الاخبار الى الاسرة حتى صدقت بها ؛ من بعد ان كان ذلك عندها رابع المستحيالات ؛ فثار ثائرها ؛ واسودت الجواء في اعينها في وسط النهار حتى كانها في غيابات الجب ؛ وقد علمت ان ما يقال محقق ؛ فلا سبيل الى تكذيبه ؛

طوى البسيطة حتى جاءني خبر فزعت فيه بلا مالي الى الكذب حتى اذا لم يدع لي صدقه املا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي واهلنا السعيدون ابعد الناس عن مقامات التكفف واعلى الناس عن ذلك همما ؛ واكثر الناس في البعد عن ذلك استنكافا ؛ واستف ترب الارض كي لا يرى له على من الطول امرء متطول ولذلك استبعدوا تصور ان ابنهم الذي يعلمون منه ما يعلمون يسف الى

ذلك او تتدل به همته اليه ؛ ولكن لما تحققوا ذلك وانتفى الريب ؛ سبق الى اذهانهم ان انهم بلاشك من اصابتهم العين ؛ او طافت بهم بعض نفاثات السحر او المت به مسة من جنة ؛ والا فلا يتصور في انفسهم ان يتنازل الى ذلك ولسه مسكة من عقل اولحه من تمييز

أذن الشيخ سيدى سعيد المعدرى لتلميذه هذا ان يجول فى الاسواق وان يخرق فيها العادة ؛ فجال اولا فى بعض اسواق (ازغار) ثم فى سوق (اساكا) ثم فى موسم تازروالت وقد صادفه هناك الاستاذ الحاج داود الكرسيفى وكان ممن له الهمام ببعض افعاله الصوفية ؛ وما يقصدونه بها فلم ينكر عليه ؛ ثم صمد الى الاسواق التى تجاور الغ حيث اهلته ومعاريفه ؛ فجال فى سوق الجمعة بسملالة وهى اذ ذاك كما ابتدأت ثم فى قبيلة ايت وقفا ؛ وهو فى كل ذلك ملازم للصمت لا يسمع منه الا عبارات التكفف لا غير وقد قصده فى ايت وفقا سيدى محمد المدونة الايشانى تلميذه الذى كان اخذعنه بالمدرستين ؛ الفوكرضية والبومروا نيسة فطلب منه الدعاء والى عليه ؛ وقد علم انه لم يفعل ذلك لحق اطلب دنيا وجاه وان ذاك انما فعله لتخلص به نفسه من شوائبها فاجابه هذا حين الح عليه فى الدعاء لا اربحك الله ؛ وعيناه شاخصتان ؛ كانه مجنون حقا .

ادعو عليه وقلبي يقول يارب لا لا

نفد صبر اهله ؛ وبلغ الحزام الطبيين (١) فذهب اليه اخوه محمد معرجل آخر فاسراه وحمله على البغلة واتباه مكبولا الى الدار ؛ وهو على حالته ؛ لا يجير الجواب لابيه ولا لاه ؛ ولا يتكلم بسوى عبارات التكفف والاستغاثة ؛ والصراخ بان الجوع كاد ياتي عليه .

حكى لى والدته (تاكدا) رحمها الله انها اذ ذاك كادت تتمزق كسدا وينفطر قلبها اذ سمعت به ينادى ان السغب يقطع احشاءه ؛ قالت فلا ادع كل ماتله يدى ؛ وأمكن لى من الطيبات الا قدمته اليه ؛ فاملا جانيبه باللحم الحنيد والبيض المسلوق والسمن الممزوج بالعسل واللوز المطحون والتمر الجيد والزبيب والجوز وكل ما عندنا ؛ ثم لا يعير ذلك كله التفاتا ومتى غفلنا عنه ؛ وقد اودعناه فى بيت ينقتل الى سطح الدار فيصرخ الامن يفتأ جوعتى الملهبة الهائجة ولو بقطعة من الخبز المكرج (٢) فانتى يا عباد الله اكاد اهلك جوعا ؛ قالت فنبادر الى ابوانه الى البيت ايضا ؛ ونحن نتقطع على ولدنا العالم الذى صار مجنونا يتخبط .

ذلك وقد صح عند الاسرة انه امامعين واما مجنون ؛ فبادر والده فذهب

(١) الطبى بضم فسكون الحلمة الزائدة فى آخر الضرع وذلك مثل مشهور فى اشتداد الشىء

(٢) كرج الخبز اذا يبس وفسد

بذبيحة الى ضريح ازاء مدرسة فوكرض لما سمعه من ان ماصابه ربما جاء من تلك المدرسة ؛ هكذا صار صاحب الترجمة في واد واهله في واد في صبيحة يوم وقد اطل الفجر على الكائنات فافاض عليها من انواره فاستنار كل ما فيها فاقبلت كل الامهات الى ابنائها ؛ ليزددن بهم قرة عين ؛ وبهجة نفس الا تلك الام الرزوة في عالمها فانها دخلت عليه البيت لتستجد ايضا من نظراتها الى ولدها زفرات اخرى متلظية ؛ قالت لي فمادخلت حتى ناداني سوهاول كلام سمعته مزمع يا امه ما هذا الذي في رجل ؟ فقلت انه كبل ياولدى ؛ فقال او هب لثم فلماذا وضعت على الكبل ؟ وماذا عراني ؟ فقلت آه ياولدى انك ياولدى جنت فلم نجد بدا من ان نكبلك ؛ فقال عجا او كنت كذلك ؟ ولكنني الان استرددت شعوري قالت فثاب الى من الفرح والسرور ما الله اعلم به فسرت اسائله حتى تحققت ما قال فاقبلت مسرعة الى مطبخ الداروفيه نساؤنا مشتغلات بالغداء فاعلنت بشراى فارتجت الدار كلها فرحا فاقبلنا جميعا مستديرين بولدى على وقد حضرقين القرية فاماط الكبل فازال كذلك ولدى ما عليه من اللباس الخلق فانتيه بكسوته البيضاء من صندوق فلبسها وارتنى بردائه ووضع العمامة على راسه فارسلنا الى الاستاذ الفقيه سيدى محمد بن عبدالله ؛ فحضر عندنا فاقامت حفلة كبيرة حضرها الجيران والاقارب فاقبل المهتئون يهتئوننا بشفاء ولدنا ؛ ولكن والده سيدى احمد ؛ لم يزل ملازما للفراش من مرض كان به ثم ازداد بمواقع لولدنا ؛ ففي صباح يوم لعله اليوم الثانى ذهب ليزور الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله فلم اشعر حتى هرولت الى امراة من القرية فصارت تناديني وصوتها متهجد اننى الان رايت ولدك قد استدار بشنية (تالات نيت عيس) وبذكر الهيلة جهرا ؛ وقد ذهب عنك ايضا قالت فقامت قيامتى ولم اتحمل الصبر فأهويت ببغلتنا اجوب بها الطريق الى المعدر لاسترد فلذة كبدى من ذلك الرجل المعدرى الذى افسده على قالت فراح على الليل فى (تيغمي) فبت هناك عند اسرة من معارفنا ؛ ثم تعقبني من اخبرني بان زوجي والد اولادى قد خرجت روحه اثر خروجي من الدار ؛ فكنت اذ ذاك اشقى نساء العالم وانكاهن مصيبة فهذا ولدى العالم الذى هو كل منيتي وآمالى فى حياتي قد عانه العائنون وتسم فيه مرام الحاسدين الشامتين ؛ حتى اختل عقله فتكذب اهله فصار يجول فى البلدان والها حيران ابله كانه هداوى من الهداويين ؛ وهذا زوجي وقطب اسرتي ولب مهجتي قد مات عنى فوقفت فى حيرتي لا ادري التقدم الى الامام لافتش عن ولدى ؛ ام انكص على عقبى لاشهد ماتم زوجي ؟

هذا ما حكته لي رحمة الله عليها فاها لاذني ؛ وكانت ثرة الحديث ممتعة ان وجدت من يكون عندها من المنصتين ؛ وكنت اذ ذاك قد بدأت افتش عن اخبار والدى هذه ؛ فيسر الله لي من عندها من ذلك نبذا لطيفة ؛ هذه الحكاية منها .

وقد الم صاحب الترجمة بذكر ما وقع اذ ذاك فى رحلته الحجازية عند ذكره لشيخه المعدرى ؛ فقال بعد ان ذكر ما حصل عليه بملاقاته معه :

ترك ما سوى الاله هجرا
وقبحت عندي ملاح الدنيا
وليس لي في غير ذات الله
فصلت عنى سائر العلائق
بدلت احوالى بخرق العادة
وكان في تخريقي العوائد
ولست تعرف الذى ثم سوى
تصير رافضا ومرفوضا اذا
فاختلف الناس فذا يقول
والبعض قال انه مسحور
وعند جل الناس كنت احمقا
فكل من جهل شيئا عاداه
من بين فرث ودم يسقيننا
ذاك بفضل الله لا بغيره

فلهجت نفسي برى ذكرى
مما يرى برؤية والرؤيا
ماوى ولا عن حسنه ملاهى
لكونها عن مقصدى عوائقى
لطلب الاخلاص فى العبادة
افضل ما يجنى من الفوائد
بفعله ان كنت تارك سوى
ما اقرب الاخلاص ممن نبذا
جن فاين القيد والحبول ؟
اين رقى المسحور والبخور ؟
فلم يكن فعلى لديهم منتقى
وكل من عرف شيئا ناداه
لبن معرفته يقيننا
يوتيه من اراده لخيره

قضى صاحب الترجمة مآلده ابيه شيخه ووفاه شروطه المشروطة عند اهل ذلك
الفن بكل دقة فمثل ثانيا بين يدي شيخه وقد انخرط فى سلك المتجربين بين
يديه ؛ لا يتنفس الا باذنه ؛ ولا يلتفت يمينه ولا يسرة الا باشارته وهو طوع يديه
كيفما قلبه انقلب وقديما قال الشاذلى لاساتذه مولاى عبد السلام : اننى اغتسلت
من علمى وعملى الا ما ياتينى على يدك ؛ وقال الجيلانى البغدادى فى عينيته
المشهوره ؛ يوصى المرید بما يكون عليه عند شيخه :

وكن عنده كالميت عند مغسل يقلبه ما شاء وهو مطاوع

وقال الشريشى فى رائيته المشهورة :

ومن لم يكن سلب الارادة وصفه فلا يطمعن فى شم رائحة الفخر

ومن شروط هؤلاء المريدين ان من قال من المريدين لشيخه منهم له لايفلح
ابدا ؛ ومن اجل نظره يعلم ان هذا الشرط يتخذ اساسا فى كثير من الجمعيات
والتنظيمات كالجنديّة وشبهها ؛ فلا يختص به الصوفية الربوب لاصحابهم
فعلى هذه التوترة سار صاحب الترجمة مع شيخه ؛ فيخدمه ويقوم بين يديه
ويكفيه مع اولئك المتجربين كل ضروريات زوايته ؛ وكثيرا مايقول بعد ذلك
لتلاميذه حين رجع شيخا مرييا ؛ ليس العجب ان يستسلم الواحد لشيخ
يحسه عالما ؛ وانما العجب منا نحن الذين استسلمنا لشيخ امى ثم وفقنا الله
فراعيناه بكل ادب والحمد لله ؛ وقد اخبرت ان شيخهم وصلهم يوما فى هاجرة
تذيب دماغ الضب ؛ وتعشى اعين الحرباء ؛ وهم يحصدون زرعاً للزاوية فى
بسيط المعدر ؛ وقد سالت اصابع من كانوا قبل لايفلون مزاوله المهن دما

صاحب الترجمة والتاموديزتي وامثالهما ؛ فلم يطق الشيخ امساك عينيه فقال والله لولا ان الذى تطلبونه وهو وحده سبب اتصال ذات مابيننا ؛ لايحصل لكم الا بهذا ؛ ماكان فى صدرى قلب يستمسك حين يراكم على هذه الحالة واخبرت ايضا ان الشيخ خرج يوما فى حمارة فيظ ؛ فرأى صاحب الترجمة مضطجعا ازاء حائط وقد ادركته الشمس ؛ فتناول رداءه من فوق ظهره فجعله عليه ظلة تقيه وهج الحرارة من غير ان يوقظه ؛ ومما وقع له فى هذا الصدد انه كان سائجا مع اخوانه المتجردين فوصلوا (ارازان) برأس الوادى ؛ فاقترح عليه أهل القرية ان يطلبوا من الله الاعانة بالامطار ؛ وقد فسدت المزروعات ودب اليأس الى القلوب ؛ فقال الفقراء للمترجم اننا نربطك فى هذه المهمة فتوجه كله الى ربه ليقتضى هذه الحاجة ؛ فسرعان ما انهلت الامطار حتى اكتفى الناس فقال الفقراء هذه كرامة كبيرة ؛ ولابد ان تكرم الفقراء على العادة شكرا على ذلك ؛ فصار كل واحد يقترح منيته فهذا قميص وهذا نعل الى ان تكون من ذلك كله ما يكون ثمن جميعه ست رياتل حسنية ؛ وهى اذذاك خصوصا فى هذه البلاد المقلّة - مال له بال ؛ فخرج المترجم الى سوق هناك ؛ فوقف ينادى

الامن يمد لى لله ست رياتل ؟ يكرر ذلك جهارا فكان الناس يمدون اليه قروشاً فيردها فيقول انها اريد الست رياتل دفعة واحدة ؛ فسرى التسجّب منه فى السوق ؛ حتى اخبر بذلك تاجر من سكان تلك الجهة متمول ولكنه مآدر زمانه ؛ فكان من الغرائب ان جمع ذلك فى يده فقام حتى مده للمترجم ؛ فكانت كرامة اكبر من اختها عند كل من يعرف الرجل ؛ فاشتري كل الفقراء منهاهم وكانت تلك عادة الفقراء ؛ ان يكرم الفقير اخوانه متى ظهر عليه شئ يسره من ربه كرؤيا حسنة ؛ او كرامة اظهرها الله على يده ؛ ولعل ما فعل كعب بن مالك يوم اكرمه الله بالتوبة ما يستأنس به لذلك حين خرج عن بعض ماله

واخبرت ايضا انه اجتمع مرة مع اخوانه المتجردين فى بسيط المعدر يحصلون لشيخهم ؛ فجالوا فى المذاكرات حتى طابت القلوب ؛ واحسوا كلهم بسكينة نزلت على قلوبهم ؛ فقال قائل ان هذا الوقت وقت طيب ؛ وربما يكون مظنة استجابة دعاء ؛ فليقترح كل واحد ما فى قلبه لندعو الله جميعا بالاستجابة ؛ فقال المترجم مقترحي انا ان لافقد طوال عمرى من يعيننى على ذكر الله وطاعته الى ان أموت .

واخبرت ايضا ان صاحب الترجمة رأى مرة اذ ذاك نفسه كأنه راع يعرى سائمة كثيرة فقص رؤياه على اخوانه الفقراء فقال له بعضهم - وسمعت انه سبى الحاج الحسن التاموديزتي - ان رؤياكم يا بنى عبد الله بن سعيد لاتعدو الرعى والمراعى الى اولعتم بها اشد الولوع اباعن جد ؛ ثم سقطت الرؤيا الى شيخه ؛ فقال ان ذلك رعايته للخلق ؛ وتلك طوائف اثر طوائف تنهال عليه من كل جهة ؛ وكلها تصدر من يديه بالرى الذى لا يغادر عطشا ؛ فكان من المصادفات

ان الفقير سيدى محمد ابكى التانكرتى الافرانى حضر مرة فى موسم من مواسم صاحب الترجمة الاولى بالغ ؛ وقد اقبلت الطوائف يوم الاحد تترى من نواحي الخ ؛ فما يفرغ من واحدة حتى تقبل اخرى ؛ وقد ملات ارجاء الخ باذكارها المرتلة العالية الى عنان السماء ؛ فعد منها اكثر من خمس عشرة طائفة ؛ فى كل طائفة عشرات او مائات من الوافدين ؛ فمال الى الشيخ وقال له الانذكر الرؤيا التى كنت رايتها فى زمن تجريدك ؛ واولها لك الشيخ بما رايناه اليوم عيانا ؟ فهذه بشرى عظيمة اذكرك اياها ؛ فتهلل وجه صاحب الترجمة فجزى الفقير الافرانى بهدية عظيمة .

فى المباحات

ان مما يقول الصوفية انه مما يصقل القلوب ؛ ويجلو مراهاها ويهذب النفوس السباحة ؛ ولذلك يجعلونها فى رأس قائمة شروط الطريقة ويقولون بقدر ماتبتعد عن شواغلك بين اهلك ومعاريك تبتعد عما يحول بينك وبين ما يقربك من ربك ؛ ويستدلون لذلك بان الله وضع السباحة ازاء التوبة والعبادة فى قوله تعالى «التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله؛ وبشر المؤمنين» وهذا على قول من يفسر السباحة هنا بالسباحة المعروفة ؛ وقد غاب عن هؤلاء المستدلين بالآية ان المفسرين فسروا السائحين بالصائمين استنادا لحدِيث وذلك اليق بسان الآية ؛ قالوا فوصف هذه مرتبته بين اوصاف المؤمنين ينبغي ان لا يفرط فيه المؤمنون ؛ وان يجعل كاساس من اسس الايمان ؛ وكمرأة يتراى منها للمرء ما يكثر به اعتباره ولا مقرب الى الله كمثلى الاعتبار الكثير والتفكير الحى فى مخلوقاته ؛ وتفكر ساعة خير من عبادة سنة ؛ على ان للسباحة اثرا محسوسا فى تكوين الاخلاق والرجولة ؛ ولذلك نرى الشعوب الحية تاخذ بالتجوال ابناءها من شرخ الشباب .

بين قرى سوس مع شيخه

مضت بقية عام ١٢٩٨ هـ والنصف الاول من عام ١٢٩٩ هـ وصاحب الترجمة فى طائفة شيخه يتقرون قرى سوس بالارشاد وتعليم التوحيد ؛ فكانت لهم سباحة الى افران بمجاط حيث وقعت لهم قضية مع الرئيس على ندبوهوش سذكراها فى محل آخر واخرى الى راس الوادى حيث تلقاهم الفقيه سيدى الحسن التملى نزيل (ابرازان) لقاء اداه الى ان يعتنق التصوف على يد سيدى سعيد بن همو وقد ساله سيدى الحسن بمن يقتدى بعده ان فقدته فدل على صاحب الترجمة فى حكاية سنعرض لها ان ذكرنا هذا الفقيه فيما ياتى ان شاء الله ؛ وقد بقي صاحب الترجمة يتمهده دائما قبل ان يتصدر فى دست التربية وبعده الى ان

توفى هذا عام ١٣٠٨ هـ وقد اخبر احد الزكريين انه مارى من شغلسته نفسه واعرض عن كل العوالم جمعاء ؛ واثارت فيه محبة الله فانسته اهله واولاده ونفسه حتى لايبالى بمطعم ولا بمشرب الا رجلا واحدا ؛ قال ؛ طرقتى وقد كنت يوما واقفا على صهريج قربتنا ؛ وقد وصلتني نوبة السقى بين الجماعة ؛ فبتقت منبهه فاذا بى اسمع هيللة يجهر بها ؛ وقد انحدر على من ثنية تصاقب قريتنا فما أن سمعت هيللته حتى ملكت على مشاعرى ؛ فوقفت مشدوها ؛ فنسيت الماء الذى يتدفق من الصهريج فوقفت فى مكانى حتى مربى الرجل وهو فى مرقعته والهيفورة على كتفه والعكازة بيده ؛ وهو لا يلتفت وعلى محياه انوار تتلالا كأنها انوار الشمس فى الجو الصاحي ؛ فتبعته لعل اسأله من اين هو ؟ وهل يحتاج الى طعام ؟ وما مقصودى وراء ذلك الا ان اشاهد محياه مرة اخرى ؛ فمال الى ظل سرحة ازاء القرية فاضطجع وغطى وجهه ؛ فوقفت عليه اسأله ؛ وهو لا يجيبنى ولو بكلمة واحدة ؛ ثم اجترأت فمددت يدي فحزحت غطاء وجهه فنهزنى بهذه الجملة « ما كان ينبغى لك ان تسال الاعن امور دينك وما تتوقف عليه ان وقفت بين يدي ربك » هذا كل ما قال ؛ ثم غطى وجهه ثانيا فذهبت الى الدار فاتيت بطعام فاذا بالرجل لاعين ولا اثر فبقيت فى قلبي نكتة منه ثم لم تمضى الا سنوات حتى وصل البنا الشيخ سيدى الحاج على بطائفته ؛ فاذا هو ذلك الرجل بعينه فكنت اول من التحق به فى القرية ؛ واحمد الله على ذلك ؛ اقول انك صاحبت معى صاحب الترجمة فى هذا الحال ورأيت كيف كان حاله فى طور التجريد وكيف كان اذا ساح وحده فقد رايناه كأنه احدرجال كتاب (روض الرياضين) أوأحد المذكورين فى (الرسالة القشيرية)

فى جبالته

كان الشيخ سيدى سعيد المعدرى اتصل بئال زاوية جباله الدرقاوينين ابناء شيخ شيخه ؛ وقد كان الشيخ مولاى الطيب بن العربى زار سوس عام ١٢٧٢ هـ وحل بمشهد سيدى احمد بن موسى فكان بالمعدر عند سيدى سعيد ولذلك لم ينس الشيخ المعدرى يدآل جباله فاحب ان يرسل وفدا من تلاميذه ليوصلوا هدية منه الى مولاى عبد الرحمان الذى صار خليفة لوالده ؛ فارسل ستة فقراء اواسط عام ١٢٩٩ هـ وجعل صاحب الترجمة مقدمهم •

اخبرنى الرجل الصالح سيدى الحسن التامكونسى انهم مروا به فى ادواتان ذهابا وايابا كما حدثنى سيدى بلعيد التيزكىنى ان هؤلاء مروا اذذاك بدكالة فباتوا فى مدرسة سيدى منصور كما مروا بهم ايضا فى الاياب ؛ ثم ساروا على طريق الجديدة فالبيضاء فالرباط فزمور فطلعوا الى زاوية جباله وهم يسرون بارشاد الفقراء ؛ فما يقومون من حلة الا وقد عينوا لهم حلة اخرى ينزلون فيها ؛ اخبرنى الاستاذ البركة سيدى الحاج على من اولاد اولئك الشرفاء

انه كان في ذلك الحين ياخذ بعض المختصر عن نزل بزوايتهم من العلماء الزائرين ؛ قال فكان من حظي ان اخذت ايضا دروسا عن سيدى الحاج على السوسى ؛ ثم قال رحم الله سيدى الحاج على فقد نفع الله به البلاد والعباد ؛ اخبرنى بذلك فى احدى زياراته للحمراء فى حدود عام ١٣٤٠ هـ وقد لقيته فى زاوية القصور ؛ ثم حدثنى ايضا بمثل ذلك سنة ١٣٦٢ هـ وقد تغدينا فى دار ولده وجلس معنا مليا .

وفى ذلك الحين حفرت البير التى تضاف الى اهل سوس هناك ؛ فقدرى صاحب الترجمة اهل الزاوية يأتون بالماء من بعيد ؛ وتناهلهم من ذلك مشقة وصعوبة ؛ فقال أليس الماء قريبا هنا فى الارض ؛ فقالوا بلى ولكن لم نجد من يحفر عنه ؛ فانتدب لذلك هو ومن معه ؛ فصاروا يجدون فى الحفر ؛ فلما حفروا ماشاء الله طلع صاحب الترجمة فاضطجع ازاء البير وبعد هنيهة انتفض من مكانه ونزل فتناول المعول من يد من معه فمال على حرف البير حفرا فصاروا يقولون له ماتصنع ؟ ان الماء يستنبط من تحت لامن جانب وهو ساكن لا يجيبهم - وقد دخل ايضا فى الشروط التى من بينها الصمت كما بينها فيها تقدم - وبعد حين تدفق الماء من الجانب تدفقا ؛ وبشق الانفس تناول من فى البير ما كان فيه من الاثاث قبل ان يغمر الماء ارضها ؛ وسمعت ان مولاى العربى او مولاى الطيب على اختلاف فى الروايات فى السنة المحدثين وقف عليه فى تلك النسبة ؛ فقال له انكم تتركون الماء فى جانب كذا ؛ فاراه الناحية فكان ذلك سبب ما فعله وسمعت ايضا ان مولاى العربى او مولاى الطيب على اختلاف الروايات التى نسمعها ؛ وقف عليه فى الليلة المقبلة ؛ فقال له انك اجريت لقربتنا الماء الحى الدائم ؛ وسجى فى قلبك كذلك ماء حيا دائما ؛ هذه الحكايات كلها سمعتها تتداول بكثرة وكل ذلك ممكن والله اعلم ؛ واما الذى صح عنى من جهة السند فهو ما اخبر به سيدى محمد بن سعيد المعدرى ابن شيخ صاحب الترجمة قال ؛ بينما والدى ووالدتى فى تلك الايام التى كان فيها سيدى الحاج على فى جبالة جالسان فى مشرقة دارنا يوما وبين يدى والدتى شعير تنقيه للطحن وقد جلس اليها الوالد ؛ وهما فى كلام متنوع اذا بأبى تبدلت سحنته وقف شعره واحمرت عيناه واخذته رعدة فريعت منه امى لما تراه منه دائما اذا وقع منه مثل ذلك الحال ؛ وكثيرا ما يقع منه ؛ فقالت له ماذا ؟ وما الذى اصابك من جديد ؟ فقال لها الآن دفع سيدى على اكرام - وبذلك يدعى اذ ذاك صاحب الترجمة بين الفقراء - ابواب حضرة الله فولج ؛ وقد جعل الله مقامه على مقام سيدى على الجمل ؛ هذه الحكاية ارويها باسانيد صحيحة متعددة ؛ وقد كان صاحب الترجمة مولعا بمطالعة كتاب فيه اقوال سيدى على الجمل ؛ وكان فى كوة من زاوية شيخه ؛ وكان شيخه كلما رآى الكتاب فى يده يقول له «تلاقيتها ثانيا يا عليان» او كما يقول له

هذا ما كنت اسمعه من الفقراء يدور حول صاحب الترجمة وهو في جباله
واما فقراء جباله انفسهم فيوردون حكاية اخرى يقولون ان اهل سوس هؤلاء
اتوا بسطل كبير من نحاس مما تسخن فيه الاوضئة عادة الى جباله ؛ بل يقول
بعضهم ان سيدى الحاج على حملة فوق راسه من سوس الى جباله ؛ حتى حص
شعر راسه بذلك ؛ فعاد اصلح وهذه الحكاية لم اسمعها الا من جهة اصحاب هؤلاء
الشرفاء ويمكن ان يشتري هؤلاء الفقراء هذا السطل بفاس او من مكان آخر
قريب ؛ فيذهبون به الى الزاوية واما انهم اتوا به من سوس فبعيد واما كون
صاحب الترجمة يحمله فوق راسه فحصى شعره بذلك فعاد اصلح ؛ فخرافة من
النوع الذى يولع به من يصاحبون ابناء الزوايا ؛ ممن يريدون ان يجعلوا لمن
يهم في الخدمة سرا ظاهرا وربحا عاجلا ؛ حين يستشهدون بفلان وفلان انهم
خدموا الزاوية وفعلوا وفعلوا فكانوا سادة قومهم ؛ وصاحب الترجمة لم يحص
شعر راسه اذ ذاك ولم يكن اصلح ؛ الا اذا حدث فيه قليل مما يعتاد فى بعض
الناس زمن شيخوخته (نعم) انه ثبت عندى انهم اتوا حقيقة بذلك السطل الكبير
من سوس الى جباله

رسالة من صاحب الترجمة إلى شيخه

حكينا لك ماسمعناه مما يحكى عن صاحب الترجمة وهو هناك ؛ ولكننا
اذا اردنا التثبت فلنصخ لما يقوله هو لشيخه فى هذه الرسالة فانه يحكى لنا
بنفسه ماشاهده كما قال بعض الالغيين

وما مخبر عن الفتى مثل نفسه فحدث بما قد ذقته زمن الوصل
لدى زمن تسقى الرحيق بكاسها فعدت صريع الكاس والاعين النجل

الرسالة

من على بن احمد الملقب بالدرقاوى ومن معه من الفقراء سيدى الحاج
سعيد وسيدى ابراهيم وسيدى محمد بن الحسن وسيدى مبارك وسيدى ابن
محمد الذين ساحوا الى دار الشيخ مولاى العربى ومولاى الطيب واولادهم ؛ السى
شيخنا وقوتنا واستاذنا وملاذنا وسندنا وعمدتنا وقررة عيننا وانسنا وعزنا
وحياتنا وروحنا وفرحنا ونزهة قلوبنا ومينتنا وغاية مراننا من لاحت شواهد
شروق شمسه ؛ وتبلجت من سماء العرفان بدور انسه ؛ وما زال مرتقيا لسماء
العالى والمعانى فى يومه من بعد امسه ؛ حتى كانت قدمه على قدم من كان يركع
ويسجد فى رسمه وكيف لاوقد ادى الثمن وجاد بنفسه وفلسه ؛ واحسن العمل
فى معناه وحسه ولذلك كان طبيبا للداء العضال الذى يتبعه الوبال وكل مسن
يشكى عليه بعلته يشكيه بالترياق بعد ماظن انه اشرف على الهلاك والاختفاق
فهذا السيد الجليل هو الذى أنقذنا من الظلام الذى اسبل علينا البراقع ودواوى

بترياقه فينا السم النافع ؛ وقلنا اتسع الخرق على الراقع ومذانا في شبكته وراقع
 وأنا في ذلك الوقت يافع ؛ صارت تتزايد على القواطع فسل سيفه القاطع فقطع
 به كل ناطق وصامت وسماع ؛ لايقادر صغيرة ولاكبيرة الا انى عليها باللامس
 فجازاه الله الجزاء الذى هو لانواع الجزاء جامع وانالتا على يده ماخلقنا له من
 الاخلاص الساطع ؛ من أشارت اليه الايدى بالبنان بانه حامل راية العرفان من
 رؤوس الشهود والعيان سيدنا الشريف مولاي سعيد بن محمد احمد الله
 عاقبتنا بكم آمين بسلام مزخرف بروائح المحبة والشموق للذين هما اعطر من
 المسك والريحان تزفه سحائبهما الى حضرتكم المرضية وخلواتكم الربانية
 مادام وجود واجب الوجود ؛ الذى هو المعبود (وبعد) فليعلم سيدنا اننا وصلنا
 الى دار اولاد الشيخ سلامة وعافية فى الطريق والحمد لله ؛ ودخلنا يوم الثلاثاء
 الرابع والعشرين من غشت فوجدناهم بسلامة وعافية والحمد لله ؛ واول من
 لقيناهم بعد الدخول ؛ الذى تقول لنا هو وارث مولاي الطيب وهو ذو العجاة
 منهم الشريف الاصيل الجليل النبيل ؛ الذى التقى السخى النقى الوفى الحفى
 الذكى الودعى اللبيب الحبيب الاريب الاديب النجيب ؛ سيدى ومولاي عبد
 الرحمان ابن مولاي الطيب؛ فرحب بنا اى ترحيب وسالنا عن احوالكم واستقصى
 الاخبار استقصاء الطبيب فاخبرناه بسلامتكم وبشوقكم بالبراءة وبما فى رؤوسنا
 حتى شفى الغليل وبرئ العليل ؛ وكل واحد منهم لقينا بما تصدر قلب البلد
 سواء الصبيان والعيالات من الاحرار والعبيد وحتى فرحت بنا الاشجار
 والاحجار وتلاطمت علينا لجة الانوار والاسرار وقد شاهدنا ذلك عيانا على فقه
 الاعيان ؛ وزرنا مولاي الطيب فى بيته فو الله ياسيدى لقد كان على ماوصفته
 به فى حياته لما دخلنا بيته كاد لحمى وعظمى يتمزقان ؛ حتى اشرفت على الغيبة
 وكيف لا و حال مماته كحال حياته (ولاتحسين الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا
 بل احياء عند ربهم يرزقون) والحاصل انزلونا منزلة الملوك ؛ وكانوا لنا خداما
 وان لم نكن اهلا للخدمة تمسكا بالحديث (سيد القوم خادهم) واعطيناهم
 الزيارة التى اتينا بها ؛ وهى ثلاثون ربحا ؛ عشرون بوجهها وعشرة فى ربايتين
 والله لقد راينا ذلك اقل القليل ولكنهم اهل القبول ؛ جزاهم الله خيرا عنا ووقاهم
 ضيرا وقد سمعوا بالجلال الذى وقع فى بلدنا (١) حتى كان ذلك اكثر نسبة
 بلدنا ؛ ولكن الهدية على قدر المهدى ؛ كما قالت النملة لسيدنا سليمان على
 نبينا افضل الصلاة والسلام ؛ وعلمنا منهم ان قلوبهم لم تتعلق بالدنيا ولا بمن
 اتى بها ؛ بل كان احب منه عندهم الذى اتى بوجه الاخلاص لانا راينا كذا وكذا
 من الفقراء جاءوا على وجه الله ماتوا بشئ بل ربما اتى بعقهم باولاده ليعيشوا
 عندهم ؛ فرفدوه هو واولاده ؛ وجعلوه فى عين التعظيم ؛ والحاصل ان احوالهم

احوال الكمال فمن اتى بشيء فلنفسه وامامهم فمستغنون في القلوب عن ذلك والحمد لله بقي الخير في مكانه كما قلت لنا في الوقت الذي مات (١) مولاي الطيب ؛ رايت الاولياء اجتمعوا واقاموا مولاي عبد الرحمان مقامه ؛ وقد صح ذلك المقال يقظة ومناما وسلم منا ياسيدي على جميع اخواننا واخواتنا فان شوقكم قد قطع اكبادنا ؛ فهانحن ان شاء الله متى خرجنا من الزبارة نتوجه الى البلد ونسيح على الاخوان ؛ كما قلت لنا ؛ حتى نصل في الزمان الذي اراد الله ولو في مارس ؛ وادع لنا ياسيدي وجل فينا ؛ فوالله لقد راينا قلوبكم كانت معنا ابدوا رايتمونا في السفر كما رايتمونا في الحضر ؛ جزاك الله بكل امر ظاهر أو باطن حسي او معنوي ؛ نرى فتياكم فيه متى وقفنا عليه وسلبنا فيه الارادة لله ؛ هكذا يكون الاشياخ يرعون المريدين في السفر كالحضر والحمد لله الذي كمل علينا الوصول الى هذه الدار الذي احببته لنا وامرتنا به وارسلتنا اليها جعلنا الله ممن يستمتع القول فيتبع احسنه والسلام .

هذه هي الرسالة والقاري لايتم قراءتها حتى يخرج منها بامور كثيرة من نواح عديدة ؛ فكما يفهم منها ما شاهده كاتبها هناك ؛ ويرى منها نظر هؤلاء الفقهاء الى مولاي عبد الرحمان الذي نعلم عنه في آخر حياته (٢) مانعلم ؛ يفهم منها الاحترام العظيم الذي يحمله هذا العالم صاحب الترجمة لذلك الامي الذي استولى بهيمته النافذة على قلوب كثيرين من علماء اهل زمانه ؛ فنعرف لذلك كيف مكانته ؛ وكما يفهم ايضا منها نظريات اخرى لاتخفى عن يالف ان يستنتج وان يستكنه البواطن من الظواهر ؛ مما لافراغ معنا الآن حتى نتعرض له فانه يكفينا الآن ان نفهم هذه العمرة الروحية التي ماجت على المترجم فانسته كل شيء كان فيه قبل بين المدارس ؛ حتى كان لسان حاله ينشد امام هؤلاء العلماء السوسيين الذين غادرهم فيما هم فيه

تركنا البحار الزاخرات وراءنا فمن اين يدري الناس اني توجهنا

في فاس

في الالسة احاديث كثيرة مختلفة ؛ وقعت لصاحب الترجمة مع رفقائه حين حلوا بفاس مرجعهم من جباله ؛ ويورد بعض ذلك على صورة الكرامات ولكن لم تكن في ذلك الآن حتى على ظن؛ الا ماكان من خلوة اختلوها هناك في محل منعوت لي خلته مدرسة الوادي -ان امكن ان يجد فيها غريب ماوي- فخرج احد الفقهاء فاوصاه صاحب الترجمة ان يتطلب في السوق بالجهر وهو واقف عددا خاصا من الخبز وان لايقبل دون ذلك العدد ؛ فصادف بعض التجار الكرام فقال له لك مثل ذلك كل يوم ؛ مادمت انت ورفقاؤك في فاس ؛ والا ما اخبرني به

(١) توفي مولاي الطيب ١٢٨٨ هـ

(٢) ايام ثورة الريف

بعضهم واطنه صحيحا ؛ ان بعض الفاسيين دخل الى خلوتهم تلك فسمعهم فسر
مذاكرة من مذاكرات ارباب القلوب - كما تسمى في اصطلاح الصوفية هؤلاء -
فأعجب بما يقولون وكلهم يتكلمون باللغة العربية ان كان بعضهم يعرفها وهو
غير بعيد ؛ والا فبماذا يتخاطبون مع من في الطرق من الشياظمة الى ان يرجعوا
اليها ؟ فافترح عليهم ان يكونوا اضيافه فأضافهم مرات في داره وهذا الفاسي
احد الرؤساء في الطريقة الحراقية بفاس من اصحاب سيدي الخضر السجعي ،
ثم وقفت في نونية التعريف بالشيخ لابن مسعود على مايلي

وراءهم شيخ بزواية وقد	وجدوه في ركن من الاركان
فرأى من أهبة جدهم مارقا	فأتوه للتسليم واللقيان
سألوه كيف الحال سيدنا فقا	ل انا اعزلت هنا لصمت لسان
للذكر ثم رايتكم فذكرت من	احوالكم صحب الرضا الصمداني
اعنى الامام الدرقوى العربي كـ	سنت رايتهم بمحجة الرضوان
ناهيك من حال يذكر حال صـ	حب العارف المذكور قطب الان

وقفت على ذلك فعلمت انه يشير الى هذه القضية التي وقعت لهم بفاس
واخيرني الشيخ سيدي محمد العطار الحراق حين نزولي بفاس مفتتح
عام ١٣٤٣ هـ بما علمت به ان لصاحب الترجمة ورفقته اتصالا بالحراقيين هناك
وذكر ان تحت يده رسالة كتبها اليهم الشيخ من الطريق بعدما ارتحل مع اصحابه
عنهم الى سوس ؛ كان وعدني بها ولكن الصبا وغرارة الشبيبة منعاني من ان
اتردد اليه حتى افوز بنسخة منها ؛ وهذا الذي اضافهم من هؤلاء الحراقيين
بلاريب

ثم وقفت بعد كتابة هذا على رسالة للشيخ كتبها الى اصحابه الذين
بزواية مراكش يلم فيها ببعض ذلك وقد صرح فيها بان ذلك الحراقي خليفة
سيدي الخضر ؛ ونصها

اخواننا في الله المتجردين السيد الحاج محمد البواطبي ومن معه من
حضرة مراكش سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركته وبعد فلا بأس ولكم الحمد
عندنا وعند الفقراء جميعا في كل جهة في سوس والمتجردون سائحون الى جهة
فم تأملت عند سيدي احمد بن يوسف ؛ ثم الى الوكوم وزكيط ؛ ويرجعون ان
شاء الله في يناير ؛ وسيدي سعيد التناي معهم في السياحة ونحن في البلد
بخير وعلى خير والحمد لله ونرجو من الله ان تكونوا كذلك ؛ وهانا ارسلت
هؤلاء السادة ياتوننا بأخباركم ويأتونكم بأخبارنا لا غير ؛ واما الامور فكل شيء
في رؤوسكم ولا يحتاج ان نذكره لكم ان كنتم تقولونكم ؛ لان العاقل يفعل في
الخير مالا توصيه عليه ؛ وغير العاقل لا يفعل شيئا سوا وصيته ام لا ؛ وتعمير
الزواوية بالذكر في كل ليلة مطلوب منكم ؛ وانتم اولي بذلك ؛ فقد وصيكم
سادتنا اهل مراكش في براءتهم على ذلك ؛ فانتم اولي بذلك ؛ وكذلك ان تحرفوا

الناس على ذكر الله والورد وتلقنوه لعباد الله ؛ فأنتم أولى ان تفتشوا عن الناس وتجذبوهم الى الورد بكل ما يمكن فذلك هو المقصود بالزاوية لابنائها فقط ؛ وسيدى الحسن الركابى يلزم الرحامنة لايفارقهم وقوموا بالطريقة كما كنتم فقد عرفتم اساسها وبناءها وما يضرها وما ينفعها وما يصلحها وما يهدمها واياكم والخلل فى الطريقة ؛ فانكم احتجت للمقال والحال ولاتركوا واحدا منهما وكونوا ترابا للفقراء وأكثروا من ذكر الله والصمت والعزلة والجوع واتركوا الهزل مع الفقراء فانكم ان صلتهم يصلحون فى الحين والزمو الصدق فى القول والفعل ؛ واياكم والكذب وازهدوا فيما فى ايديهم فلا يرون فيكم الطمع الذى يفسد المحبة ؛ فكل ماكان عندكم من الفلوس فلا بد ان يروا الشيء الذى صرفتموها فيه لئلا يظنوا انكم تجمعون الدنيا ؛ فان النفس لابد ان تظن ان الظنون ان لم تشاهد (قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) فالفقر اذا ذكر الله تعالى يعرف كل هذا بقلبه ؛ ولايحتاج الى تنبيه ؛ واياكم والشهوات فالمدنية موضعها لافى اللباس ولا فى الفراش ولا فى الماكول؛ فالطريقة ابتداءها الجلال وانتهاءها الجمال وعظموها كل منتسب لله تعالى وجميع عباد الله ؛ واياكم وسوء الخلق فالطريقة كلها ادب والادب مع الحق ومع الخلق وقد قال مولانا سيدى مولاى العربى الدرقاوى رضى الله عنه : زينوا وجوهنا يافقراء بترك الطمع ولا تغيروها هكذا قلنا فالفقير العاقل لايتقدم الفقراء الا ان اتصف باوصاف الكمال ؛ من كثرة الذكر ؛ وكثرة الصمت وكثرة الجوع فحينئذ يتقدم امامهم ويكون امامهم بهمة العلية عن الاكوان ؛ فيمد الناس من نور همته فى مقاله وحاله ؛ فكل من رءاه واجلس معه يسوقه الى حضرة ربه ؛ رغما عن انفه احب ام كره ؛ فقد كنا فى حياة شيخنا سيدى سعيد بن محمد المعدرى السملالى حين ارسلنا الى زيارة مولانا العربى فى جبالة كل من رءانا اوسمع بنا واحرى ان جلس معنا لايقدر ان يفارقنا ؛ وكانوا يشناقون البنا من بعيد لافى الذكر ولا فى المذاكرة وقلوبنا فى الملكوت كما قال سيدى على الجمل ؛ على فى الحانوت وعلى فى الملكوت وقد قال لنا خليفة سيدى الخضر فى فاس ؛ وقد قبضنا ثلاثة عشر يوما اذ قلنا له نمشى « والله ماأتى بكم ربه الاى لاغير وكنا نغيب فى كل ليلة ونهار فى الذكر والمذاكرة ووقعت لنا فى فاس كرامات كثيرة وخرق العادة لابنشاء الاعن خرق العادة ؛ كما قال فى الحكم «كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من نفسك العوائد» والفقير المتجرد تمكن من كل خير ان اراده الله للخيرات ؛ ومن وجد من يعمر معه وقته لله ؛ فصار ينظر الى غير الله فذلك والله هو الاحمق فالزاوية للفقير الصادق بمنزلة الكعبة الشريفة للمصلى ؛ فهو قريب من ربه غاية القرب ولذلك يعمل اهل الله الزوايا للذكر لاستحضار القلب مع الله تعالى فاذا كان واحد عند الكعبة الشريفة ؛ وجب عليه تعظيمها غاية باقامة ما بنيت له فى كل وقت وحين ؛ واصل تسميتها بالزاوية ؛ انما هو كونها موضعا لله تعالى لان الزاوية فى الاصل ركن بيت فقط ؛ وحالة الذكر ان يجلس فى ركن بيت

بذكر الله فيه ؛ فهذا هو الغالب على الذاكر ؛ فلما صنع الموضع كله للذكر سمي بالزاوية ؛ وحينئذ فكل من اقام بالزاوية من الفقراء ولم يشتغل بذكر الله تعالى فيها فهو ظالم (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) وهانحن وصيناكم هذه الوصية التي صلحت لكل فقير يكون في الزاوية اية كانت ؛ فاتخذوا هذه الوصية ولا تهملوها ؛ فالله يقويكم وايانا جميعا على الخيرات ويقينا واياكم من جميع المضرات آمين في تاريخ ليلة الجمعة ٢٨ ١٠-١٣٢٧ هـ

في محاوراة الشيخ كنون

اشتهرت عند الناس قاطبة تلك الحملات التي كان شيخ الاسلام علامة فاس في النصف الاخير من القرن الماضي الحاج محمد كنون ؛ ويعلم كل من له ادنى اتصال بالاستاذ الصوفي سيدى احمد بن الخياط ماكان لاقاه من استلذه هذا ؛ وما كان يسمعه من التنديد على ماكان يلبسه من احوال الصوفية ولجراءة كنون في ذلك الميدان كان لايدانيه كل من له اتصال بالصوفية ؛ خصوصا من اتصل بالدرقاوية ؛ التي فيها مظاهر تستثير من الاستاذ موجات جارفة هائلة لاتبقى ولا تذر ؛ حتى انه يبادر صاحبها بضربه بلجام بغلته وسط الطريق

استوى الشيخ كنون يوما على كرسيه في القرويين ؛ وقد استدار به مئات فمئات من الطلبة ؛ فصار يخب في درسه ويضع ويفسر ويشرح ويقبل ويرد بفصاحته الشهيرة ؛ وذلاقتة التي تفوق بها على اقرانه ويستميل عينه فينة بعد فينة رجل في عرض المجلس عليه مرقعة بيضاء لاتنتهي رقعة منها الى رقعة بسبب وفي عنقه سبحة غليظة الحبات حمراء كانها كريبات المرجان الكبيرة وهو يزدلف الى صدر المجلس ازدلاف من يفهم مايقدر ؛ ويمد بصره الى منبر الاستاذ مد من يعرف هاتيك المسائل التي يقبل فيها الاستاذ ويدبر ويخلق بها في سماوات مجلسه بين سوارى القرويين؛ فكان الاستاذ وقد لاحظ سمة ذلك الرجل ؛ وقد ظهر له منه انه عارف بما يقال عراهعجب ان يرى من كان في ذلك الزى يفهم مافيه الدراسة ؛ فلما انقضى الدرس وسلم الطلبة على الاستاذ كما هي العادة ؛ اقبل اليه في اخريات الناس صاحب المرقعة فسلم عليه بدوره ؛ فقال له اراك بين الطلبة تتبع مانقرره ؛ فهل تعرف مانحن فيه ؟ فقال له نعم والحمد لله ؛ فكان الاستاذ القى عليه من مسائل الدرس فاعجب بجوابه ورباطة جاشه ؛ وقوة جنانه فقال له حين انت بهذه المثابة فلماذا اوبت الى هذه الحالة المزرية التي لايتزيا بها الا اهل الرباء والسمعة الذين يريدون ان يتظاهروا بانهم على قدم الجنيد ؛ مع ان بينهم وبين مافيه الجنيد وامثاله من الرعيل الاول ؛ ما بين السماء والارض فقال له صاحب المرقعة اما هذا الذي فهو زى المساكين الذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ؛ واما حكمك

بانه لا يتزيا به اليوم الا اهل الرياء والسمعة فحكم غير مقبول ؛ الا ممن له الاطلاع التام على كل سرائر اصحاب هذا الزى ؛ ومن الذى يزعم لنفسه ان له هذا الاطلاع التام ؛ واما قول سيدنا انهم يتظاهرون بانهم على قدم الجنيد واتباعه ؛ فقد اتنى على القوم من حيث يحسب انه يقدح فيهم ؛ لانه لما شهد لهم بالتشبه بالجنيد وامثاله فقد كفاهم بذلك اهتداء ورباحا ؛ لان التشبه بالكرام رباح ؛ ومن تشبه بقوم فهو منهم ؛ واما قوله ان بينهم وبين مافيه الجنيد بعد ما بين السماء والارض ؛ فان ذلك لا يضرهم لان عليهم ان يسيروا فى الطريق وان ينتحوا ذلك الدرب ؛ وكل من سار على الدرب وصل ؛ وان يبدلوا جهودهم واما ان ينالوا كل ما يطلبون فذلك من الاقدار على ان هذا الكلام الذى صدر من سيادتكم يدل على انكم ممن يقولون بان فضل الله قد انقطع ؛ فطويت الصحف وجفت الاقلام ؛ مع ان هذه الدعوى من اخذ بها وتمسك بجبالها فلاشك ان رايه فائل لامحالة ؛ وهو من المدحفين عند المناظرة ؛ وانت ايها الاستاذ ان حكمت بان فضل الله قد انقطع وان امثال الجنيد والتستري ومالك بن دينار وابى على الدقاق وعبد الرحمان السلمي والقشمرى ومولاي عبد السلام بن مشيش والشاذلى قد انقطعوا ؛ وان ماكانوا معروفين به فى ذلك العصر قد انقطع فى هذا العصر ؛ فماذا يكون جوابكم ايها العلماء الجهابذة اذا وجه اليكم آخر مثل هذه الدعوى ؛ وقال لكم هذه العلوم الفقهية والدينية التى تخوضون فيها ان بينكم وبين المكانة التى كان فيها ابن القاسم واشهب وعبد الرحمان بن الحكم وعبد الله بن وهب وابن حبيب بعد ما بين السماء والارض ؛ وقد كان بين ما تقررونه فى دروسكم ؛ ان الاجتهاد قد انقطع اليوم ؛ وانكم انما تمثلون اولئك المجتهدين كما يمثل الماء النجوم ؛ فاذا كان التشبه كله رياء وسمعة فقد وقع العلماء فيما ينسبون اليه صوفية اليوم ؛ فما كان جواب علماء اليوم كان جواب صوفية اليوم

هكذا افاض الرجل - صاحب الترجمة - فى هذه المحاورة كما حكى ذلك احد رفقاءه المثبتين وقد كان المترجم من اوتى الجواب المسكت وحز الفصل والقول الفصل فى امثال هذه المقامات ؛ وممن رزق الحكمة وفصل الخطاب فى المحاورات ؛ حتى ان اصحابه ليعدون ذلك من كراماته ؛ فلا يقال له كلام الا اتى فيه بجواب مقنع مسكت ؛ وهذه المحاورة صحيحة الا ان اختلاف رواياتها تجعل السامع المثبت واقفا ازاءها وقوف الحيرة ولكننا فعلنا بتلك الروايات التى بعضها يزيد على بعض او ينقص ؛ مافعله الزهرى بحديث الافك الذى مزج فيه بين الروايات ؛ وادخل بعضها فى بعض وهى لعمر الحق محاورة عجيبة يكفى من شرف الشيخ كنون ومن انصافه ؛ انه لما رأى من صاحبه كلاما طويلا ابى الا ان يخضع مع صبر الشيخ كنون ازاء كرسيه طويلا - وقد جلسا حين المحاورة - فقال له المرء فقيه نفسه ؛ وعند الله علم السرائر ؛ فقام

وذلك على عكس الحالة المعروفة المشتهرة عن كنون حين يحتدم في امثال هذه
المواقف فانه ربما يتناول صاحبه بلسانه اوبيده ؛ ولعل الله راف بذلك
الغريب فنجاه من ذلك الجيش الجرار المتموج في القرويين ؛ فلو ان الشيخ
كنون اشار اليهم لنال الغريب نكال شديد ؛ ولله الحمد على السلامة .
تلك هي زيادة صاحب الترجمة لفاس اذ ذاك ثم لم يرها بعد الى ان لحق
بربه ؛ وقد اكرمت فاس مثواه ؛ ومن ذا الذي يصدر عن فاس الا ولسانه يتدفق
على اهلها شكرا ؛ الا من فيه عرق ينزع الى النفاق ؛ فتراه يتمعر ان ذكر
المؤمنون ودار المؤمنين بخير

في سلا

ان لاهل سلا قديما وحديثا آدابا جمة ولطفا ياسر العواطف واخلاقا تؤهلهم
الى ان يحافظوا على كل غريب ؛ مادام بين ظهرانهم نازلا ؛ ثم يزودونه عند
ارتحاله وبعده حسن الاحدوثة وذكر ا طيبا خالدا .
مر صاحب الترجمة ورفقته بسلا ؛ فنزلوا في الزاوية هناك مرجعهم
فبعد ارتحالهم صاروا يقولون لمن ورد عليهم - كما اخبرني به مخبرون - عجا من
فقراء سوسيين مروا ولهم مقدم له مذكرات قوية ؛ فجسمه اصال من الدبك
واقواله كامثال الجمالات الضخام ؛ واخبرني آخر من السوسيين انه بات في
زاويتهم ؛ فتذاكر كبار الفقراء في احوال صاحب الترجمة هذه ومما راوه منه
اذ ذاك ؛ فقال لهم فقير من النساء ؛ وهل تعرفونه عيانا ؛ فقال له احدهم لو كانت
تلك الناحية من القبة تتكلم لانبأتك عن احواله واذكاره ومذكراته في تلك
الايام التي قضاها مع رفقته هنا ؛ فقد كان لا يفتر عن ذكر الله سرا او جهرا
واذا جاء دور المذاكرة استولى على المشاعر واستثار القلوب حتى لانشعر بانفسنا
ذلك هو اثره في سلا ؛ وذلك الثناء هو الذي يتبعه السلويون الابراكل
من الم بهم وكل اناء بالذي فيه ينضح ؛ ولا ينبئك مثل خبير .

بين الفقراء في سوس بعد موت شيخه

استأثر الله بالشيخ سيدي سعيد ؛ وهذه الرفقة هناك في هذه السفرة
فتوجه الحاضرون الى سياحة بمجاط تحسنت رئاسة سيدي الحاج الحسن
التاموديزتي ؛ فوصلت هذه الرفقة المعذر ؛ ثم توجهوا الى تاموديزت فأرسلوا
الى اخوانهم ليتلاقوا هناك ؛ فصادف ان جاءوا هم ايضا ذلك النهار الى
تاموديزت فالتقوا هناك - كما حكى لي كمن اخبره من حضر - بفرح عظيم وبشر
آخر صوفي لا يمت الى بشر الناس العام وما رأى كمن سمع ؛ ثم اجالوا امورهم
بينهم فظهر لهم ان ينقلوا الشيخ سيدي سعيدا من مدفته بتانكرت الى المعذر
حيث اهلكه ؛ فذهبوا اليه ليلا فنبشموه فساروا به حتى وضعوه في مقبره اليوم
وسط ساحة زاويته .

سيدي الحاج الحسن خليفة الشيخ

غادر سيدي سعيد اصحابه من غير ان يعين لهم خليفة ؛ وكانوا الجماء الغفير ؛ وقد ذكر له ذلك في مرضه ؛ فمازاد على ان قال لهم ان الشمس اذا طلعت لاتخفى على احد ؛ ولكن الفقراء المتجربين رأوا ان يعينوا فيما بينهم من يقتدون به ؛ ويجمعون عليه ؛ ويكمل به صغار الفقراء ويتولى رفع راية الارشاد العام كما كان شيخهم بفعله في القرى ؛ اجالوا القдах في ذلك حين اجتمعوا كلهم في مجلس عام فاشار سيدي الحاج الحسن الى صاحب الترجمة ؛ فقال له هذا لا والله ماانا لها باهل ؛ فكما انه لايقح لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله فكذلك لايقح لي ان اتقدم بين يديك ؛ لسنك ولعلمك ؛ ثم اقبل على الفقراء ؛ فقال لهم ان سيدي الحاج الحسن هو نائب الشيخ ولايعدونه هذا الامر ؛ ولا معنى في كثر القول والقليل ؛ فاتبعه كل الفقراء فاصبح التاموديزتي رئيسا وصاحب الترجمة من بين من ياتمرون باوامره فيجالوا في سياحات في نواح متعددة احداها الى حاحة ؛ وقد اخبرني من رءاه في تلك السياحة والطائفة تسير في طريق ؛ وهم مابين متذاكرين او متحادثين في العاديات ؛ وهو منتبذ عن الكل يمشي مطرق الرأس متفكرا ؛ وعليه مرقعته وهيضورته ؛ فلم يخرج في هذا الدور ايضا كما كان عليه في زمن شيخه وكذلك ساحوا ايضا سياحات اخرى غيرها .

يزور اهله

انقطع خبره عن اهله منذ ذلك اليوم الذي خرج فيه صباحا الى المعذر وخرجت جنازة والده العشيية الى المقبرة ؛ ولم يطرُق آذانهم عنه بعد خبر وقد عرفوا انه توجه الى الغرب - وذلك ما يطلق على ماوراء مراكش في تلك البلاد - فابسوا منه ؛ ففي يوم كان احد اخوته يحرث عند (تيزرايفولوسن) فابصر سوادا مقبلا من القبلة فامعن نظره فاذا بصاحب الترجمة مع فقير او فقيرين جاءوا من جهة تامانارت وقد فارقوا الفقراء الذين ساحوا الى اقا ؛ فاطلق اخوه زوج الحرث واقبل ركضا يثب وثبات المستعجل النشيط المرح الذي ملك السرور كل مشاعره ؛ فصاح على امه بعد ولوجه باب الدار البشارة البشارة اخي على جاء ؛ فطارت امه ؛ فأول ما قالت لابنها اجر الى الغنم اتتنا بك بش تملت الوالدة من ولدها على تقبيلها وعناقوا وضما وظالما امعنت النظر في وجهه ولو كان لايزال صغيرا لضمته الى حجرها ؛ ولكن شب عمرو عن الطوق فاتته بكسوة جديدة ؛ فاراد ان يجبر خاطر الوالدة فاماط مرقعته ؛ فلبسها فطابت نفسها وعادت اليها الروح .

ثم بعد ايام ودعها ؛ وقد وعداها على التردد اليها احيانا فصار يختلف بين اهله وبين الفقراء عام ١٣٠٠ هـ والذين بعده الى ان كان ماسنذكره

لطمة تردلة إلى أهله بالكلمة

قرأت معي ايها القارئ حالة صاحب الترجمة في هذا الدور الذي بقي فيه بين الفقراء بعد موت شيخه ؛ كما رايت احواله ايضا قبله وهو تحت يد شيخه ؛ فلاشك انك تدرك من كل ماريتته انه ممن يورث الخمول ؛ ويقنع بالعزلة ؛ وممن ينفذ على نفسه قول الصوفية الخمول كله نعمة والظهور كله نقمة ؛ فقد عرض عليه ان يكون نائب الشيخ ؛ وكان غالب الفقراء لا يستغنون به بديلا ؛ ولكنه نفى اليد من ذلك وقنع بان يكون تابعا لامتبوعا ؛ ثم صدق قوله بفعله ؛ فدام نحو ثلاث سنوات على ماعاقد عليه اخوانه ؛ هذا مع انه يحكي عن نفسه انه منذ توفي شيخه كانت هواتف والهامات تستنهضه لارشاد العباد فما كان يلتفت الى ذلك خوف ان يكون من الشيطان الذي لا يؤمن مكره وقد حكي عن نفسه انه سمع عام ١٢٩٩ هـ وهو في قرية ابنشادن قائلا يقول له (زد هان اردن ران ادتر ايدان) (اي زد امامك فان القمح سيزداد) كما وقع له مثل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد رآه كما قال عيانا في مسجد قريته في ثاني الاضحى عام ١٣٠١ هـ ووقع له مثل ذلك كثيرا ؛ ولكنه يهرب وبأبى الظهور كل الالباء ؛ وقال ان ذلك كان على اذاك كنقل الجبل ؛ فيقع ان يؤدي تلك الوظيفة من ارشاد عباد الله تحت يدى سيدى الحاج الحسن فكان في تلك السنوات يبذل جهده في الارشاد مع بذل جهده ايضا ان ينسب ذلك الى هذا السيد لا له ؛ هذا ما كان نوى وعزم عليه ؛ ولكن اذا اراد الله امرا هيا اسبابه .

في لغتنا السلحة مثل يضرب (يان واش كاي تيلينغ افولوسن افياسن امان) معناه (انما يكون في الدجاج منحوس واحد فيهرق ماءهم) يعنى فيبقون عطاشا ؛ والمقصود بذلك ان الجماعة التى تضم فى صفوفها من يفسد عليها رأيها ؛ فانها لا يلبث رأيها ان يفسد الجميع ؛ هذا بعينه ما وقع لهؤلاء الفقراء الذين طلقوا الدنيا واقبلوا على ربهم بكلياتهم ؛ فان فيهم من ليس مقصوده ذلك كما يكون بين كل جماعة من يشد عنها وعن مبادئها وان تزيا بزبها

جلس اصحاب سيدى الحاج الحسن مرة للمذاكرة ؛ وفي يد المترجم كتاب يذاكر فيه ؛ فجرت عبارة صوفية اختلفت فيها اذواق الحاضرين فتداولوها ؛ وكان الغالب فى ناحية المترجم فى اخرى فتجادبوا المسالة بأدب ووقار على عادتهم دائما وكان فقير طالب يسمى ابراهيم بن الحسن الايعدانى المجاطى حاضرا للمذاكرة ؛ وكان ممن لم يقدر تهذيب التصوف ان يستل من اعماق صدره ما كان الفه بين رجالات قبيلته من مراغمة من يجاذبونه بعنف وبطش ؛ فلم يلبث فى ذلك المجلس ان قام مسرعا من مكانه ؛ فمد يده الى خد المترجم فلطمه ونزع من حجره الكتاب ؛ وهو يقول له فى كل مرة يامدعى

تلج في المذاكرة وتابى ان تطاوىء الراس لسادتك ؛ وبابى لك ادعاؤك الا ان تجاذبهم الحبال كأنك لاتعرف مقامك ولامنتهى قدرك ؛ فقام المترجم واعلن بالتوبة فمال على راس الاطم فقبله ؛ ورجع الى مكانه مطرقا؛ ومقاله الفقير ابراهيم بن الحسن الاعداني من ان صاحبه لايسلم في المذاكرات اخذه مقلوبامما يراه بينه وبين رئيس الفقراء الشيخ سيدى الحاج الحسن اذا كانا يتذاكران وهما من الاقران وسيدى الحاج الحسن لاينظر الى ذلك نظر الاعداني فكأن هذا وامثاله يريدون ان لا يروا احدا يتكلم امام خليفة شيخهم اصلا ؛ كأن ذلك مما يدل على انه لم يدخل بعد في نطاق الاجماع الذى وقع على اتخاذسيدى الحاج الحسن خليفة للشيخ سيدى سعيد المعدرى ؛ وحول العقول امثال الاعداني موجودون في كل طائفة

اثر هذه اللطمة تم للمترجم ماتم لما ستراه امامك فقد طارت اللطمة كالديناميت الذى يتفرقع بين اركان بناء متماسك ؛ فيهتز بقة فيسقط ما يسقط وينشق ماينشق ؛ ويبقى مايبقى فقد امتعض الفقراء مما جرى من الاعداني الا قليلين ممن هم على رايه فتشمى الشقاق بين القلوب سرا ؛ من غير ان يكون لذلك تاثير جهرا ؛ ورحم الله اباالعباس القباچ اديب الرباط اذ قال

ويح الرجال من الرجال ل اذا تنافرت القلوب

ان كان هذا في مطلق الجماعات التى تملكها قوانينها ومبادئها ؛ فكيف بقلوب الفقراء الصوفية التى لا يضمنها غير العاطفة والشعور

يؤسس مركزا ببلدتهم

اخبر العم ابراهيم قال بينما نحن في ٢٦ من رمضان ١٣٠٢ هـ اذا بسيدى الحاج الحسن التاموديزتى وطائفة من الفقراء معه كبيرة ؛ منها اخونا على نزلوا بقرية ايت سليمان ؛ فيبتاهم بدارنا فنزل اليهم الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالقي ؛ وفي اليوم الثانى اقترح عليهم ان يبيتوا عنده ثم سافروا في ٢٨ غير اخينا على فانه تخلف؛ ففى وقت صار يتحدث الى الوالدة ويخبرها بانه عازم على التزوج فى المعدر وعلى الاقامة هناك ؛ وقد خطب الى رجل فاخطبه وانما يريد ان يكون معه احد اخوته الاعزاب ليستعين به على ملابد منه من الاشغال فنارت الوالدة فى وجهه ؛ وقالت له والله ما انت بمغادرنا ؛ ولا بتلرك لقرية اهلك وموطن آبائك على كل حال ؛ ثم اتصلت بزواج ابنتها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فاستعانت به فى محاولة استئصال تلك الجذور من صدر ابنها على بكل ما امكن ؛ وقالت أأكون امه ارى منه قرة عينى وفلاذة كبدى وابنى على مستقبله من الامانى ما الله اعلم به ؛ حتى اذا اجنت منه الثمار ينقلب عنى منتبذا الى مبتعد لا اراه ولا يراى ؛ لا والله لا يكون الامر على ذلك ؛ فمال

الاستاذ الى اخينا علي فالح عليه ان لا يفارق الخ ؛ وقال له فيما قال فاذا ذهبت انت عنى فمع من اسكن هنا ؟ أبقى هنا في غربة وحدي ؟ وانت تعلم ان من نصيب من العلم يكون غريبا ما لم يكن معه من يعرف قدره ؛ وهل يقدر قدر العلماء الا آخرون ؟ فاعتذر اليه اخونا علي بانه خاوى الوفاض ليس عنده ما يعتمد عليه في هذه البلدة الشديدة الوطأة في الحياة ؛ قال وامافي المعدر فهناك من سائر زوج من عنده ؛ فاجعله بادىء بدء معتمدى ثم هي بلدة سهلة الاشغال قريبة المنافع لا يحتاج فيها الى ما يحتاج اليه هنا ؛ فقال له الاستاذ انا كفيل لك بكل ما تتوقف عليه ؛ الى ان تستقل بامرك فان كان هذا هو عذرک ؛ فهو عذر زائل منذ الآن هكذا اخذ الاستاذ بحجزته من جهة ؛ وتأخذ بها امه من جهة اخرى ؛ ليقتضى الله امرا كان مفعولا .

قال ؛ فلم يكن لـ اخينا علي بد من ان يسلسل لماطلب منه وقد راي الامور تيسر ؛ ومن علامات الاذن التيسير كما يقول الصوفية في بعض الرسائل للمترجم انه راي النبي صلى الله عليه وسلم فآلمه ان يقوم الى ارشاد الناس ولا بد ؛ قال كان ذلك من اصعب الامور على الى تلك الساعة فزال تلك الصعوبة عن قلبي ؛ فتشوفت الى ذلك كل جوارحي وكان ذلك في وقت السحر ؛ ثم عند طلوع النهار اتصل بانسان يسمى سعيدا من ايت سليمان من سكان قريته فلقنه الورد وهو يقول له نفتتح امرنا بك واسمك سعيد فلعل الله ان ييسر جميع الامور فتسعد كما يحكيه الفقير سعيد نفسه وقد تاخرت وفاته بعد شيخه ؛ اذ توفي نحو عام ١٣٣٠ هـ وكان هذا الان في آخر العام ١٣٠١ هـ ثم انه رجع الى اخوانه عند التامود يزتي الى ان جاء في رمضان ١٣٠٢ هـ كما ترى

قال العم ثم ان اخانا عليا قال ان كان الامر هكذا وكانت السكنى لا تكون الا في الخ ؛ فلنبدا منذ الآن في تاسيس الزاوية ؛ ففي اول شوال اثر العيد ١٣٠٢ هـ صار خدمة ينقلون احجارا الى مكان الزاوية وقد اختار ذلك المحل لبعده عن القرية ؛ وقد قال ان الفقراء لا يلبق بهم الا مكان مبتعد عن الناس وكان مكان الزاوية لامرأة تسمى تابوريشيت فاشترته من عندها الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله ثم ابتدا البناء في اواسط شوال ؛ فكانت الزاوية الداخلية القديمة اول ما بنى اذاك بناء ساذجا على الكيفية التي تمشي عليها المترجم في جميع ابنيته كلها ؛ لايهتم الا بالمحتاج اليه فقط ؛ من غير تزويق ولا تقويم ولا تصحيح واذا ذاك قال الاستاذ ابو الحسن الالفي

بيت اتيح الخير من وجهاته	فاتح ما ينكا الحسود القالي
مثنوى السعادة والسيادة والتقوى	ومزار كل مهذب بمفضل
سلم اله العرش اركانا له	بنيت على تقوى وعن افضل
وادم به ذكر الحبيب وكل ما	يحدو القلوب الى المرام العالي
واجبر به كسرا بدا من ديننا	وانضح به رينا بشوب الحال

وللمترجم في اول رسالة له المام بما وقع له في هذا الطور ؛ مما اشرنا اليه فالاولى ان نسوق كلامه عينه حول ذلك ؛ نصه

الحمد لله الذي يتكرم على عباده ويتفضل ويوتي من يشاء من عبادته بفضل ولايسال عما يفعل ؛ الذي معرفته هو اقرب لعباده من حبل وريدهم ولذلك تجد من طلبه لمعرفته يجده اول لحظة ؛ كما قال لسيدينا موسى حين قال له اين اجدك يارب ؟ فقال له من اول قدم رفعته لاني موجود معك وانما المفقود انت وهذا المقام لايفهمه الامن وصله ؛ وقد كنا قبل وصولنا اليه نجاهد ونظن اننا في غير الحضرة ؛ فلما فتح علينا وجدنا انفسنا غرقى في الحضرة الربانية ؛ وانما السحاب على بصائرنا فلما انجلي وجدناه كمقال جاء الحق وزهق الباطل فصرنا والحمد لله في الحضرة الربانية والنبوية جامعا لهما في الهممة فويا فيها القوة الكبيرة ؛ الى ان تجلي لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقظة قبل فجر اليوم الثاني لعيد الاضحى عام ١٣٠١ هـ وانا على الوضوء انتظر طلوع الفجر مستغرقا في ذكر الله فقال لي اعطيناك الاذن العام والخاص ؛ فمن ذلك اليوم نهضت همتي لاصلاح العباد ؛ وارشادهم الى العزيز الحميد فلقنت الورد في عشية ذلك اليوم لهم بعد ماكان ذلك شاقا على نفسي ؛ ولااقدر ان انظر الى احد فضلا عن ان اربيه ؛ وقد كان شيخنا سيدي سعيد المعدري ارسلني الى فقراء السويرة مع فقير ؛ فقال لي اعطيناك الاذن في الطريقة عام ١٢٩٩ هـ فقلت له ياسيدي نفسي لا تريد الا الحق واما الخلق فلاطاقة لي بهم فقال لي هذا الامر وصله الوقت ؛ فلم ارد له جوابا ؛ ولكن وجدت ذلك الامر كالجبل على نفسي ؛ فمشينا من المعدر فرحنا الى (اينشادن) وذلك الامر هولنا ؛ فسمعت هاتفا يقول لي بالعجمية (زدهان اردن ران دتر ايدان) (١) وذلك خطاب الله تعالى لاني مستغرق في حضرته ولكن قلبي لم يلتفت الى ذلك الى ان وقع الاذن الثالث النبوي ؛ فاجتمعت همتي لذلك من غير ارادة مني لان الاذن اذا وقع من الثلاثة من الشيخ ومن الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم لابد ان يتكون الماذون فيه رغما على انف الماذون وعلى غيره ؛ فوقع لنا كما قال مولاى العربى ببركة الاذن جانا اهل الخير فربحوا منا وربحنا منهم ؛ وانقطعوا عن الدنيا وتعلقوا بالله وذلك هو الربح الكامل ؛ وهذا المقام هو الذى كان عند السادة الاولين يردون الخلق الى الحق ؛ الى ان يعرفوه حق معرفته ؛ كالامام الغزالي والشاذلى ومولاى عبد القادر الجيلانى انتهى المقصود من الرسالة

هذا ما ذكره المترجم عن نفسه اخترنا ان نسوق فيه كلامه بعينه لان المرء فقيه نفسه ؛ ولايعبر عن حالة الرجل مثل بنانه ان اعمله

(١) اى زد امامك فان القمح سيزداد

قرأت الأسباب التي دفعت المترجم إلى تسنم تلك الذروة ؛ وليس لنا بعد ذلك ما نقول ؛ إلا أن الفقهاء يقولون أن من رأى من نفسه اهلية للقضاء أو الإمامة أو العدالة أو المرتبة من مراتب الدين ؛ كالوعظ والإرشاد ثم لم ير من تتوفر فيه اهلية لذلك من معاصريه أو مساكينيه ؛ فإنه يجب عليه وجوبا عينيا أن يقوم لذلك وأن يقبل وظيفته ولا بد أن عرضت عليه وأن يطلبها أن لم تعرض عليه بل زاد بعضهم أنه يجب عليه أن ينال ذلك ولو بدارهم ؛ هذا مانع عنه عند الفقهاء ثم القينا نظارنا واجلناها فيما بعد هذا الحين من حياة المترجم وشاهدنا تلك الجهود العظيمة التي يبذلها في تعليم التوحيد ؛ ومكارم الاخلاق للناس حين يتبع القرى يستقرها واحدة فواحدة ؛ فيجمع الكبير والصغير والذكر والانثى فيعلم الكل الدين ومبادئه وشروطه ؛ وكيف فضائل الاسلام وتعاليمه القيمة من غير أن يتوصل من وراء ذلك بدرهم يوعيه أو يتطلب رئاسة يترقى إليها بذلك ؛ ومن غير أن يقتصر على المنتسبين إليه من مريديه بل كان يجمع إليه جميع المسلمين ويجعلهم سواسية في التعليم الديني العام ؛ ثم أنه مضى في ذلك كل عمره الممتد من عام ١٣٠٢ إلى ١٣٢٨ هـ وهو لا يعرف ملا ولا سائمة ولا تفجرا من معاناة ذلك التعليم ومما لا بد أن يقاسيه من يشتغل بتعليم طبقات متشاكسة الطباع ؛ متنافرة الاخلاق ؛ ثم هو وراء ذلك كله قد ابد بالتوفيق وعين الاعمى قبل البصير من عمله ذلك نفعا عاما ؛ اجمع الناس على أنه لم يقم به من معاصريه احد كقيامه به اذا عرفنا كل ذلك ونحن لا بد عارفوه مما سياتي من باقي ما نتبعه من حياته ؛ فاننا سنجد من قاعدة الفقهاء نفسه ملبس بر تصدده لذلك الحال ؛ ونراه وجوبا عينيا قام به ؛ على حين أن كثيرا من رجال عصره وفقهائهم ناسون لذلك أو متناسون وبحسبنا أن نجد له مبررا مما عند الفقهاء ثم نذر الصوفية وما يذهبون إليه ؛ فالفقهاء لا يمكن أن يحملوا على اقترانهم هؤلاء ما وجدوا فيما بين ايديهم مبررا يستخرجون منه برهانا وجة لان الجميع على وفاق ؛ وبراهينهم ومقدماتها متحدة النتائج ومثل هذا القيام للتعليم العام للعامة جعله الغزالي فرض عين على كل ذي علم ؛ وذلك نفسه هو غالب ما يشتغل به المترجم

رايت ان اول يوم اتصف فيه بالمشيخة هو الحادى عشر من ذى الحجة عام ١٣٠١ هـ وان الفقير سعيدا كا ناول من تلقن منه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن ؛ فكان اسم هذا المريد البكر عند شيخه دليلا ناصعا على ان السعادة ستلحقه باجنتها الموفورة الخوافي والقوادم ثم تتابع آخرون في السنة نفسها فكان كل من لقنه الورد يثبت على مبدئه ؛ وفي الذين دخلوا اذ ذاك في باب الصوفى الكبير سيدى الحسين بن مبارك المجايطى من

(نالات غزيفن) كان عابدا كبيرا المجاهدات لاينام ولايفطر ؛ فلاقى عننا وقد كان اتصل بالسيد المدني الناصري فلحقه الطريقة الناصرية ؛ قال ابن مبارك فبقيت ماشاء الله ولم اذق السكينة والطمأنينة القلبية اتى يذكرها الصوفية في كتبهم فشكوت ذلك لسيدى المدني فقال اننى لست من ارباب هذا الميدان ؛ وانما نلقن للناس ما يابديننا تبركا ؛ ثم قال شارطت فى مسجد من مساجد دوكلدير فاذا بالشيخ فلحقنى ؛ ففى الحين وجدتنى منقطعا الى الله ؛ وقلبى قد جلببته انطمأنينة فاستجاب الله دعائى فى الحين ؛ هكذا يلتقى الشيخ بعطاش يجدون عنده ماء سلسبيلا يكرعون فيه ؛ فيعلون له من الشأن ما صار يتعاضم بتوالى الايام حتى كان ماكان مما نحن ذاكروه .

ذلك ما استفتج به المترجم عام ١٣٠٢ هـ ثم اتمها بتأسيس زاويته ؛ وهو الآن قد رفع عقيرته بالمناذاة اليه ؛ وقد بدا منه لاهله حال غريبة كلها نشاط تمزق به ماكانوا الفوه منه من خمولى واطراق ؛ ايام كان يمشى ويثدا فى مرقعته لايشغل بغير خويصة نفسه ؛ فقد كان عهدهم به على هذه الحال ؛ ثم هاهوذا رجع اليهم بوجه آخر واول ما فعله تأسيس زاويته ؛ والتصدر لتلقين الاوراد بهمة طائفة ؛ فهذا كله غريب عجيب عندهم وقد جر الى بلدته مالم تكن تعرفه فان كان صنوه الاستاذ محمد بن عبد الله جرقبله المعارف بارسنها حين اسس المدرسة ؛ فذلك امر سهل وهو معروف عند كل احد ؛ ومن الذى يجهل العلوم ومدارسها من المسلمين ؛ ولكن هذا الرجل الآخر جاء من جديد بنحلة جديدة غير معروفة فى الغ وقد كانت انباؤها احدثت ماحدثت حين اعتنقها وحده منذ سنوات ؛ ثم القى عنه هياته الجميلة . فجال فى مرقعة غليظة وسبحة طويلة وعكازة مملسة مجلوة ؛ فكيف يكون الحال اليوم عند اهل القرية ؛ حين نزل بين ظهرانهم يؤسس زاويته ؛ وما معنى الزاوية ؛ ويعلم انه شيخ يتصدر لتربية المريدين ؛ وما معنى الشيوخة ؛ وما المقصود بالتربية ؛ كل ذلك عجب من اهل القرية كما يعجب منه ايضا بعض الفقهاء وخصوصا حين يرى الرجل ينتفض من خمولة المتراكم فجأة ؛ ومن اطرافه لراسه فيتقدم الى الميدان رافع الرأس وهاتحن اولاء نتازل فتشاركه هذا البعض من القراء فى عجبهم ونظهم بمظاهر التعجب ونقى من بعيد ننظر هل هذا الرجل صادق فى دعواه هذه فيما سيأتى من سيرته التى سننتبها ؛ ام هو كمدعين آخرين نعرفهم فى هـذا العصر بانفسنا ؛ كما نعرفهم فى بعض العصور المتقدمة بواسطة التاريخ فكثيرا مانسمع من يلبسون مظاهر مثل هذه الالوان التى رايناها لهذا الرجل فيزعمون جميعا انهم ما قاموا الا عن اذن من الله ورسوله ومن شيوخهم وانهم ما قاموا الا لنفع العباد ؛ وتهذيب النفوس ولكنهم لا يلبثون بعد ان يتجبحوا الشهرة والاقبال ان ينسوا العباد ويفرقوا فى شهواتهم الى الآذان ؛ فلسان كل انسان لاعظم فيه يديره كيف يشاء ويلفظ به من الدعوى امثال الجبال العظام ولكن عند الاعمال

تظهر الرجال ؛ وعند الآثار تظهر الرجل المستوية من الحنفاء ؛ وعند المصان
تظهر التركات ؛ فما عبر عن الحر كعمله وآثاره لانه لايمكن ان يستقيم الظل
والعود اعوج ؛ ولبعض الالفين

خيل السباق تتساوى في ابتدا ولا يرى السابق الا في المدى
كذلك الرجال كل يزعم لكن لدى الاعمال كل يعلم

يتزوج بزوجه الاولى

في تلك الجلسة التي انعقدت في دار الاسرة من الاستاذ محمد بن عبد
الله ومن ام المترجم في عشية يوم ٢٨ رمضان حين قرر ان يبقى بالبلد ؛ قرر
ايضا ان تنظر له سيدة كريمة يقترون بها ؛ ومعلوم ان الامهات يعتقدن انه لا يعقل
الابناء بعقل متينة الا الاقتران ؛ فذكرت اولاً بنت للحاج ابراهيم اليفشاسي
ف قيل انها مخطوبة ؛ وقد تم امرها لابن عمها محمد بن الحاج محمد بن احمد
ثم ذكرت بنت (حوكا) اخت الحاج ابراهيم فاستنكفت حوكا ان تزوج ابنتها
ممن عادته ان يتجول في البلدان ؛ ويتكفف في الاسواق ويمشي في مرقعة
وبجربسجة غليظة ؛ وهو ابله يترك داره وعمله واهله وبصاحب هداويين
يصرخون بالاذكار في كل فج ومن كل ثنية وقد طلق عمله وسمته الذي يعرف
به امثاله من العلماء ؛ وحين كان يالف ان يطلق حتى نفسه وامه واهله ؛ فالاقرب
منه ان يجر ايضاً وشيكا ذيل الطلاق حتى على من ترف اليه ؛ هكذا تقول حوكا
وتعتذر لمن ارسل اليها وسيطا في الخطبة ؛ وهو الفقير مسعود بيلوش
التيسوتي بلديها وجارها ؛ ولكن عزيمة الفقير لم تقلل بتلك الاعذار ؛ فلم يزل
بالمرأة حتى اخطبت فعقد النكاح يوم عيد الاضحى نفسه من هذه السنة فزفت
الى زوجها وكان الاستاذ محمد بن عبد الله والطالب الخير الحاج صالح بن احمد
من اعمام المترجم شاهدي عقد النكاح ؛ والمستلمين للشوار على العادة ؛ كما
في عقد النكاح المكتوب فيه اثمان مجهزة به السيدة بخط الاستاذ المذكور
ويوجد نص ذلك في الجزء الثالث من كتاب (منافواه الرجال) وكان الزفاف
الى الدار الجامعة للاسرة وسط القرية لان البناء المحدث من شوال ليس فيه الا
بيت واحد فقط ياولى اليه بعض فقراء جدد قد حدثوا في هذه السنة عند المترجم
وكان ياولى معهم الى ذلك البيت يتذكرون فيه ويذكرون ؛ وقد حدثني العم
الاستاذ ابن عبد الله جاء في عشية من تلك الشهور يفتش عن المترجم فوجده
مع اصحابه في ذلك البيت في ظلام فناداه حتى خرج اليه ؛ فقال له او كنتم في
ظلمة ؟ فقال لاباس ؛ والمتيسر هو الذي يقنع به ؛ ولم يتيسر لنا الآن مانسرج
به من الزيت لفنديل فارسل في الحين الى الفقراء اثناء من زيت يسرجون به

أثر الحياة الجديدة

سائرنا حياة المترجم من عهده فى الكتاب فالمدارس فمنقطعة الى المعدر فسياحته ؛ فجلنا معه وهو فى مرقعته متجردا عن كل شأغل ؛ ثم هاهو ذا الآن نراه فى هذه السنة قد ظهر بمظهر آخر جديد وقد اسس مركزه وتزوج وتصدر للمشيخة ؛ وطلق ذلك الخمول الذى كان خيم عليه فى كل حياته التقدمية فبرز واعظا مرشدا ؛ وشيخا مربيا انراه لايزال يصاحب مرقعته كما كان قبل ام يلبس ايضا لهذه الحالة الجديدة لبوسها؟ لان من يتصدر لتزهد الناس ووعظهم والاخذ بنواصيهم لابد له من حالة تعلن بلسان حائها ؛ انه غير محتاج الى ما فى ايديهم ؛ ولامتشوف الى ما فى جيوبهم والا كان ذلك كجباله من حبالات القنص تنفر الناس بادية بدء اكثر مما تهدئهم وتقود ازمتهن ونحن نعلم من حال النبى صل الله عليه وسلم انه كان ذا حياة مستحسنة فى قومه ؛ لا تتقمحه مهمها العيون ؛ ولا تشمئز منها النفوس بل كانت له حلة يتجمل بها للوافدين يوم قدمهم وتلك لاشك حالة لابد منها لكل من يرشح نفسه لمثل ذلك المقام فلذلك نريد ان نرى كيف يسلك المترجم فى حياته الجديدة ؛ واية حياة سيبرز بها ؟ فقد كنا نعرف منه احوالا تستغرب فى العادة قبل هذا الطور وماكانت بلاربيب تلائم هذا الطور الجديد ؛ مثل ماوقع له فى حادثة قبل ان يلتبس بحاله الجديدة فقد سافر مع الاستاذ محمد بن عبد الله الى (تيمكيدشت) فكان الاستاذ فى شارة حسنة ؛ وبزة تاخذ بالابصار وهو على بغلته كالنجم الثاقب فى عليائه قال خادم الاستاذ اذ ذاك السيد الحسين المانوزى والد افغار بلقاسم الازرييسى اليوم كان معنا فى تلك السفرة سيدى على بن احمد وهو فى مرقعته وسبحته وعكازته يملأ الجواء بهيللته لايفتر عنها طوال الطريق ذهابا وايابا فهذه حياة ان كانت تلائم ذلك الطور فى حالة التجريد فانها لاشك غير ملائمة لهذا الطور الجديد ؛ الذى يقتضى تبشير الناس وتالييفهم بلسان حاله ؛ لاتغيرهم بمجرد الرؤية ولا تستمد قلوب وعقول كثير من الناس الامماتتأثر به ابصارهم وقديما قالت العرب : «البس لكل حالة لبوسها» فكما ان لكل مقام مقالا ؛ فكذلك ان لكل مقام لباسا ؛ فالفقير المتجرد الذى يعرض عن كل احد لايقبل الا على خويصة نفسه ؛ فانه لايبالى بغيره اقبل ام اعرض انس ام نفر ؛ ثلاثه مرقعته التى تخف بها مئونة الاهتمام باللباس فى كل وقت ؛ من تجديد وغسل ومالى ذلك بخلاف من نصب نفسه للناس فانه لابد ان يكرن مثله مثل الناس فى العادات المألوفة التى لابس بها ؛ ليكون ذلك ادعى الى تالييف القلوب والاتصال بالناس ليتمكن التأثير المطلوب .

حقا ليس المترجم للحياة الجديدة لبوسها فراجع المعهود من لباس قومه الوسط وداخل الناس وجالسهم وواصلهم ؛ فلايتترك مجتمعا فى القرية ولا فى

جبرانها الا الم به مؤانسا اولاً ثم واعظاً مرشداً ثانياً ؛ وكان مع ذلك قلماً يافرق الاستاذ محمد بن عبد الله في المذاكرات العلمية مباحثة ومراجعة ؛ فعاد الى الميدان العلمي كما كان قبل ان تستهويه الطريقة ؛ كما كان ايضا يلقن ورده لكل من انس منه قبولاً ؛ وما تلقين الورد الا انخراط المرء في جماعته ليتمكن ان يربيه كيف يشاء وقد صار من انقطعوا اليه من اصحابه يسمونه شيخاً ؛ حتى تسرب ذلك الى انعام كلهم ؛ فصار الشيخ كانه علم عليه وحده في تلك الناحية متى اطلق فلا يسمى الابن عند اصحابه وعند غيرهم ؛ هكذا تلبس بحياته الجديدة فتغيرت هيئته التجريدية التي ما كان زجاً فيها الا انصواؤه تحت لواء شيخه الربى والصوفية لا يشترطون تلك الحالة الا لبعض من لا يزالون تحت نظر الشيخ ؛ ممن يونس منهم الشيوخ رعونة نفس ؛ فيداوونها فيه بما جربوه عندهم فصح دواؤه واما من سلم منها او من تخرج من عند الشيخ فلا لباس ان يلبس كل ماتيسر ؛ كما هو معلوم في الرأية الشريسية وامثالها من الكتب التي تحوم حول التربية الاصطلاحية كما يسميها القوم ؛ كذلك تغيرت ايضا حالته الاجتماعية فراجع المؤانسة وملابسة الناس لان مقصوده لا يحصل الا بذلك ؛ ويد الله مع الجماعة على كل حال ؛ كذلك استجد له اصحابه اسما جديداً وسموه به فلا ينادى ولا يذكر الا باسم الشيخ وهو نفسه قد نصب نفسه على تلك المنصة ؛ منصة المشيخة ؛ ولذلك ندخل في غمار الناس فننعتهم منذ الآن بالشيخ كما اشتهر به اشتهاراً غريباً في كل الجنوب منذ هذا الحين

الشيخ يسبح إلى آقا

كان الشيخ سيدى سعيد المعدرى قد بذر بذور طريقته في قبائل كثيرة في سوس في انحاء مختلفة ؛ فكانت تانكرت ومجاط الى تامانارت فاقا من مساحه ومثوى اتباعه ؛ وبعده صار اصحابه الكبار يتعهدون الفقراء هؤلاء ؛ فكان خليفة الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ومن اليه ؛ وصاحب الترجمة ومن اليه والكل على مبدأ واحد يختلفون الى الفقراء تذكريا للعهود واستنهاضاً للهمم ؛ فلهذا ذهب راجلاً في صفر سنة ١٣٠٣ هـ بعد ان مضى عرسه بقليل يتعهد من بجهة آقا ؛ فبقى هناك الى ان مضى عندهم عيد المولد ؛ وكانى باحد القراء يتعجب ويقول ؛ ان الرجل غريب حيث لم يستهوه ما يستهوى من يكونون حديثى عهد بعرس ؛ ولكن يجب ان يعرف ان الشيخ يظهر انه من رجالات لا تطمئن نفوسهم كثيراً لما تطمئن اليه نفوس كثير من الناس فلمجلس واحد يقضيه فارغ البال مستجمعا لقلبه مع اخوانه في المبدأ اعظم بهجة وسرورا مما يستهوى كثيرين في مثل موقفه ذلك ؛ من المراسقة والمغازلة فى مخادع الفوانى ؛ ومتى اشتغل انسان بناحية وغمرته بما كان فيها من رواء وبها فهيئات ان تبقى منه لفنة اخرى الى اية ناحية سواها ؛ الا ريشما يؤدى من الحقوق ما ينال به الخبرة التي اوما اليها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم حين قال خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلى ؛ ولا لباس ان تلقى في اذن بعض

الحضريين المترفين ان التعييد هكذا اثر عرس حديث فى متناى عن الاهل ليس مما يستكره فى عادات اهائنا والبر بالاهل انما يطلب من الرجل بحسب بيئته التى يقطن فيها وماكان مقبولا متسامحا فيه فلا تبعة على من اعتنق فعله ؛ ولذلك يعلم ان تعييد الشيخ اول عيد نائيا عن امراته الجديدة لباس به عندنا فى البيئة الالغية التى لم تتعود شهور العسل

راجع التدريس

كثيرا ما نرى هؤلاء الذين ذاقوا من بين الفقراء المختبين المنيبين ما لهم يدوقوه مابين الطلبة المماريج المفاريج المفاكية ؛ ووجدوا مابين ايديهم وائناء مذاكراتهم وبين طيات احوالهم مالم يكن يخطر لهم على بال حين يجولون فى متون العلوم المعهودة فتراهم وقد انتشوا بما انتشوا به ؛ معاير عنه بعضهم اذ قال «لو يعلم الملوك مانحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف» لا يجدون بعد ذلك من انفسهم ميلا الى خوض هذه العلوم التى يسمونها العلوم الظاهرة والرسمية الا اذا اضطروا لذلك ؛ فتراهم يقتحمونها كما يقتحم المرغم الخائف ارضا شائكة ؛ والحق يقول من يقول «ان التصوف اذا سبق تمكنه فى فكر الانسان يجتث من اعماقه جذور محبة العلم المتعارف والميل اليه» حتى قال ابن عرفة «كل من رايته ينتاب الصوفية من طلبة العلم فاعلم انه لايجي منه شئ» ويرحم الله ابا اسحاق البليقي دفين الرحبة القديمة بالحمراء ذكر الله الحمراء بكل خير- اذ قال «من اراد الله به خيرا شغله اولا بالعلوم حتى يتمكن فيها ثم بعد ذلك يذيقه من التصوف فيكون سعيدا» او كما قال هذا ما يقال فى الصوفية والعلماء ؛ لايزال كل واحد منهم يسعى الى غاية واحدة يوم كان التصوف لم يشب بعد بكل هذه الشوائب التى اذهبت رواءه وقلبت المقصود منه الى غمده ؛ ويوم كانت ايضا هذه العلوم كما يسف اربابها هذا الاسفاف المخزى حتى كان العلم جهل ؛ وحتى كان متعلمه يتعلم الجهل والغفلة والعنجهية والاعراض عن اصلاح نفسه ؛ وكان ذلك يوم يتقارب الفريقان ثم اتى الوادى فطم على القرى واختلط الجاهل بالنابل واستنت الفصال حتى القرعى (١) فذهب رواء التصوف وانعلم معا ؛ فاختلفت النيات فضرِب بين الطائفتين بسور من حديد حتى لا اتصال بينهما ؛ فما ظنك بنظرة الصوفية الى هذه العلوم واهلها؟ اولاتكون الا كمثل نظرة اصحاب هذه العلوم اليهم والى ماهم فيه ؛ فيكفر بعضهم ببعض ولكن ان شاع هذا فى صوفية المتأخرين وفقهاءهم فقد يشذ بعض افراد من الفريقين فيعلم كل واحد مالاخر من مكائنة لا تنكر ؛ والشيخ من هذه ائمة القليلة من الصوفية التى وان تبجحت التصوف وخاضت فيه كل مخاضة لم تنفض يدها كل النفض من العلم واهله فقد رايته تصدر فى مدرستى فوكورض وبومروان بعد ان التحق بالتصوف واتخذة شعارا وجعل مبدءا ذارارا

(١) طم على الشئ غمره والقرى كغنى جدول الماء واستنت: جرت والفصال جمع فصيل صغار الابل والقرعى التى اصابها القرع والجمل الثلاث امثال عربية

وسترى معنا ايها القارىء اعماله الخالدة حول العلم تنشيطا واعانة فى الباقى من حياته التى امامنا ؛ وها هو ذا اليوم لم يكد يتلقى بعد رجوعه من افارسالة كتبها اليه رفيقه الاستاذ محمد بن عبد الله حين توجه الى مراکش تركها عند العم ابراهيم وفيها انه سيخلفه على الدراسة الى مرجعه ؛ حتى طار الى المدرسة فتصدر فى منصة التدريس فى العلوم التى تدرس فيها كلها والاستاذ وانوصى بالمدرسة لصنوه على الا ان الشاب الفرهد (١) لايقوم مقام القارح الصبور

هكذا عاد الشيخ ايضا مدرسا يستنير بافهامه امثال الاستاذ سيدى العربى الساموكنى وسيدى الطاهر الافرانى الشاعر المفوه والفقيه الحسين الناطاروسى والفقيه احمد التازيمامتى والعلامة احمد بن صالح الافرانى والجهيد الشهير بلقاسم التاجارمونتى والفهامة المكى اليزيدى وخليفة الاستاذ على شئون داره ومدرسته العلامة الكبير على بن عبد الله وكثيرين ممن كانوا اذذاك نجوم المدرسة الالفة والفظاحل المتفوقين فيها ؛ وهم مشحوزون اذهانا متمرنون مباحثات مامنهم الا من يتقى ويعلم انه كسش الكتيبة حقا ؛ وقد استفرغ فيهم استاذهم محمد ابن عبد الله كل جهوده حتى خرجهم كاستان المشط ذكاء وتقوفا وتحقيقا فيبين يدي هؤلاء تصدر الشيخ يتابع لهم دروسهم فى النحو والفقه واللغة والادب وكل ما يتعاطى هنالك من العلوم ؛ لكنهم فى اثناء اجتهادهم مع الشيخ استاذهم الجديد دهمهم نعى الاستاذ الاكبر سيدى محمد بن عبد الله اواخر ربيع الثانى فسافر الشيخ مع صنو الاستاذ سيدى على بن عبد الله فاتوا بتجاليد الاستاذ وهو مقترح الشيخ الذى اصبح اليوم كبير الف بعد ذلك الاستاذ المنعى ؛ فعز عليه ان يبقى مجهول القبر فى ضواحي تامصلوخت فاتوا به فى صندوق ؛ ومما يتعلق بذلك انهم باتوا فى قرية سيدى ميمون فى قبيلة كسيمة فاودعوا فى قبة الضريح الصندوق الذى فيه تجاليد الاستاذ ؛ فباتوا ولم يابه بهم احد من اهل القرية وفى الصباح غدا اليهم رجل من سكانها مبكرا ؛ فقام بافطارهم وقال لهم ان له بنتا تتراى لها اخيلة الارواح ؛ فرات تلك الليلة روح الاستاذ ابن عبد الله فقال لها عجبا لكم نبئت عندكم فتبقوننا بلاضيافة فسالته من هو فافضى اليها بانه صاحب الصندوق الذى فى قبة سيدى ميمون ؛ وكان الرجل غير عارف بان مع الرفقة صندوقا فكان الشيخ بعد ذلك يداعب ويقول اننا معشر المرابطين اعتدنا بين الناس التكفف فان استعف عنه احيائونا قام به امواتنا ثم يحكى الحكاية متبسما

لازم الشيخ المدرسة كل سنة ١٣٠٣ هـ مدرسا ؛ فجال جولات الافاذ فرات منه المسوغات للابتداء بالنكرة وصور الطلاق ومقامات الحريرى ومسائل الحجب والفرض والتعصيب ؛ من كانت تعرفه قبل ١٢٩٨ هـ فاذا هو هو لم يزد تصوفه الا مايزيده المسن لظبا الصارم الخدم ؛ وبعد تمام السنة سلم الوديفة الى ربها والقى المقالة الى العلامة أبى الحسن ابن عبد الله (ان الله

بامرهم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) فودعه الاستاذ شاكرًا عمله في تلك السنة ثم نقل كاجرة المشاركة الى الزاوية خمسًا وعشرين غرارة من الشعير ؛ فكانت اول مداخل الزاوية من الجبوب منذ اسست ؛ ثم تزايد الخير الى ان كان ماكان ينهض بهمة عليّة إلى ما هو بصدد

ان الثانية من السياحات التي قام بها الشيخ بعد تلك التي ذكرناها الى اقا ؛ هي سياحته الى قبيلة املن ومعه طائفة من مريديه الجدد كسيدي الحسين ابن مبارك المجاطي وسيدي بوهوش الدوكاديري وامثالهما من قدماء مريديه الذين ارتشفوا منه الرشفة الاولى ؛ كما كان فيها ايضا كثير من اخوانه ممن ينتسبون الى سيدي سعيد المعدي فجال هنالك في املن بالارشاد الخاص والعام مما كان يفيض حديثه علينا به سيدي بلعيد الصوابي ؛ قال طرقت اذ ذاك تلك القبيلة اثر رجوع الشيخ منها فوجدت احاديث المنتديات كلها تدور حوله ؛ فتسهب في تتبع ماشاهده الناس من قلوبهم اولاحين تأثرت بكلامه تأثرا عجيبا وفيما ابصروه ثانيا من احوال الشيخ حيث يباين صنيعه في سياحته ماكان معروفا عن المرابطين الذين يسيحون بزعم ارشاد الناس ولكنهم لا يرضون عن اهل قرية الا بمقدار امتلاء جيوبهم وانتفاخ وفاضهم فجاء هذا الشيخ الجديد على عكس ذلك ؛ فانه عزوف عن قبول ذلك بعد مايقدم له فضلا عن ان يعرض به او يصرح به بين الملا كما هي عادة المرابطين الساتحين؛ وكل شغله الشاغل في تعليم الناس التوحيد وارشادهم الى ربهم وكف ايديهم عن مدها الى اي انسان الا بما يرضاه الله ورسوله ؛ يبت ذلك بلسان موثر ووعظ يفلق الصخور ويفتح الصدور ؛ قال وكان ايضا مما اثار عجب الناس العجائب تلك الهياة التي يذكر بها الناس الفقراء الدرقاويين ؛ ولم يكن قط اهل هذه البلاد يسمعون بها فضلا عن ان يروها؛ فكان مجموع ذلك مما اثار زوبعة هائجة من التعجب من الشيخ قال فوجدت اناسا كنت اعرفهم ناصرين قد استحوذ عليهم الشيخ فمدوا اليه ايديهم ؛ فاعتنقوا طريقته فصاروا يحكون لي مايدوقونه بعد ان التقوا معه من طمانينة وسكينة واخلاص ؛ مما كانوا لا يتذوقونه قبل اليوم مع قيامهم باذكار كثيرة ومجاهدات لاتنقطع ؛ قال فقلت لهم اننى كنت اعرفه قبل اليوم حين كان مشارطا عندنا في مدرسة فوكرض قال وممن كان اخذ عنه اذ ذاك الفقيه سيدي موسى الاسكاورى الكرسيفي والرجل الصالح سيدي الحاج الحسن من أيت عيسى (١) التافراوتي وغيرهما من كبار القبيلة واعيان املن قال ثم كان ذلك هو السبب الذي حدا بي حتى وفدت عليه بالغ فانقطعت الى خدمته وتقيدت بالاحسان في حضرته (ومن وجد الاحسان فيدا تقيدا) وقد ذكرت كل ماحدثني به في جزء من كتاب (من افواه الرجال)

ثم ان هذه السياحة كانت في اوائل ١٣٠٤هـ فرجع الشيخ الى الخ ثم سمع (١) هو والد هذا التاجر الحاج عابد السوسى المشهور فى البيضاء بكل خير

صار لايبقى فى زاويته الا يويمات ؛ ثم يخرج الى القرى المجاورة ينذر عشرته الاقربين ؛ فيبست ويظل يعلم الناس التوحيد وما يجب لله وما يجوز وما يستحيل والقواعد الخمس كلها واحكام الصلاة والصيام والزكاة ؛ فكانت عادته التى افتتح بها حركته هذه ؛ ثم دام عليها الى ان كفته كافته ؛ انه يتتبع القرى قرية قرية ؛ ثم ينادى مناديه ان يجتمع الناس فى المسجد ذكورا واناثا ؛ ويامر بعدم الاختلاط بين الجنسين وكثيرا مايكون الرجال داخل المسجد والنساء فى فناءه ؛ ثم يطلع اذا كان الوقت ليلا الى مافوق السطح ان وافق الفصل ذلك ؛ فيبقى يعظ الناس وهو يلون مواعظه بين تبشير وانذار وبين تعليم ونهى وامر ؛ وهو يتخلل ذلك باذكار اصحابه ؛ او بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وكثيرا مايامر من يحفظ قصائد الوعظ المنظومة ان يقوم فيتلوها على السامعين بغنة خاصة ؛ وهو بين ذلك يسكنه احيانا فيتم ما اراد بكلامه فيتكون من مجموع ذلك تاثير غريب فى قلوب السامعين ؛ وهم مبهورون حين يسمعون من الشيخ ما كانوا لا يسمعون قط من عالم ؛ ولا يقوم به بين الناس قائم ؛ والعلماء فى غفلة عن هذا الواجب كانهم لا يحاسبون به امام الله

بهذه الحالة كان فى اثناء سنة ١٣٠٤ هـ يتقرى القرى الالقية والستى تجاورها فرأى الالقيون ومن جاورهم من ذلك الرجل الذى كانوا يسمعون به ابله ذامرقة وسبحة غليظة وعكازة طويلة عالما جديدا ومرشدا كبيرا ؛ ومهتلا بالدين اهتبالا غريبا ؛ وقائما بتعليم ما كان كل الناس جاهليه ثم لا يجدون من ينتدب احتسابا الى ان يعلمهم اياه مجانا من غير ان يطمع فيما بأيديهم ثم كان بين ذلك يلقي ورده لمن اراده وقد اندفع الناس كلهم وراءه فاما العامة فينتفعون بما يعلمهم اياه مجانا ؛ واما الخاصة وطلاب اذواق الطريقة فلهم منه مجالس اخرى ؛ وكان الشيخ لا يحدث الناس الا بما يفهمون عملا بماورد : «حدثوا الناس بما يفهمون اتريدون ان يكذب الله ورسوله؟»

هكذا انذر الشيخ عشرته الاقربين واسمعهم مالم يكن قط لهم فى حساب لانهم لم يالفوا قط من علمائهم ان يتصدر واحد منهم لذلك ؛ ويجعله كل همه ويجعل على عاتقه القيام به فى المنشط والمكره فادرك ذوو البصائر منهم ؛ ان الرجل رجل آخر وان قبله احسن قيل (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) فشكروا له ذلك وعرفوا له قدر هذا المجهود الذى يبذله فى نصحتهم ؛ فكان منهم مريدون قد اعتنقوا طريقته وسلكوا نهجه فسرعان ما تكونت له منهم شيعة تقابل شيعه اخرى تتكون ايضا شيئا فشيئا من الناحية الاخرى ممن يزدرون عمله ؛ او لا ينشرون به صدورا ؛ اما حسدا واما جهلا ورجما بالغيب سنة الله فى كل من يتصدى لامر كان ماكان ؛ حين لابد ان ينبعث ازاءه من يخالفونه على خط مستقيم ؛ ولذلك حكم عظمة لا تخفى عن ذوى الالباب وبضدها تتميز الاشياء

قد سحب الناس اذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى في الحب غيركم وصادق ليس يدري انه صدقا

سياحات اخرى كبيرة

في منتصف عام ١٣٠٤ هـ تكون بين يديه اتباع ينفون على الاربعين
مامنهم الا من القى قياده له على شرط اهل التربية الاصطلاحية فيقبله ماشاء
وهو مطاوع ؛ ولايقول له لمة ؛ فانضم الى هؤلاء الاربعين مثلهم من اخوانه
اصحاب سيدى سعيد ؛ فخرج من الغ في ثمانين عدا ؛ فمر بايت صواب وقد
كان ساح اليها قبل هذه المرة فتكون له فيها بتتبع قراها اتباع ؛ من بينهم الفقيه
المسمى سيدى محمد بن ابراهيم ثم صمد الى جهة قبيلة اداوكرى ؛ فكان مما
هياه الله له ؛ ان كان رئيس القبيلة راى في منامه رؤيا بان سعيدا سيقصده
فيسعد على يديه ؛ فاذا بالشيخ نزل بمدرستهم فصادف فيها رؤساء القبيلة
فلم يكذبوا ذلك الرئيس صاحب الرؤيا حتى رسخ في ذهنه ان هذا تعبير
رؤياه ؛ ثم لماجال الشيخ في ميدان ارشاده ونشر بزه ؛ فرأى الرءون انه من
طراز آخر غير ماكانوا يعتادون ؛ ايقن ذلك الرئيس بصحة رؤياه ففرق في
الحين الى اذنيه في اكار الشيخ ؛ فاتبعه كل الناس فصاد الشيخ يتقرى قري
القبيلة ؛ وكل رجالها ليفارقونه ؛ فكان الجميع الجماء الفقير ؛ فكانت هذه
الرؤيا اساس محبة تلك القبيلة الزكرية لجناب الشيخ ذكورا واناثا من لدن
ذلك العهد الى الآن ؛ ومما زادهم فيه محبة انهم اقترحوا عليه ان يكونوا
لزواية خداما ؛ يندرون لها من اموالهم ؛ كما صنعوا لزواية الشيخ سيدى
محمد بن يعقوب التالتي ؛ فعزف عن ذلك على عادته في مثل ذلك مماخبلهم
به فسلب البابهم ومن زهدت فيما بين يديه استحوذت على ما بين جنبه .

فلا ترج الود ممن يرى انك محتاج الى فلسه

وكان الزاهد سيدى محمد الزكرى يحدث عن هذه السياحة ؛ لانها هي
التى كانت سبب انقطاعه الى الشيخ وكان واعية ضابطة ؛ قال بينما نحن
جالسون في قريتنا اذ تواترت علينا الاخبار من كل جهة بان رجلا عظيما ظهر
شيخا كبيرا ؛ فقام في الناس بالارشاد والتعليم والنهاي والامر ؛ والتبشير والانذار
وانه ظهر بمظهر جليل ؛ يستحوذ على قلب كل من جلس اليه ؛ اوسع من مواعظه
وانه ما دخل قرية الا اجتمع عليه من فيها ؛ فيسال كل واحد على حدة عن ربه
وعن دينه وعن نبيه وعن امور دينه كلها ؛ وهل يعرف من الحلال والحرام ؟
كان ذلك شغله الوحيد ؛ ثم يقول الناس ان العجيب منه انه لا يمل ولا يضجر
والاعجب من وراء ذلك كله انه لا يقبل من احد شيئا ؛ قال هكذا تدفقت احاديث
الركبان ؛ فشغلت بطرافتها وبالتعجب مما تنطوى عليه من لم يصلهم الشيخ

بعد بطافته ؛ ولم يزحف اليهم بعد بأسئلة ؛ قال وقد كانت الطوائف الناصرية
اذذاك كثيرة ؛ ولكن عرف الناس كلهم ان العطاء لا بد منه ؛ كزيارة تقدمها كل
قرية الى السيد الناصري ؛ عادة ورثها الاحفاد عن الاجداد ؛ فيستثقل الناس
ذلك العطاء الا من كان حسن النية ؛ وقليل ما هم ؛ قال ثم لما ولج قبيلتنا
وشرع يتتبع قراها ؛ انقاد اليه كل الرؤساء ؛ فتعود كل قرية نزل بها موسما
حافلا يحضر الرئيس الاكبر الحاج محمد الاومري فيمن دونه ؛ والناس اتباع
رؤسائهم ثم راح الشيخ الى قريتنا فبمجرد ما القيت عليه بصرى خلبنى نور
وجهه وملكت مشاعري انوار تتالق من اسرته - على حسب تعبيره - فنفضت
يدي من تلك الساعة من كل ما عندي فالقيته ظهريا ؛ فطلعت مالي وداري وكنت
بعد عزبا فانساني ما رايت كل ما كنت فيه قبل تلك الساعة ؛ فلم ارجع بعد الى
الدار ؛ بل بقيت في سطح المسجد شاخص البصر الى وجه الشيخ وهو يعظ
ويلقن الاذكار ؛ ثم حكى غريبة وقعت له مع الشيخ اذذاك ملخصها انه كان بعيدا
من مجلس الشيخ ؛ ثم لم يشعر بنفسه حتى وجد انه ازاء ركبته ثم قال انه رد
على بعض الناس مالا قدمه له ؛ فقال له بلطف رده الى جيبك ليكون فيه انشاء
الله بركة ؛ قال ثم خرجنا من قبيلتنا مع الشيخ ؛ وقد اصطحب اناس من تلك
الجهة مع الشيخ كنت انا احدهم ؛ والحاج محمد ازبابو الايلالني الذي كان له
شان عظيم بعد هذا الحين في قبيلة ايلالن ؛ ثم نزلنا مع راس الوادي حتى
حللنا بزاوية سيدى الحسن التيملى بايرازان ؛ ثم استدرنا الى هشتوكة فالمعدر
قال ومما سمعته من الشيخ في تلك السياحة انه قال لرجل واحد نلتقى معه من
كانوا يشتاقون الى من يدهم على الله ثم لم يجدوه افضل عندنا من ماء الارض
ذهبا ؛ ولا قصد عندنا في كل هذه الجولات الا ان نصادف من يتعالى الى معرفة
ربه ؛ لنهديه الصراط اليها ؛ فهذه هي مهمتنا ومبدؤنا وغايتنا التى لها خلقنا
وفيها نمضى حياتنا (وقد ذكرت ما حدثني به هذا الحاكى في جزء خاص من كتاب
(من افواه الرجال) ثم بعد ان رجع من هذه السياحة الكبيرة ساح ايضا الى
ايفران فادائى فايى اوكادير وقد صادف قبولا عظيما في فايى اوكادير كان هو
السبب حتى اسس هناك زاويته وصار اهل القرية كلهم من اتباع طريقته الى
الآن ؛ وقد وقعت له في هذه السياحة امور مع فقهاء وغيرهم اختصرنا من ذكرها
لانها مكتوبة بتفاصيلها في كتاب (من افواه الرجال) كما كان ساح ايضا في اول
عام ١٣٠٥ هـ الى هشتوكة فادواتانان وقد مر على مشهد ابى السحاب فاخذ عنه
اذ ذاك سيدى على التتاني المقرئ المشهور ثم مر بمدرسة ايسقال حيث اخذ عنه
سيدى سعيد التتاني الذى كان فيما بعد احد عمد طريقته ؛ ثم مضى قدما فى
طائفة كبيرة الى ان وصل السويرة ثم رجع ادراجه ؛ وقد كتبت ايضا تفاصيل
ذلك في ذلك الكتاب والحمد لله مما رويته عن سيدى محمد الزكرى وغيره من
قدماء اصحابه .

هكذا كان مفتتح اوليات الشيخ ؛ كان كله عجبا فى همته وفى انقياد

الناس له ؛ ولم يمض على قيامه الا قليل حتى انتشر اصحابه في القبائل التي كان زارها ؛ والمتجددون بين يديه يتزايدون حتى ان بعض الالفين من جيرانه يتناجون سرا بأنه ساحر ؛ لما يرونه من انقياد الناس له ووطنهم عقبه وهم متبرون ؛ والحقيقة انه ساحر ولكن سحره سحر الصوفية الافذاذ الذين يستحوذون على الافئدة باذواقهم العجيبة ؛ ثم يقودون المسحور ببرته غير ملتفت لما في صوته .

ان الاسود اسود الغاب همتهما يوم الكريهة في المسلوب لالسلب

وكان خروجه لهذه السياحة السورية بعد عيد المولد سنة ١٣٠٥ هـ ورجوعه في اوائل رجب او في اواسطه ؛ وقد صادف حين رجوعه عقيقة اول مولودة له ؛ فتتابعت الطوائف الى الغ من التملين والصوابيين وغيرهم ؛ وفي كل طائفة عشرات ؛ فكان ذلك اعظم دليل لدى الالفين على ان الرجل غير من يعرفونهم من بين ظهرانهم من فقهاء كتاب الرقي والتمايم؛ وانه من صنف اخر ولكنهم لم يهتدوا الى صنفه ؛ لانهم يعيدون عن احوال الصوفية الذين يمثل الشيخ دورهم احسن تمثيل .

تجاوزت اكفاف السماء تساميا فكيف يرى من يبصرون مكانيا ؟

يؤدي فريضة الحج

كان سما للشيخ عزم الى ان يؤدي فريضة الحج وكان ربما ذكر ذلك في سياحته السورية التي رجع منها وشيكا ؛ ويذكر عنه في ذلك مرة نبوية ولكن كيف يحج ؟ وليس في يده مال ؛ وهل يطير البازي بغير جناح ؟ او تغاض العرب بغير سلاح

كان لرجل غنى من امانوز يسمى ابراهيم ؛ ولد يسمى محمدا ابرغاش لقب بذلك ؛ فعزم على بعث ولده هذا لاداء فريضة الحج ؛ ولكن لمكانة حسب الانباء من الآباء لم يطق ان يرسله الا مع ثقة يثق به امانة ودينه وكأنه سمع بان الشيخ يهتم بالحج فجاء اليه وعرض عليه ان يصحب ولده وان لا يهتم وراء ذلك بشئ ؛ فقال له الشيخ ان كان هذا منك عزيمة ؛ فلا أحب انا الا ان تسلفني ما اتوقف عليه ؛ ثم يرد عليك كما هو ؛ فاتفقا على ذلك فتيسر الصعب امام الشيخ ورأى عناية الله به عزيمة فبادر الى التهييء من يومه ؛ وقد نهضت همم اخرين فقاموا لوجهته ؛ وقد اراد الله ان تبقى تلك الرحلة خالدة فوق الشيخ فكتبها نظما من يوم خروجه من الغ الى ان دخله راجعا ؛ فبقيت في مبيضتها واخذت منها نسخة وهي على ما هي عليه من عدم التنقيح فخرجتها ونقحتها ونشرت لبعض معانيها الفاظا ملائمة بحسب الطاقة مع المحافظة التامة على مقاصدها الاصلية وعلى غالب الفاظها الاصلية ؛ وربما زدت بيتا او بيتين او

اكثر لاتمام معنى ماذكر؛ او مبحث تعرض له فجاءت بذلك كله رحلة الغية حسنة مفيدة؛ وهى تناهز ثمان عشرة مائة بيت او اكثر وقد سلك فيها الشيخ مسلك الاسهاب؛ فيصف كل مراءه وصفا تاما؛ فلندكر منها بحسب منازل ملائير ملاحظين للاختصار؛ وقد كنا سميناهـا «اصفى الموارد فى تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد»

يقول فى اوائلها :

الحمد لله الذى سددنا	ولبقاع المصطفى ارشدنا
وءالف القرشيين فى الشتا	والصيف رحلة بها امن اتى
اكرمنا بنعمة الايمان	بخير خلق الله والقرآن
وارسل الرسول بالبشارة	مصرحا بها بلا اشارة

ويقول بعد ابيات كثيرة

فى عام «شسه» (١) ويوم اثنين	يز (٢) بشعبان لقيت يمنى
خرجت من بلدنا وقت الضحى	والبين قد ابدى الاسى واوضعا
وفى القلوب حرقه الفراق	وانما يسلى رجسا التلافي
ان الفراق قطعة العذاب	بل كله عند ذوى الاحباب
قد جرع الاخوان بالتشيع	كاس المرارة لدى التوديع
فمنهم الحائسر واؤلهاـن	ومسبل النجمان والسكران
لكننى ودعتهم لله	فليس عن ودائعى بساهسى
ورجعوا والدمع فى المحاجر	كانه منتشر الجواهر
وبعدهم لم يزل الفقيه	اخو العلا السמידع النبيسى

الى آخر الفصل الذى ستجده فى ترجمة الاستاذ سيدى على بن عبد الله الالفى الذى هو المقصود هنا؛ وبعده الابيات المتقدمة فى ترجمة صنوه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله؛ ثم بعد ذلك كله نجد ماذكر فيه الحاج ابراهيم الايفسانى؛ وستراه بحول الله فى ترجمته ايضا؛ ثم ماذكر فيه الاستاذ احمد الزيمامى؛ وستراه فى ترجمته ايضا؛ ثم قال وقد نزل فى ذلك اليوم الاول فى تازروالت عند سيدى ابراهيم ابن صالح الشريف

وكل واحد نوى التشيعا	لم تقبل النفس له الرجوعا
ثم حدا الحادى بذاك اليوم	بنا فودعت القرى وقومى
فارتحل الـركب بنا سيرا الى	زاوية الشيخ طفاوة العلا

سيد احمد بن موسى قاصدين	اخص احباب لديه نازلين
من انبات اخلاقه ووصفه	وعلمه وعقله ولطفه
بانه المحفوف بالعناية	وانه الموسوم بالولاية
ذونسك وورع وزهد	وعفة وسنة ورشد
نجل لذاك الشيخ نعم الولد	والشبل في المخبر ذاك الاسد
اسمه ابراهيم نجل صالح	ولم يخالط قط غير ناصح
وكان هذا اول المراحل	نزله فنيل خير نائل
فكل ما اشتتهه نفس النازل	تناله اليد بلا مناول
وفي الصباح كنت فى صباح	فى ذكر اهل الخير والصلاح
فاهتز رب الدار بالحب ومال	والحب فى الله دوام الاتصال
وارسلت امه خاتما الى	لكى يزار قبر سيد قصي
وبعد ما اوصلته لقبته	ازرنه فيها فجا لربته

ثم قال وقد نزلوا فى اساكما عند الابلاغيين

ثم جللنا اسكنا فرحبوا	بنا وفى ثانى المبيت رغبوا
فشكرت السننا احسانهم	بطلب اصغوا له اذانهم
قلنا لهم احسانكم ان تطفئوا	نيران فتنة بكم تنطفئ
فقبلوا ثم وفوا فغدروا	فهبت الريح لهم فنصروا

ثم قال وقد نزل فى المعدر مسكن شيخه سيدى سعيد

ثم الى منبع عين سرنا	وجنة تلالأت فى دهرنا
ومركز السر وخير الامكنة	وزهرة الدنيا بهذى الازمنة
موطن شيخنا السعيد الاسعد	شيخ المشايخ الامام الاوحد

ثم اطلال النفس فى احوال شيخه ؛ وسترى ماذكره فيه حين تقرأ ترجمة
 شيخه هذا فى (القسم الثالث) ان شاء الله ؛ وقد تقدم فصل عن هذا المكان
 عند ذكرنا ماوقع له يوم ملاقة شيخه ثم قال بعد ما اطلال

اتنى العنان للذى فيه الكلام	من المراحل الى خير الانام
بدار شيخنا نزلت ظهرا	فانتعش القلب لديه جهرا

الى ان قال عند الرحيل من المعدر الى ماسة وكانت ماسة احب بلاد الله اليه
 فى سياحاته لما يناله فيها هو واصحابه من التقشف والفاقة ؛ والفاقات اعياد
 المريدين (كما يقول الصوفية)

وبعد ما زرنا ضريح الشيخ
منه لماسة بحصن الساقية
ماسة موضع الكمال طورا
من كان من اهل القلوب يدري
رايت مرة بها اذ سحننا
وتلك لي الاولى بذاك حنا
فكم بها من جملة الاحباب

الى ان ذكر ان من هناك كان رجوع من شيعوه من اهله

منها انثنى الفقيه سيدى على
قد حصل الفراق والجمان
فرجعوا مع الزمامى احمد
كذا ابو سالم الحب العلى
يثثر اذ توادع الاخوان
خير نصوح للفتى المسترشد

ثم ذكر نزوله فى المزار بقبيلة كسيمة ازاء اكادير

منها ارتحلنا الى المزار
جيران وادى سوس اهل الخير
ثم حللنا دار سيدى الحسين
وكلمهم لم يدر ماذا يفعل ؟
لفرط ما بهم من الحب لنا
واكرموا ثلاثة الايام
وعندهم رايت فى المنام
سلطاننا سيدنا المولى العلى
فى غاية الفرح فى منزله
فقال مذ خرجتم فرحتم
وقام فى خدمتنا بنفسه
فاولت بملك الملوكة
ومن هنا رجع عنى الشبقيق
وهو باهل الله ذو اعتناء
ومعه بعض من الاخوان
فرجعوا بمركب البغال
ثم الى السويرة الكراء
ثم ثلاثا صد وادى سوس
اياك ان يسئل فلا تعبر به
ولم يكن يهلك فى الوديان

لدى احبة عزيزى الجارى
اهل المحبة لنا والفير
مقدم لديهم بكل زين
عند نزولنا وما ذا يعمل ؟
فزال ما بنا لديهم من عنا
غاية مايكون من اكرام
بشرى رايت ملك الاسلام
ابا على نجل سيدى على
مرحبا بنا بوسط اهله
وكل ما اشتهيتم ابحت
مفضلا بقلبه وحسه
لحبه سلوك ذا السلوك
الصنو ابراهيم افضل رفيق
ولطريق القوم ذو اقتفاء
فرجع الكل الى البلدان
كانت لنا حاملة الاثقال
حمارة وناقاة حمراء
تبا له من معبر ذى بوس
كيلا تكون راسبا فى قلبه
الا المجربون بالطفانيان

ثلاثة ما منهم امان
ومعنا في قطعه احباب
انا على البغلة وهى تقطف
والصنو عبد الله كان راكبا
لانه وبضعة من فقرا
فتعب الكل بهذا القطع
وفعل واد ليس فعل النحو
يعمل فى معموله بسيله
وكل ذى عقل وخدن حزم
فليقطع البر لراس الوادى
فهو يرى جميع ماكان يشا
من ملابس ومفرش ومشرب
لان ما فى ذاك من عمارة
ومن ردانة لفوق سبرى
الا الامان انه مكفون
ولا يجوز نبشه من قبر
ولم يخلف وارثا فاشتغلوا
هواهم اهوى بهم فى المهوى
والحكم للغالب لا للنادر
اما الصلاة فمن الرجال
وادبهم يذهب بالابدان
فارتكب الاخف من ضربين
وبعد قطعنا شكرنا شكرا
وكلنا زار ضريح سيدى

البحر والسلطان والزمان
لولا هم تقطعت اسباب
وكل من معى اليها يعطف
فرس بعضهم فكان ائسبا
قد ازمعوا ان يقصدوا ام القرى
وبعضهم اشفى به للنزع
ان كنت ذا عقل وحلف صحو
الخفض فالنصب برفع رجله
فلا يطالب قطعه بعموم
محاذى الضفاف فى البوادرى
من فجره الى حنادس العشا
وماكل وكل خير يجتبى
اضفت على السكان حسن الشارة
كل الامانى لديه فى القرى
بسبعة لديهم مدفون (١)
معروفهم هو عظيم النكر
بنقض عهد الله فيما عملوا
اسرع بهلك من اليهم اهوى
بلادهم تعمر بالبنادر
قليلة فكيف بالعيال
وجهلهم يذهب بالاديان
والويل اهون من الويلين
فى حصن متكب وصلنا الظهرا
ابى القنادل بشوق ازيد

ثم ذكر نزولهم ذلك فى اورير ثم فى ايت امر ؛ واثنى عليهم وذكر انهم
خيار الحاجين ؛ ثم فى تمار حيث دار القائد المحجوب اذذاك ؛ ويقول فى ذلك
ويذكر ما وقع له معه :

ثم الى المحجوب من عمال
مرامنا البيع لبغلة لنا
ومثلها يحبها العمال
قبل طلوع الشمس قد طلعتنا

(١) ضمن هناك التعبير العامى الذى يعنى بسبعة اكفان المبالغة فى
مؤازرة الميت وتفتيبه عن الانظار

وشدت حجابہ علینا
 فابوا التقريب والترجييا
 طال بنا الوقوف ثم ملنا
 نقبل كل ذاك بالافراح
 وكان عنده الكثير الفقها
 لم يدر ما يفعل وهو ضيف
 نحن ذوو زاد وهذا الصيف
 لموضع في خارج قد ملنا
 شيئا من الوعظ لهم فاذنا
 بعد الصلاة نظروا ما يعمل
 لكي نبين احسن البيات
 فقبل لي سلم عليه حينما
 لانه من خارج بمعزل
 فقام للدخول بعد المغرب
 وليس يجترى عليه احد
 حاجبه يقوم ليس يجلس
 يرعى له بطرفه الخواطر
 وكل من كان بتلك الحضرة
 فجل ادا بهم الظواهر
 ففهمت امشي فتلاقيت معه
 فدخل الدار بغير رد
 فدخل الكل ونحن كنا
 الى ورا العشا وقد نعنا
 جاء الينا حاجب محبوبه
 اتفق اللفظ مع المعنى كما
 فقال قم فسيدي يدعوكا
 وذاك انه جرى في النادی
 ان قال بعض الفقهاء ها هنا
 بالعلم والصلاح والخيرات
 فاستسموا بظنهم ذا ورم
 فحسن الوصف باذن العامل
 فقال للحاجب قم فات به
 ففهمت في الحين بقصد الوعظ
 وجدتهم في قبة مصنوعة
 واذ راني زال عن منصته

وسددوا رماحهم الينا
 واثروا الاقصاء والتانيبا
 الى الجدار ثمت احتلنا
 من ربنا الفاعل بانشرح
 عرفتي من بعضهم ذوو النهى
 رجاء شيء من لدنه حيف
 نبين حيث لا يكن سقصف
 مع جميع الفقها ؛ وقلنا
 اذ ان مغرب فقالوا امنا
 من حيلة يعني بها المؤمن
 مع جميع الفقها السادات
 يريد ان يدخل كيما يعلمنا
 عنا لدى الصلاة قرب المنزل
 والناس منه في هوى ومرهب
 كانها يخطر منه اسد
 يلزم العبوس ليس ينبس
 وكيف ان اشار بالظواهر
 قلبه انتشى بتلك الخمرة
 وفي بواطنهم المناكر
 مسلما فلم يرد ان يسمعه
 سلام من سلم ؛ بل بالصد
 تحت الجدار وبه انسنا
 تحت الجدار ما راينا الكنا
 وافق حقا اسمه محبوبه
 ترى وسبحان الذي قد قسما
 لاكان من ياسيدي يجفوكا
 وهم يجولون بكل واد
 فلان من فضله الهنا
 ووعظه يطير بالمهجات
 ونفخوا وهما بغير ضم
 فاشتاقا نينال خير نائل
 لنستفيد من سنا مطلبه
 له بحالي اولا واللفظ
 بزينة وفرش مرفوعة
 يشير بالجلوس في اريكته

مرحبا بقلبه وقال به
فهو كالقلب وهم كالجسد
فقلت اذ رايته قد اقبلا
ليس سبيل للكلام غير ان
فقال لي اهلا بنصح الله
فقلت للحاضر من رعيته
هل انتم تاتمرون طورا
فقال كلهم انا نحن نهمل
فقلت ان امر بالخمس لكم
فابتدورا بقولهم لو امرنا
فقلت للقائد هل انت ترى
فكل من ترك في حكومتك
في سائر البلدان اذ حكمتا
ضيعت دين الله في احكامكا
ان الفريضة عمود الدين
فقد رايته من يحول داركا
احسن كونك عاملا ولا
بالوعظ والضرب وقتل الحد
انت خليفة الامام الاكبر
فارسل الرسول للمؤذن
فقال من لا يرد الصلاة
من ضربنا وجبنا وكل ما
فقلت تبنى مسجدا في الداخل
فقا قد وعدت بالبناء
ففرح المجلس والاسماع

وقال كل مرحبا اذ قال به
مبتدرون ان اشار باليد
وكان للنصح له مستقبلا
رايت نفسك بنصحننا قمنا
جازاك عن نصحك لي الهى
ومن بناديه من اهل طاعته
نهيا اذا نهاكم او امرا ؟
منه الاوامر اذا ما تقبل ؟
اتركون في الوقوت شغلكم ؟
بالعشر اديت بوقت امرا
من الذنوب ما عليك في الورى
اي صلاة فهى في رقتك
عليهم جهلت او علمتا
وهى عظيم ذاك في اسلامكا
كما رووا عن النبي الامين
تركها بله بني جواركا
تجعل في الصلاة ذاك العملا ؟
وذاك في الدين تمام الجد
فانت بالتنكيل في ذاك حرى
فجاءه في الحين فورا لم ين
اعلم به فلن يرى النجاة
يرده لها الى ان ينعمنا
تجمع فيه مع كل داخل
له هذا العام بلا مرء
وفي الصباح حصل الوداع

ثم ذكر انهم باتوا عند انسان آخر
وقد كان له معرفة بالشيخ وقد كان الم
وهو الذى يقول فيه :

ثم هنا لآخر اخينا
مرحبا غاية ما ترحيب
وتلك شئشنته لكل
ابى عل قائد التكنافة
سياسة حسنة وطبع
قد كنت قبل ذا بشهر رحنا

في صعبة صحت ولن تبينا
ومفضلا بنعم وطيب
عادة اهل المجد اهل الفضل
فالبشر منه الخلق واللطافة
لانت به اصوله والفرع
لديه بالاخوان حين سحننا

فكان ان وصيت عن بناء
فالآن قد وجدته مكملًا
فى اليوم الاول لنا بـرمضان
فكان دائما به يصل
وهكذا فلتكن العمال
مسجده فى الدار باعثناء
فكان ان صليت فيه اولا (١)
وهو كما رووه افضل زمان
هو ومن معه وكل الاهل
اولا فهم على الورى وبال

ثم ذكر بعد ذلك سيدى عبد الله النجار من اصحاب الشيخ المعبرى
وما جرى له مع شيخه ؛ ثم الى السورة ويقول فى ذلك :

ثم ارتحلنا بعد للسورة
نزولنا فيها لدى اجللة
رباطهم احسن به مكانا
ينسى بحسنه لك الاوطانا
مع الذين فيه من كرام
وكان قطب جمعهم لله
خديم اهل الله حيث كانوا
سواد عين مقلة الاحباب
اخلاقه علت به ذرى العلاء
افضى به عند اللقاء الفرح
يتابع الانعام والمثونة
واهل داره على الدوام
اعنى اخا الكمال سيدى عمر
وهو الموقت على السويصرة
ونحن فى الصوم وفى الهجرة
احبة اعزة اهله
تملاه اذكارهم الوانسا
ان كنت ناجيت به الرحمانا
يجنون ما يراد من مرام
من فكره دوما على انتباه
محب اهل الخير حيث بانوا
ومنه نور مهج الالباب
ووليت منه المكارم ولا
حتى ارتمى بالشوق منه الشبح
مدتنا هناك والمعونة
بـزادنا اشتغلن مذ ايام
امه ؛ مشهور بذاك كالقمر
الطيب السمعة والسريرة

ثم اطل الكلام حول السويريين ؛ وفى ذلك مناظرة بينه وبين فقيهه هناك
يغمز الصوفية ؛ ثم ذكر كيف اكتروا فى الباخرة ومقدار الكراء فقال :

ثم لبثنا خمسة وعشرة
ولم نزل مدتنا المختارة
تانى لقصد سعة المبرة
لان ما يركبها الحجاج
ثم انت فسار سيد الى
فقال لى وكيلها النصرانى
غيرك بالخمس من ريسال
لدى السورة بطيب عشرة
منتظرى سفينة التجارة
فى الدين والدنيا بلا معرة
تضييق حتى يكثر اللجاج
وكيلها مرغبا ان يقبلا
تركبها انت بلا اثمان
لطنجة وذا بلا مقال

(١) كذلك بنى المسجد فى دار القائد المحجوب المتقدم فى الحين
فالمسجدان عامران الى الآن ١٣٨٠ هـ

فقلت للخمسة من اصحابي تقسم ما ترك كالأحاب
فرجعت بهذا الى اربعة مع سدس لواحد في العدة
لم يفعل الوكيل ما قد فعله لله بل الهنا قد عمله

ثم استطرد ان العمل لوجه الله الكريم بالاخلاص لا يصدر الا من موحد
عرف الله ؛ وجال في ذلك حتى ذكر الديانات ؛ ثم ذكر حالة المسلمين اليوم
من لزوم اداء الصلوات فقال في اهل سوس ومن اليهم

ولبنى سوس من المغاربة
واهل (ولتيت) عليه جبلوا
فاقوا بذلكم اهل سوس
فاقوا برغبة لدى التدين
وبحياء في النساء لايزول
وعفة ورافة ونيّة
وقلة من العظام الفاني
فهذه الخصال قد فازت بها
ثم بهم يمتد ظل الدين
جميع من بحوزهم قد وصفوا
يقر جيرانهم بذاكا
وذاك ظاهر وقد تبيننا
ذاك ومن كانوا جوار سوس
فاقوا كذاك غيرهم ثم كذاك
جيران اهل سوس في الحدود
فجبل تر الاسواق والمداشرا
من كان في مخدع امه جهل
وذاك جهل منكسر خصوصا
ثمت اهل المغرب الاقصى هم
جميع اهل الشرق اما قيسا
فبدونا اعرف بالاديان
وذاك كله شهير يذكر
وقد رايت ذلكم عيانا
وذاك كله بنسبة القرى
اما المدائن فقد كفى الورى

جد علوا في الدين منه غاربه
من ضمهم سهلهم والجبل
طرا؛ وابن الرجل من رؤوس؟
والزهد في الاكثار والتزين
ورثه فروعهم عن الاصول
وهمة كهمة الصوفية
وكثرة الخوف من الديان
(ولتيتة) في كل آل شعبها
في كل ما يل من القطين
بوصفهم وبهم قد شرفوا
اذ ادركوا من يمنهم ادراكا
والصبح لا يحتاج ان يبيننا
افضل في الاركان والاسوس
جيرانهم ايضا فحقق ما هناك
فاقوا جميع الغرب بالشهود
فقد غدا الفرق كصبح ظاهرا
كل الذي بدارها لم يتصل
ان كان عن ذى قدوة منصوفا
في الدين بين غيرهم تقدموا
بهم يقال بيس بيس بيسا
من بدوهم للحفظ للقرآن
في كل مجلس تراه يوتر
ثم اختبرت امره ازمانا
في الشرق والمغرب من غير افترا
في المدن امتى وبعض في القرى

(١) ينسب حديثنا وليس بحديث

ثم قال حين يودعهم السويرون

لهم مستصحبين الربا	ثمت ودعنا هناك الصحبا
يزور منا زائري الرسول	وكل من تلقاه في السبيل
والكل قد اعلى بشوق منجبه	تبركا بالنية المستصحبة
فجر من شعابها السيوبا	والدين مهما خالط القلوبا
حتى يهم في الضلوع بانصداع	وكل قلب لايلين بالوداع
بل هو كالصفحة في الطود اترصن	فليس بالممكن بعد ان يلين
ذكرته من الغليل والظما	حد التبرك بنا ومثل ما
عند مرور زائري الرسول	ومن تشوق ومن عويل
غادرت ذاك الصيد والشباكا	سيف السويرة فمن هنا
وقول هاك في العطا وهات	ثم اتى دور المحاسبات
الا الذي خبات في الجيوب	وليس بعد لك من مصحوب
منك اذا ساهلت او منازع	فكل من تلقاه فهو طامع
لكي ترى خير فتى مساهم	فانت من يزور بالدراهم

ثم حث على كثرة مد اليد ؛ وعلى كثرة النفقة في هذا السبيل خصوصا في سكان الحرم حيث الضعف البادى واكياس الحجاج من منتجات الحاضر فيه والبادى ؛ وذكر ان التكلف من كل من رءاهم في الطريق وفي الحجاز متصل لم ينقطع ؛ فلا بد من مد اليد بما امكن

وليس فى جميعها انيس	الا دراهم حواها الكيس
لكنما الانفاق بالاجمال	للسفر من محاسن الاحوال
لانه يجعلهم فى الراحة	وهكذا الراحة بنت الراحة

ثم ذكر كيف ركبوا الباخرة ؛ وقد اشتغل كل واحد بنفسه

ثم ركبنا فى ضحاء الجمعة	سفينة طويلة موسعة
فقلت باسم ربنا مجراها	فى بحرها وباسمه مرساها

ثم وصف السفينة وهى اول مرة رءاها فى عمره

وحيث اجريت العيون حولها	ولوحها وطولها وطولها
وشمت مالها من الكيفية	وحركات سيرها الخفية
وجدتها اكبر ما بظنى	حيث استبنت سرها بعينى
ان يبد من اوصافها لسانى	فليست الاخبار كالعيان
فذرعا كانه فى الطول	ذرع الثلاثين على المنقول
وعرضها حقا بخمس عشرة	من اذرع ان لم تفقها كثرة

الفين او ازيد بل لاتشبع
بلا اهتزاز السفن الجوارى
كانما نجلس فى السرير
اكثر ما اكون بين المدن
وجوها واكلها وماؤها
بشهوة قد وافقت ما فى الحشا
والسير فى اليم كمر الطيف
مع القيام ان تحل الساعة
من فضل ربنا الذى نفى الاذى
حفظ الديانات لنيل الظفر
احب كل سفر متمما

فيها ثلاث طبقات تسع
سارت بنا فى وسط النهار
وغير دوخة ولا قنور
وجدت فيها صحة فى البدن
لاننى وافقنى هواؤها
فصرت اكل جميع ما اشأ
وكان هذا الوقت وقت الصيف
ونجمع الصلاة فى الجماعة
مع الوضوء دائما وكل ذا
لان همى كله فى السفر
فجاء ذا والحمد لله كما

ثم ذكر مرورهم باسفى ثم حمد السفر فى البحر واثنى على السفن
التي تريح المسافرين براحتها ثم تبلغهم ما يريدونه بسرعة ثم ذكر مرورهم
بالجديدة ؛ فذكر طرفا من تاريخها ؛ ثم ذكر ايضا البيضا فوصفها ايضا.
ثم ذكر مرورهم بالرباط وسلا فقال

كدرتين فى جبين يجتلى
يسع ما يلج من سفين
على اشتغال اهلها علامة
وبعضها نزه من فى المدن
تعلو وتسفل كمن فى السكر
من موجها ان جاشت المياه

ثم بدا الرباط فى جنب سلا
بينهما نهر كما التين
وكثرة الزوارق العوامة
فبعضها يفرغ ما فى السفن
لكنها ان ولجت فى البحر
وذاك من شدة ما تراه

ثم ذكر ان الرباط مبتدأ ما يطلق عليه الغرب كما انه حد ما يطلق عليه
العوز المبتدأ من الحمراء ؛ ثم ذكر اناسا ركبوا من هناك فوصفهم وصفاشيقا
واثنى على همة بعضهم حين استصحب معه ولديه للحج ؛ كما ذكر منهم آخر
استصحب حليلته فذكر ان الشوق هكذا يكون وان الصبابة الى زيارة المشاعر
الدينية وقبر النبی صلی الله عليه وسلم هكذا يسطع اخلاصها فتتھض بالمال
والاهل وتنسى كل شيء دونها

ثم يخوض فى العدا الشفارا
كيما يواصل الى هنالك
جالس من حبه فى القلب اتقد
ان كان من حب النبی فى ظما

يلج المتييم الاخطارا
ويعرض الحوباء للمهالك
ويتمتع بلمحة وقد
ثمت يكسل الذى قد زعما

ثم ذكر ان الحج اليوم من اسهل ما يكون فالبواخر المريحة السريعة الآمنة تدرك بها الاغراض؛ وابن هذا مما كان من قديم حين تجاب الفيافي المخوفة ويكون الحاج في برقة على مشقة هائلة؛ غير ان السلف مع تلك المشقة اكثر من اهل هذا الجيل حجا وماذا الا من كثرة ايمانهم واخلاص طواياهم؛ ثم ذكر مرسى العرائش ثم طنجة ثم وصف برا الاندلس - اسبانيا - وارسل زفرة على فقدان فردوسه العجيب؛ فذكر القرن الذي سد فيه دونه الباب عن الدين الحنيف ثم استطرد الى امتداد الاجانب الى هذا البر ايضا؛ فأتى على الذين نافحوا ما نافحوا دونه؛ كالسعديين والترك ثم ذكر بنى السين الفرنسيين الذين امتدوا أواسط القرن الماضي الى الجزائر فوصفهم بالقوة والسياسة والحيلة وبتنظيم دولتهم؛ فعلم ذلك بسرعة تمكنهم في البلاد ثم قال مدهينا الا من استئانة حكوماتنا الى الراحة وتركها الجهاد؛ ثم اشار للحديث الذي يلهم بان كل امة تركت الجهاد؛ ولازمت اذنان البقر فانها اهل للصغار والنل؛ ثم ذكر ان تونس وقع بها ما وقع باختها الجزائر؛ فلم يبق الا ان طرابلس الغرب والمغرب الاقصى في هذه الجهات؛ ثم قال

رجع بنا الى الذي تركنا فالحديث طرق يسلكنا

ثم ذكر ان بعض اهله نزل من هناك ليمتطوا سفينة اخرى وبقي هو لان نيته المرور بتونس ليصل رحم احد قرابته انقطع هناك؛ ثم ذكر سبتة وذرف عليها دمعة؛ ثم ذكر وصوله لجبل طارق فاجرى بعض ذكريات عنه؛ ثم ذكر قدر المال الذي نزلوا به من الباخرة على الزورق ثم قال بعدما ذكر دخولهم للمرسى في جبل طارق

فاذ نزلنا ودخلنا في الزقاق	دير بنا حتى غدونا في نطاق
قد حلقوا جميعهم علينا	وطرف كل شاخص الينا
كاننا قردة في الملعب	ومن يشم زيا غريبا يعجب
ثم النزول كان في الاصيل	قيل غروب الشمس بالقليل
فجرت في المنزل كيف يوجد	ومن نومه ومن نسترشد
ومن يذق قبل اغترابا يدرى	كيف يرى الغريب وسط قطر
وليس في الجبل غير الكفر	سكنى ولا مسلم فيه ندرى
قيل جميع المسلمين يطردون	من الازقة؛ لذا لا يوجدون
قد زعموا انهم لصوص	والله يعلم من اللصوص
سرنا وكل ما يهم المنزل	اذا بصائح بنا ان اقبلوا
فرجع الكل اليه واقفين	فناول الاوراق كل الواقفين
فكانت الاوراق اوراق الدخول	من لم يحز منها فماله دخول
ثممت جزنا الباب والاوراق	تمد حتى دخل الرفاق

فظلت اسأل عن القنصو الذي
فهو يسمى عند كل بسعيد
قد كان رقا للذي كان هناك
فخلف السيد في المقام
جئنا اليه غرباء معلمين
فقام مسرعا يفتش كما
وذاك ما يدل ان كان له
كنا «يخ» (١) اصاحبا اخوانا
ولم نرد تفرقا فوجدنا
خمس ليال قد عزمنا المكشاة
ويجب الربيع لكل ليلة
ثم هناك ما يكون اغلى
وقيل ليس موضع فيه الغلا
وذاك كله من اجل الثروة
ديارهم جميعها قصور
كذلك الاسواق جمعا بنيت
فيدهش المبصر مما ابصرا
تقول زهرة الدنيا باسرها
ازقة قد فرشت بالعود
كانما فرشت احسن القصور
اما نظافة الظواهر فلا
لو رزقوا نظافة البواطن
لكنما الدنيا لهم جنات
ولاغترارهم بها اجتبوها
فاقبلت عليهم اقبالا
لكن من دخل هاتيك القصور
فليس يرتاح الى العشاء
فعربات الخيل والبغال
ولست تسمع كلام صاحبك
وكل بنت من بنات الكفر
وكل من يريد الانتقال
كذلك من يريد نقل الامتعة
وكل زبل بالمدينة وما

ياخذ امر الناس خيرا مأخذ
خليفة السلطان مولانا السعيد
قبل فاعتق فزحزح الشباك
فكان من افضل الاسلام
بما اردناه من النزل الامين
يفعله لسيد من خدما
مع ربه اخلاص ما عمله
ونبتغي جميعنا مكانا
نزل به «يه» (٢) من ريال عددا
هناك في جبلهم واللبثا
وذا غلاء ما سمعنا مثله
من ذا الذي كنا ذكرنا قبلا
نظير من قد سكنوا ذا الجبال
وما لهم من جاههم والقوة
كجنة لو كان فيها الحور
مثل عروس يوم عرس جليت
مما يفر كل من قد غررا
وانتهم بسرها وجهرها
والكنس من طبعهم المعهود
للوافدين يوم انس وجبور
تسل فشانها لديهم قد علا
بالدين كانوا خير كل ساكن
لهم بها النعم والمنيات
ثم حبوا في الحزم ما حبوها
ولم يروا من وصلها مطالا
وكان من فراشها له المرور
لما يصمه من الضوضاء
ترتج في الانهر والليالي
من كثرة الهز الذي بجانبك
تركب فوق عربات تجرى
ينقله ذو العربات حالا
فانها تنقله وما معه
بيده يرى بها نقلهما

مد قربت اليهم كل الامل
كان كلا منهم ابن ما السما
لو كانت الدنيا لهم تدوم
قد اهلكوا انفسهم واهلهم
والرشد والخلق معا والصدق
من يهده الله يسد رايه

فهكذا كفوا مئونة العمل
لذا تراهم والروؤوس في السما
حقا لهم مقامة فخيم
لكنهم وما اشد جهلهم
اذ حرموا اتباع دين الحق
لكنها الاديان بالهداية

ثم ذكر انه ركب سفينة اخرى الى مالطة ليمكن له المرور بتونس فتبع
ايضا وصف السفينة وكم فيها من اذرع ؛ وقال انها اكبر من اختها وقال انها
مدينة جارية على البحر

ان هذه مدينة في البحر
فيعلم العلام ان ليس السغلو
فلا تكذب ما وعت منه الاذن
ولا الذي يجهل مثل من وعى

فجملة القول لمن سيدري
لاتحسن الوصف ان فيه غلو
فكل ماتسمعه عن السفن
فليس راء مثل من قد سمعا

هكذا يقول لاهل بيئته الذين يعجبون مما يسمعون من امثال تلك الاوصاف
وفي هذا الوصف ذكر ايطالية واسبانية وفرنسية وانكلترة ؛ ووصف كل واحدة
بما وصله علمه ؛ ثم ذكر ان العيد ادركه في نواحي مالطة واليوم يوم الثلاثاء
قال والعجب ان التونسيين عيدوا يوم الاحد ؛ مع اني راقبت انا بنفسى الهلال
ليلة الاثنين فلم يظهر مع صفاء الجو فكيف يمكن لهم ان يعيدوا برؤية الهلال
ليلة الاحد ؛ والمحل الذي راقبت فيه الهلال يحاذى سواحل تونس ؛ ثم قال
بعد ما ذكر كل هذا :

من قلة اعتنائهم بالسنن
روقب صحوا يوم سبت واحد
ان تبعوا الحساب دوما باستوا
فاستيقنوا الهلال في السبت بدا

فانظر الى اختلاف اهل الزمن
لم يبق حتى الوهم في ذاك وقد
وما جرى للتونسيين سوى
صاموا بيوم جمعة في الابتدا

ثم ذكر مالطة فوصفها على عادته وصفا مسهبا ؛ كانما القارىء يراها
وقد الم بالغلاء فيها فقال :

وليس في اسواقهم مرتخص
بعشرة ومن شرى ادعى الضياع
فانها اشريفة لاتستطاع

دجاجة برربعين ترخص
وعندهم صنف من المعزيباع
عشر ربات و يدعى الضياع ؟

يتعجب كما يتعجب اهل المغرب كلهم من هذا الغلاء ولكن ابنا اليوم واخ
١٣٥٨ هـ يشاهدون اعظم من هذا الغلاء في المغرب نفسه ؛ بل في قرية صاحب

الرحلة نفسها ؛ فالدجاجة اليوم بريالة ونصف وبريالتين (١) والمعر بنحو
خمس وعشرين ريالة فرنسية بله النعاج التي بلغت خمسين في بعض النواحي
نفس رجبا تر عجا

ثم وصف بيئاتهم فيها فقال

بتنا بها باقبح البيات	في قبر عود كدوى الممات
لأننا لم نرد الغلاء	فهل نمد (ربعا) كراء ؟
وذلك القبر على ضيق به	امتد كلنا به لجنبه
وذاك كل ما يحب المعى	ان الفضول خلق اهل الفسى
وانسى في البدو قد الفت	صبرا ان اضطجعت او وقفت

ويقول في وصف ضبط المالطين :

فلهم الحزم على الدوام	في كل ما يفعل للتمام
قد نظموا الامور بالتوقيت	فانتظمت لهم على الوقوت
فكل من فعل شيئا يسجن	بقدر فعله وما ان يفتن
ففيهم المسجون مدة العمر	او مات جيفة كجيفة الحمر
مع عسكر مشمر مصفف	ملفف مزوق مخفف
كانه في لبسه الدبي (٢) وقد	يظهر كثيرا وهو قل في العدد
يقف او يمشى على المزامر	فصوتها الناهى لهم والامر
ولهم خان فخيم فاخر	حاطته فيما قدروا مفاخر
وعرباتهم تقاد بالخيل	وانها في جريها مثل السيول
فتلك مالطة وذى اخبارها	قد استنارت في الدجى انوارها

ثم وصف بعض حدود البحر الابيض الجنوبية والشرقية ؛ ثم قال

ثمت لم نبت بها اكثر من	ليل طويل ضيق الجحر خشن
كانه موج علينا سدله	ارخي ليمطر علينا ويله
وفي النهار سار فلك قهقرى	بنا الى تونس انس من يرى

ثم وصف المركب ومن فيه فيقول في الراكبين وفي اهل المركب

ترى الجميع في الصباح قائمين	بالغسل والتجفيف غير نائمين
كان ذاك هو فرض الصبح	اذاؤه سبب كل نجح
وتلك عادة لهم مستحسنة	حسنة بالطبع اى حسنة

(١) ثم فى ١٣٨٠ هـ باكثر من مائة وعشرين ريالا ومثل هذا يقال فى الغنم وفى غيره

(٢) الدبى بفتح الدال ولد الجراد

مجتمعين ثم لاضراراً
عاذل كيف كنت يبدى العذلاً
فى ملبس ومشرب ومطعم
كانوا على الاطلاق ليس شيئاً
حال شريفة وحسن مطلع
اقبح ما يكون عند الناس
فى كثرة وسرعة مختصرة
بينهم فذاك مما ارتضيا
فالقصد ان يمتلئ المعاء

كنا مع اليهود والنصارى
كل له دين وعادة فلا
لكن خير عادة للمسلم
اقبح بعادة النصارى ايا
ليس لهم فى منظر ومسمع
صورتهم فى حالة اللباس
وحال اكلهم كاكل البقرة
ليس لمن يجهر بالاكل حياء
فعزلة وخلطة سواء

ثم وصف انساناً من هؤلاء رآه يلتهم ما بين يديه وصفاً عجيباً نعجب
نحن حين يصدر مثله من الشيخ الصوفى القور قال :

يلتهم الخصى التهام السلهب
وهم بلحظهم لديه غائصون
يقرض منهما بموسى قطعاً
مقدار شبر فيه او هو الطويل
يلقم فاه قنغذاً ملمماً
يحصل منه قبل زرد ما يراد
فى لحظة ثم انتنى لغيره
او خاف ان تنسد للطعم السبل
ان فتح الشدق لآخذ اللقم
متى اجيلت فى وجوه من حضر
من صنعه والوجه منه اعجب
بعد صلاة وقراءة «الم»
يسمعها اذ لم يمتع طرفه
وتمتع السامع الاخبار

وقد رايت واحداً فى المركب
والحفل كلهم اليه شاخصون
وفى يديه الخصى والخبز معا
وورق الخصى غليظ وطويل
يقطعه والخبز قطعة كما
فقلت ان المضغ واف بالمراد
اذا به يبلعه بأسره
وهكذا كانما جن الرجل
وهو بنفخ كاحتدام الضرم
هذا ومقلته ترمى بشرر
كنت امامه فصرت اعجب
فقمتم فى الحين فامسكت القلم
اثبت للسامع هذى الطرفة
فربما حرمت الابصار

ثم كتب فى اخلاق القوم من لباسهم وحلق لحاهم واعفاء شواربهم فصلا
وذكر ان هناك من يشبه بهم من المسلمين ؛ فقال :

من مسلم بالزى قد شابهم (١)
له وفى الصحيح حقا قد كتب
وذا مشاهد فلا نزاعاً
اقبح من طبع جهول ما صلح

وربما تجد من جابهم
ومن تشبه بغيره نسب
«ان الطباع تسرق الطباعاً»
ما الكلب ما القرد وان كل قبح

(١) كلما رايت اولادنا اليوم فى هذه الهيئة المحدثه اقول يا ليت جدهم
يراهم فلعله يكف عما قاله

ثم اطل على تونس ؛ فلاقى تونس من رحلتنا ما تلاقىه دائما من الرحالين
العبدري وامثاله الذين خلدوها بثناء عطر وجللوا اهلها وشيئا مذهباً من الذكر الجميل
قال

عند الضحى بعد البيات ليلا	في البحر بانت تونس كليلى
تلاوات في البر مثل الدرة	في نحر حسناء كعاب حرة
كل غريب عندها حبيب	وكل من سكنها اديب
مدينة السر مع الصلاح	والرشد والارشاد والفلاح
مدينة الاخيار والافاض	سكانها من فاضل لفاضل
والحسن والبهاء والجمال	اوصافها التي لها الكمال
مدينة الفنون والعلوم	والحفظ والتدريس والفهوم

ثم وصف ابن عرفة في ستة عشر بيتا ؛ ثم وصف جامع الزيتون في فصل
طويل ؛ وذكر سوانيه وان في بعضها ما يظهر كانه حروف لكلمات محمد وابي
بكر وعمر وعلي ؛ وذكر نظافته وفرشه ومصابيحه الكثيرة ؛ فقد كان يتبعها
حسابا حتى ضاع عليه الحساب ؛ وذكر ان المسجد حافل بالعلم والعلماء الاذكياء
وان من رآهم فيها بلغوا الذروة في الذكاء ووصفهم بالتواضع وحسن القاء
الدروس ؛ وان الاستاذ يلين الجنب للتلاميذ وانه ياخذ الكتاب حين التدريس :

وربما يراجع المشكوكا	اولا فيبقى عنده متروكا
فكل من يسأله يجيب	بسرعة كالبرق اذ يجوب
حتى يتم الدرس مثل ما ابتدئ	بالفهم في المدرس كالزهر الندي
هذا ولا ترى سوى تواضع	من سائل او باحث او سامع
وذاك طبع اهل تونس على	ما قد رايته لدى كل ملا
تواضع في ضمنه تسامح	تلاين يزيينه التصافح

ثم ذكر درسا حضره هناك برخصة اخذها ؛ وما جرى له مع المدرس :

حضرت في صبيحة مدرسا	برخصة قدمها من انسا
ففي جامع الزيتون يوم اثنين	فكان لي اسعد يوم زين
والقصد ان احوز فضل العلما	وان انال خير من تعلمنا
والفضل بالاجماع عند العقلاء	لاهل علم الدين لا للجهلاء
فكان يدرس ابا الضياء	درس الجهابذ بلا امتراء
وهو لمن بجامع الزيتون	قدوتهم في الفهم والفنون
وهو كبيرهم علي الاطلاق	حسا ومعنى ذاك باتفاق
كان يقرر لدى باب السلم	فكان في تقريره فردا علم
اجدر به لذلك ان يكونا	قطبا لمن سواء مكينا
فكل وصف كان يوصف به	فقد غدا ارفع من منصبه

ذو قلم ان كنت معه تسره
جميع من معه دلست للسلام
جاءت بنا في الدرس افراس الكلام
تقريرها عكسا كما قد اخذنا
الا الذي اخذت خير ماخذ
قابلني بطبع كل منصف
اذ ادرك الصورة بالانصاف
ينظر ان يعينه لسنه
وخير عمدة لشيخ ولسد
من اسرة حسبها سنى

وكل ما يمكن ان يزيره
وبعد ما اتم درسه وقام
فبعد ان تمت توابع السلام
فقلت قد كان بصورة كذا
فجلت معه وانا لا احتذى
فاذ راي الفجر بدا في السدف
فمال لي مستجمع الاطراف
والناس كلهم مضوا سوى ابنه
وهو كبير السن قد يعتمد
ووسمه محمد النفري

ثم ذكر ان هذا الاستاذ كان من قبل هذا الوقت مفتيا رسميا ثم اغفر من
تلك المرتبة ؛ ثم ذكر كيف يكون المفتي عندهم ؛ وان محمدا هذا يعتنق الطريقة
التيجانية ؛ وان هذه الطريقة لها انتشار كثير هناك ؛ ولها زوايا كثيرة ثم قال :

وفتح التساؤل الرحيبا
وعن تعلقي وعن هرتبطي
كيما اري بالحج ممن فازا
يصحبه ببه المشكور
فستري الرجوع منى انكا
وهل ترى مثل الكتاب مونسنا؟
ثم ذهبنا نحو دارهم معا
ارى من النعيم صنفا صنفا
هل مكرم ذا غربة الا اللبيب؟

بى رجب الشيخ السنى ترحيبا
فكان ان اخبرته بمسقطي
واننى ممن نحا الحجازا
فقام مع ولده المذكور
فقال لي ولده مكانكا
ومد لي كتابه كي يونسنا
فحين اوصل اباه رجعا
فكنت ليلا ونهارا ضيفا
تطلوعا منهم واکرام غريب

ثم ذكر الجامع الزيتوني ؛ وانه من أعظم مساجد الاسلام ؛ وأن فيه من
خزانات الكتب في نواحيه ثمانيا وعشرين تستعاد منها الكتب ؛ زيادة على
دار كتب كبرى كقصر فخيم مفعمة بالكتب ؛ وفيها قاعة للمطالعة ؛ ثم ذكر أن
مثل هذه الخزانات المحبسة موجودة في كل المدارس هناك ؛ وقد أفاض في
وصف دار الكتب هذه وصفا حسنا ؛ وقد أعجب بالصمت الذي يسود
المطالعين فيها ؛ ثم رجع لذكر الجامع الزيتوني ؛ فذكر أن من جملة مآثره كون
أبي الحسن الشاذلي درس فيه بمحل معهود ثم استنجد شيئا مما يتعلق
بهذا الشيخ وتنقلاته ؛ ثم ذكر ان للشاذلي مقاما سنيا في تونس ؛ وان له في
تلك المدينة مقاما منسوباً له يقصد كثيرا ؛ خصوصا يوم السبت يوم يحضر
الفقراء فيذكرون ويتواجدون ؛ ثم ذكر الوجد واستدل له ؛ ثم ذكر انه زار هذا
المقام فحدث هناك القدم واثنى عليه ؛ وسلسل له كيفية التواجد الى الشاذلي
فحمل صاحب الرحلة على من ينكر ذلك ؛ وان الواجب هو التسليم للاشياخ

قد ندين ماشاء الله حول هذا الموضوع ؛ ثم ذكر انه لقي هنالك اناسا اثني عليهم من بينهم عالم صالح ومن بينهم صوفى كبير القدر اثني عليه كثيرا ؛ قال :

ومركز العلوم واللطائف
في حضرة شريفة صمدية
وقام بالوتر حيال الشفع
رسوخ من كرع فى الحقائق
من بحر وادى عشقه وجبه
فازت به تونس خير مصر
ذوالشرف الاثيل والخلق اسعيد
وفى المعانى والمذاق اصغرا
على منارة العلا على
يعجب بالحدس او الالهام
فهو به فى الكر والاقدام
لترتب العليا وفى ارتياد
مرتديا منشج الجراءة
منتجع الفلاح والنجاح
وكل همة تهيم نالت
عنى مع الاب له المكرم
ينتج فى الجين بلا شهور
رؤيا فقصها على نبا
ذكر كذا فخذ يدى الى يدك
فى عالم الارواح فالقلب وعى
تذوق ما قد ذيق فى الارواح
فى الحسن والمعنى على التوالى
وفى المعانى خمرة الكرام
فى روضة العشق براح الفكر
وزهرها لقاطفيها دان
قد غردت من فوقها الاطياف
والحب قد حلت له الازرار
فى جنة الاذواق والمعانى
من اهل محجب ومن منى
كل غريب عند اهلها رسا
فكل من يصفهم سيعبى

كذا لقيت جبل المعارف
شارب كاس الخمرة اللدنية
من عام فى مقام جمع الجمع
له من الفهوم والرفائق
ولو رايت صفوه لشربه
لقلت ذا الجنيد فى ذا العصر
السيد المبجل الشيخ السعيد
له اخ فى السن كان اكبرا
ولاخيه ولد على
له دره لدى الافهام
يجلو بفكره صدى الاوهام
ولم يزل فى حالة ازدياد
لكونه ملازم القراءة
متسما بسمة الصلاح
همته نحو الذرى تعالت
فكان اخذا للاسم الاعظم
بوصفه المعلوم والمشهور
سبب ذا ان اباه قد راى
قال رايتنى القن لديك
فقلت يكفيك الذى قد وقعا
فقال لابد من الاشباح
فيحصل السر على الكمال
فكنت معهم على المدام
نجنى ثمار الوصل بعد الهجر
قد نضجت اثمارها للجانى
والكون كله لنا اشجار
والدهر كله لنا اسجار
ونحن بين الحور والولدان
فلا تسلم عما جنت اكفنا
فتونس عاداتها ان تونس
حياهم الرحمان ثم بيا

ثم ذكر حسن بناء تونس العاصمة اتساعا وارتفاعا وزخرفة
ذلك عبارة على احتلالها فذكر كيف احتلها الاجانب ؛ وكيف احتالوا حتى وقعت
الحماية بيد اميرها ؛ ثم لم يجد بعد ذلك دفاع المدافعين ؛ ثم افاض في ذلك سجلا
ثم ذكر انسانا جلس اليه في مجلس آخر يوم له بتونس ؛ فكان بينهما مكالمة من
تاوهات وزفرات على ما كان مقدرا على الاسلام واهله ؛ وكان امر الله قدرا مقدورا
ثم ذكر بعض اشياء من جغرافية تلك النواحي وما يصاحبها ؛ ثم قال

فبعد ان مضت لنا ايام بتونس كانها احلام
«يه» (١) تكون ثم كنت في الخميس

كرت بـ «الحاء» (٢) بهركب نفيس
لجدة من بعد عصر اليوم سبرنا نجوب موج اليم
ثم وصف المركب ورئيسه ؛ ثم ذكر طرابلس فقال فيها

احسن بها مدينة للخير ما مسها توسيخ اهل الكفر
وكلها مملوءة بعسكر به يخيف الترك من قد يجترى
خمس وعشرون من الالوف يمشون في مرصوة الصفوف

ثم مر في وصف هذا الجند ؛ وكيف يمثلون قوة واعظم شكيمة الى ان قال :
امتلات بهم جميع الطرق فلا ترى فيها سوى ذى الدرق
كذا المساجد الى الابواب (ما احسن المحراب في المحراب)

الى ان قال بعدما وصف بوارج عثمانية بالمرسى ؛ يذكر ما شاهد في المدينة:
صرت اجول في الازقة وفي وسط المساجد التي للسلف
اشاهد الهمم كيف تفعل والبذل للاموال كيف يعمل

فمر في وصف المدينة الى ان قال :

صليت فيها الظهر والعصر معا وزرت اهل الخير فيها اجمعا
جالست فيها عالما مفضلا يظهر انه من اصل ذى علا
طويل باع العلم والاخلاق مع تواضع لدى التلاقي
قد كان في زاوية الرباني المدني العالم الصمداني

فمر في ذكر الشيخ المدني ناشر الدرقاوية في المشرق من اصحاب الشيخ
مولاي العربي ؛ فذكر ترجمته وتنقلاته ؛ ثم استطرذ ذكر ولده الذي لا يزال

ذاك حيا في الاستانة ثم في عشي اليوم راجع مركبه ؛ ثم ذكر شدة عظيمة
بوها على ظهر البحر بين طرابلس ومصر ؛ يقول :

هذا ولم نقطع عباب البحر حتى راينا كيف وقع الذعر
والقيء والميد على الركاب تسلط بالسقم والاصاب
سواي مع ناس قليلين حمى ربهم بين الورى وسلمنا

ثم ارسي بهم المركب في موسى الصعيد ؛ ثم ذكر بعض الجغرافية لتلك
بلاد مع ذكر البحرين الابيض والاحمر وقناة السويس ؛ ثم وصف مصر
فصبها ثم قال يصف قطع المركب للقناة

بعد مغرب مشي برفق بنا بقنديل بذاك الفتق
لكون ذا المضيق مثل الوادي مسيح الاطراف بالاواد
لتدفع الرمل فلم يزالوا توسعة تزحزح الرمال

ثم ذكر انه بقي في البحر الاحمر ثلاثا ؛ ثم بدت لهم اعلام الحجاز ثم
زالوا بعدة فوصف القبر المنسوب غلطا الى حواء ثم امتطى المظية الى مكة والشوق يفعل
بهم ما يفعل ثم ذكر نزولهم بعدة موضع الحديبية الذي وقعت فيه بيعة الرضوان
ثم ذكر اغتسالهم بذي طوى ؛ فدخلهم الى مكة ؛ فطوافهم بالبيت الشريف وقد
ناص في هذا المقام بما افاض به من تباريح الشوق ؛ ولواعج الوجد

وابرح مايكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

ثم ذكر كيف كان يجتمع مع صوفية في زاوية شاذلية هناك ؛ فيفعلون
ثل ماكان يفعله صوفية المغرب من التواجد ؛ وفي اثناء الاجتماع قال له احد
حاضرين ؛ اننى ارى ماارى وانت مقبل علينا ثم اذا وليت ولى عنا ؛ ثم اقترح
ليه ان يأخذ عنه وان يتخذه شيخا

والى هنا كانت عندي النسخة الاولى من الرحلة ؛ ثم لم اقف على نسخة
خرى تمت فيها الرحلة الا بعد ذلك بازمان ؛ ولذلك اقف هنا فيما كنت انقله
ن الرحلة (١) فانقل منذ الآن عما وصل الى مما حدث به الشيخ او من رفاقه
اقول

ثم لما وقف الناس في عرفة وقفهم حصل شك في صحتها ؛ فاعادها
لترجم مع ثلة ؛ ثم ثار حول ذلك ماثار بعد رجوعه فافتى مفتون بصحة الاعادة
اخرى بعدم الصحة ؛ ثم توجهوا الى المدينة فتوفي اخوه الذى صاحبه الى
حج فيما بين مكة والمدينة ؛ ولما وقف بين يدي القبر الشريف في المسجد

(خرجنا الرحلة تامة بالالة الكاتبة مع رحلتى ابني الشيخ سيدى محمد وسيدى
بلا فالجميع فى مجلد

النبي توجّه الى الله ان يؤيده على الاستقامة ؛ قال وكنت ارى ان ذلك خير ما يدعى به في ذلك المقام ؛ فاذا بهاتف من جهة القبر ينادى : «ان افضل ما يطلب في هذا المقام هو رضا الله الاكبر» وكان الشيخ يحكى هذا الذى وقع له هناك مرارا ؛ ثم رجعوا الى المغرب فى سفينتهم فوصلوا السويرة فى الوقت المحدد وقد لاقاه اصحابه هناك ؛ ثم فى دارالقائد عدى بنكنافة فقال لهم اننا لم ننسئ واحد من اخواننا هناك فى كل مالم ننس فيه انفسنا فى الحضرة الربانية ؛ فقد وجدنا انفسنا هناك فى الحضرة الربانية كما كنا نجدنا فى الحضرة الربانية هنا ، فان الله لا تختلف حضراته باختلاف الامكنة ، ثم وصل البلد -الغا- فسالت اليه الطرق للتهنئة بالرجوع

محور حياته

ان حياة الشيخ منذ عام ١٣٠٣ هـ الى مختتم ١٣٢٨ هـ كانت كلها على وتيرة واحدة لا تغير فيها ؛ جولان فى البلدان لا يتقطع وارشاد مستمر لكل من لاقاه من الخاصة والعامة ؛ فيقتصر للعامة على ما يتوقفون عليه من التوحيد ومن تعليم الصلاة ومن تحرى علم الحلال من الحرام ؛ ومراقبة الله فى كل احوالهم واما الخاصة وهم اصحابه الذين اخذوا عنه ؛ واستسلموا بين يديه فانه يواخذهم على قاعدة التربية الاصطلاحية بالشروط الصوفية التى توجد فى رائية الشريى والمباحث الاصلية ؛ وعوارف المعارف والاحياء والحكم العطائية ورسالة الفشرى وكتب الشعرانى خصوصا اليهود ؛ زيادة على تعهدهم بتفسير القرآن وبالحديث النبوى ؛ وبنهاهم عن (المنز) للشعرانى لئلا يالفوا الاهتيال باعمالهم الحسنة وعن (الذهب الابرين) فى اخبار سيدى عبد العزيز الدباغ لئلا يتعلقوا بعالم الكشوفات واقتناص العلوم من الروحيات وعن (المدخل) لابن الحاج لئلا يشغلوا انفسهم بمحاسبة الناس ؛ وهكذا كان قيوما على حفظ اصحابه مماعى ان يفتروا به فهو يريد منهم العبودية المحضة والمعرفة بالله ؛ فيعطيهم من الاقوال بمقدار الملح ؛ فى الوقت الذى يدلهم على التوجه بالقلب وعلى عمل الجوارح فيعطيهم بها بمقدار الطعام ؛ من غير ان يرهقهم باعمال الطاعات والنوافل وانما يحرص على تنويعها لهم بحيث ينظم لهم عمل اليوم والليلة تنظيما سهلا لكنه معمور كله ، وسترى تفصيل ذلك فيما ستقرؤه بعد ، وترجمة الانسان حقيقة فيما عليه اصحابه فبذلك يعلم ان تربية الشيخ تتنوع بحسب الناس ؛ فتربيته للخاصة من اصحابه ؛ غير تربيته للعامة من غير اصحابه ؛ فيعطى لكل ذى حق حقه فتيسر لكل الجهات التى يطرقها بسوس ؛ ولكل الذين يطرقونه فى زايته الالفية ان ينتفعوا به انتفاعا تاما ؛ ادى به الواجب عليه نحو الامة ومن لا يعرف امزجة المرضى فاني يحصل التداوى على يديه ؛ ومن جعل الناس سوا فليس لحقمة من دواء -كما يقولون-

ان اكثر ايام الشيخ يمضيها في السياحات وكان من عاداته التي اقتبسها من عادة شيخه سيدى سعيد بن هموم المردى ؛ ان يتبع القرى مستعجلا فلا يكاد يبيت في قرية ليلتين الا نادرا جدا ؛ ومتى طلب منه اهل قرية ان يبيت عندهم اكثر من ليلة يجيبهم بان الحق الذى عليه لكل الناس يحفزهم الى عدم التريث في مكان خاص ؛ وكان دائما يسيح في طائفة المريدين المتجربين من اصحابه ويصلون غالبا مائة او ازيد ؛ سوى من يلتحق بهم من الفقراء واصحاب القرى فاذا اقبلوا على قرية يدخلونها بذكر خاص يتداولونه فرقتين جهرة ؛ وهو (الله الله لا اله الا الله) (١) بغنة مؤثرة تستفز كل اهل القرية فيتلقون الشيخ واصحابه ثم ينزلون في المسجد ولا يدخلون القرى غالبا الا بعد العصر ثم يتوضئون ويصطفون ذاكرين الى ان تصل المغرب ؛ ثم يقرأ الحزب فيسكتون سبعة يذكرون فيها اذكارا خاصة فرادى ؛ ثم يفتتح مجلس الذكر قليلا ثم يتوجه الشيخ الى التحديث الذى يراعى فيه العامة ان حضروا والا فحديث الخاصة ؛ ثم اذا طلوا العشاء وتناولوا ما اتى به اهل القرية من العشاء توجه الشيخ الى اهل القرية خاصة يعظهم ويذكرهم بلسانه اولسان وعاظ يحفظون قصائد الوعظ بالشلحة ؛ وكثيرا مايامر احد الوعاظ ان يطلع الى سطح المسجد فيعل صوتة بالوعظ ؛ فتسمعه النساء من سطوح الديار من القرية ؛ ويتحين الشيخ ذلك في ايام الصيف وكثيرا مايضي غالب الليل هكذا فيما ينفع المجموع نساء ورجالا ؛ حتى اذا راي النساء اللائي الفن منه سماع الوعظ اقبلن الى المسجد يامرهن فيعتزلن ويبتعدن عن الرجال ؛ فيتوجه اليهن بصوته وبوعاظه واما في الصباح فانه يامر باجتماع كل رجال القرية امامه ؛ فيسال كل واحد عن التوحيد . وعما يصلي به وعن مطعمه من اين يستمده امن الحلال ام من الحرام ويستتيبهم واحدا واحدا ؛ وذلك يقع بعد طلوع الشمس ؛ لان اصحابه يستيقظون دائما في وقت خاص في السحر ولولم يناموا الا قليلا ، فيذكرون جهرا الى ان يصلوا ويقرأوا الحزب ؛ ثم يذكرون جماعة حتى تعلى الضحى عادة لا يحرمونها ابدا ، وبعد ان يمتع النهار يميل كل واحد منهم الى ما يقرؤه في لوحة خاصة لان لكل واحد منهم ما يقرؤه ، فكل امي دخل معهم لابد ان يفتتح الحروف

(١) كان المعتاد في الطوائف الناصرية ان تدخل القرى بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وقد كان معهودا لطوائف سيدى محمد بن يعقوب ان تقول يا عظيم الجود يامولانا بلغ المقصود يامولانا وليعلم ان لمطلق الناس اناشيد دينية عند مزاوله اعمالهم حصادا ودراسا وتذرية للمدرّس وعند تقديم الذبائح الى مشاهد الصالحين

والهجاء ؛ كما انه لابد ان يقضى ما عليه من الصلاة ؛ امر لازم ولا بد ان يسؤدى التبعات جهده ثم يقبلون الى الزوال فبعد الظهر يسافرون الى قرية اخرى ان كانت قريبة ؛ والا فيخرجون فى النهار قبل الزوال ؛ وكان الشيخ لا يترك اية قرية امامه ؛ وقد كان يلاقى فى اول امره العنت من اهل القرى قبل ان يعرفوا مقصوده ؛ فكم ليال قضوها سغبا تعمدا من اهل القرى ؛ مع ان العادة السائدة فى سوس اكرام ضيوف المسجد ولكن الناس سرعان ما عرفوا مغزى الشيخ فيتلقى من بعيد ؛ وتتسابق الى ضيافته القرى ؛ وخصوصا حيث يكثّر مسن ينتسبون اليه كمردين ؛ وهى قبائل كثيرة فى نواحي سوس انبثت فيها زوايا اصحابه التى وصل عددها عندى ٨٩ عدا

بهذه السياحات ملا الشيخ حياته وفيها ادى واجبه كداع الى الله باخلاص وذلك فى الوقت الذى كان ءآخرون يدورون مثله فى القرى ؛ ولكن غالبهم يدورون لجمع حطام الدنيا الذى يظهر هو دائما الشمم والزهد التام ازاءه ؛ حتى عرف بذلك عند كل الناس ؛ وقد كان يجتهد فى ان يهتدى الناس الى الصراط السوى ؛ فلا يوقر احدا ايا كان ؛ وقد اشتهرت له مواقف غريبة فى ذلك ولولا حفظ الله اياه لكان فى بعضها من الهالكين •

عمله فى زاويته

كان يخرج من داره متوضئا قبل الفجر بساعتين ؛ ولا يهيل المؤذن فى السحر حتى يخرج فاذا ذاك يتوجه الى ركن فى مصلى الزاوية ينتفل ويذكر ما يذكر فى السحر ؛ على حين ان اصحابه يستيقظون اذ ذاك فقط فيتوضئون ثم يذكرون جهرا الى الفجر ثم يقرأ الحزب ثم يذكرون جماعة ؛ والشيخ فى محله ولا يمكن ان يفارقه الا فى الضحى ثم يصلى الضحى ؛ ثم ان كان عنده اضياف قام اليهم ؛ والا انعزل فى مكان ؛ الا فى اوقات الحرث والحصاد فانه يكون احد الفقراء فيكون معهم فى محل العمل ؛ ثم يبكر بصلاة الظهر فى اول الوقت بلا عجلة ؛ ثم يجتمع باصحابه فى المذاكرة الى العصر ان لم يكونوا فى شغل من اشغال الزاوية ثم يعتزل فى مكان خاص ؛ اما لملاقة اضياف واما للمطالعة واذا قربت المغرب وقد توضئا اصحابه صلى بهم ويقرأ الحزب ؛ ثم يذكرون اورادهم ثم يجلس ايضا الى درس قرآن او حديث او سيرة نبوية ، وبعد صلاة العشاء يذكر اصحابه ايضا جماعة ؛ فان لم يكن عنده ضيوف يذهب الى دار الفقيه سيدى على بن عبد الله حيث يبقى الى ان يبهار الليل ؛ ولا يشتغل هناك معهم الا فى المسائل العلمية مذاكرة او مراجعة ؛ حتى ان علامة الغ اليوم سيدى عبد الله ابن محمد يقول اننى ما استفدت الا فى المجالس التى كان خالى الشيخ يحضرها بعد العشاء فى دار الفقيه ؛ لانه يملأها علما ومذاكرة ومراجعة ؛ واكون انا هو آخر من يقوم ممن كانوا جالسين ثم اذا نزل الشيخ من دار الفقيه دخل داه وصلى وردة القرآنى ؛ وهو على ما اشتهر عند اهله وعند اصحابه خمسة من

الاحزاب ؛ ما كان يترك هذه الخمسة حضرا ولا سفرا ؛ ثم يغمض اغماضة ثم يتوضأ في السحر ثم يخرج الى اصحابه هذا هو عمله في زاويته غالبا .

تف من اخلاقه

وقع الاجماع التام على ان الشيخ عمرى زمانه ؛ بذلك كان يعرف منذ ان تدرج بين اقرانه في عهد شيخه ؛ ثم زاد فيه هذا الجد الغريب حين توجه بكليته الى ارشاد العباد الى الله واستنابتهم وزجهم في العبودية الخالصة وقد ذاعت اخباره بذلك في الحواضر ؛ حتى ان بعض كبار علماء فاس كابن الخياط ونظرائه ممن ذاقوا من مذاقاته الصوفية يحكمون بانه آخر رجال الجدة فى الطريقة ؛ فقد بلغهم ما فيه من الحزم والعزم والاكباب الذى لا يمل فيما هو بصدده ؛ فرزقه الله اصحابا كانا خلقوا لهمة العليا ؛ وصفهم الفقيه سيدى محمد بن على التادلى دفين الجديدة بانهم عفاريت سيمان ؛ لا يضجرون ولا يكلون ولا يسأمون ومن رآهم بين يديه رآى شبابا فولاذيا مخلصا نسي نفسه واهله وكونه فى الوجود ؛ والشيخ يقلبهم بهمة كيف يشاء وهم مطاوعون طاعة عمياء مع عدم ادعاء اية مرتبة باذكارهم وتضحياتهم وتعميقهم فى الانابة الى الله اى انابة ؛ فبهؤلاء يخوض الشيخ قبائل سوس كلها فى شهور كثيرة فى السنة ؛ وكثيرا ما تكون لهم سياحتان فى الشتاء والصيف ؛ وان لم يكن معهم الشيخ يقومون هم وحدهم بدوره الذى يقوم به فى الارشاد والدلالة على الله ؛ وقد كان سيدى سعيد اثنتان وسيدى الحسين بن مبارك المجايط وامثالهما من كبار اصحابه يحسنون تمثيل دور الشيخ فى الهمة واستشارة القلوب الى الله فيتركون القرى التى يخرجون منها كما كان الشيخ يتركها هياما بالله وجؤارا بذكر الله وقد كان الفقهاء والمتفقهون ومقدموا الطرق الاخرى يرون هذه الهمة فيفترقون ازاها فرقتين فمن مسلم بان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومن قائل ما قال الثعلب:

دام عنقودا فلما ان رآى العنقود طاله

قال هذا حامض لم — — — رآى ان لا يناله

ومن اخلاق الشيخ عزوفه ان يتبع بالهدايا ان خرج من عند رئيس ؛ فقد خرج يوما فى السويرة من عند الباشا عياد المناهى فاتبعه بخنشة ريال مخزنية ويكون على العادة فيها مائتان ؛ فامر اصحابه بردها له ؛ فتحيل بعضهم ليدسهل فى متاع الشيخ ووقع له مثل هذا مع القائد الطيب الكنتا فى حين خرج من داره مع اصحابه يوما . ولكن الشيخ العمرى حتى فى النباهة حين لا يندفع ؛ امر بردها امرا جازما ؛ قائلا بلسان حاله اننا نريد اصحاب الهدايا لتهديهم الى الله ؛ لاهدائهم والشيخ الذى ينطق ماعنده على الناس ليردهم الى الله ؛ كيف يقبل منهم مالا او يتطلبه منهم

لم ينفق الذهب المربى بكشرته على الحسا وبه فقر الى الذهب

ومن اخلاقه التى يواخذ بها اصحابه ولايسامحهم فيها المحافظة على عمارة اوقاتهم لاسيما فى الفرائض الموقوتة ؛ فيؤنب بل يضرب بل قد يفرم مالا ممن تاخر عن الصف ؛ وقد ضرب مرة فى تاكوتة من الاطلس كل الفقراء من طائفته الا ثلاثة لتخلفهم عن الصف ؛ وقد نزلوا تحت اشجار للقبولة فى احدى سياحاته فى جبل درن (١) ومتى صلى فى زاويته يدخل الى الدار فيسال عمن فاتتها من زوجاته وبناته الركعة الاولى فى مصلاهن الخاص بهن ؛ فيقرصها لايمل من هذا التعهد ؛ وقد بات ليلة مع اصحابه فى دار القائد عبد السلام الجرارى وهؤلاء الجرايون يحبونه ويعرفون قدره ؛ وينتسبون للطريقة ؛ فانخر القائد عن صلاة الصبح فانبه فى الجماعة على ذلك تانيبا ؛ ثم امره ان ياتى بعشرريالات فلما اتى بها امره ان يشتري بها حمارا يأتى بالحطب الى المسجد وعلقه على القائد ؛ وجعل الحماد امانة تحت يد موذن المسجد ؛ وبقي الحماد سنين وبات ليلة عند القائد المحجوب الكلوى بحاجة ؛ فلم يفارقه حتى امر ببناء المسجد فى داره ليصل فيه مع اصحابه ؛ وكذلك فعل فى دار القائد الحسن النكفاني وقد مر هذان الخبران فى طريقه الى الحج ؛ وبهذا الخلق من الشيخ احيا الله فى جميع النواحي التى يطررها الدين حتى رفرت اعلامه ؛ ثم يربى اصحابه تربيته هذه ؛ فكانوا اعاجيب فى ملازمة الصف ؛ وفى المحافظة على اول الوقت حتى اشتهروا بذلك عند غيرهم

ومن اخلاقه عدم اهتباله بالتعصب لطريقته ؛ فيخالط كل اصحاب الطرق الاخرى كالناصرين والتجانيين ؛ ولم يسمع منه قط لمر لاية طريقة ؛ فقد قيل له يوما اى هذه الطرق الصوفية افضل ؟ فقال : المزية فى الرجال الذين يلتقى بهم الانسان ويتربى بهم ؛ واما الاذكار فكلها اذكار ؛ وقد كان جاره الفقيه سيدى على بن عبد الله الالفى عميد المدرسة وقرين الشيخ يذكره دائما بذلك ويقول اثناءمناقبه ؛ لم ار مثل الشيخ فانه قال لى لهماذهبا لمراكش عام ١٣٠٣ اذهب بنا الى فلان بزواية مراكش التيجانية ؛ لتاخذ من عنده ورد اخيك وايبك التيجاني ؛ ولم يعرض على قط ورده الدرقاوى ومن اخلاقه الزهد التام فى لذائذ الحياة كيفما كانت ؛ فلايطبخ فى زاويته الاطعام واحد وهو الكسكسو الساذج الغليظ الذى يكلل فى القصاع بالخضر الحاضرة من لفت وجزر وقرع وبصل او العصيدة التى تجعل الحرية فى وسطها يؤتدم بها ؛ ومن ذلك يتناول هو بنفسه ؛ وقد حاولت امراة من اهله ان تخصص له فى بعض الايام طعاما لينا فنهرها على ذلك ؛ هذا مع كثرة الخيرات فى الزاوية ؛ وعلى هذا ايضا يربى

(١) ومثل هذا التشديد فى حضور الصلاة معروف عن عبد الله بن ياسين وعن الموحدين الذين يقتلون عن ترك الصلاة كما فى كتاب (التشوف)

اولاده وكان قليل الاكل قليل النوم فمتى اراد طعاما يتناول مما تيسر او نوما اضطجع فى اى مكان وعلى اى فراش ؛ وكان اية الايات فى فطام نفسه عن الشهوات التى تعرض عليه ان نزل عند اصحابه ؛ حتى ان بعض خدمه ممن الفقراء كان دائما يرصد له بعض الاطعمة الساذجة كالعصيدة ؛ بعد ان يراه لا يتناول مما يمر به من الطواجن وامثالها ؛ ولكنه على كل حال لا يلزم حالة واحدة دائما لانه قد يواكل مجالسيه كأنه أحدهم ايناسا لهم كما هى السنة وقد يريد ادخال السرور على بعض المريدات من صواجه الآخذات عنه فيتناول من طعامهن ؛ وهذا الخلق كما ءاخذ به نفسه ءاخذ به كذلك اصحابه المتجردين فتراهم فترة بعد فترة يعلنون بينهم فى بعض السياحات تقليل الطعام الا لقيمات معدودات ؛ تعد على كل واحد منهم بحيث تقيم صلبه لا غير ؛ ثم تحصل انقصاع وهى لاتزال طافحة بالطعمة ؛ وقد ياتى من لا يتحرون الحلال بالطعام الى الشيخ فيقول لاصحابه كلوا وتبركوا فمتى سمعوا منه ذلك عرفوا انه امر بعدم الامعان او بعدم الاكل اصلا ؛ هذا ديدن الشيخ فى نفسه وديدنه مع اصحابه ؛ فقد ملكوا ازمة نفوسهم فيزهدون فيما يريدون ويتناولون مما يريدون بلاشره ويحسنون الصبر الجميل ان فقدوا ممضوغا ؛ وما اكثر ماتتوالى عليهم ليال بين قرى لاترفع لهم راسا ؛ فيمضونها سغبا ثم لا يتاثرون بذلك وكثيرا ما يقول لهم الشيخ لا يحل للفقير ان ياكل من طعام من لا يتحرون الا اذا حلت له الميتة ؛ يعنى حتى يجوع جوعا كثيرا يخشى عليه به العنت ؛ وهذا الزهد الذى ذكرناه من شمائل الشيخ يحيط به من كل جانب حتى فى مسكنه ؛ فان بناءات زاويته ساذجة ؛ بناها الفقراء بناءات متعرجة لاتزال تتداعى بادنى سبب ؛ لانه متى احتاج الى زيادة بناء يامر كل الفقراء ان يبنوا سواء من عرف كيف يبنى ومن لم يعرف ويقول : «يتعلم من ليس بمعلم» وقد مر به الرجل الصالح سيدى الحاج عبد الله بن صالح وهو مع اصحابه فى مثل هذا البناء ؛ فقال للشيخ ماهكذا يكون البناء الذى يراد تاييده ؛ فاجابه : «اننا سنقضى فيه اعمارنا على ماهو عليه ومن سيأتى بعدنا ان لم يعجبه فليبنه وفق ما يريد فقد كفيناه مئونة جمع التراب والاحجار» ثم اتبع ذلك قوله : «افتحن تاركون مانيط بنا من ارشاد العباد حتى نمضى اعمارنا ونفائس اوقاتنا فى جدران تقوم وسقوف تصحح» ؟ ان اعمارنا اقصر من ذلك وبمثل هذا الجواب فاه الشيخ ايضا وقد أمر الفقراء ان يحرنوا ماسيحرت فى مبدأ ابان الحرث او قبله قائلا : «ان حرثنا نحن فى ارشاد العباد لافى شق التراب» وهكذا كل احوال الشيخ لايبالى الا بما نصب له نفسه وجعله محور حياته ومما يعتنى به الشيخ عناية زائدة نشر التعليم ولذلك ياخذ كل اصحابه الذين يلزمونه بالتعليم الابتدائى المجدى المفيد ؛ من التوحيد وصحة العقيدة وما تصح به الديانة ؛ وماهو حلال وماهو حرام كما انه يرسل من فيه أهلية لتتبع الدراسة فى الفنون الى المدارس ؛ فيعينهم ويمدهم بالكتب فهؤلاء الاساتذة : سيدى احمد بن محمد اليزيدى والعلامة سيدى الحاج مسعود

الوفقاوى وسيدى محمد بن عبد الله الزيكى والقاضى سيدى مسعود الشياظمى وسيدى الحسين التيمولائى الافرانى وسيدى بريك بن عمر المجاطى وعشرات امثالهم هو الذى دفع بهم الى المدارس ؛ زيادة على زمرة من اهله كسيدى عبد الله ابن ابراهيم ؛ وسيدى موسى بن الطيب واخيه البشير وسيدى عبد الله بن محمد وبفعل مثل هذا فى العلماء والقراء الذين ينفعون فى المدارس ؛ فيحثهم على عمارتها ويردهم عن صحبة الفقراء فى السياحات ؛ كالعلامة سيدى محمد بن مسعود ؛ واخيه سيدى احمد وسيدى عبد الله ابن القاضى وسيدى عبد الله خرباش وسيدى مبارك الميلى وسيدى عبد الله الرركاكي وسيدى محمد بن العربى القارى الاوصالى وسيدى على التنانى وسيدى الطاهر السماهرى وسيدى عبد القادر السباعى ؛ وامثالهم من العلماء الذين استهوتهم نفحات ما يرونه بين اصحابه فيحبون ان يتجردوا وان يلقوا وراءهم ظهريا ماهم فيه من التعليم فيكبح عزائهم ويربهم ان ماهم فيه هو عين ما يطلبه التصوف منهم حتى ان سيدى عبد الله بن محمد يقول : انى ما استفتت الا فى المجالس التى كان خالى الشيخ يحضرها القواد والرؤساء الذين انقادوا له ؛ كثيرا ما يهمون ان يطلقوا ماهم فيه فيلزمهم ان يبقوا قانمين فيه بالقسطاس ؛ فاذا هم فى اعلى مجالات التصوف الحقيقي وقد اتى يوما الاستاذ سيدى محمد بن مسعود على الشيخ بهذا واطال

هكذا الشيخ يربى كل واحد فى بيئته ويرقيه فى محيطه ؛ ويراعى كل لون من ألوان الحياة ؛ فيحافظ اهله فيستمدون منه ما كتب لكل واحد ؛ وقد يما يقول الصوفية «ان الشيخ الكامل هو الذى ليس لتربيته لون واحد» كما قال بعضهم فى حال العارف : «لون الماء لون انائه» وفى (الاخلاق المتبوية) للشعرانى ما معناه : ومن اخلاقهم - يعنى الصوفية - انهم يبقون من اتباعهم من كانوا ينفعون العباد من علماء الدين على ماهم عليه من الافتاء والتعليم ؛ ولا يرفعونهم من ذلك المقام ؛ لانه مقام محمود مطلوب ان يقوم به امثالهم ؛ وانما الواجب ان يقوموا فيه بنية حسنة او كما قال ؛ الى آخر ما فى كلامه .

هذه قصة صغيرة من اخلاق الشيخ فى تربيته وفى احواله وفى اجتماعاته ويكفى من القلادة ما احاط بالعتق ؛ وقد بسطت اخباره هذه فى كتاب (الترياق المداوى)

الشيخ فى انظار معاصريه السوسيين وغيرهم

كان المعروف من الطرق الصوفية فى سوس الطريقة الناصرية وحدها ولا ريب ان هذه الطريقة قد اسست على السنة فى كل مظاهرها؛ لامت فيها ولاعوج ؛ ولا يجد فيها اى قائل ما يقول؛ وماذا يقال فى طريقة هادئة ناصحة مرشدة معلمة ؟ لا يعرف منها الا اذكار افراد يذكروها من تلقاها ، ثم لا اغراق فيها فى اجلال المشايخ الا لما ؛ وقد يجتمع اصحابها على الصلاة على النبى

ملى الله عليه وسلم ؛ ثم ما عرفت سوس هذه الطريقة الا بواسطة العلماء الذين خرجوا من تامكروت فرجعوا يؤسسون المدارس اذا كانوا علماء او بواسطة فقهاء اميين ءابوا فيعلمون الدين الصحيح في الاسواق وفي المواسم وفي المجتمعات وهم كلهم معروفون بالاهتداء ونصح العباد والاخلاص فيما هم فيه ؛ ولهذا صارت سوس كلها قاطبة بلا استثناء ناصرية ؛ ياتى اولاد الشيخ الناصري فيلقونهم قبيلة قبيلة باجلال عظيم واهتبال كبير ؛ فينفعون في اصلاح ذات البين وفي فتح العيون العمى والاذان الصم والقلوب الغلف ، حتى الف الناس هذه الطريقة ونسأ فيها جيل بعد جيل من اوائل القرن الثاني عشر الى ان كاد يختتم القرن الثالث عشر

ثم فيما بعد عام ١٢٦٠ هـ اتصل بعض فقهاء سوسيين بالشيخ الاديب الكبير اكسسوس فقلقتوا منه الطريقة التيجانية كسيدى الحسن بن الطيفور الساموكنى نزىل تزىت المتوفى نحو عام ١٢٧٤ هـ وسيدى عبد الله بن محمد بن احمد الادوزى نزىل العوينة المتوفى نحو عام ١٢٨٢ هـ وسيدى سعيد الدراوى نزىل كسيمة المتوفى نحو عام ١٢٨٦ هـ وسيدى احمد بن محمد من ءال حساين الططائسى المتوفى في نيف وتسعين من القرن الثالث عشر وسيدى الحاج الحسين الافرانى نزىل تزىت المتوفى عام ١٣٢٨ هـ وسيدى الزبير البعمرانى المتوفى نحو عام ١٣٥٠ هـ الاخذ عن السائح الرباطى وبهؤلاء الاساطين الكبار ابتدأت الطريقة التيجانية بسوس ولكنها في مبتدأ أمرها لم تنتشر الا عند افراد قليلين جدا ، وقد كان اهلها الاولون يعتزرون بها ولا يعرضونها عرضا ، كما كلن الدرقاويون يفعلون

وفي الوقت الذى دبت فيه التيجانية الى سوس دبت ايضا الطريقة الدرقاوية فكما كان لاكنسسوس المراكشى يد في نشر الاولى ؛ كان لشيخ اخر مراكشى يد في نشر الاخرى وهو الشيخ سيدى احمد بن عبد الله من اصحاب الشيخ مولاي العربى ، وود عليه من سوس اولاء الحاج مبارك الهوارى الكلوشى ؛ وبوتكلاى الذى اسمه الحقيقى هو الحاج محمد البلفاى ؛ ثم اصطحب بعد حين سيدى سعيد بن هوو المعدرى الثانى منهما الى ان كان السوسسيون الذين يترددون الى الشيخ بمراكش سبعة ؛ لم يظهر منهم الا الشيخان سيدى الحاج مبارك العالم اتجيل الذى له مؤلفات رابنا بعضها وقد خلفه بعد موته سيدى عبد القادر البعارىرى ؛ وقد كان للزاوية المباركية اتباع لم يكثروا ولكن الشيخ سيدى سعيد بن هوو المعدرى الامى طفتحت ساحته بكثيرين ؛ فيهم علماء خناذيد كالعلامة سيدى محمد بن ابراهيم التامانرتى والد شيخ العصر سيدى الطاهر بن محمد الشهير ؛ كالعلامة الاديب سيدى الحبيب البوسليمانى الجرادى ؛ وجنيد زمنه سيدى الحاج الحسن التاموديزتى والعلامة المدرس سيدى محمد بن المحفوظ الادوزى وكثيرين يصلون نحو اربعين عالما كلهم تعلموا لهذا الشيخ الامى وبالشيخ الامى سيدى سعيد بن هوو هذا ظهرت الطريقة الدرقاوية باحوالها الخاصة التى لم تولف في الناصرية ؛ كما لزامة المرقعة عند

المتجربين فقط وخرق العادة فى الاسواق ؛ متى اريد ازالة الكبير ممن فيه الكبير وبالمجاهدات الدائمة ؛ وبخلق الاذكار بالمدولة بين الاشعار وبين الهيلة على نعمة خاصة ؛ وبما يقومون فيه حلقة واحدة مستديرة وهو المسمى عندهم ذكر العمارة وبالجهر بالاذكار فى الطرقات وفى الاسواق .

بهذه الاخلاق ظهرت هذه الطريقة فقامت الناصرية واهلها ضدها تعلن ان ذلك بدعة ؛ ولكن نشاط اهل الطريقة الجديدة وحسن نية معتنقيها ؛ وما كان عليه شيوخها من روحانية قوية عجيبة ؛ وما تؤثره فى كل من اليها كل ذلك فتح الطريق امام شيوخها ؛ فكان الشيخ يسبح باصحابه ؛ ويدل الناس على الله فى ضمن طريقته وقد استطاع بعض من اعتنق هذه الطريقة ؛ وقد حج ومر بمصر ؛ ان ياتي من هناك من عند كبار العلماء بان هذه الطريقة التى تحمل مثل هذه الاحوال تعرف كذلك فى الشرق من قديم ؛ وقد قرأت انا بنفسى هذه الفتاوى التى اتى بها سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتى لما حج علم ١٢٩٣هـ هكذا ابتدأت المعركة بين الطريقتين الناصرية والدردقاوية الاولى تدل بمظاهرها السليمة ؛ والثانية تدل باسرار روحانياتها ؛ ولاننس ماكان قلله سيدى على الجمل لمولاي العربى لما اخذ عنه وعلمه القدر المعلوم من لاله الا الله والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، قاله «ان هذه الاذكار اخذناها عن اهل الظاهر اهل تامكروت ؛ واما ذكر السر وهو الله فقد اخذناه عن اهل المخفية» يعنى سيدى العربى بن احمد بن عبد الله الذى اخذ شيخه عن الابى المحاسن جنود الاسرة الفاسية المجيدة المنجبة اليوم للمفكرين والزعماء والوزراء والخطباء وبذلك يعلم القارىء ان الدردقاويين يقولون انهم لايعتنون بالمظاهر فى الطريقة ؛ على اية حالة كانت ؛ فالسر فيما فى القلوب لاما فى القوالب ويقولون ان هذه المظاهر لاتقدم ولا تؤخر الفقير الا قليلا ، ولكن المدار على مافى النيات والقلوب ؛ ويقولون ماقاله المتنبى فى الفرس

وما الخيل الا كالصديق قليلة وان كثرت فى عين من لايجرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها واعضانها فالحسن عنك مغيب

وقد كان الشيخ سيدى سعيد لاميته لايدافع الا بالسنة العلماء الذين لايفارقونه ؛ فمتى جالس من يجاوله فى تلك الاحوال التى ينكرها الفقهاء السوسيون ؛ اجلس فى جنبه من يحضر من اصحابه العلماء ؛ وقد استطاع سيدى سعيد ان يتغلب بقوة حاله على كثيرين حتى ان سيدى الحسن بن احمد التمكنكشتى انقاد له يوم صالح بينه وبين قرينه سيدى الحسن التمل الايرازانى وبتأثره بحال سيدى سعيد اخذ عن مولاي المهدي الدردقاوى بمراكش من اصحاب سيدى محمد العربى المضغرى او اخذ عنه قبل ذلك ؛ وسترى ذلك فى ترجمته ان شاء الله ؛ وهكذا يقبل ويدبر ابطال الدين فى ذلك العصر تحت

رايات الطرق ؛ كما يقبل ويدبر اليوم ابطال ءآخرون تحت رايات الاحزاب وكل يغمر بيئته ؛ فان كانت الطرق اليوم لا يراها الناس بمثل النظرة التي يراها بها من كانوا امس ؛ فكذلك سيقع لهذه الاحزاب نفسها غدا ؛ والعاقل من المؤرخين هو الذى يزن كل واحد بميزان بيئته وحده ثم لما تصدر الشيخ الالفي المترجم بعد شيخه ، وقد اوتى قوة روحانية وعلما واسعا وسعة اخلاق ومخالقة لكل الناس وحضور الاجوبة ؛ دفع بالطريقة الى الامام حتى صارت اعلامها تخفق فى كل نواحي سوس ؛ لكونه يتتبع القرى ويجعل السياحات ديدنه وقد توجه الى منفعة العامة ؛ والى منفعة الخاصة والى مخالطة العلماء ؛ والى طروق الرؤساء ؛ ولكون كلامه المؤثر الذى يكتسى لونا خاصا مع كل هذه الفرق التى يتكون منها الشعب ؛ فتح له ميادين متعددة فى نفع العباد فمتى جلس الى مطلق العامة فانه لا يحدثهم الا فى التوحيد والحلال والحرام والتوبة واصلاح ذات البين ؛ واقامة شعائر الدين ولا يتجاوز ذلك فى مجامعهم الى ذكر التصوف ومتى جالس الفقهاء والطلبة يتلون بلون ءآخر يستمد من العلم مع دعوته الى الله والى التوبة والى عدم الغرور بالهذر العلمى ؛ مع كثرة تعظيمه للعلم واهله واجلال مقامهم مادام فى حدود النزاهة ، ومتى جلس الى الرؤساء يعظمهم وعظا يكرشرة ماهم فيه من العنجهية والطغيان والادلال بالسلطة ونفوذ الكلمة ؛ وكل ذلك بنان وثؤدة ؛ مع تسهيل طرق الانابة وفتح باب القرب الى الله امامهم حتى يدركوا ان ماهم فيه ان احسنوا معاملة رعاياهم ميدان من ميادين العمل الصالح واما اذا كان مع اصحابه وهم الخاصة عنده فانه يخوض معهم فى كل ما يريهم فى مقامات الصوفية الكبار ؛ ويهذب اخلاقهم ويفنيهم فى ربهم ؛ كما هو المعهود بين الاشياخ ومريديهم ؛ هذا حال الشيخ ؛ فاتسع نطاق شهرته وذاع له صيت يلبى فى كل الجنوب وازاء هذه الشهرة انفرذ فى عصره بما لم يتيسر لغيره فانشأ ازاء اتباعه الذين تزخر بهم الطرق الى زاويته الالفية وازاء الذين يكبرون شأنه من غير اتباعه الاخصاء ؛ مالا بد ان ينشأ من اقوال تصدر حيناً من بعض رؤساء الطرق غير الطريقة الدرقاوية حوله ؛ وذلك طبعى ما دام البشر لا يخلو من ان ينفس بعضه على بعض ، ومن حسدة يتقولون ويصطادون ما يدعون به كل ما يقولون ؛ وغالبهم من الطلبة اصحاب الاهواء الغافلين السادرين فى غلوائهم ؛ ولا سيما ان تلقفوا اذكارا يثابرون عليها تلاوة فقط ؛ فحسبوا انفسهم بذلك من الصوفية الذين يحق لهم ان يزنوا بموازينهم كل ما يعن لهم فتراهم يقولون ما يقولون ؛ لآعن تثبت ولاعن علم ؛ بل ولاعن عقيدة صحيحة عند بعضهم ثم يخالط اقوال هؤلاء الطريقين والطلبة الاعمار اقوال فقهاء يتكلمون عن عقيدة وحسن نية ؛ وما مقصدهم الا ان يعلنوا للناس ما يعرفون انه السنة الواه البدعة فمن المجموع تكون ماعسى ان يجده المطالع فى كتب تاريخية معاصرة سوسية حين تترجم للشيخ الالفي الذى كان يسمع كل ذلك وتصله جلبته وضوضاؤه من بعيد ؛ ولكن لم يكن يبال ؛ ولا عرف منه انه دافع قط ولا اجاب

ولاناظر ولااستثار من ينافح عنه بل ذهب قدما الى ماكرس له حياته ولسان حاله ينشد ما قاله بعضهم

لنا عند ربع العامرية مقصد اليها قصدنا لا لدعد وللايل

فلم يزل شأنه يعلو وصيته ينتشر ؛ وصوت اضداده القدماء كالعلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى يخفف شيئا فشيئا حتى كان مالا بد ان يكون من شغوف العاملين

هذا فان كان لهذه الطائفة الحسنة النية ماتواخذ به الشيخ من بعض مظاهر فى طريقته ؛ فليس لهم مايقولون فى ارشاده العام وفى تعليمه لدهمء الامة وذوده عنها بغيرة وطنية كان فيها فريدا فى عصره ، فان هذه المواقف جعلت له مقاما خاصا لاينكره عليه احد وهو لب حياته ؛ فهانحن اولاء الان وقد ذهب ذلك الجيل وانطوى سجله وصوت الشيخ لايزال يدوى ؛ وماكان يقوم به هو الباقي الوحيد ؛ واما مايتقوله فيه المتقولون ويظنه فيه الخراصون ويرميه به الجاهلون لتحقيقه ماهو عليه او المتجاهلون فكل ذلك طار اليوم ادراج الرياح (فاما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث فى الارض)

بعض اقوال المثنين عليه

قيل يوما فى حضرة الشيخ سيدى الحاج الحسين الافرانى رحمه الله فى الشيخ الالفى شىء من بعض مايقول من لايتقون الله فيما يقولون ؛ فنار لى وجهه سيدى الحاج الحسين قائلا «ان لم يكن الشيخ سيدى الحاج على رجلا اليوم فى ميدان الدعوة الى الله فارنى رجلا آخر غيره»

وقال سيدى الحاج احمد الجشتيمى وقد جرى ذكر الشيخ «ان الشيخ سيدى الحاج على فى مقام آخر غير مانحن فيه ؛ فقد فتحت له ابواب شتى فى نفع العباد ؛ ولم يفتح لنا نحن الا واحد او اثنان»

وقال الشيخ سيدى المدنى الناصرى «ماكنت ارى من سيدى على بن احمد الا انه سيكون ذا شأن فها هو ذا ابتداء فيما كنا نظنه فيه ؛ قال ذلك سنة ١٣٠٦ هـ والشيخ سيدى الحاج على اذ ذاك كما ظهر امره ؛ وطلع فجره وقد كان يلزم مجلس سيدى المدنى فى تانكرت حين كان وهو ياخذ عن سيدى محمد بن ابراهيم اعوام ١٢٨٩ = ١٢٨٩ هـ لايتخلف عن مجلس الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ساح الى تانكرت فى طائفة كبرى اهتز بها ذلك الوادى حوالى عام ١٣٠٦ هـ فقيل لسيدى المدنى فى الشيخ فاجاب بذلك ، وقال الشيخ ماء العينين : «لوكشف الحجاب عن همة الشيخ سيدى الحاج على ماتبعنا احد» قال ذلك اثر مازاره الشيخ فى تزيت بعد نزوله فيها ذهب اليه بطائفة كبرى فاستقبله الشيخ ماء العينين فى بساط كبير انتظم فيه مئات من اصحابه ؛ فلما

خرج من عنده افضى بتلك القولة الى بعض اخصائه ؛ فاخبرني هذا بها

وقال الفقيه الصالح سيدى الحسين بن بيهى التملى المتوكى «اشهدوا
يا من حضر هذا المجمع اشهد ايها القائد ، وانتم يا خلفاءه وجميعكم يارؤساء
قبيلة متوكة انه ما دى الحق الواجب على العلماء فى عباد الله الا الشيخ سيدى
الحاج على وحده» قال ذلك فى مشور دار القائد عبد الملك فى بوا بوض ، وقد
بات هناك الشيخ ثم خرج ؛ وخرج كل الذين فى دار القائد وخرج القائد
وخلفاؤه فاصطف الجميع صفوفا صفوفا ؛ واقفين مطرقين ؛ فيصول فيهم
الشيخ بمواظله المؤثرة حتى تأثر كل من حضر ؛ وعلا نجيبهم ؛ وقد كان الفقيه
من حضر فلم يملك نفسه ان قال ما تقدم

وسمعت سيدى الحاج على بن الطيب ابن مولاى العربى الدرقاوى بداره
بفاس يقول : «رحم الله الشيخ سيدى الحاج على السوسى فقد احيا الله به
البلاد والعباد وقد كان يعرفه قديما يوم زار دارهم سنة ١٢٩٩ هـ فاخذ عنه نبذة
من مختصر خليل ثم صار يتتبع اخباره ؛ فيعجب بتربيته التى تبلغه اخبارها»

وقال سيدى احمد بن الخياط شيخ الجماعة بفاس : «ان التربية الاصطلاحية
التى كان عليها مولاى العربى الدرقاوى قد انقطعت بعده حتى احياها الشيخ
سيدى الحاج على السوسى فى سوس ؛ وهو آخر الشيوخ الكمل فى هذا الشأن
قال ذلك مع انه لم يلاقه ؛ وانما سارت اليه باخباره احاديث الركبان

وقال سيدى الحسين الزرهونى ذفين احواز الجديدة «رايت من رايت من
مشايخ العصر ؛ ولكن لم ترعيني مثل الشيخ سيدى الحاج على السوسى فانه
يربى اصحابه حتى ليحسبهم من يراهم ملائكة ؛ وقد رايتهم شابا ولكنهم فى
وقار الشيوخ ؛ وقد اقتطفوا ثمر التصوف ؛ واجتنبوا غيرهم او راقه» قال ذلك
بعد رجوعه من زيارته عام ١٣١٦ هـ

وقال ابو الاسعاد الفاسى فى الشيخ : «انه آخر اصحاب الجد فى هذا
العصر» .

وقال الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح «ما وضعت يدى فى يد الشيخ
سيدى الحاج على حتى تيقنت ان مقامه اعلى من مقام جدى سيدى احمد بن موسى»

وحدث الفقير احمد بن الطيب الزكرى ؛ انه سمع من سيدى الهاشمى
التيمكيد شتى انه قال له وهم يذكرون المشايخ : «اتريد ان اقول لك ما تعول عليه
وتدع عنك الثرعات ان الشيخ الدرقاوى بالغ قد وضع اليوم رجله على كل رقبة
كما علت طريقته وحاله على كل الطرق والاحوال»

وقال الشيخ سيدى محمد العربى المظفرى لبعض من ذكر له احوال الشيخ
الافقى عام ١٣٠٨ هـ : «ان هذه الاحوال التى ذكرتها لا ينصف بها الا العارفون

الافذاذ ؛ ولئن طال العمر بهذا الشيخ الجديد لتكسفن شمسهُ كل نجوم تلك الجهة»

وقال الشيخ سيدى محمد النظيفى «هكذا يكون الفحول لا يخافون من احد ؛ فانى اتجنب دائما مخالطة اصحاب الاحوال لئلا تفيض عينى ببجلهم واما العفريت سيدى الحاج على فانه لا يهاب احدا ؛ فقد جاء الى ليلقانى فهربت منه خوفا ان يشربنى لقوة روحانيته ولغلبة حاله ومن هو مثيله فى هذا العصر؟»

تلك اثاره مما امكن لى جمعه من اقوال بعض معاصريه من غير اصحابه واما اصحابه فانهم يرون له مقاما اعلى من كل المقامات ؛ والعجيب اننى كلما جلست الى واحد من اصحابه لاكتب عنه مراءه من الشيخ اسمع منه عجائب وغرائب عنه ، فما شئت من توجيه الى الله وحده بحيث لا يلتفت الى غيره الا بمقدار الامور به من الاسباب المشروعة ؛ ومن مكاشفات وكرامات وخوارق وروحانيات ؛ وهذا شئ طال منه عجبى انا قبل ان يطول به عجب من سيقرا هذا بعد الغد ؛ وقد رايت كثيرا من اتباع المشايخ ؛ فمارايت مثل اصحابه فى اسقاط الدعوى وتعظيمهم له تعظيما لا يصل الى حد الغلو الا فى قليلين جدا ولاجلالهم لمقامه ؛ ولتمرنهم على سقوط الدعوى قل فيهم البارزون بعده الى المشيخة حتى ان من برز منهم لا يرى لنفسه مقاما ؛ وهذا شئ رايت وخبرته وكنت به من المومنين وما راء كمن سمع ؛ اكتب هذا لاعن تحيز لعلنى ان الله يراقبنى ويكتب عنى ما اقول

قول المؤرخ سيدى علي بن الحبيب فيه

هناك اثنان ممن ارخ لمعاصرى الشيخ من السوسيين احدهما سيدى على بن الحبيب التيجانى الطريقة ؛ وقد حاول ان ينصف الشيخ ؛ ولذلك ذكر كثيرا من احواله العجيبة والم بنواح كثيرة من حياته وثانيهما الفقيه سيدى محمد ابن احمد الاكرادى وهو ناصرى الطريقة ، وحين كان القارىء ملما فيما تقدم بما بين الطرق فى ذلك الوقت من تنازع السيادة ؛ وحين كانت الناصرية هى الطريقة القديمة التى شاخ عليها الكبار ؛ وشب فيها الصغار ؛ كان تعصب اهلهما اعظم واكبر من غيرها ؛ ولذلك ترى مما قاله الفقيه الاكرادى تحاملا ظاهرا فى جناب الشيخ وقد ورث ذلك عن استاذه سيدى محمد بن العربى الادوزى الذى كان ينادى فى موسم سيدى احمد بن موسى على رؤس الاشراف بان الدرقاويين مبتدعون ؛ ولكنه اخيرا غلب على حاله لما راي غالب من اخذوا عنه خرجوا عن طريقته الناصرية الى الدرقاوية ثم سقط فى يده يوم يرى نفسه مصاهرا للشيخ الاكبر فى الطريقة الدرقاوية على بنته -وانا ابن بنت سيدى محمد بن العربى اكتب هذا- ولذلك ارسل تلك الصيحة التى ضمنها تلك القصيدة التى تافف فيها من مصاهرة الدرقاويين ؛ وسترى بعض هذه القصيدة

في محل آخر

وهاك مباحثه الاديب على بن الحبيب السكراني

ومنهم الفقيه العالم الرباني الشيخ الصمداني المربي الصوفي السالك ؛ سيدى الحاج على بن احمد الدرقاوى من (تحت الحصن) السمالى الشيخ المشهور ؛ كان هذا السيد رحمه الله حاملا لواء الطريقة الدرقاوية في هذا القطر السوسى ؛ وله فيه تلاميذ لا يحصون عددا ؛ وزوايا كثيرة معمرة وكان في اول بدايته تعتريه احوال جذبية ؛ يمسى في حال ويصبح في حال آخر ؛ وكان يلبس المرقعة ويحمل العصا ويذكر في الاسواق بالجهر في الطرقات ويأخذ الفتوحات ولايبالى ؛ وكان له كيس مثقوب كلما طرح فيه شيء سقط الى الارض ؛ ويسأل الناس ويقول على عادة الفقراء «متاع الله» وهو في هذه الحال في بعض الاسواق اذوقف على الشيخ سيدى الحسن بن مبارك التاموديزتى مع الفقيه سيدى محمد بن العربى الادوزى يتحدثان في ظل جدار ؛ فقال لهما : «متاع الله ؛ متاع الله» فضحك الشيخان ثم قبضا على جلبييه وقالاه : «ياشيخ هذا الذى انت فيه من دسائس النفس ؛ ما زلت لم تخرج عن هواها لانها لاتحب الا الاخذ ؛ ولكن ربها وعلمها هاك متاع الله هاك متاع الله ؛ فهل كانت تقبل منك ام لا) فاعرض عنهما ولم يبال بكلامهما وذهب ، (اقول ان الشيخ التاموديزتى سبق المترجم الى هذه الطريقة ولا بد ان هناك غلطا فيمن كان اذ ذاك واقفا مع سيدى محمد بن العربى الادوزى) وعلى كل حال فهو شيخ الطريقة وعالم الشريعة والحقيقة ؛ ومثله لاتفرق له العصا ؛ وكان في غاية من الكشف تظهر على يده الخوارق لقيته مرة بالركادة ؛ وانا حينئذ متقيد بالطريقة الدرقاوية اعلى الله منارها ؛ وحانت صلاة العصر ؛ فقمنا للصلاة معه وهو امام وفي القوم الفقيه سيدى محمد بن مسعود المعدرى وسيدى سعيد التنانى ؛ فلما فرغنا من الصلاة توجه الينا بوجه المنود ؛ فقال لى يافلان ؛ قلت لبيك ياسيدى قال لى اعنذك كتاب الذهب الابريز قلت له نعم قال لى هل رايت فيه حكاية الشيخ عبد العزيز الدباغ مع تلميذه سيدى احمد بن مبارك المراكشى (هكذا مع انه سجلماسى لامراكشى) حيث قال له الشيخ اتريد ان نزور سيدى موسى براس الدرب ؛ فقال له نعم ؛ وما نكره في زيارة سيدى موسى الخ القصة وقد كان في اول امره ترد عليه كثرة الفقراء ببلده وضاق به الحال ؛ قال ثم نويت ان ارحل منها الى المعدر ؛ فاستخرت الله في ذلك قال رحمه الله فلما عزم على الرحيل وقف على النبى صلى الله عليه وسلم وانا ببجيرة قرب دارى ؛ فقال لى اتريد ان ترحل الى المعدر خوفا من الجوع ؟ قلت له نعم ؛ قال لى : «لاترحل من بلدك وقال لى كل شيء يصلك الى هنا» وضرب بقدمه الشريفة الارض ؛ قال رحمه الله فطابت نفسى من يومئذ بالسكنى في بلدى فصارت الدنيا من يومئذ تزيد وتجيء من كل جهة الى ان بلغ بنا الامر الى ماترون والحمد لله (قلت) قد اقبلت

الدنيا على الشيخ ببركته صلى الله عليه وسلم من كل جهة ؛ وكان لا يستقر بداره غالبا ؛ افنى جل عمره في الاسفار والسياحات مع طوائف الفقراء وكثرة سياحاته الى جهة الشرق درعة وحوز مراکش وحاجة وادواتانان ؛ حدثت بعض فقرائه ان زواياه نافت على مائتين وكان معظمها عند الامراء والسلاطين والقبائل ؛ لا يكادون يصون له امرا ؛ وفد مرة على فقراء مراکش وبها يومئذ السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن ؛ فلقبه واحتفل به احتفالا كبيرا الا ان الناس قد اكلوا فيه القليل والقال ؛ ومعلوم في الفاضل قول الحسدة ؛ وهو في الحقيقة كمال للمحسود

واذا انتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل
فقد كتب له العلامة سيدي محمد بن العربي الادوزي بعد مصاهرته له في
شانها قوله :

بعثت اليك بعض كلي فان راعيتك كنت كلي راعيا ياخي حكما الخ
(ثم ذكر القصيدة وجوابها الذي مطلعها (جزاك اله العرش خير جزائه)
(ثم ذكر ان صاحب الترجمة رحمه الله لما لم يف بعهد الشيخ قال فيه ثانيا :
(لتصاهر في سوس درقاوبا الخ) (ثم ذكر القطعة الاخرى التي قالها ابن العربي
لما ودع بنته ومطلعها (فراق بنتي صعب الخ)

(ثم قال) اخذ صاحب الترجمة علمه عن شيخه هذا سيدي محمد بن العربي
الادوزي واخذ الطريقة الدرقاوية على شيخه سيدي سعيد المعدي وبيتهم بيت
علم وصلاح ؛ كان جدهم سيدي عبد الله بن صالح - بل هو عبد الله بن سعيد
في غاية من التقوى والولاية ؛ ثم حكى المؤلف حكاية استطرادية ثم انشد بعدها:
وما مات من ابقى ثناء مخلدا وما عاش من قد عاش عيشا مذملا

وله اشعار ونظم ؛ وقد نظم حكم ابن عطاء الله ؛ حكى ابن الجوزي في
بعض مجالسه قال «والله ما اجتمع لاحد امله الاوسعي في تفريقه اجله» (ثم
ذكر وفاة المترجم وغلط فيه اول ؛ ثم اصلح الغلط في طرة الكتاب) ثم قال :
وعهد الي ولده الكبير سيدي محمد بالخلافة بعده واوصاه ؛ (ثم ذكر وصية الشيخ
المشهورة وهي شائعة ذائعة عند اصحابه) ثم قال : وترك اولادا اصلحهم الله
اكبرهم سنا سيدي محمد وباقي الاولاد كلهم نجباء مقبلون على شئونهم وفيما
يرضى الله ؛ تشاؤا في حجر العلم والادب والتربية على شاكلة ايهم من التيقظ
والتشهير عن ساق الجد في الدين وتحصيل العلوم الشريفة ثم ذكر كلاما عن
الغزالي في الذين يخالفون اباءهم الامجاد انكالا على شرفهم»

انتهى ما كتبه المؤرخ الذي حاول ان يخالف القول الاتي للمؤرخ الاكبر ادي
في بعض ما قاله عن الشيخ ؛ فرحم الله الجميع وباقي الابيات المتقدمة توجد
في ترجمة الوالدة (رقية) في القسم الثاني ان شاء الله

قولة المؤرخ الاكراري فيه :

ومنهم شيخ المربين ومحراب المتجربين وسلوة المتقشفين ووزر المطرودين
مربي الانام ؛ ومدير كاس الهيام ومذل الانوف ومعدل الصفوف قاصع الشهوات
والمجلى عن القلوب الظلمات ؛ قاهر النفس ودافع اللبس ابو الحسن سيدى
الحاج على الدرقاوى طريقة العبالوى نسبة ؛ التحت الجبل دارا ومنتشا -يعنى
التحت الحصنى- قرأ العلم على العلامة الادوزى واخذ الطريقة على الفقير سيدى
سعيد المعدرى وعلى منواله حاك وبمسواكه استاك افنى عمره فى الجدة والاجتهاد
وجال بطوائفه فى البلاد ؛ يقيم اودهم بالدرة ويفطم بعضهم بالدرة ؛ يسوس
كلا بالاثني به ويكون لدا قلبه متنبه -كذا- فكثرت لذلك متبعوه وازدحم على ورده
مشيعوه ؛ اخذ فى نفسه اولا بالتقشف وازدان وقته بالعنف ؛ فلما امتلات
احواضه بالاناس واطمانت محافله بالاناس قلب لهم ظهر المجن ومد شباك
الزوايا لما اتى وعن ؛ وقرأ (القاها ياموسى فآلقاها فاذا هى حية تسعى قال
خذها ولا تخف) فاتته الدنيا ونال منها المنى ؛ فجمع وعدد وبنى وشيد ونكح
وشاد واكثر السواد ؛ فخطب ابنة شيخه الادوزى ؛ فجهاد ولم يقل مكنوزى
وحين كمل النكاح وبرز الزفاف من غير كفاح كتب له الشيخ مانصه وذكر
الايات التى اولها «بعث اليك بعض كلى الخ» فاجابه الصهر سيدى الحاج على
فقال ناسجا على ذلك النوال ، الا انه ليس التكلج كالتكحال - هكذا الكلمة
بخطه قائلا ان الالف للسجع- (ثم ذكر الايات التى اولها :«جزاك اله الخلق
خير جزاء» الخ) (ثم ذكر ما انتقده فى الايات) ثم قال «هذا شعر الفقراء
فليته قال فى الجواب ؛ لياتى بالصواب ويترك لفظه الظهر الذى فيه ارتياب
(ثم ذكر ابياتا له هو مطلعها فسمعا ابا الدلفاء الخ) ثم قال الشيخ -يعنى
ابن العربى - متشكيا وللقضاء مسلما وراضيا - (ثم ذكر ابياتا اولها : فراق
بنتى صعب الخ) ثم ان الصهر لم يف بالعهود ولادى الموعود بل اهان المهرة وعصى
للشيخ امره فجعلها من جملة العيال ؛ تطحن ودمعها سيال ؛ ومنعها من الزيارة
وزاد فى القحة بالنفس الامارة ؛ فتملئ الشيخ لذا وتمنى ان يفديها لو امكن
الفدا ؛ فلما اعوزه الحال ولم تراع الحرمة الرجال ؛ قال رحمه الله (ثم ذكر
ابياتا فيها النهى عن مصاهرة الدرقاوين بسوس ؛ مطلعها لاتصاهر بسوس
درقاوبا الخ) ولتنصرف عن الكر العنان طالبا من الله المنان ان يمدنا برضا
الاشياخ والغفران ويقلل عثرات اللسان ؛ وما زبره فى ذلك البنان وحواه
الجنان ؛ ويرزقنا معهم المجاورة فى الجنان بجاه سيد ولد عدنان وعليه فى كل
حين التكلان ؛ مادام الملوان ودام النيران ؛ فصاحب الترجمة حج وصام وجال
وهم وعزر واقام وخاصم فى الله وخام وصارم من استحق الصرام الى ان ادركه
الحمام فادى الامانة ورضى باختتام وذلك فى ٤-١٠-١٩٠٠ طلوع الشمس يوم

السبت عام ١٣٢٨ هـ فقال سيدى الحاج ابراهيم ايريفى «ايطاس (اى نام) الشيخ رحمه الله ورضى عنه ءامين»

ذلك ما قاله المؤرخ وقد وجب التنبيه اولا الى ان الغلط وقع له فى وقت وفاة الشيخ ؛ فانه توفى عصر السبت ٢٨ ذى الحجة عام ١٣٢٨ هـ ومن هذا الغلط الذى لم يسلم منه مؤرخنا لعدم تثبته تدرك ان الغلط يكون اليه اسهل فسر مجريات الظنون ؛ فقد افتتح الترجمة بذكر ماهو الواقع فى احوال الشيخ ثم لما رأى اتساع نطاق دائرة الشيخ ظنه استسلم للشهوات ولو اراد المؤرخ ان يعرف الحقيقة لادركها فان المئات الذين يزورون الشيخ يرون كيف حالة زاوته فى التقشف الى ان مات ؛ وانا اعلم واوقن بالمشاهدة ان اكل اللحوم وشرب الاناى اللذين هما اذذاك من مظاهر الرفاهية لانراهما فى دار الشيخ الا لهما وفيئة بعد فيئة؛ ولكن الذى حفز المؤرخ الى ما قال كونه سلف الشيخ فانه تزوج اخت زوجته ؛ فاصاخ الى تناجى النساء فى مضاجعهن وقد بينا كل ما بين الشيخ واستاذ العلامة ابن العربى فى ترجمة والدتى فى هذا القسم كما بينا ايضا بعض ما يتعلق بتزوجها من الوالد فى كتابى «الترياق المداوى» و«طاقة ربحان» واما الابيات التى اختصرناها فانها توجد فى ترجمة الوالدة فى القسم الثانى على اننى اعذر المؤرخ فما كتب الا ما اعتقد، فرحم الله الجميع وجعل الجميع فى جنة الفردوس على سرر متقابلين ؛ فانما العبرة بالنيات وهى من البواطن

بعض الامداح فى الشيخ

يقول العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود من اكابر اصحاب الشيخ ومن استقوا منه عللا بعد نهل ؛ فى اثناء قصيدته المسماة «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد بما للطريقة الالغية من اسنى الاسناد» يقول فيها بعد مدح نبوى كريم يخاطب الجنب النبوى

مالى سواك وسيلة لله ثم	سم سليل روحك غوثنا الصمدانى
شيخ الحقيقة والطريقة من غدا	نور العيون وعين نور الآذ
صبح الظلام وحل نجر عاطل	ملك المعارف فارس الميدان
شيخ الجلالة شاذلى زمانه	فرد الاوان وسيد الاقران
شيخى ابو الحسن ابن احمد من بدا	فى العصر شمس الائمة الاعيان
اعلى من الدين المنار واحييت	ءثاره بعهاده الهتان
ذوهمة فعالة وعزيمة	صوالة كالسيف يوم طعان
وله الكرامات البواهر والتقى	والعلم ليس الخير مثل عيان
اما الفراسة والكلام على خوا	طر حاضريه فئاية الرحمان
وله من التصريف امر واضح	لداخليه بدا على الاعلان
هذا على ادب يحيل به الامو	ر على مشيئته ربه المنان

يانجل احمد ياعلى علت بكم
 انت الهمام الشهم ياذا الهمه الـ
 انت الجواد متى يعد الجود ما
 ان كان يخرج منهما المرجان والـ
 فلكم ندى الارواح بالعرفان بلـ
 اوما جلوت صدا القلوب بحكمة
 وغسلت من ادراؤها وجبوتها
 فسقيتها من خمرة نبوية
 من ذا يبارى البدر فى مجلاه او
 بعد الكرائم وانتفاع الناس بالا
 احببت رسم الدين بعد دروسه
 ونصبت مرفوع الدعائم من هدى
 وبسرك انصلحت عصائب صقعا
 وبك المعارف والحقائق تجتلى
 قللت اعناق الرجال اولى النهى
 ماذا وراء النفع يطلب شاهدا
 هذا الامام العارف القاسى ابو
 قد قال ان شهود نفع الناس من
 بصميم ما منحوا من السر الذى
 ولقد سمعت بشارة من شيخكم
 قد قال انك فى مقام الشيخ غو
 هذا الى ما جاء عن اهل البصا
 يامن عليه الباب مسدود انخ
 خيم بباب الفضل والكرم الذى
 فى حضرة قدسية نبوية
 فاذا الخطوب عدت عليك وارجف الـ
 فاعطف لمن اقلت مقاليد الوجو
 هذا العماد وذا السناد وذا الغيا
 هذا الذى ما امه ذوعسرة
 هذا الذى تمنو وجوه العارفيـ
 فاذا افاد العلم فهو الشاذلى
 اخاذ افئدة الرجال بهمة
 يصطاد ارباب القلوب لحضرة الـ
 شرقا وفخرا باذخا للغرب من
 بزغت به فى «الخ» ما ادراك ما

رتب سمت قدرا على كيوان
 قعساء ياغوث اكسير العانى
 كعب وما هرم وما البجران ؟
 بدر النضيد فلذا نفيس فان
 ه الجود للاشباح بالالوان
 صمدية من سرك الصمدانى
 علقا نفيسا عالى الاثمان
 ازرت بما اروت بخمر جنان
 يرتاب فى شمس سوى العميان ؟
 مداد فى الاسرار والاعلان
 وخبو نور الحق بالطغيان
 خفضوه بالدعوى مدى ازمان
 سوسى من قاصيهم والدانى
 صرفا على رغم الحسود الشانى
 منها عقود الدر والعقيان
 بجلالة التخصيص للاعيان
 زيد من القر الكبار الشان
 اهل الولاية واضح البرهان
 خص الاله به ذوى العرفان
 العارف الاسنى ابى عثمان
 ث زمانه الجمل الرضى العمرانى
 ثر غيره فيما لكم من شان
 واحطط رحالك فى هنا وامان
 من حل فيه ثوى اعز مكان
 هذا على بابها الرحمانى
 عادى واشمتك انقلاب زمان
 د وملكته سائر الاكوان
 ث وذا حمى المستضعف الولهان
 الا وباء يحفه اليسران
 من لنور طلعتة كما السلطان
 او قاض بالاحوال فالجيلانى
 من هم فيه غدا مقود عنان
 محبوب مغنى الروح والريحان
 شمس المعارف والهدى الربانى
 (الخ) لقد اربت على البلدان

عطرت بطيبك بعد عترتك الالى ورثوا اثر المجد عن اعيان
سلف لهم نالوا العلا بولادة الـ —طيار جعفر اكرم الفتيان (١)
وبى بحرمنته انلنى المبتغى من فيض جود الواهب المنان

وبمناسبة ما ذكره العلامة ابن مسعود فى هذه القصيدة ، وبمناسبة ما تقدم عن المؤرخين المذكورين ؛ اثبت هنا بعض ما قيده ابن مسعود مما يتعلق بروحانية الشيخ ؛ ومن هناك يعرف القارىء كيف الشيخ عند اصحابه ؛ وقد ظفرت بهذه المفيدة وشيكا حين وصلت هذا الموضع من الترجمة ؛ انقلها من خط ابن مسعود نفسه ومن هذا يعرف القارىء المكانة التى للشيخ عند علامة سوس ابن مسعود ؛ بله غيره ؛ قال مانصه

«اخبرنى بعض الفقراء الاخوان انه كان فى مرض شديد من علة القرحة المعروفة بقرحة النار ؛ فلزم الفراش وعالج القرحة بالنار الا انه مازال ملازما للفراش بعد المعالجة فرأى شيخنا رضى الله عنه جاءه وهو يقظان غير نائم فكشف الثوب عن وجه المريض بيده وتفل على يده ومسح بها موضع القرحة فعل ذلك مرتين وخرج عنه ولم يكلمه ؛ فنادى المريض امراته وقال لها ان الشيخ رضى الله عنه خرج من عندى فانظروا اين هو وانزلوه فى محل الضيوف فقالت له ما رايناه ولا رآه احد فخرجت وفتشت فلم تجد احدا ولا رءاه احد من الجيران فظهر الشفاء عليه من ذلك الوقت ؛ ولله الحمد مع ان بلدة الشيخ بعيدة من بلدة الاخ المذكور ؛ بينهما مسافة قريبة من يومين

متى كان حكم الروح للجسم لم يكن ليثقل من كثافة البشرية
اذا ازدوجا وزالت الحجب التى تعوق من تناثر الثانوية
افاضت عليه الروح ما كان مودعا بها فارتدى بالخلعة الملكية
بامدادها يسير فى الجو ماشيا على الماء والدنيا لديه كخطوة

وسمعت الاخ المذكور وغيره يقول : سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول :
ما من فقير ينتسب الينا (الاوهمتنا) معه فى اى موضع كان فى جميع حركاته
(او كما قال)

ووقفت على رسالة ارسلها الشيخ رضى الله عنه الى بعض الفقراء فيها من جملة كلام له مانصه وقد اشتقنا للملاقة اكثر من اشتياق الوالدة لولدها المريض ولكن الحمد لله قبلنا مرتبه فى ملاقة الارواح ، تغنى عن ملاقة الاشباح ؛ ولذلك يسرى المدد من الاشياخ الى المريدين ؛ ولولا ذلك لم يمكن احد ان يربى احدا ولم يعرف ذلك الا من ذاقه . وكيف يكون ذلك عند من يجد

(١) انظر فى ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد ما يتعلق بهذه النسبة الجعفرية

ذاته تتمثل بذات مرديه ؛ او بذات شيخه ؛ وانما ذلك من غلبة الروح على الشجب وبذلك تقع المشاهدة النبوية عند جولان فكر اهل ذلك المقام يقظة ؛ وذكر الشيء بترك سواء هو الذى يفنى» انتهى الغرض منها

واخبرنى بعض الاخوان انه وقف على رسالة للشيخ رضى الله عنه بخط يده الكريمة ؛ فيها من جملة كلام له مانصه ولا تهملوا ارشاد عباد الله الى الله ؛ فذلك الذى وصيناك عليه (لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس من حمر النعم) فلاخير اكثر من ذلك ؛ (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله)؟ الى ان قال: وسلم منا على جميع الاحباب اينما كانوا (فهاهمتنا) معهم اينما كانوا والاحوال كلها بخير

واخبرتني بعض افاضل الاخوان ؛ من المتجربين ان بعض من ينتسب لطريقة الشيخ رضى الله عنه ممن تلقن منه ؛لقى فى بعض الامصار بعض الامراء ممن كان بينه وبينه صداقة ومع الامر المذكور بعض من جاء من قبل السلطان رسولا اليه يدعوه الى حضرته ؛ فذهب الفقير المذكور معهم صحبة الامر المذكور ؛ فلما دخلوا اغلقت عليهم الابواب ؛ وظهر للفقير انهم اريد بهم الحبس والنكال فاستغاث بشيخنا رضى الله عنه ؛ قال فجاءنى الشيخ بنفسه رضى الله عنه واخذ بعضدى وقال مالكم وللدخول فيما لا يناسبكم او ما يقرب من هذا ، ودفعه الى خارج الابواب ؛ والحرس على الابواب كالعادة فى مثل ذلك ونجاه الله تعالى قال المخبر بهذه الحكاية؛ قد حضرت الشيخ رضى الله عنه يوما وقد فرق المتجربين رضى الله عنهم لجمع الناس الى موسمه على العادة ؛ وكان فى الوقت خوف وفطنة ؛ فقال لهم ما حاصله لا يخطر ببال فقيرنا خوف اللصوص ولا السباع ولا الحيات ولا العقارب يشير الى انه لا ينبغي ان ينظر توحده عن شيخه لانه معه سره وهمته دائما نحو ما تقدم عنه رضى الله عنه

واخبرنى الفقير المذكور ان رجلا كان من رؤساء قبيلته قال له انه ورد علينا الشيخ مع الفقراء ؛ ولم يكن فى الموضع من يهتبل بهم فطلبوا علف دابته فلم يجدوه فاتيتهم بمخلاة مملوءة شعيرا ففرح الشيخ رضى الله عنه بذلك، قال ومضت مدة عن ذلك ؛ ثم لحقنى مرض لزمته منه الفراش ولحققتى منه شدة فظهر لى الشيخ وقد خرج الى من جدار البيت الذى انا فيه ويده المخلاة التى ملاتها له بالعلف ؛ قال فرفعتى من صجعتى ؛ واسندنى الى الحائط وجعل بينى وبين الجدار تلك المخلاة وهى مملوءة شعيرا ؛ ثم دخل فى الجدار فى الموضع الذى منه خرج ؛ وجاءنى بحمد الله الشفاء فى الحال

واخبرنى بعض الاخوان من الفقراء ان بعض رؤساء قبيلته لقنه الشيخ رضى الله عنه الذكر ؛ فنهاه عن مخالطة رؤساء القبيلة وامره بالاجتناب والانكفاف عما هو شأنه قبل الانتساب الى الشيخ وبعدما فارقه جاءه فى بعض

الايام رسول الرؤساء المذكورين يستدعونه الى مجتمعهم كالعادة فجاء اليهم ؛ فلما كان في الطريق احس ببطنه تحرك عليه كأنه يريد الاستفراغ ؛ فذهب الى محل قضاء الحاجة فلم يمكن له الاستفراغ فذهب اليهم فلما جلس اليهم لحقه مرض البطن ؛ فقام عنهم الى داره وبقي كذلك الى مضي سبعة ايام وهو بحال المرض المذكور محصور عن قضاء حاجة الانسان وفي اليوم السابع بقرب الزوال اخذته غفوة من المنام ؛ فرأى الشيخ رضى الله عنه قد خرج من بعض بيوت دارالرجل المذكور ؛ وجاء اليه ومسح بيده الكريمة على بدنه فانتهى ؛ ونظر في جوانب البيت الذي هو فيه كأنه بحال فزرع فسألته زوجته ما بالك فحصل له الشفاء في الجين ؛ وقام من فوره وذهب الى الكنيف لقضاء الحاجة انتهى ما نقلته (مع بعض اختصار) من خط الاستاذ، سقته كتمة لما هو في القصيدة النونية؛ ولمعرفة ناحية اخرى عن الشيخ مما يتداوله عنه اصحابه وتتكبر نحن الاكثار منه . لان ذلك ينافي بعضه سنن الكون التي لا يومن الا بها عند غالب أهل هذا العصر وان كان المومن يوقن بان الله قادر على كل شيء مما يخرق عادة تلك السنن

ومن امداح ابن مسعود في الشيخ قوله :

باكر بها	لمرابيع الزهراء	تلق المنى	بالقاعة الوعساء
واجل بمسرحها	الفسيح الطرف واه	رح ناعما	بتواصل السراء
انخالني	كلفا بغزلان النقي	او وصل كل	خريدة غيداء
حسبي	هوى فئة تظن وجوههم	زهر النجوم	تضيء في الظلماء
نور السرائر	في الاسرة لانح	متبلجا فيهم	لفرط صفاء
جلي مرايا	القوم صيقل حكمة	وهداية من	عارف الغبراء
الشيخ قطب	العصر سيدنا ابي ال	حسن بن احمد	فارس الهيحاء
ياكعبة ياوى	لساحة برها	اهل القلوب	وجلة العظماء
ياروضة من	جنة بل حضرة	تنسى نعيم	الخلد بالالاء
يانجعة المرتاد	يانور البلاء	د وملجأ	الملهوف في الحوباء
طال التقاعد	والتكاسل بالفتى	فسعى لبابك	سيد الكرماء
قصدي من	الكرم العريض اغاثة	بتخلص من	كربة الاواء
برحيل هذا	القلب عن كدر العوا	تد والحظوظ	وغفلة القرناء
وتعلق بالله	في الاحوال والـ	جمع المزيل	لمعضل الادواء
انت الملاذ ومن	يلوذ بك احتفى	في دهره من	فادح الاسواء
انت المعز لمن	هواه هوى به	لهضيمة	الارجاس والارحاء
انت الطبيب لكل	من جنت به	نفس تبوء به	الى الرمضاء
انت الممد بنظرة	يرقى بها	قلب الحضيض	لهمة قعساء
انت المنفس	كربة المكروب يـ	هـب قلبه	بشماتة الاعداء
انت المسود	والتنوج تاج اـ	لـ الله	باب مصادر الاشياء

انت الخليفة عن رسول الله ما
 انا غرس نعمة سادتي فليدركوا
 حاشاكم ياسادتي ونداكم
 حاشاكم حاشاكم ان يحرم الله
 والجاه اعظم والعوارف جمعة
 لولاكم ما كان يطعم في النداء
 او لم تفيضوا من جدا نفحاتكم
 حيث بنورك شرعة التوحيد وان
 واقمت سوق العشق بعد كسادها
 وعمرتها حللا يفوح بها من الله
 ويح الجهول اما كفاه تبجر الله
 وتهذب الجلف الغليظ كما استحا
 هاذي عجالة راكض ناداه دا
 واليكها شيخ المشايخ ترتدى
 بنت السبيل على كلال قريحة
 فان ازدهت مهاجوت من نشر طية
 فمن اطباء جمال بركم فلا
 لازال جودك وابلا ينهل للـ

وحين اطلع على القصيدة شيخنا الاديب سيدى محمد بن الطاهر
 الافرنى قال فى تقريرها

لاحت فاعشت اعين البصراء
 اخفت نجوم قرائح لما بدت
 وسرت روائحها معطرة فما
 وهمت بودق بلاغة وفصاحة
 وتبلجت بلوائح الاسرار مثـ
 وزهت بطلعتها على خود ثنت
 سرت قلوب العارفين لانها
 مدح الكريم الشيخ سيدنا ابي الله
 شيخ الهدى بحر الجدا من فضله
 العارف الجهم المحاسن من له
 وابانها الشيخ الذى دانت له
 الناقب الذهن الرفيع المجد والـ
 ذاك ابن مسعود الامام محمد
 ورث المكارم عن جدود كلهم
 بشراك انك نلت ماتبعيه من

شمس الذكا باشعة وسناء
 والزهر يحق نورها بدكاء
 نفح الزهور مطيرة وكباء
 ازرى بما يهمنى من الانداء
 سل تبلج الانوار فى الظلماء
 اعطافها بالعجب والخيلاء
 حاكت مديح معطر الانباء
 حسن ابن احمد قدوة العلماء
 اغنى عن الانشاد والانشاء
 صيت سرى بشواسع الارحاء
 شمس المكارم دون طول عناء
 سعالى عن التسرين والجوزاء
 من معدر قد حل بدر سماء
 غرر الدهور وكاشفوا الحوباء
 فيض ومن سر ومن نعماء

اجلال والاعظام والالاء
ست عوارفا من حضرة غراء
بك ياحليف سيادة وعلاء
فضل عظيم جل عن احصاء

وحبيت بالانوار والاسرار والـ
ابه ابا عبد الاله فقد منحـ
لما نزلت بها ازدهت وترجبت
فاهنا بما أوليت من مولاك من

وله فيه ايضا :

وعوجا بها وهنا لمكنس غزلان
سقتها غواذى المزن من سح هتان
يفاد لها نضير زهر وريحان
نسيت بها فردوس حور وولدان
تملى بها لبي وروحي وجثمانى
انار بلابلى بتغريد الحان
من الدمع غرب دوسكوب وتهتان
فتحتاج لوعتى بجيران غسان
ازيد به الاصابة هيمان
برضوى لذاب من حرارة اشجان
دموع محاجرى لفرقة خلان
محاسنه فى العصر زينة اكوان
معالى الهوى ان ماله فيه من ثان
تفضائله كالشمس فى سطع برهان
اليها النهى من حسن لفظ وتبيان
من الدر ما انسى جواهر تيجان
كزهر النجوم زانها حسن ايقان
تدار بها مدام حب وعرفان
بها سلسبيل لاحميم ولاء ان
ضليل عن الخيرات فى الارض حيران
طرائفها لكل غرثان صديان
منفدة تزهو على عقد مرجان
كما سرت الصهباء فى عقل تشوان
لاوج فناء الجمع منزل احسان
ينيب بها لله كم من فتى جان
زهادة موسوما ببهجة ايمان
بعزم وصدق فى تبذل رهبان
وحزم وجد عن بصيرة يقظان
بها سلك الهداة من كل ربانى

قفا بالمطى فى اراكة نعمان
وأما بها صوب الحبيب مرابعا
بها نشر النسيم من كل نفحة
منازل من اهوى منازل للصفاء
اذا ماصبا نجد سرت نسماها
وان غرد القمري فى غصن ايكه
اكاتم شان الوجد ثم ييشه
وتروى احاديث الهوى ورعيه
وانى لاستحلى اذكاهم وما
ولو ان ما الاضلاع منى تكنه
وما شافنى وصل الغوانى ولاهمت
تجمعت الاهواء فى حب من غدت
وذاك امام الدين من شهدت له
ابو الحسن ابن احمد الغوث من بد
ابان دقائق الحقائق فاهتدت
وجلى بما حلى به كل مسمع
افاد وهذب القلوب فاصبحت
مجالسه رياض جنة ازلفت
وينقع من انهارها كل غلة
وفيه شفاء كل قلب مكدر
نتيجة خلوة مع الله جلست
فما شئت من معنى لطيف وحكمة
ومن مدد يسرى بنور محبة
ويرقى به من سفلى فرق مشئت
ومن كلمات يفلق الصم وعظها
فيصبح من بعد الغواية واضح الـ
على قدم التجريد للحق سالكا
وعلم واشار بمال ومهجة
على سنن العلم القويم لحجة

اناس من التوحيد صيغت نفوسهم
هم الانجم الزهر السواطع للعلا
هم القادة الاخيار شم ججاج
لهم في السهول والنجد موطن
هم القوم لاشقى جلسهم ومن
هناك الهلال موذن بتمامه
اشمس الهدى بدر الفتوة مقتدى
خلفت الامام الشاذلي بهديه
واحيت من رسم الطريقة ما عفا
وشرفت من تلك البقاع معاقلا
طلعت بها سعد السعد وزهره
لينا بلاد القرب انك ناشئ
تظلفت بالقريض ابغى امتداحكم
ولو مدلى فى الباع سيرت نحوكم
ولكنها الاقدار تعدل بالفتى
«اهم بامر الحزم لو استطيعه
بقيت لاهل الدين روحا تدهم
وازكى سلام طيب النشر فائسح

وله فيه ايضا

ياسيدا من نوره الوضاح
زانت بك الايام غرة اهتدت
الف التحايا من الهك يقتدى
تسقى نديم الروح فى نادى الندى
تزداد منه معارفا ولطائفا
ماذا يعد الشعر من شرف ومن
هبنى بسطت القول اوصفت الندى
من لى بعشر العشر من اوصافك الـ
فاعذر ضعيفا مفجما قصرت به
ضاققت به سبل الكلام وضاق وقد
لازلت شمس الدين صيب رحمة

بسمت مطلعته من الافراح
بجبينها الاعلام كالاصباح
ويروح تحمله صبا الارواح
صرفا بلا مزح رحيق الراح
ومواها من ربك الفتح
مجد خصصت به من المدايح
سجود قلاندا لنفائس الامدايح
سفر التى استغنت عن الايضاح
فيما يروم بضاعة الافصاح
ست الكتب من عجل عن استفتاح
تحيا به الارواح كالاشباح

وله ايضا يخاطب اصحاب الشيخ:

ابى الحسن الالفى ياسلوة القلب
بهم دارهم فالجمع فى وحدة الحب

اسادتنا صحب الامام الرضا القطب
سلام عليكم من محبين ان نات

وينهون انهم لفرط تشوق
فمنوا تفضلا عليهم بزورة
بقيتم نجوما للهدى بسنائكم
الكم كما الظمان للبارد العذب
تزيد بها صباة الهائم الصب
تراح غشاوة الخطوب عن اللب

وله فيه ايضا

ليهنكم يا آل الخ مفاخر
سموتم بدورا بل شموسابنوركم
فابقاكم للعلم والفضل والهدى
فخرتم بها من بين غرب الى شرق
تفتق زهر الفضل من بعد مارتق
اله حباكم فى العلا قصب السبق

وله فيه ايضا

نسمات الرضا وروح سلام
شيعنا الاوحد الهمام امام الـ
شاذلى الزمان روح الكمالا
تهتدى دائما لمفخر الخ
سعر قماع كل غى وزين
ت ومجى الهدى وطارد نزغ

وله فيه ايضا :

سقى الله الحمى من تحت حصن
هناك من الاماجد كل ندب
هناك احبة يسلو فؤادى
وهم روحي وريحانى وانسى
فلا برحت ماربعم رياضا
غزير الوبل من هطال مزن
وركن فى النوائب اى ركن
بذكرهم فيجلى الكرب عنى
وجنة بهجتى وجلاء حزنى
بساحتها ثمار الوصل نجنى

وله فيه ايضا

تلك شمس القلوب بانث فتاهو
عللانى فالاسم عين المسمى
وتلاشى بنوره كل شئ
ياغريبا هم الكرام اصيخوا
بلسان عن حضرة القدس يشى
ارحموا العبد مئة واقبلوه
ياعلى بن احمد من به قد
وتعطر غربنا بشذاه
يااماما قوت القلوب واحيـ
له در السعيد شيخكم قد
عارف اثر عارف وشموس
ان فى القول لاتساعا ولكن
فعليك تحية وسلام
ام سبى اللب سمع قول الفتى «هو»
بحديث من طاح عنه سواء
صار عينى اذا انا اياه
لعبيد يهدى اليكم ثناء
منكم واليكم منتهاه
فهو ضيف لكم وفكوا عنه
طاب سوس وذكره وسناه
وبانواره استنار دجاء
ساء المعارف من مفاض نداه
طب فرعا وطاب اصل جناء
نخبة الشاذلى طاب ثراه
لات حين استقصائنا ادناه
يعبق الكون دائما من شذاه

وله فيه ايضا

اقول لمن قد شفه الوجد ماتبعي
انخها بنال احمد فعليهم
فلذ بحماه واحتفظ بجنابه
محل مهذب الخلائق بالتقسي
وتصبح في روض المعارف نائرا
فاجابه الشيخ بقوله

ابا طالبا سر المعارف في الخ
وداوم على ذكر الاله تر الذي
وجاهد وراقب ثم شاهد جماله

وله فيه ايضا

ياسيدا اطلعت بالسوس طلعتسه
حيتك عنى صبا نسيمها ارج
يستوهب العبد ان يرعاه خاطرهم

وله ايضا يخاطب اصحاب الشيخ من المتجردين

ياسادتي الغر العظام الشان
اصحاب عارف عصرنا الالفى ابى الـ
هبت على اشباحكم وقلوبكم
منوا بدعوة صادق متوجه
للعبد بالتوب الصحيح مع المفا
فالعبد محسوب على ابوابكم

وله فيه ايضا

حى ربع الرباب من تحت حصن
وبوادي العقيق فيه فرج
واقرا عنى تحبة من مشوق
وتمل من الجمال ونسب عن
عاقه ان يزورهم سوء حظ

وله فيه ايضا

ان فاتك القطب ذاك الشاذلى فلذ
ففر من الله بالرضوان واقتعدن

وله فيه ايضا :

وترى الهوى وسط المنى متلافا
روح الهداية للذى قد سافا ؟
يحيا فؤادك تنتعش وتلافي
فى الغ تكشف فى القلوب سجايا
يزلن طول حياته مهيا
بين الآوان قراحها وسلافا
كف تعير لغيرهم اطرافا
عندى وما اعتده اطرافا
من لايراهم غير ما قد عافا
نال العلوم وعاشر الاشرافا
الصاد ثم الدال ثم القافا
لدا ابى الحسن الذى قد صافى
ها منية القلب الذى قد زافا
لقى القبول لديه والالطافا
لايفتدى قولى لديه غرافا
متطلب من فضله اتحافا
ل الله من قد مولوا من سافا
رفع اللواء وارشد الاطرافا
فاشى اذا ما حكته افوافا
لقى كلامى فى المديح جزافا
م ومن هم قد البسوا الانصافا
الغ الهدى وعلى سنه اشافا
امواجها ان تغمر الاسيافا
بالقيث حتى افعم الاكنافا
بضياتها من كونها الاعطافا
س سوى القصور لمن غداوصافا ؟
سوهاج من انوارها اوصافا ؟
فيمن شأى الاخلاف والاسلافا
فتح القلوب وزحزح الاصدافا
متلألا ببريقه خطافا
عرضا ولو فى ساعة اسدافا
نحى الظلام عن النهى فتجافى
فيه قصر مجحف اجحافا
ض شماتلا ومناظرا ولطافا

ذق من كؤوس ودادهم فتصافى
كيف الحياة بلا شعور القلب من
فاجعلك من اتباعهم ان شئت ان
ان الطريقة قد تبلى بدرها
من لم يرد من عند منبعها فلا
مذ ذقت من رشقاتهم انسيت من
قد تيمونى من جمالهم فلا
فهم فؤادى واللسان وكل ما
فهم جمال الكون اجمع لايرى
ليس النجاة بكف غيرهم وان
فهم الدواء لغيرهم حتى غدوا
لاسيما مثل الامام القطب سيب
قاله كل محامدى جمعا في
وبابه القى الرحال لعلنى
وانا على لسن القريض اريغ ان
فانا له حسان مدح دائم
فليعلم اثقلان انى عبد اهـ
اصحاب قطب الكون من فى الغ قد
فيه القريض اذا اقول يلذ لى
لايحسب الشعراء انى مثلهم
قاله يعلم والملائكة الكرا
وجميع من قد ابصروا ماكان فى
انى كمن يشئ على الدماء فى
وكمن يطيل المدح فى غيم همى
وكمن يشيد بنور شمس الحفت
هل فى البحار وفى الفيث وفى الشمو
انى يحيط بمائها التجاج والـ
فاذا يكون المدح حقا صادقا
مثل الامام امام هذا الجيل من
وابان هذا الدين صحوا مشرقا
وازاح عن الباب من يلقى ولو
وارى العيون من الغ نورا ساطعا
فالمدح فيمن كان هذا بعض ما
وان استعار المادحون من الريا

او من عزيمة باسل متدرع
 ماذاك اجمع ما يؤدي ما هنا
 تحكى كما يحكى الصدا من شعبة
 لكن ما قد كان حقا يجتلى
 مازال مكتنما وليس يراه من
 سر من الاسرار يليقه الالـ
 واذا يمس كلام صاحبه القلو
 فينيرها نور الهدى فيكون حـا
 لاسعد الا ان تكون نظيرهم

* * *

يامن به عاد الفؤاد لا منه
 لك ما يفوق حقوق من نجلا وقد
 انقذت من سنة تمدى سجنها
 واملت من رسنى الى جهة الهدى
 فباى شكر يلتقى من كان من
 من لم يفق لم يدر ما غفلاته
 ما اغفل المستدمنين هواهم
 لكنه هيهات ان يستيقظوا
 يضع الهناء مواضع النقب التى
 مثل الامام اما منا من دابه
 خواص كل تنوفة ركاب كـ
 ماقصده الا انتشال الغافلـ
 كم من جهول غافل فى اهله
 لم يدر كيف الرشدا وكيف الهدى
 سبقت سعادته فقيد لداره
 فيسيمه رغما دواء شافيا
 من ياب تطبيب العياء بجنبه
 فاذا بذاك الغفل عاد كانه
 ادر العيون تر الالوف وكلهم
 عادوا رؤوس الدين بين هدايته
 هدى يد الغية تسدى الى
 كل ينزل فى منازل ينـا
 هذا يرى الفردوس منزله وذا
 والكل راض والمقاصد واحـد
 فتراهم زمرا اذا ما يرضعو

من بعد ان ذاق الجسو وعافا
 نحيث عن قلب العبيد غلافا
 زمنا طويلا سمت فيه تلافا
 واريتنى كيف الهدى اشراقا
 جرف القواية والضلال تلافى
 وان ارتقى العلماء والاشراقا
 وان ادعوا وتكبوا الانصافا
 ما لم يلاقوا واعظا لطافا
 كانت لكل مضرة اهدافا
 وعظ الورى فيعلق الاشناقا
 لـ هواجر فى عمره الالافا
 من وهزه بعظاته الاكتافا
 جعل الهوى فى جانبه سلافا
 ضخيم الكرادس لايميد ؛ معافى
 شيخ المشايخ حاملا الطافا
 والطب يغدو تارة عنافا
 يبصر طبيب عيائه كنافا
 ما قط عاشر همدا اجلافا
 من هؤلاء تحولوا اشراقا
 من بعد ان كانوا هم الاظلافا
 الاقوام تهدى منهم اصنافا
 ول من ثمار نظيره اقطافا
 ك يرى له من دونه الاعرافا
 ما ان ترى فى الممرعات عجافا
 ن لسر شيخهم الهنى الاخلافا

يتواردون عليه هياما ثم يصـ
الله اكبر هكذا كنا سمعـ
كالشاذلى ونجمله المرسى ان
لكن يفوقهم الامام الشيخ قطـ
بعزيمة فعالة قـوالـة
يلج البيوت على بنى الغفلات رـغـ
فيريهـم نهـجـا الى خـلاقـهـم
هـذـى المـفـاخـر لا مـفـاخـر قـصـة
سـدر كـلـهـم مـن جـانـبـه سـلاـق
سـنا عـن مـشـايـخ هـذـبـوا الاسـلاـق
صـقـلا الفـؤاد وسـاوـمـاه ثـقـافـا
سـب الـوقـت فـى اقـصـاده الـاهـداف
نـهـاضـة مـثـل البروق الـافـسـا
مـا ثـم يـكـشـف عـنـهـم الـاسـجـاق
لـقـمـا قـويـمـا لا يـرى اخـلاـفـا
قـد كـلـت بـسـديـفـهـا اطـرافـا

* * *

يا ايها الشيخ الذى فخرت به
دم للطريقة قائدا فى رتبة
وعليك منى يامام تحية
وارع العبيد القدم من بعد لى
سفن السعادة لانتى اجدا
عليا تربي الفرش والصفصافا
ممن جباك الفضل والاتحافا
يسقى بكأس محبة فيصافي

لابن مسعود فى هذه القصيدة نفس يريد ان يحلق به ؛ لو انه نقح القصيدة
وراجع بعض الفاظها ؛ لكن الخطب فى ذلك سهل من امثاله الذين يلقون ما يلقون
على عواهنه وهى من قصائده التى خاطب بها الشيخ بعد رجوعه من السياحة
الاخيرة ؛ اعطاها له فى المدر ثم بقيت فى مبيضتها الى ان ظفرنا بها ؛ وكذلك هذه
التي يليها فقد ارسلها الى الشيخ فى مرضته التى توفى فيها ؛ وقد سمع بانه ابل
من مرضته ؛ وهى

ليهنا الورى طرا بابلالك السعد
ولاح لها من نور وجهك نورها
لقد ضجت الآفاق وانهد من قوى
بشكواك يافرد الوجود وزعزعت
مرضت فامرضت القلوب وحل فى
وخلنا قوام الدين قد حان حينه
فحمدا لمن بالبرء رد حياته
واض الى افراحه كل مشهد
غدوت معافى يا امام فعوفيت
وعاد ابتسام مستطاب مؤثر
ففى اليوم عاد الجو ابيض مشرقا
وعاد الغرار بعد طول تسهد
فهذى عيون الناس يغمرها الكرى
 واصبح فى تلك المعالم نافع
فما شئت من قوت القلوب تجيش من
فقد عاد منه للعلا البخت والجـ
وزال بها من برئك البؤس والجـ
مكارمها ما لا يظن له هـ
حلوم قروم دونها الشامخ الطود
سويدائها ما انشق من حملة الصلـ
غداة راينا قطبه هزة الميـ
فتنبج البشرى وينكشف النكد
من الخير واحلوى لراشفه الشـ
مكارم قد اشفت وساووها الفـ
الى فئة الايمان فالشكر والحمـ
وزال ظلام النحس وانبلج السـ
الى نظرات طالما مضها السـ
وقد امنت وارتاح بالراقد المـ
من الانس طال عن نوافحه العـ
ينابيعه الامداد ما ان لها حد

نها الحب والتوفيق والشكر والزهد
 وشرعته حبا يצוע به الند
 د صب به اشفى على لحد الوجد
 ملابس بهجات تغار لها هند
 مجال الكمال الحق ما دونه بعد
 بطيب شذاهم التهانم والتجد
 فيورك عزا دونه الابلق الفرد
 د لا يستبيح جاره الدهر من يعدو
 ضعيف على الخذلان اعوزه الابد
 بهم تبلغ المنى؛ بهم يقتفى الرشد
 الى العرش تحت بطشها الملك والجند
 اصول على دهر به تهضم الاسد
 وفخرى اذا الناس المفاخر قدعدوا
 غنيت؛ وكنز النطف يفنى له العبد
 بسر جمال من اشعثهم يبدو
 يهيجك نور الحق ما دونه صد
 زمان ففوت العمر ليس له رد
 هنيئا فان السم يودعه الشهد
 من جدعان بل اودى بجفنته الاد
 ره الرأى لم تلبس له الادرع السرد
 سه زهرة فان وجد رقاؤه فقد
 ستفظ بالتقى؛ والعلم ما فوقه مجد
 وفي غفلة عما يراد له العبد
 بتنفره يوم الرهان التظى الوقد
 مصارع بغى هزلها فى الورى جد
 هلاك امرئ ينما من بطشه الفهد
 ض بالفتك دون ان ينم له الوعد
 على الشيخ والقيصوم فاغتاله الكيد
 عليه؛ ومن يحقر فلا بد ان يعدو
 عليه وقد يستهون الفاتك الجلد
 مزلة اقوال يضيق بها القصد
 فهم بهرج يبدو اذا سبر النقد
 عن الغى لاتحفل وان عذلت دعد
 سلاء ولم يخب لرائده قصد
 يلود من الاكدار ما ان له حد

بها انتعشت من بعد ادائها وزا
 وما شئت من حب النبى وصحبه
 وما شئت من روح يروح عن قوا
 وما شئت من ديجان نور يرف فى
 وما شئت من معنى شهود يريك فى
 كذا فلتطب اعمار زهر تارجت
 بهم يختمى من سامه الدهر خسفه
 حمى الله لاجوار جار ابى دوا
 بهم فى دجنات النوائب يلتجى
 بهم تنجل الحوباء والخزى والردى
 لهم هم تفرى الطباقي وترتقى
 هم اسرتى ونصرتى وبعرهم
 وهم مقتبى وفيلقى ومقاوى
 وهم كرشى وعيبتى وبجهم
 فياعاذلى كن عاذرى فى تولهى
 اخالك مختل المزاج وكيف لا
 فرد سلسيلا واغنم فرصة من ال
 ولا تغترد بالدهر يوسعك الجدى
 فما قر قارون على كنزه ولا اب
 وغال نديم الفرقدن من اغترا
 فقبحا وشقحا للمفتن تطيب
 وراقب على مدى الزمان الاله واحد
 تهاونت بالانفاس وهى نفيسة
 فلا تحقرن فى الشر نورا فداحس
 وحاذر وان اركبت عزا ممنعا
 فكم كان من جبرا تهو ناطق
 فذا عروة الرحال عارضه البرا
 اراد اجازة اللطيمة ذمة
 وماخاله بالخفر يجسر ضلة
 الم باقذاع فواغسر صدره
 ومن يعتصم بلبه لا يخاف من
 وكن نابذا من لم ينعك على الهدى
 وسر فى محجات الصواب منكبا
 فهذا امام لاتكدر بحره ال
 وجود على الالباب من نوره كما

يجل باذن الله ما ابرم الشد
نعم قطرة من سببه دونها الجود
والاحنف حيث الغيظ في جمره وقد
بها سالك البداء جد به الجود
من الرنق التنقيص؛ يا حبيذا الورد
سمروغ لم يستمه ناب ولاحد
الى غيثها الهطال ينتجع الوفد
ولكنها كالدر ضمنه العقد
بتعدادها من طيب انفاسه المد
بتوصيفه والعقل يحجزه الحد

* * *

تراجعت الآمال وانتعش المسجد
فمنك له المحيا يراوح او يغدو
نهني به الاسلام حق له الحمد
بها بهجة العرفان تم لها العود
لكم عمرا ينمو به للورى الرشد
وغرب بها الورداد يغمرهم ورد
عبارات من امداحه حولكم تشدو
يسبح له من فوق مهدوحه مد
بليغ فما من جزر تقصيره بد
صريع القواني واللهي رشحها الحمد
ابو الطيب الجعفي يقتاده الجود
مرصع تاج ليس يصدأ والعقد
تطيب به في روضة اللسن الملد
لها الماس والياقوت والسلوك والنصد
يحوك ابن اوس حين فصحه الرشد
ففى مدحك الطول الذى ما له حد
كما هى عند من هو الصمد الفرد
منمنمة ارقامها العزم والجود
مدارك ذوق خالص ما له ند
تفجره فيها مواعظك المد
بنور الهدى والشح يكنسه الزهد
يديك ، وتوفيق الاله لها يحدو
يربون يعلوهم من العصمة البند
على النفس الغالى فيكنفه السعد

متى حلت الاحزان واشتد عقدها
ينسى ابن سعد جوده وابن مامة
يشابهه فى الحلم قيس بن عاصم
هى الشمس ما من دونها السحب يهتدى
هو المورد العذب الذى لا يشوبه
هو الجنة التى متى ما اوى لها الـ
هو الكعبة التى على كل ضامر
يفوت القريض حصر عليا صفاته
تطيب به اوقاتنا ويمدنا
ومن نعته من نعت مولاه كيف لى

فيا بها الشيخ الذى بشفاؤه
كانك روح الكون بل انت روحه
فما نحن هنا الا امام وانما
على ان بقيت فى حبور بمتعة
فمد الاله عن افاضة نعمة
وتتبع منه كل عين بمشرق
فما انت الا الفرد تقصر دونه
لئن سوغوا فى المدح قول مبالغ
فانت سموت المدح من كل قائل
لعمري لئن اطرى يزيد بن مزيد
واغرب بل اربى على كل شاعر
فجاء بنى حمدان من نفاثه
واسدى لكافور ثناء مخلقا
فانت احق بالقصائد ينتقى
احق لعمري بالمدايح فوق ما
لئن كسبوا فى مدحهم كل طائل
فما انت الا الروح والروح علمها
كسوت جميع العصر حلة همة
فكل الا لى قد ابصروك تنيلهم
فكم قرية ماتت فاحييتها بما
تزلزل فيها الجهل بالعلم والدجا
فتنقاد نحو السعد يقتاد هاجدى
كذاك يكون الفخر بالرشد عندهم
وما عصمة الصوفى الا احتفاظه

ففى كل قطر كان مشرق سعه (الخ) لنا فى عصرنا اشرق السعد

✱

بقيت لهذا الدين تحمى ذماره بسطوة شهيم دونه الاسد الورد
وازكى سلام يعيق الكون عاطرا به دائما يغار من نشره الورد
على الحضرة الغراء لازال مجدها تظل الندى والعز افئانه الملد

ثم كتب ابن مسعود تحتها

تم تبويضها فى آخر يوم من ذى الحجة الحرام عام ١٣٢٨ هـ عرفنا الله خير
الدهور؛ ووقانا جميع الآفات والشرور على يد الضعيف محمد بن مسعود الطالبى
بأن الله له وليا أمين

اقول ان القصيدة اذن بيضها قائلها فى اليوم التالى ليوم وفاة الشيخ
التي كانت فى ٢٨ من ذى الحجة المذكور وفى آخر اليوم نفسه وصله خبر وفاة
الشيخ

وقال فيه ايضا :

سلام كما ازدانت بصوب مرابع بها همعت للعاشقين مدامع
يؤم الامام الاوحد المرتضى الذى به رونق الهدى لمحياء راجع
اباالحسن ابن احمد الاحمدى الرضا ومن نوره فى الكون روح وساطع
فلله قطر زانه منك طلعة تضى بها الدجا كما البدر طالع
ولم لا وسر الله فيك وراثة عن الزهر من اهل الفضائل ناصع
يغاطبكم عبد ذليل تقاعست به النفس عن مطلوبه فهو شاسع
يرجى حياة القلب من فيض مالكم من السر والعرفان فالفضل واسع
فمنوا بنفحة تهب ولمحة تسر وتغنى من له العمر ضائع
وعذرا من الحقوق فالعبد عاجز وما لقضاء الله رد ودافع
بقيتم لاهل الدين روحا وملجا وكهفا به نجاة من هو فازع
وازكى سلام طيب وتحية عليكم كما العبيق فى الجو ضائع

وله فيه ايضا :

وافت لوصل الهائم الحيران من سفح مربعها الشذى النوراني
فزهت بمسراها البسيطة وازدهت وترنحت طربا من الاطعمان
وتعطرت ارجاؤها بعبير ما نشر النسيم بها كنفج البان
وانارت الاحلاك اذ بزغت بها شمسا يغار لنورها القمران
فكانها وبها حياة الكون مو لانا الامام العارف الصمدانى

الآخرها وقد ادمجها الشاعر فى النونية الاولى المتقدم ذكرها .

وللفقيه الاجل سيدى محمد بن على السويى المنشأ ؛ الاكاديرى الاصل
من اصحاب الشيخ قصائد فيه نرجئها الى ترجمته؛ ففى مطلع قصيدة (فيها ٣٣ بيتا)

قصدت حمى ذى الجباء المديد كريم تسامى بغير نديد
ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

لحمى ذوى الفضل الكرام العنصر ياوى الذى يخشى خطوب الاعصر
ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

امولاي يا على ناداك ضارع ببابك قد ضاقت عليه المذاهب
ومطلع اخرى نونية قالها فى مجلس حضر فيه الشيخ بالسويرة (فيها ٢٢ بيتا)
احبة خير الخلق امته التى توالى لها البشرى وقرت به عينا
ومطلع اخرى

انفسى الجئى بالواحد الاحد الصمد فليس سواء فى المهمات يعتمد
ومطلع اخرى

ايا شيخنا الاعلى ايا ملجأ الورى ويا غوث اهل الجود والمجد والفخر
والاديب سيدى الحسن بن محمد الركنى من اصحاب الشيخ حين وفد
عليه اول يوم

ابو حسن نجم به السارى يهتدى ولكنه فلك النجاة لمقتدى
حوى البر والتوفيق والعلم صدره وقلبه بالانوار والسر مرتد
حماء من الدنيا الدنية زهده ومن كان ذا تقى عن الفانى يزهد
رمتنى اليه غربتى فقصدته فيانعم مقصودى ويا حسن مقصدى
وكتب اليه ايضا

الا بلغ الشيخ المربى بورده حديثى بانى مستديم لعهد
واوصه بالصفح الجميل عن الخطا وذكرى عند ذكره اهل وده
والعلامة سيدى الحاج عبد الحميد الايلانى نزيل مدرسة سيدى يعقوب
وهو من الآخذين عن الشيخ

الا ابلغ الشيخ الامام ابا الحسن بالغ تحايا من هداه الى السنن
تحايا شكور شكر ترب اذا همى عليها الحيا فافتقر زهر على الفن

نصحت امام الدين نصحا جزاك من يخص ذوى النصح المعوم بالمن
فانى منظوم بعقد صحابكم لعل تحت الظل اظفر بالجن

وللفقيه سيدى محمد بن المحفوظ السملالى نزيل اقران ممن ينتسبون
الشيخ سيدى سعيد المعدرى ؛ فهو صنو المترجم فى الالتواء الى هذا الشيخ
ه القطعة فى المترجم ؛ مع هذه الرسالة

«الاخ فى الله الذى اقامه الله فى هذا العهد شيخ الطريقة والينبوع الجامع
ريعة والحقيقة والباذل نفسه ونفيسه فى هداية العباد ؛ وفى رفع راية النصح
رشاد ؛ سيدى الحاج على الدرقاوى ؛ فالسلام على الاخ فى الله ممن يعرفون
ما انتصبتهم له احتسابا ومقدار ما تلاقونه من الغوغاء كلما طرقتهم بلبل بلبل
بركم وحسن نيتكم وجميل قصدكم نصركم الله فى هذا الصقع نصرا موزرا
الجهلة المبطلين كما هى عادة الله فى نصر المحققين ؛ فاعانكم الله ووفقكم
ما انتم فيه ؛ فاننا نقر بالعجز فى هذا الميدان ونرفع عقيرتنا بأن ليس لنا
الجري فيه والعمل فيه صباح مساء مثلكم يدان ؛ وهاك ياسيدى ابياتنا
مرت لى فى جنابكم اقدمها على حياء الى اعتابكم وان لم اكن اهلا لهذا الشأن
تريض لى فى ميدانه لسان :

انت خير الشيوخ فى الاقران وفريد المنصح فى الازمان
كل يوم تظل فيه فتعدو ثم تمسى تقتاد من عميان
فجميع القرى درت منك جدا واجتهادا تهدى بنى البلدان
كم جهول علمته الدين فالتا ح اماما والغير كالبعران
صدقت فيك قولة الشيخ اذ قال ل مقالا قد مر فى الآذان
سوف يغدو للناس فى ضوئه جهرا كما ضاء فيهم القمران
رضى الله عنك ياسيدى فالشعر ما ان يصوغ منه لسانى
وسلاما من ابن محفوظ يغشاك من الله سابغ الرضوان

والمقصود بالشيخ فى البيت الخامس هو سيدى سعيد المعدرى رضى الله عنه
اقول اننى هنا لا اتحيز فاننا نكتب للتاريخ لا للادباء اصحاب الاذواق وحدهم
سماحونى فى سوقنا لامثال هذه الابيات ؛ وما اكثر امثالها فى الكتاب
وللشريف الركايبى الفقيه العدل محمد الوالى بن البهالى نزيل مراکش ممن
نوا عن الشيخ قصيدة فيه مطلعها

ابدر بكل الافق لاحت شمائله وعم سناه العالمين ونائله

وجدنا ما وقفنا عليه منها فى ترجمة المذكور فيما سياتى ان شاء الله فى القسم
ابع

وللعلمة سيدى محمد بن عبد الله الالفى مؤسس المدرسة يخاطب المترجم
نورد الى الخ من بعض سياحاته قطعة مطلعها :

سلام كما المسك والعنبر على من من ادران وصف يرى
وتوجد كلها في غير هذا المكان

وله اليه ايضا يستدعيه

ابا حسن مني سلام عليكم على رحمة تترى لدار سلام
وبعد ففي دار العبيد جماعة من اخوان صدق طاهرين كرام
وانك سر الجمع فاحضر اذا تشا فانيانكم والله قصد نظامسى
وان نالك الاعياء او عن عارض فانت برىء من عتاب ملامى
وثم عليك حيثما كنت دائما سلام ببسء امركم وختام
وكتب اليه العلامة سيدى على بن عبد الله صنو المتقدم يستدعيه ايضا:

ابا حسن انهى لحضرتك التى زهت بشذى العرفان ازهى سلام
تشيعه منى الصبابة فانتحبا فيزرى بزهر الروض فوق كمام
وبعد فاعلام المحب بجبه اتى مسندا الى شفيع انام
وعندى لكم فى الحب اوفر منصب ينادى الا زوروا وذاك مرامى
ولما عرنتى وحشة من فراقكم بعثت نيابة كتاب نظامى
اجب دعوة المشتاق لازلت داعيا الى كل ما يفضى لدار سلام

وفى يوم من الايام كان الشيخ استدعى العلامة المذكور بقوله

ابا حسن زرنا على عجل ومن تحب من الاخوان طرا بلا فرق
اجب دعوة المحب من كان قلبه لاجر شوقكم مدى الدهر فى غرق

فاجابه بقوله

اجيب بجثمانى وقلبى لديكم رهين فما احل اجتماعا على فرق
فلازلت بحر الجمع والفرق من يخضه سه يحظ بنيل الدر منه بلاغرق
وانهى الى علياء قدرك اننى اظير اذا ما كنت فى الغرب من شرق
ومن لى بان ابقى اذا ما دعوتنى وقلبى الى لقياك فى شدة الحرق

وكتب هذا العلامة الى الشيخ ايضا يستدعيه يوم عيد

ابا حسن تميم مسرة عيدنا باقدامكم فالعيد وجه وديدنا
فعيد ولم تحضره مازال ناقصا فحق علينا جبر نقص لعيدنا

سلام على النسيب الحبيب والداعى المجيب والواغظ النجيب والنطاسى
الطبيب الصهر الكريم والاخ المنيع الحريم سيدى على بن احمد وبعد فصل
خاطرك عن مراد هذا القرطاس وامثله قبل تكدر خاطر بالاياس ازاح الله
عنك كل باس

فاجابه الشيخ بقوله

وفيت بما نهوى جزيت جزاء من يرى في الوصال للاحبة قرته
وليس يجازى مثل هذا اذا ثوى لدى ربه الا بمشواه جنته
واستدعى الشيخ ايضا المذكور مع وفد من العلماء الافرانيين بهذا
البيت :

ابا حسن هذا غداء جميعكم لدينا فجيئونا لدى ساعة الضحي
فاجابه

عليك سلام يا كريم معبر بتوج منك الذكر ما دمت تذكر
فلييك من اخوان صدق تراهم كبستان زهر الورد حيث ينور
الا فانتظرنا حينما يمتع الضحي لان بهذا الجمع من لا يبر
وذيل عليها بعض العلماء ولعله شيخنا سيدى الطاهر وان لم يكن من نفسه
واحسب انه لم يحضر فى هذا الوفد والالكان هو المجيب

على اننا لانتفى غير نظرة تكون بها الاذيال منا تجر
فلولاكم حددتم الوقت لانتحى لحضرتكم ياشيخنا من يبر
وللعامة على بن عبد الله المذكور قطعة فى زاوية الشيخ الالفية يوم اسست
فى شوال عام ١٣٠٢ هـ مطلعها

بيت اتيج الخير من وجهاته فاتيج ما ينكا الحسود القالى
وقد تقدمت حين ذكر تاسيس الزاوية فى اواسط هذه الترجمة
ولشيخنا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى يخاطب الشيخ مهتاً بولده سيدى
محمد ما مطلعها

اتى نبا دال به دولة الانس واضحت به العليا طيبة النفس
وتوجد كلها فى ترجمة سيدى محمد المذكور فى (الفصل الثانى) من هذا
القسم نفسه
وله ايضا ترجيحاً بالشيخ ورفيقه سيدى على بن عبد الله ؛ وسيدى بلقاسم
التاجارمونتى وقد وفدوا عليه الى افران

هنيئاً لقلبي والهناء على مثلى يحق وقد جادت موالى بالوصل
راى الدهر ذلى واشتعال صبابتى فرق واولى الفضل منه على بخل
فانشدت قول ابن الحسين واننى لاوى به والشكل يذكر بالشكل
(وليس الذى يطلب الوبل رائداً كمن جاءه فى داره رائد الوبل)

ووفد مرة الوفد الافرانى الى الخ . وفيه العلامة سيدى الطاهر بن محمد والاديب
سيدى البشير الناصرى ، فصادفا الفقيه سيدى محمد بن الطيب الانراضى فرحب
بهم الالفيون على عادتهم بالقصائد ، يقول كل اديب من الالفين فيحييه احد
الافرانين ، والغائب ان يكون سيدى الطاهر
فقال الشيخ المترجم فى الترحيب بالوفد مسابرا وان لم يكن فى مسلاخ الادباء

بشبر وطاهر ونجل لطيب ثلاثة اقمار ببيض طواسع
فضاءت ونارت ارضنا بطلوعهم فابتد نهارها البدور السواطع
وان شئت قلت فارة المسك فتقت فطابت وفاحت النواحي الشواسع

فاجابه سيدى الطاهر بن محمد :

انفج نسيم الروض والروض ناصع ام انشق معروف من الفجر ساطع
ام ابتسمت هذى الثلاث كانها (ثلاثة اقمار بببيض طواسع)
بلى انها من بحر شيخ تلاطمت معارفه او علمه المستابع
امام اضاءت من سنا نور سره قلوب غدت من قبل وهى بلاقع
وعطرت الارعاء من نفج طيبه فطابت وفاحت النواحي الشواسع
هو البدر اشراقا هو البحر نائلا هو السيف تاثيرا؛ فهل من ينازع؟
امام الهدى الشيخ ابن احمد من علا على البدر مقدارا فاقصر طامع
فلازالت العليا تزهو بنوره ويجرى كما يبغي القضا وبطاوع

كان الشيخ المترجم بنى ثوبا (١) زاهى السقف . تلونت فيه الالوان . وما
بعد كالبديع بين القصور اذا قويس ببيوت الاضياف التى يعتنى بتبييضها
وتلوين خشب سقوفها عند اثرياء الخ . فقد وقف سيدى سعيد التنانى على
ساج السقوف فى السويرة حتى تم تلويته وتزويقه على يدامهر النجارين المزوقين
ثم حمل مفرقا الواحا الواحا على اليهائم الى الخ حيث وضعه صانع ماهر فى
سماء الثوى بعد ماسقف مافوقه بجوائز عادية ؛ وقد ذيل مستدار مافى السقف
الى ما تحته من الجدار بذلك الساج على الجهات الاربع ؛ ليستتم البصر بهجته
ثم فرش الثوى وهو فيسج بفرش حصرية من الزرابى المزركشة والمساند
وبعض الحشيمات وراها حافطى رفيع . وفى ربع من ارباع المكان صف من
الساعات الكبرى ذوات القامات نحو ثمانية تدق كلها على راس كل ساعة وهذا
كله غير معروف فى الخ فكان اضياف الشيخ يستاثرون بالجلوس هناك وحدهم
فوجد بعض المتدئين من شباب الخ مسرحا جديدا لقراحتهم ؛ فقد رايت من ذلك
قطعا لا يستحق ان يعتنى بها ؛ فاخترت ماياتى وقد كان الالفون يسمون ذلك
الثوى (الكايضة) وغيرهم القبة . قال العلامة سيدى الطاهر بن محمد الافرانى

(١) الثوى كفى البيت المعد للاضياف

اياتاج هام الفضل ياملجاً العاني
 بنيت لاهل الله دارا ترفعت
 تجلت عروسا للعيون فاصبحت
 سماء كما حل النسيم اذا سرى
 فمن ناصع في ناضر حول احمر
 محاسن تشمو العين منها كانما
 لقد علقت فيها (مواكين) لم تزل
 تذكر وقت الدين في كل ساعة
 مكان رسا بالدين والعلم والتقى
 لك الله من بيت رفيع بما حوى
 يذكرنا جنات عدن وما اعد

ومن ذلك ماقاله ايضا بعضهم واخاله ابن مسعود او لاحد الازاغاريين

هذه (كيزة) الضيوف الرشيقة
 فوفت بالالوان حتى تراها
 تتراى الوانها في خطوط
 تلك بيضاء حشو حمراء تبدو
 افقها زهرة وفي ارضها فاعـ
 واذا ما نظرت جنببك ابصر
 (ماكنات) بطولها قائمات
 تذكر الله في كل وقت اذا قد
 بهجة فذة تشوق الى الجنـ
 كل من زارها يرى نفسه نهـ
 رضى الله عن امام البرايا
 من ابان الدين الخفيف به في الـ
 خير شيخ قد فاق بالجد فاعجب
 كان لله مخلصا فحبا
 حيهل ايها العظماء لشيوخ
 فهو غوث في العصر هذا ويدر
 فاته يامريد تجن قطوفا

ومن ذلك قطعة للفقهاء سيدى موسى بن الطيب يقول فيها

الا نزه العينين فى خير ماقبة
 لخير امام حائر خير ما رتبة
 ففى سقفها او ارضها وجه روضة
 ازاهرها شتى واكوابها عذبة
 تشوق من يعنو امام الهه
 لجنته ترضى عبادته ربه

فمن مثل هذا الشيخ جمع حوله من الدين للدنيا قضى بهما نجسه
ومن ذلك قطعة للامام سيدى محمد بن مسعود ، وهى اكثر من هذا ، ولكن
لم استحضر الا ما ياتى :

لله سيدنا الشيخ الامام وما ابداه فى الحسن مما يخلب البصر
بنى بناء لمن لا يبصرون سوى ما يبصرون كأن لم يرزقوا الفكر
للعارفين شهود فى مقاصدهم ويستوى عندهم ما سر اوجهر
للجهر والسر اسرار وعندهم فى السر معنى جلى عند من بصرا

ومن ذلك قطعة للاديب الشاب المعتبط سيدى الطاهر بن المدنى الناصرى
وهو اذذاك فى المدرسة الالغية

الى بيت اهل الجود والفضل والرشد
فبيت الضيوف عندهم خير مبيتى
ترى العين فيه مثل روض تفتحت
فله مثوى الشيخ سيدنا اذا
عليك سلام ما تقوم على الهدى
فتهدى بما اوتيته من سنا الرشد

واخرى له ايضا

فله بيت شيد للدين والتقى وذكر لاهل الله فى كل ما شان
يذكرنا جنات عدن وما احتوت عليه ، وما ابداه ملك سليمان
فلازال محفوا بالظاف ربنا فيطرد عن اطرافه كل شيطان

وبعد ما بنى هذا الثوى بسنين بنى العلامة على بن عبد الله ايضا مثله ،
فهناك زحرت قصائد الادباء فى وصفه وصفا شعريا حقيقيا ، لامثل هذا الذى
لا يرى فيه القارىء الا محاولات ضعيفة لانسمن ولا تغنى من جوع ، ثم ان هذا الثوى
تهدم سريعا بعد الشيخ حوالى عام ١٣٤٠ هـ خر على من فيه ليلة فكادوا يهلكون
وبعد فقد خطب الشيخ من اخرين بقواف يجدها القارىء فى تراجمهم
مثل الذى جرى بينه وبين صهره العلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى ،
فانه يوجد فى ترجمة والدنى رقية فى (القسم الثانى) من هذا الكتاب ، كما ان
هناك ايضا قصيدة «هز الراية الجعفرية» لابن مسعود فاننا نختصر فى حذفها هنا
لانها ذكرت فى مؤلف مستقل (الترياق الداوى) ومطلعها

يا صاح اصغ لسيرة الصمدانى قطب الورى الالغى قطب الآن

كما ان هناك ايضا قصيدة اخرى له نونية مطلعها

صدحت مطوقة بائل البان ام نفحة وردت بريح البان

فهي انتمى تسمى «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد ، بما للطريقة الالغية من اسنى الاسناد» فانها مؤلف على حدة ، شرح كثيرا منها مؤلفها فى مجلد ضخّم وهى التى ذكرنا بعضها قريبا فى اول هذه القوافى
وحين رجّع الشيخ من حجته كتب اليه العلامة سيدى الطاهر بن محمد من تارودانت يهنئه

تأرقّت لما شمت برقاً حجازيا
وذكرنى اعلام طيبة فانتنى
وغادر جسما لوبغى الفوز لامتنى
وساد مع الركب الكرام يقوده
فيقضى لبانات الهوى كيف يشتهى
فيا فوز من امسى بطيبة نازلا
يروح ويغدو فى مسارح جنة
يقلد جيّدا عاطلا عقد مفخر
ويغسل قلبا سودته ذنوبه
فيا ليتنى قد نلت لثم تراها
ويا ليتنى اذ فاتنى نلت نظرة
مجيا الكريم الفاضل الندب من غدا
ابى حسن بدر الهداية من دعى
ولكنه لى النداء مسارعاً
ووالى السرى حتى اذا ما بدت له
وعفر فى مثنوى النبى جبينه
هنيئاً له نال المنى واحق من
فيا سيدى ابشر بذخر شفاعه
قدمت فضاء الغرب واهتز عرشه
يباهى بك الغرب البلاد ومن تكن
وانى ممن كان ودك عقده
وكنّت ارجى لثم كفك شاكر
فارسلتها تمشى اليك وتستضى
واغض وان قصرت فى الحق فالنوى
وجد بدعاء يعقّق النفس من ردى
عليك سلام كالنسيم اذا سرى
وقال ايضا يخاطبه وقد ذهب
اتيتك حبوا للزيارة عندما
ولم الف احمى منك فانصر فانه

بدا اذ غدا للجو ثوب الدجازيا
بقلب لنا والوجد مازال صاليا
مطى الهوى اوصار بالجفن ساريا
زمام الهوى حتى ينال الامانيا (١)
ويحظى بوصل لم يخف منه واشيا
بخير رسول كان للضيف حافيا
ويجنى بها تهر المكارم دانيا
وبلبس ثوب العز اسبغ ضافيا
ويشرب ماء المجد اغزر صافيا
واحدث لى فيه بعيدا لظماريا
بوجه سعيد زار تلك المساعيا
على هامة السرين بالجد ساميا
الى الفوز فى جمع فلم يك وانسا
وصار على متن الصباة ساعيا
أباطح سلع جدد العزم راميا
فاصبح فى ليل الغواية هاديا
يهنأ من زار الطبيب الداويا
واجر كبير لم يزل متواليا
سروا وما ان زال مدغبت داجيا
اماما له لا ريب فى ان يباهيا
فباح به دمعى ولفظ لسانيا
قد ومك لكن حيل دون رجائيا
بنورك ان ضلت تبث التهانيا
رمانى بهم وقعه غال باليا
تملكها مازال يملأها عيسا
يحدث عن اعلام طيبة راويا
لزيارته يستغيث به فى امر عناه
غزاصرف هذا الدهر فكري فاحجما
تجمع واستعدى الحياء والجمما

(١) الباء فى الزى وفى الرى مشددة فى الاصل وكذلك الامانى المذكورات فى القصيدة

فادرك فان المرء ينصر جاره
وكان الشيخ بعث الى سيدي الطاهر هذا اللفز في اسمه

فما اسم رباعي الحروف ترى الذي
وثان وثالث بجمع من آخر
وثانيه خمس ثالث تسع اول
الا فبالغير سر وفتش على الذي
ولاسيما ان طاهرا او عرابيا
جواب سيدي الطاهر

اتنتي فحلت من عقال الردى عقلي
ووافيت فؤادا قارب الحنف بعدما
فضلت على فرط الصباية والجوى
فهشت بها ارض القريحة مثل ما
فحق لها اوفى النصيب بقوله
حلفت بمن اعطى الخلائق خلقها
وخصك منهم بالمعارف والحجا
لقد كدت اذنا جيتها فرحا بها
ولكنها من بعد ان سر وصلها
فقلت لها ناديت والله ميتا
ولما أبت الا الوفاء وليس لي
اجبت ولكن الفهاة اخرست
اشرت الى اسم لاسمي وراءه
فاوليه تسع وثانيه واحد
فمجموعها عشر وخمس وعزوها
فهاكه نظاما وفق ما كنت تبتغي
فمعدرة منى الى عفو سيدي
وما كنت لولا ما كلفت بحبه
ودم سيدي للمشكلات تحلها
وجد الضعاف العزم يرجون دعوة
عليك سلام ما تلذذ عارف

والفز له الشيخ ايضا في اللوز بقوله
وما اسم ثلاثي الى العز ينسب
بخمسة اسداس له اول جلا
علا ثالث ثان بسبع تطلبوا

(١) تلميح الى قوله تعالى ومن احيانا فكأنما احيانا الناس جميعا
(٢) السبق كفلس ولد الناقة والبالز الكبير من الابل

الجواب

تأملت لغزا اتعب القلب حلسه وعاناه حتى بان لي انه اللوز
ثم الغز سيدى الطاهر للشيخ فى القلم بقوله :

وما اسم تراه كلما سار يركب ويمشى يجد سيره وهو يلعب
ومفهومه مهما قلبت حروفه يدل على شوق يمر ويعذب
ومهما طرحت ثالثا جاء لفظه بامر كلام نلت ما كنت تطلب
ومهما ضمنت ثالثا للذى تلا فقلب فعنه الميل ما كان يذهب

الجواب من الاستاذ سيدى على بن عبد الله عن الشيخ
قلم البلغ يبين لغزا مبيها عن غور فهمكم السليم الاثقب
يمشئ ويركب وهو امر مشكل والعطف مفهوم لفظه المستعذب
قل يبق بعد ذهاب حرف ثالث والميل مفهوم غيره المستقلب

والغز ايضا سيدى الطاهر للشيخ فى النخل
خليلى دلانى على شاحذ الذهن يبين لفظا فكرتى منه فى رهن
هو اسم اذا نسبت اول لفظه لثانيه كان نصف سدس بلامين
ثلاثة اعشار لسدس يجرى ان نسبت لثان ثالثا دمت فى امن
ومقلوبه ان كنت صحت لفظه يدل بحكم النحو فاعلم على شين
وتصحيفه من غير محن يفيد ما صنيعته فى غاية الصون والحسن
الا فابحثا واستقذا الفكر دمتا ولا زلتما مستسهل كل ما فن

الجواب

تأملت هذا اللغز يا ايها الخل فبان كشمس فى الضحى انه النخل

بعض منظومات نفث بها الشيخ

لم يكن الشيخ ممن تربوا تربية ادبية حين كان يدرس فى مدارس تازروالت
وتانكرت وادوز ، لانك رايت من حاله اذذاك ، انه لايعنى الا بالعلوم الرئيسية
فى بيئته وما يبقئ له من الوقت لايمضيه فى مطالعة كتب الادب التى تكون
الذوق الادبى ، وانما يمضيه فى مطالعة كتب القوم ، او فى مناجاة ربه ءاناء
الليل واطراف النهار ولكنه مع ذلك ربما ينث بعض ابيات لاينكرها رباب
الذوق غالبا ، وفى مجموعة صغيرة عندنا كل ماصدر عنه وذلك قليل ، وهاك
الآن بعض ما اخترته من ذلك مما لايفمض فيه اديب

سعد الفقير وساعدت اوقاته ما دام من أذكاره أقواته
بالله يفرح كل قلب ما له غير الاله اذا سمت نظراته
ان المريد مراده فى ربه فيه تتسم لقلبه شهوانه
من لايرى فى الكون اجمع ربه بوجوده فهل انجلت مرءاته ؟

ومن ذلك فى موضوع مخالفة النفس وهواها

بحد سيوف الذكر فاقطع رقابها ولازم بخلف ما اشتتهه عقابها
فان عقاب النفس مهر عرائس الدسمعارف ان انجزت تجل تقابها
فتجنى ثمار الحسن من نور وجهها وتجنى على الوصل الشهى ربابها
عليك بشرب الكاس من راحة لها فلم يحى الا من يذوق شرابها

ومن ذلك ايضا يخاطب من اسمه موسى وربما كان الفقيه سيدى موسى الكرسيفى:

اموسى اجمعن فى الله همتك العليا واعرض عن الدنيا ومن كان فى الدنيا
تفرغ بقلب لن يزال مولها بذكر كثير كى تكون به حيا
وان حياة القلب بالذكر وحده وهل بسوى ماء نبات الثرى يحيا؟

ومن ذلك ما قاله يخاطب به من اسمه مبارك ، ولعله سيدى مبارك الميلى الشهرى:

ادخل مبارك حضرة الرحمان بعزيمة المستوفى الربانى
وانس السوى حتى يكون مشعشعا منك الفؤاد بساطع نورانى
فالسر كل السر فى ان تغتدى فى حضرة قد كنت فيها فانى
ان العبودية التى يابى الهوى فى النفس منها اس من هو بان
فعبيد ربك كن ولازم منهجا قد مهدته شريعة الرحمان

ومن ذلك ما نسب اليه العلامة سيدى محمد بن مسعود المعدرى

ولى مذهب فى العشق منفردا به فلست ملونا بوجد ولا فقد
قد امتزجت روحى بروح اجبتى فلا وصل فى قرب ولا فصل فى بعد
فمن شاء فليصل ومن شاء فليصل فحالى لم تحل عن الود والعهد

ومن ذلك ما أجاب به ابيانا ارسلها اليه شيخه سيدى محمد بن العربى الادوزى
حين زف اليه بنته التى هى والدتى ، رحم الله الجميع :

جزاك اله العرش خير جزائه ايا شيخنا اوليت فوق المنى جزما
زففت لنا البنيتين بنتا لفكركم وبتنا لصلبكم فدى نعمة عظمى
جمعت لنا اختين والعقد واحد وما كان ذاك فى قضيتنا اثما

كان الشيخ قال فى الشطر الاول من البيت الاخير هكذا زففت لنا البنيتين
فى عقد واحد ، باضافة عقد الى واحد من اضافة الموصوف الى الصفة ، كما ورد فى
الحديث : الكعبة اليمانية باضافة الكعبة الى اليمانية ، على ما فى بعض الروايات
ثم ان الاستاذ سيدى محمدا الرفاكي اصلح الشطر بما رايت

ومن ذلك يخاطب جماعة من ارباب القلوب :

لله دركم يامن لهم دول
انتم فؤادى وما مولى وملتجئى
وبابكم هو باب الله من غلقت
ومعشرى كل اهل الله قاطبة
وينفى هذا القدر

غيرته الدينية أمام الاحتلال

لا يزال الى الآن يطن فى اذان من كانوا يعيشون فى سوس سنوات ١٣٢٥ هـ
١٣٢٨ هـ ، من تلك الصرخات الصاخة ، التى كان الشيخ يرسلها فى المجمع
وفى الاسواق وفى المواسم ، وفى كل مجلس ، حين يستنهض الناس لمقاومة
المحتلين الذين نزلوا اذذاك فى الدار البيضاء ، فكادوا يغمرون بدسائسهم ويحيلهم
وبمكايدهم على ايدى العيون السريين كل نواحي المغرب من ادناه الى اقصاه وهذه الغيرة
الهائلة النائرة كانت معروفة عن الشيخ ياترها عنه اصحابه قبل هذا الحين
وكثرا ما كان يغارها من سنة ١٣١١ هـ عام موت الملك مولاي الحسن ، فى
مجالسه الخاصة اذذاك ، بل كانت له فى رحلته الحجازية جذوة متأججة فى هذا
الموضوع فاسمع لما يقوله فى هذه الرحلة يوم يفارق تونس وذلك سنة ١٣٠٥ هـ
اثر ما قص كيف احتلت تونس بعد الجزائر :

وقد جرى فى اواخر الايام
ان كنت من بعد صلاة العصر
اعنى به ذاك الذى سطرته
مستندا الى عمود الشاذلى
ذاكرنى فى العقد للمحبة
فقال بلفن الى الرسول
فقال قولا الهب القلوبا
وحرك الاشباح والارواحا
قال اذا وصلت قبره الشريف
وفازت النفس هناك بالمنى
فقل له يا ايها الرسول
وانها لامة مستضعفة
حتى غدت كاللحم فوق وضم
رموا وراء كل ما خلفنا
ونبذوا الدين سوى اطلال
واقبلوا كلهم للشهوات

هناك مع فذ من الاعلام
فى جامع الزيتون عند الجبر
وبرقيق القلب قد ذكرته
وهو مكانه لدى الاوائل
لله كالعادة فى الاحبة
متى حظيت منه بالثول
حتى تكاد منه ان تذوبا
وحرك الجبال والبطاحا
وكنت اثناء مقامه المنيّف
واكتحلت عيناك منه بالسنا
غر بنى ملتك الدهول
احتوشتها أمم مستضعفة
من يفتح الشدق اليها يلهم
وضيعوا فى الدين ما اسلفنا
تبدو لما اسست كالظلال
كانهم قد خلقوا من شهوات

فباسهم بينهم شديد
 بيناهم فى غفلة ووسن
 اذ دهمت بين الديار الجلى
 قد زعزعت بلادهم كفسار
 فاستحوذوا على بلاد امتك
 حتى غدا كل بنى الايمان
 ودينهم ممتن عيانا
 قد مزقوا وشتتوا واحتقروا
 فهاهم فى صفعهم لاحولا
 وما لهم وجه به يستشفعون
 سواك يا خير البرايا عنده
 فليس للمستضعفين غير
 فانت باب للدعا فيستجاب
 بلغ الى نبينا هذا الكلام
 يقول ذاك والدموع فى العيون
 والصوت بالنحيب عال وانا
 حتى عراني الجذب فى الحين كما
 ثم جرى ما بيننا صموت
 فلم يكن منى ولا منه كلام
 اذ قرب المغرب فافترقنا
 من ليس ذا حزن لضعف الدين
 وكيف يرضى مومن ان يحكما
 من اجلها كانهم حديد
 ليس لهم بين الورى من رسن
 فالبعض فى الاسرى والبعض قتل
 كان لهم من قبل ذاك ثار
 وقصدهم محو لكل ملتك
 اسرى بوسط الدار فى البلدان
 كما يلاقى اهله الهوانا
 وامتنوا بيد من قد كفروا
 لاقوة غير دعاء يتلى
 الى الهك ومنه يرتجون
 فانت من ليس يرد وحده
 دعا اذا مس السبلا والضر
 فمن اتى الباب فما اخطا الصواب
 من بعد ان تقرا له منى اسلام
 كانما ثرت بمائها العيون
 كدت اذوب لهفة وحزنا
 يقع لى حين اجيش ضرما
 ودأب من تحيروا السكوت
 بعد سوى مد اليدين للسلام
 وانا بما جرى احترقنا
 فذو نفاق مخفف مكنون
 امر بنى الايمان وال اجرما

وقد كان الشيخ لما التقت حلقنا البطان على المغرب ، لايدع مجتمعا الانادى
 فيه بالبراح (١) ان الزمان قد استدار . وان الكفر قد وغل عليكم وسيحتل عقر
 الدار ، وهو فى اثناء ذلك يشتري السلاح ، فقد عندما تركه بعد موته بست عشر
 بندقية رومية زيادة على البنادق الاهلية ، وهذا القدر من اسرة واحدة كثير فوق
 جهد الطاقة ، وقد كان معلوما ان مثله كان يعاب عليه ان يلتفت الى التسليح لانه
 صاحب زاوية وقدرات من اهله المرابطين ماريت من انهم لا يكادون يتسلحون
 وان تسلحوا يكاد السلاح لا يجدى فى ايديهم بين جيرانهم المغاوير كالمجايطين
 والحربيليين ، ولسان حالهم ينشد :

على م تقول الرمح يشغل عاتقى اذا انا لم اطعن اذا الخيل كرت
 هذا فى ذلك المقام بين الاهالى ، واما فى الاستعداد للدفاع عن الوطن فان
 ذلك مقام آخر ، ويرحم الله من أظهر من ضعفه قوة وانا الاعمال بالنيات .
 ثم ان الشيخ كان يحمل معه فى السياحات بندقية بين يديه وهو ركب

(١) البراح كشداد : المنادى فى الاسواق عادة

فهمكنا ورد الى موسم تازاروالت حيث أمر بالنداء فوق المراكع (١) : ان يتهيأ الناس وأن يستعدوا للجهاد ، فان الكفار قد دهموا البلاد . وكذلك كان يوما آخر في سوق الخميس بايت بعمران وقد اجتمع كل رؤساء القبيلة فاستحثهم على ترك المخاصمات بينهم ، وان الوقت قدحان ليتكتل الناس كلهم أمام العدو ويجب على جميع الرؤساء ان يأمروا المرابطين والعلماء والطلبة أن يتكلموا في السلاح . فهم أولى من يقود الناس الى الشهادة في سبيل الله فيبيننا يقول ذلك ، اذا الاشكر - الرئيس هناك - يتخذ كلامه سخرية اذ قال له «لن نقوم بهذا الذي تقول حتى يموت جميع اصحابك هؤلاء امامنا ويستشهدوا واذ ذاك نقوم بعدكم بدورنا» فالتفت اليه الشيخ محمر العيين وقال : «اوقد استنكفت ان تسمع الحق وابتيت ان تنقاد للنصيحة ، فما انتذا تابي ان تدافع الكفار بعيدا ويوشك ان يدهموا عليك دارك حتى يخربوها» ثم اعرض عنه الشيخ كعادته متى خاطبه الجهال ، فسبق القضاء ان خربت داره بعد نحو ست سنين بيد الجيش الفرنسي الذي هاجم تلك الجهة سنة ١٣٣٥ هـ فكان عبرة لمن اعتبر ، ولا يزال الحاضرون الذين هم احياء الآن يروونها من فراسات الشيخ

وكذلك ذهب الشيخ عام ١٣٢٨ هـ الى جيوش تجمعت في هشتوكة للقتال بينها ، فنادى في رؤسائها يكفيكم من هذه الفتن يكفيكم ، فقد توجه اليكم من الاعداء - ان لم تدافعوه - من لا يكتفي منكم بمال ولا بارض ولا بدين حتى يستعبدكم انتم وابناءكم ، في كلام طويل مثل هذا يتداوله الناس متى تذكروا بعد الاحتلال النذر التي يسمعونها من الشيخ ثم لا يأبهون بها فلم يعرفوا حتى خرجت البصرة

وكذلك وقع للشيخ ايضا مع رؤساء اهل المدر فبعد صلاة الجمعة فسي مسجد القرية ، خرج الناس الى خارج المسجد ، فوقف الشيخ يحثهم على جمع الكلمة وعلى تعيين حراسة على فريضة اكلوا ، فقال له قائل ان العدو لا يزال بعيدا عنا فهو في الدار البيضاء ، ولا يصلنا الا بعد عشرين سنة ان لم يحل بيننا وبينه الدكاليون والحوزيون والحاحيون ، فحرك الشيخ راسه فقال يا عجباً ان المسلمين كالجسد الواحد وهذا الامر يجب ان يكون فيه الناس كلهم يدا واحدة فمتى تركنا الدكاليين والحوزيين والحاحيين فلا بد ان يغلبوا ان لم يعنهم السوسيون وامثال السوسيين ، على انك يا هذا - يخاطب ذلك القائل - تستبعد ان يصل العدو هنا ان لم يقاوم بالجد ثم تنفس الشيخ الصعداء واغرورقت عيناه بالدموع فقال وااسفا ايها الناس فوالله ان لم يقيم الناس في هذا الامر قومة واحدة لترون الكفار هنا ، هنا ، هنا وأشار الى ذلك المكان ثم غلب الحال على الشيخ

(١) محل يجتمع فيه الناس كلهم بعد الموسم للدعاء جوار مشهد الشيخ سيدي احمد بن موسى

فغلبه الاستعبار فانقتل عن القوم ، قال الحاكي ثم لم يمض الا سنوات قليلة
فاذا بى شاهدت المراقب الفرنسى فى تزيت واقفا فى ذلك المكان بعينه فظهر
مصدق قول الشيخ ، ولكن بعد ان ازهقت ارواح

وكذلك كان الشيخ يلم باكادير ، ويوصى تلميذه الحاج الحسن
الكلولى رئيس اكادير ان يتعهد المدافع الموجهة الى البحر فعل ذلك مرارا

هذا وقد اشترى الشيخ فرسا اذذاك فصار يركب عليها ، ويبدء البندقية
وذلك كله لاستنهاض الهمم ، ولكن ابن الهمم ؟ وابن العزائم ؟ وابن من يعرف
ماهو الاستعمار اذا ألقى على امة كلا كله ؟ وقد قال الشيخ مرة لبعض مجالسه:
ان قلبى ليشتمزق على هذا القطر ، فانى اخاف ان يلتحق بالجزائر وتونس ، فقد
اجلت بصيرتى فى هؤلاء الناس ، فلم ار من يمكن ان يقاوم لامن الحكومة ولا من
الناس فلامال ولا رجال ولايمان وانما انا وحدى الذى افلض الله على هذا
الجيشان ولكن ، ولكن ، ولكن واشار الى قرب انتقاله عن هذا العالم - كما
قال الحاكي -

حضرت يوما فى نزهة من اخلاط الناس فى عرصة البياز فى باب دكالة
وكانت محلا للنزه ومجتمع الاصدقاء فيظنون هناك تحت الاشجار المختلفة وبين
الحقول المخضرة وبين الجداول المتدفقة الى العشى ، فيجرى ذكرايام الاحتلال
الاولى وصار الحاضرون يخوضون فى عدم الدفاع ، فقال قائل : ان الناس كلنا
معنورين ، لان غالبهم ماكان يدري ماهو الاحتلال ، ولاكيف يعرك عركاته متى
امتد الى شعب من الشعوب على ان علماءنا ورؤساءنا وحكومتنا هم المسؤولون
حقا ، لانهم لم يستنهضوا الامة ، ولادوا الحق الواجب عليهم فى هذا الموضوع
فالتفت اليه انسان من غمار الناس ساقته الاقدار الى مراكز فصاحبه بعض اهل
الحومة الى النزهة ، فقال : اننا فى تلك الجهة من حاحة الى سوس لم نؤخذ على
غرة ، فقد كان الشيخ سيدى الحاج على الالغى ينادى فينا صباح مساء انذارا
واستنهاضا لندافع عن البلاد ، فانه ماكان يترك من الجهات التى يسبح اليها
مجتمعا ولاسوقا ولا موسما الانادى فيه بالتهىء التام من جميع الناس للجهاد
فلايعذر فقيها ولامرابطا ولا اى انسان قادرا ، ثم قال وقد شهدت الشيخ يوما
عند قائدها فى تامانار وقد اجتمع كل كبار الحاجيين وعلماءهم فى حضرة القائد
فقام فى الناس موقفا لاينساه له الناس ، فلم يزل يلهب القلوب بمواعظه
ويستنهض الناس باندازاته ، ويبين للحاضرين ماينتظرهم من العدو متى
استولى على البلاد من حيف وجور ومكر وانتهاك الحرم ، واذلال الاعزة وبس
الاخلاق الفاسدة ، ثم التفت الى القائد فقال له ان جل هذا الواجب يقع على
عنقك انت وعلى اعناق أمثالك ، فقال له القائد اننا يا سيدنا - معشر القواد-
نتبع ما ترسمه لنا الحكومة وملكنا المعظم ، فلايمكن لنا ان نخرج عن خطتها

وملأنا اليوم يميل الى مسألة العدو ، حتى انه ليرسل اليها ان نحافظ على النصرارى اكثر مما نحافظ على المسلمين، وان نراعى خواطر الذين احتموا بالدول اكثر مما نراعى من يتسلطون عليهم بدعوى زائفة ، فما عسى ان نعمله نحن ؟ والأفهاك ياشيخنا يدى على ان اكون اول من يموت فى سبيل الله متى كان الجهاد قائما قال الحاكى فاعرض الشيخ عمله لذهبه فيه القائد ، فقال « اما انا وكل من يتبعنى من الفقراء فقد هبنا انفسنا للموت فى سبيل الله ، لفتح لنا الميدان ، وساعف السلطان فان امثالنا ليس لهم فى مخالفة السلطان ايضاً مصلحة » ثم بعد ان اتم الحاكى حكايته ، قال اننى اوقن ان الشيخ لو تيسر له ان يحضر فى ميدان الجهاد لمات هو وكل الآلاف الذين معه شهداء فقال قائل للحاكى اتعرف احدا من ابناء شيخك هذا ؟ فقال لا ، فقال هذا احدهم وقدمنى اليه فلما اكن اعرفه قبل ، ولاعرفنى فاحفى فى السلام ، وترحم كثيرا على الشيخ وكانت هذه الجلسة حوالى ١٣٤٠ هـ حين كنت لازال تلميذا مقمورا فى الجامع الیوسفی

ارایت كيف يتحدث الجاحيون عن الشيخ حول هذا الموضوع ؟ فكيف اذن يتحدث عنه السوسيون فيه ، وهم الذين كان يماسيهم بذلك ويصاحبهم نحو ثلاث سنين ؟ فقد كان مايقوله اذذاك حديث المجالس حتى ان الذين لايتقون الا ولا ذمة فى اهل الخير اتخذوا ما يقوله الشيخ سخريه وهزاء ، فمنهم من يقول انها يريد بذلك الذى يعلنه ان يقتدى به كل الناس ، فيجدد له مكانة اخرى اعظم من مكانته التى كانت له ، حتى ان الشيخ اقبل يوما فى الطريق عند قرية عين ابراهيم بن صالح من ارباض تزنت ، فلاحظته جماعة كثيرة وهم منتدون على شىء ، فقال منهم قائل هذا الشيخ قد اقبل وهو الذى ينادى بالجهاد فهل تقدرون ان لا تقوموا له اذام ربكم ، لتهوه باعراضكم انكم لاتبالون به ولا بما يقوله فتعاهدوا كلهم على ذلك ، ولكن ماكاد الشيخ يقبل عليهم حتى بادروا جميعهم الى مقابله والسلام عليه بكل اجلال واحترام ، قال من حكى ذلك وهو من تلك الجماعة لما رایت ذلك تبث الى الله ، فعرفت ان الشيخ مؤيد من عند الله .

كان الشيخ عام ١٣٢٧ هـ فى السويرة وقد احدثت فيها اذذاك محطة البرق باذن من السلطان مولای حفيظ ، فذهب الى المحطة فاکثر السؤال والبحث حتى ادرك الذى يؤديه التلغراف ، فلما رجع صار يحكى لمثل الفقيه سيدى على بن عبد الله ماراى وقد قال لغیره ان المسلمين اخاف ان لا يجدوا شيئا فى المقاومة لان عند العدو من السلاح ومن الات الهجوم والدفاع والمحدثات ما ليس عند المسلمين ، ولكننا مع كل هذا لانياس ، « كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين »

وكانت عادة الشيخ انه كلما جال فى مجالاته الخاصة والعلمة حول هذه المقلومة لايملك عينيه ، على خلاف مايعهده منه اصحابه من التجلد ومغالبة حاله

عند ما يخوض في كل شيء مؤثر ، ولكنه في هذا الموضوع يغلب على حاله ، لعمق الفكرة في نفسه بغمرة الايمان ، فلا يحبس ان تجيش دموعه رغما عن تجلده المعروف .

حكى لي من لاثمه ان الشيخ زار مرة مشهد الشيخ سيدى عبد الرحمان من مقبرة تزيت مع اصحابه ، ثم خلف عنهم ، قال الحاكي فوقفت ازاء باب الضريح فاذا بى اسمع نسيج بكاء الشيخ ، فتجنته حتى خرج بعد حين ، فسلمت عليه ، ثانياً وكان ممن لا يستجى كثيرا من الشيخ - قال فسألته عن سبب بكائه الكثير فقال هجم على ان رايت تزيت هذه مفوعة بالنصارى يقبلون ويدبرون كما شاءوا فامتعضت لهذا الهوان ، فلم املك نفسى حتى كان ما كان ثم تنهد تنهدا طويلا ، فقال : «وا اسفاه على هذه الامة التى استولى عليها ما استولى ، حتى لا مطمع فيها الطامع متى جد الجد ، وحان الجهاد» فقلت له «ان الله سيدفع بكم عنها» فقال اجل بصرك ، وامعن بعقلك فهل تحسن من يشعر بواجبه في هذا الوقت ؟ قال: ثم والى الشيخ تنهدات وآهات ثم قطع كلامه وكان لسان حاله ينشد:

ان دام هذا ولم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

قال قائل يوما للشيخ لماذا لا تقوم فتقود انت بنفسك الناس الى الجهاد فاننا لانرى الا ان الناس كلهم يتبعونك ؟ فقال له ان تصدر امثالي في ذلك انما يجز الى ميادين اخرى غير محموده ، فان الجهاد خطة عظمى لا تصدرها الا الامام الاعظم ، وامامنا اليوم هو مولاي حفيظ ، فانه لم يعد بعد قيامه على اخيه مولاي عبدالعزيز بالجهاد ، ان دخل فاسا فسكر هناك ، فوقع فيما وقع فيه اخوه بل صار يأمر الناس بالهدوء ، فهذا الشيخ ماء العينين قدامه ان يترك هو واصحابه الجهاد في الصحراء ، وكذلك يقع لكل من يتصدر لذلك ومتى خرق سياج مأمري به السلطان تاتي وراء ذلك قنن اعظم واعظم ونحن الآن ان اردنا ان نذهب الى الشاوية لنكون هناك مع المجاهدين فاننا لا بد ان نذهب نحن والفقراء وهم الالف ، فاين الزاد واين النظام المطلوب ، وهذا الامر لا يستقيم الا بالسلطان وكل من تصدر له دونه - خصوصا ان كان ذا شهرة - فانه لا بد ان يظن منه انه يخالف السلطان ، ومخالفة السلطان لا تؤدي الى خير كيفما كانت

هكذا يرى القارئ الشيخ جائسا متلظيا متشوقا الى ان يكون في صفوف المقاومة الا انه تراءى له من بعيد موانع عظيمة ، هذا مع ما يغلب عليه احيانا فقلت منه - على جهة الالمية والفراصة - من ان الاحتلال واقع ولا بد لعدم المقاومة المجدية ولقوة العدو وضعف المغاربة ولكون الناس لم يدركوا بعد كيفية الاحتلال ولا مسلكه في الناس ، وقد جمعت من اقوال الشيخ في هذه الناحية كثيرا وادعتها في جزء من اجزاء «من افواه الرجال»

كان اصحاب الشيخ المنخرطون في طريقته ممتدين الى درعة فتايل

فما وراء نافيلانت الى قبائل ذوى منيع ، فكان بعض ذوى منيع يكتبون الشيخ ويسالونه في المقاومة في الحدود التي كانت بينهم وبين الجزائر ، وبقبائل ذوى منيع اذذاك لاتزال مغربية لم تلتهمها الجزائر بعد فكان الشيخ يجيبهم بالتحريض على الجهاد ، وهاك رسالة من الرسائل التي يكتبها اليهم

«وبعد فقد وصلت الرسائل واطلعتا على جميع ما فيها من المسائل وهاتحن نجيبها بكل صامت وناطق سائل ، وقد اخبرتم واشتكيتم بجرّة عدو الله ورسوله على الادكم وحريمكم واموالكم وايمانكم ، ونعمة الايمان والاسلام اكبر النعم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، فلتعلموا ان باب الجنة قدفتح لكم في بلادكم وهو الجهاد والهجرة الى الله ورسوله ، فادخلوا في باب الجنة بان تسلموا اموالكم وانفسكم لله في سبيله ، فقد قال الله تبارك وتعالى : (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) وقال صلى الله عليه وسلم : «الجنة تحت ظلال السيوف» وقال كلکم تدخلون الجنة الا من ابى انصروا دين الله تعالى» (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) وقد استندتم الى اخوانكم المسلمين في هذه الجهة تتحاذون اليهم ، وتشنون الغارات والاغزية على عدو الله ورسوله الى ان يطلب منكم الهناء وقد اخبرنا بان ذوى منيع يغيرون بالاغزية على وادي نون مسيرة شهر في اخوانهم المسلمين ويتركون النصارى وراءهم في بلادهم ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ولاتقولوا تقوى علينا بجيوشه (فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقولوا

«ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» هل تحسبون وتظنون في الله غير نصركم ؟ (وما النصر الا من عند الله) (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) والدنيا منفعتها الايمان والاسلام ، من لم يقض في سوقها تجارة الايمان والاسلام لم تنفعه حياته ، فالاولى له ان لا يكون ، واى حياة واى ايمان واى اسلام كان عند من اذل نفسه لعدو الله ورسوله لئلا يخرج من داره واهله فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وقد قال الله عزوجل : (قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتوها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترهبوا حتى ياتي الله بامرهم ، والله لا يهدي القوم الفاسقين ، لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) ، (ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلمكم تشكرون) وهذا الزمان بمثابة زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجوب الجهاد بل اكثر واكثر واكثر ، لان جهاد زماننا هذا لدفع الكفر وحفظ الايمان الذي هو موجود من غير زيادة ، واما جهاد السلف فلزيادة الايمان وحفظ الشئ الذي هو موجود من الايمان اوجب من طلب زيادته ، تفكروا وتذكروا واعتبروا وانظروا بعقولكم ، اى صلاة واى صيام واى حج واى زكاة لمن راي عدو الله ورسوله اجتروا على الاسلام ثم لا يجاهد فيه بامواله ونفسه ، وقد قال تعالى

(وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله) ولم يكن شيء يوكد الله عز وجل اكثر من الجهاد ، لان السيف هو الذي قام به الدين ، وقد كان المسلمون يشتهون الجهاد في قديم الزمان ، فهاهو اليوم في بلادهم وناموا ، ويطلبون المهادنة معه في بلادهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، جاء الى بلادهم فصاروا يخافون منه ولو قتمتم بالحق الذي وجب عليكم في الشرع من الغارات عليه والاغزيصة وتنحازون الى اخوانكم المسلمين لرددتموه وتجدون من المسلمين الذين استولى عليهم بالظلم والعدوان المعاونة والنصرة ، فيغدرونه وتتبعونه شيئا فشيئا، وما هو الا ابن ادم مثلكم ، يضره ما يضركم كما قال الله عز وجل (ولا تنهوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما) وان قربتم من مكانه فابعدوا منه بقدر منع انفسكم منه (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة) (وقض الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيما) ولا تقولوا ان تركنا تركه ، فلا يجوز لكم ذلك في الشرع لانه ان وصلكم فلا عذر لكم فانه جلس عليكم وعلى بلدكم ، ان لم تدفعوه فلا بد ان يدخلكم بالحيلة او بالقهر ولا تقولوا هانحن معه في الهدنة فلو انكم قتمتم في هذه السنين التي كان ثم لكسرتموه بحول الله وقوته ولا تقولوا نحن قليلون ، بل انتم كثيرون عنده فقد خاف منكم غاية ، ولكن اظهرتم له الذل لما كنتم تعاملونه في الاسباب ، وتطلبون هدنته وها بلاد المسلمين تكفيكم في الاسباب والسكنى ، وهو لم يحط بكم انما هو لكم في جهة واحدة وجهة المسلمين تخرجون اليها بالاسباب والهجرة . ولا تجوز لكم المهادنة معه ، بل وجب عليكم ان تشمروا عن ساق الجد . واجمعوا رأيكم في اهل الخير . وتجاهدوا في سبيل الله ، فهنيئا لكم فقد قرتم بخير الدنيا والاخرة ، واشركونا في اجركم والله لقد اشتهدنا الحضور معكم ولاحرنا الله من ذلك الاجر بجاء النبي واهله والبخاري ورجاله ، وهذه الساعة الخير كله في الجهاد لا غير ، وان احتجتم علينا في شيء فاكتموا مع الحامل ، ويرحم الله الذي صار الى رحمته سيدي الحاج الحسن الذي عرفتموه وحامل الكتاب الذي هو خليفتي في كل شيء استمعوا منه واتبعوه والسلام»

ثم ان الشيخ الذي خامرته هذه الفكرة فاستولت عليه يقظة ومناما، بينما هو في قرية (اورير) ازاء اكادير بزاوية اصحابه هناك ، في عام ١٣٢٧ هـ اذ رأى مناما حكاها لي الشيخ سيدي ابراهيم بن صالح ، فاه الى اذني ، فقد قال «ان الشيخ اخبرني مشافهة انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة في اورير فقال له اننى اراك كثيرا لاهتمام بامر النصارى ، فاجبته نعم ياسيدي ، فقال «ان هذا الذي وقعت فيه من الهم والغم والقلق وقعت في مثله يوم الخندق ، فرجعت الى الله بالكلية فصرت اقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، فتوكلت عليه وفوضت امرى اليه ، فاذا بنصر الله جاء بفضلته فك الله عنا الاحزاب ، فانهمزوا بالاحرب

ومر كذلك انت اصحابك الآن بان يزيدوا في وردهم مائة من حسنا الله ونعم الوكيل ، فانهم سيجدون بركة ذلك في حفظ قلوبهم ، كما سيجد المغرب كله بركة ذلك فيجعل الله في امر النصارى فرجا ومخرجا بخرق العادة»

بسبب هذه الرؤيا صار اصحاب الشيخ يذكرون ذلك في وردهم ، وهاك من رسالة للشيخ في ذلك ، ونص المقصود منها

«نوصيكم بالتواضع والصبر وترك التدبير والاختيار لله تعالى فهو المدبر في ملكه وفي ملكوته في المسلمين وفي اليهود وفي النصارى ، فالامر لله الواحد القهار ، واخدموا (حسنا الله ونعم الوكيل) مائة في الصباح ومائة في العشي فقد امرنا به لجميع الاحباب ان يخدموه على تعدى النصارى وظلمهم (فسيكفيهم الله وهو السميع العليم) ولا يمكن ان يخدم على امر فيبقى على حاله ، بل لابد ان يكشفه الله حتى امر النصارى ان خدمتموه فلا بد ان يزولوا ان شاء الله ، حتى ان قدرتم ان تبرحوا به في اسواقكم ان يخدمه الناس جميعا كبيرا وصغيرا ذكورا وانانا في الجوامع وغيرها ادبار الصلاة وغيرها ، فذلك افضل واكمل وليس الدواء الا في الاضطرار اليه لان قوة الله هي الغالبة لقوتهم بلا شك ولا خلاف فتى رجع الناس اليه حقا فلا بد ان يرد كيدهم في نحورهم (وهو القاهر فوق عباده) ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»

ومن رسالة أخرى

«..... متى اراد الله ان يرد النصارى عن المسلمين فلا يصعب عليه ، اما بسر ظاهر على يدولى (١) من اوليائه واما بسر باطن من غير واسطة اصلا ، وهو على كل شئ قدير وهو القاهر فوق عباده ، ولا ملجأ ولا مهرب من الله الا اليه فقد ظهر تعدى النصارى ولم يبق الا قوله تعالى «حسنا الله ونعم الوكيل» فهو السيف القاطع ، فاخدموه اينما كنتم على نية رد الله كيدهم في نحورهم ، تصديقا لقول الله «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا» (وما ذلك على الله بعزيز) وقد امرنا في العام الاول في ثالث عاشوراء بخدمته في الصباح والمساء مائة لكل وقت لجميع الفقراء يزيدونه في الورد، على نية هزيمة النصارى من بلاد المسلمين ان شاء الله» الخ

اقول : ان الشيخ مع اخذه بالاسباب التي رأيتها من الاستنهاض ودتنيمة الناس لما يهددهم ، صاريث في اصحابه - كما رايت - ما يستنهض ايضا القوة المعنوية في كل اتباعه الذين تشبعوا بروحه فان الجهاد المنظم المجدى لا يفيد مادام ملك العصر فاترا اذاه فصار يقوم بما في طوقه فيما لبه مجالسه وقد تواتر عنه انه يقول اخيرا بعدما رأى أن المقاومة المجدية اعرض الناس عنها «ان

(١) الله اكبر - اننا من رعايا ملكنا الهمام محمد بن يوسف هذا لولى الذى على يده خرج النصارى فاستقلت البلاد

النصارى سيدخلون بخرق العادة وسيخرجون بخرق العادة» فأما دخولهم بخرق العادة حين لم يقاومهم الناس مقاومة فعالة ، فقد رايناها وليت شعري متى تكون الثانية (١) فرحمه الله فقد قام بما فى طاقته .

بعض دعواته وأذكاره الخاصة

هذا باب من أبواب تحنث الشيخ ، وغائب ذلك يدور متى اختل بنفسه على التجهد ليلا بالقرآن ، وهذا مما واطب عليه طوال حياته ، لا يتركه وإن احتوشته الاشغال وكثرة الاضياف ، وكان ورده من ذلك - كما قال ملازمه كسيدي سعيد الثناني وسيدى احمد الفقيه الركنى وسيدى مولود وآخرون - خمسة من القرآن بلاء النوافل المعتادة كالضحى وما قبل الظهر والعصر وما بعد الظهر والمغرب ومائة من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد صلاة عصر الجمعة ، وجل اصحابه اقتدوا به فى كل ذلك واما الصيام فانه اقتدى فيه بالنبى صلى الله عليه وسلم فيما روته عائشة ، فانه يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم الا انه فى السياحات لا يصوم النوافل غالبا الا فى الامكنة التى لا يحتاج فيها الى مخالطة الناس وتبليغهم ما اوجب على نفسه ان يبلغه لهم

هذه نبذة يسيرة مما يتعلق بهذه الناحية لخصناها تلخيصا لان هذا الكتاب لم يجعل لمثل ذلك ، فهناك كتب خاصة الفت فى الشيخ المتبكر من هذه النواحي ، وان لم تستوف ذلك ، وقديمر بنافى هذه الترجمة وفى تراجم اصحابه اشياء اخرى لم نذكرها هنا

واما الدعوات التى يدعو بها كثيرا فقد حدثني بها كثير من اصحابه ، كهذا الدعاء «اللهم اجمعنا على محبتك ، اللهم اعنا على طاعتك وخدمتك ، اللهم طهرنا تطهيرا نصلح به لحضرتك ، ولقينا بك ، اللهم زدنا فيك تحرا وبك اقتنا وغيبنا بك عن كل شئ سواك حتى لانكون الا بك ولك ، اللهم احفظنا فيك سائر عمرنا حتى نتوفانا وانت عنا راض ، ونحن بك غير مفتونين ، بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم»

وقلما يقوم من مجلس عام الادعاء بهذا الدعاء اثناء الادعية المألوفة التقليدية ويقول ايضا كثيرا :

«اعطانا الله سرا من اسراره ، واعطانا نورا من انواره ، وجعل ريحنا فوق الرياح وجعلنا من خدامه ، وجعلنا من خدام بيته ، وجعلنا من خدام سنة سيدنا

(١) كنت افكر يوم محاولة الاستقلال وسهولة امره فادركت ان ذلك هو خرق إعادة التى كان الشيخ يذكره دائما

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلنا من اهل الخير وجعل حياتنا مع اهل الخير في هذه الدار ، وتلك الدار وجعلنا من المقبولين ومن المغفور لهم ، ومن المرحومين» الى غير هذه ، ولم نسقها الا لئلا نرى كيف نفسية الشيخ من هذه الناحية ايضا فان المعروف منه انه فان في عبودية الله ، ولا يلتفت الى غير الله في الازمان فما يستغيث بالاشياخ ولا هو يقبل من اصحابه ان يستغيثوا به في الازمان ، وله في ذلك حكايات .

مؤلفاته

للسيخ ولوع بكل مايبت الى الافادة والاستفادة ، وحين كان يخاضق الفقهاء والفقراء . كان يعمل في كلا الميدانين باقواله وبقايعه ، فاما افعاله فقد رايت منها ما رايت في الذي تقدم من هذه الترجمة ، واما اقواله فاما كان منها رسلا كالتى يطلقها في مجالس تذكيره او مواقف حثه على الالتجاء الى الله فقد جمعت منها عن اصحابه كثيرا وان لم يكن ما جمعت الا كنقطة من بحر وهو في باب من ابواب كتابي الذي جمعته في السيخ خاصة وسميته «الترياق المداوي» ومما يتعلق باقواله مايكتبه الى اصحابه في رسائله ، فانها مجموعة على ثلاث نسخ واحدة جمعها تلميذه الكبير سيدى سعيد التنانى وقد نسخت منها نسخ متعددة ، والثانية جمعها تلميذه سيدى محمد السيخ الدرعى ، وقد رايت منها كذلك نسخا على قلنها ، والثالثة جمعها تلميذه السيخ سيدى ابراهيم بن صالح التازروالتى ، وتوجد ايضا ولكنها اقل من القليل ، ورسائل السيخ عليها مسحة من حاله العام ، فلا كلفة ولا تزويق كلام ، ومن اقواله ماضنه مؤلفات في موضوعات شتى وهذه قائمة مؤلفاته :

١ - مترجم الربع الاول من مجموع السيخ الامير المصرى ، فقد اودعه كل مايعلق برربع العبادات ، ولم يكد يترك مسألة من الزرقانى والرهونى يمكن ان يتوقف عليها الاحشرها هناك ، فجاء مجلدا ضخما بلسان الشلحة ونسخه كثيرة عند اصحابه ، وبه يتفقهون

٢ - (عقد الجمان) رسالة كبيرة بالنسبة لرسائله وضع بها لاصحابه اداب الطريق في فجر تصدوره للتربية ، ومنها نسخ كثيرة جدا ، وهى جزء صغير .
٣ - (ترجمة الحكم العطائية) نظما مشلحا ، يقرؤه اصحابه كل صباح بعد مجلس الذكر ، ولكنه لم يستوف كل الحكم .

٤ - (المبدئى المعيد في اخبار السيخ سيدى سعيد) وهو شيخه المعدرى لم ارمته الا خطبته ، وقد ادخلتها في ترجمته الآتية على ماكتبه في السيخ المعدرى العلامة سيدى محمد بن مسعود .

٥ - (كتاب في الطب) ذكر لى ولم اره .

٦ - (رحلته الى الحج) عام ١٣٠٥ هـ وجدتھا في مبيضتها فخرجتها
وحررت قوافيها فجاءت في نحو الفی بیت من الرجز ، وقد ذكرت بعضها فيما
تقدم .

هذه هي اثار الشيخ في التأليف ، فرطت منه وان لم يكن متصدرا لمثل
ذلك .

وفاة الشيخ

مضت حياة الشيخ كلها - كما رأيت فيما تقدم - في الجولان بين قرى
سوس الى الحوز الى اسفي ، فالسيرة لارشاد الناس وتعليمهم امور دينهم
ولتنبيههم على ترميم مساجدهم واصلاح ذات بينهم ، واستنابتهم مما يقترفونه
فهدي الله به من سبقت له الهداية ، وعمى عن محاولاته من قضت عليه الغواية
وكان من اواخر سياحاته سياحة الى مراکش ، فقد وصل الى قبيلة اولاد ابي
اسباع حيث احتفلت به المدارس السباعية وعلمائها سيدي النحس بن احمد
الرسموكي في بوعنفر ، والفقيه سيدي العربي في الساعدات وسيدي الحنفي
في مزوغة وقد كان كل واحد يخرج بطلبة مدرسته فيلاقون الشيخ من بعيد
الطلبة بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والفقراء بذكرهم المعتاد فيختلط
الجميعان حتى يدخلوا الى المدرسة ، كما مر بتزكين من قبيلة كدميو حيث زاويته
ثم بات في قرية القائد عمر السكتاني ثم في مسفيوة ، فمر الى الرحامنة حيث
اقبل عليه كل الرحمانيين عامة وخاصة ، فرأى على عادته كلما دخل قبيلة -
وكانت له في ذلك نية حسنة - القواد الرحمانيين اذذاك كالقائد عبد السلام
والقائد العيادي ، وغيرهما ، وقد كانت الطريقة الالغية انتشرت في هذه القبيلة
على يد سيدي ابراهيم البصير الركائبی فلم يكن الشيخ يظهر حتى تطارح عليه
الناس وهو يرشد ويهذب ، ومعلوم ما للعرب من النية الحسنة ، ثم لم يدخل الشيخ
الى مراکش حتى بنيت زاويته في الرملة ، وقد كان ينتظر ان تتم على يدا صاحبه
الذين منهم سيدي الحاج محمد البوطيبي الهشتوكي ، وحين حل بمراكش اهتزت
المدينة وطفحت الرملة باصحاب الشيخ الذين يعدون بالآلاف فاجتمع اهل
الحومة على ضيافتهم فضيّفوهم في مسجد باب دكالة الذي يتسع لآلاف الجما
الفقر ، وقد اخبرني مقدم الحومة بعد ذلك ان الموائد التي اتى بها اهل الحومة
بلغت خمسمائة ، وقد انف كل الدرقاوين المراكشيين على الشيخ في هذه
الضيافة ، ثم داروا معه على السبعة الرجال صبيحة يوم ، وهم يعلنون بلسان
واحد (حسبنا الله ونعم الوكيل) فكان يوما مشهودا بمراكش ، وقد قيل للشيخ
اما تخاف ان يقع لك ما وقع للشيخ ماء العينين وقد كان اذذاك ذهب الى فاس
فرد في الطريق وراء تادلة بقوة الاحتلال الذي تم اذذاك في البيضاء واحوازا
فقال: اننا لم ندخل مراكش الا باذن خاص ، ولن نهتبل الا بالله ، فذكر له

ما يخافه الناس من النصارى المحتلين فظهر لهم قوة من نفسه ، ثم وقعت منه كلمات يدل بعضها على ان الواجب هو مدافعة الا جانب لو كان فى الناس ايمان قوى ، وامر منتظم وشمل مجتمع ، وبعضها على ان المحتلين لابد ان يخرجوا اخرها من هذه البلاد الا ان الذين سيخرجونهم لا يزالون الى الآن صفارا او لا يزالون فى اصلا بآبائهم ، وهناك كلمات اخرى تفرط من الشيخ من غير ان يحتفل بها تدل كلها على غيرته وعلى اهتمامه العجيب بالوطن العزيز ، وقد مر بك فيما تقدم بعض ما يتعلق بهذا الموضوع .

ثم خرج من مراكش ، فرجع الى سوس على طريق حاحة ، فبات فى اداكيلول فأورير حيث زاوية اصحابه ، ثم الى كسيمة حيث الاهالى كلهم يكادون يكونون من اصحابه لان رؤساء القبيلة من قرية الدشيرة منهم ، وهناك فى قرية انزكان فرق الشيخ المتجربين ثلة ثلة ، وهو يوصيهم كتوصية مودع ثم الى هشتوكة فمر بنا ونحن نقرأ انقراء فى قرية ايفريان ، فبتنا معه فى حى الصوابى بماسة ، ولا ازال استحضر ان الحزب فى العشية يقرأ بغير الوقف ثم الى المدر حيث اجتمع فقراء كل ازاعاد وفى رئاستهم سيدى محمد بن مسعود وذلك فى مفتتح رمضان ، فخرج صبيحة اليوم الثانى فاصطف انحاضرون امام زاوية سيدى سعيد ، فكان مما قال (هنا ابتداناها ، وهنأ اختتمناها) كلمة سمعها انجميع ، ولكن لم يفهموا من الكلمة الا هذه السباحة الخاصة ، ثم ظهر مقصوده بعد ذلك ، ثم طلعنا الى الخ ، فدخلنا فى اصيل اليوم فمر العيد فسافر الشيخ الى تامانارت فرجع موعوكا ، وقد كانت السنة شهلة فتوارد جيران الزاوية على الشيخ ، ليمدهم بما عنده ، ففتح المخازن فامر ان يباع الشعير والتمر بثمان السوق مع زيادة حفنة حفنة فوق كل صاع ، فثارت ثائرة بعض الاثرياء هناك ، لانهم يبيعون الى اجل باضعاف اضعاف ذلك ، فكان الشيخ يقبل املاك الناس رهنا لا يبيعا قاطعا تسهلا عليهم ، وهو يقول لهم «دعوا رجاء اولادكم ليمتد الى فك المهنونات» فجعل الله البركة فى مخازن الزاوية حتى تعجب الناس ، هذا والشيخ يزداد مرضه ، وقد كان كتب وصيته فى اول مرضه فأرسلها الى سيدى محمد بن مسعود حيث سترت الى ما بعد وفاته ، وفى صبيحة السبت ٢٨ من ذى الحجة عام ١٣٢٨ هـ ازداد المرض وعند صلاة العصر فاظت روحه فالتحق بالرفيق الاعلى ، وفى الليل تولى غسله الفقيه سيدى على بن عبد الله ومؤذن الزاوية سيدى محمد بن بلعيد الثانى ، وقد كان الناس علموا بوفاته العشية بطلقتين من البنادق على العادة اذذاك ، وفى الصباح اجتمع كل الجيران فصل الفقيه على الشيخ ثم دفن وراء الدار فى مشهده الآن

هكذا طوبت تلك الصيغة وتلك الهمة ، وتلك العزيمة وتلك الغيرة الدينية الغربية العجيبة ، ولكل مبتدأ منتهى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)

مراثي الشيخ والتعزيات فيه

قلت لآخي أحمد يوما لماذا لا أرى مراثي كثيرة في الشيخ الوالد بعد وفاته ؟ ولماذا لم ترعف اقلام الادباء بما يستحقه منعاه من عويل طويل بين قواف متخيرة ورسائل محيرة ؟ فقال لاخال الان السبب في ذلك هو كونه لم يذر وراءه عفا يراعى ويفهم عن الادباء ما يقولون ، فيتقرب اليهم المتقربون ، ويجد في متناهم من هم لآدابهم يرجون ، فيدركون مغزى توجع الشعراء حين يتوجعون ومقدار مالبينات قوافيهم التي يصوغون ، لان كثيرا من المراثي انما هي تحية لوجه الاحياء لا اثار لما يخلفه الموتى والغائب غائب دائما . وقلما يراعى من هم غائبون عن المجلس ، فضلا عن الغرباء عن الحياة ، ذلك معنى ما قاله وهي قوله لها حظ من النظر والا فإين ما يستحقه الشيخ الجليل الطائر الصيت وما تستحقه اعماله الكثيرة التي شرقت احاديث الركبان بها وغربت واشامت الاسمار عنها واعرقت من زفرات ادبية على قدرها ، وهل يطيل الشباب الاطول لابسها «ان الرداء على العملاق عملاق» هذا مع اننا نجد من بنات السن الادباء السوسيين عشرات فسي موافق هي من موقف الشيخ بمزلة الارض من السماء ، او بمزلة الشسع من الاكليل

وبعد فقد اطلت البحث عما يتعلق بهذا الموضوع ، فلم اقع الاعلى بعض قصائد والاعلى رسائل مختلفة النسيج في التعزية ، وغالبها لا يستحق جرة قلم ، وها انذا ساجتهد لالتقط من تلك الرسائل ما ينبغي ان يعتنى به ، فاما ان اسوق الرسالة كلها او بعضها وعلى الله الاتكال ، وبه المعونة

من ذلك رسالة الفقيه سيدى محمد بن عبد السلام الورزاذى المراكشى

اخواننا فى الله الفقراء المتجردين والمتسبيين فى زاوية الشيخ الهمام صاحب الفيوضات الربانية ، والنظرات الصمدانية ، السلام عليكم ورحمة الله عموما وخصوصا الفقيه ذا الهمة العلية سيدى سعيدا التتاني وسيدى احمد الركنى وسيدى محمد بن مسعود وغيرهم ممن نسمع بهم .

أما بعد فقد وصل نعى الشيخ رضى الله عنه فبلغ فينا الحزن مبلغا عظيما نحن وكل اهاليها ، فرحم الله تلك الهمة العالية والعزيمة الطائرة فلم نبك لموت الشيخ فان الموت مكتوب على كل انسان ، ولكن نبكى على مثل تلك الهمة التى يربى بها الشيخ المريدين وما اقلها حتى فى كثير من العارفين ، فقد راينا كثيرين من مشايخ هذه الطريقة الدرقاوية ، وشاهدنا لكثيرين منهم اسراوا واستنهاضا الى الله ، ولكن لم يكن منهم مثل هذا الشيخ الذى رزنت به الطريقة فلا حول ولا قوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون ، فانه يزيد مقامه على مقام فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، والسلام من اخيكم فى الله الضعيف محمد بن عبد السلام الورزاذى لطف الله به كتبه فى ربيع الثانى عام ١٣٢٩ هـ

ومن ذلك ما كتبه الفقيه سيدى محمد التادلى ثم الرباطى ثم الجديدى وهو من اصحاب الشيخ: «حياله تلك الوجوه النيرة منكم يا اخواننا اصحاب شيخنا سيدى الحاج على بن احمد الالغى السوسى ، وانبث الله نباتا حسنا من خلفه من الاولاد الذين تمنى ان يسلكوا طريقة الشيخ التى يعز نظيرها اليوم ، فاعلم ياسيدى سعيد التناى اننا سمعنا بالخبر الصحيح فى وفاة الشيخ رضى الله عنه ، فثارت مشاعرنا لله والى الله وفى الله لاننا نوقن ان ارواح العارفين لا يلحقها الموت كارواح الشهداء ، وانما تنتقل الى عالم اوسع وافصح ، حيث تستمتع بالقرب من الله اكثر مما لها فى هذه الدار ، فأحوال العارفين خاصة سواء محياهم ومماتهم ومشهدهم ومغيبهم ، لالذة لهم الا فى المشاهدة ، وهم يرون من الاكوان عين المكون بلا حلول ، وهذا مقام لا يتكلم فيه مثلى الا معك ياسيدى سعيد لان صدور الاحرار قبور الاسرار ، والفقيه يجب عليه ان يملك الاحوال لا ان تملكه

يقولون خبرنا فانت امينها وما انا ان خبرتهم بامين

هذا وقد كنت ذكرت من احوال سيدنا الشيخ للعلامة الجليل سيدى احمد بن الخطاب وللمدرس النفاة ، سيدى احمد بن الجيلانى ، فتناسا اليوم حين لم يلاقياه ، ونحن يا اخواننا على العهد والسلام على سيدنا محمد الذى جعله الشيخ خليفته فيجب عليك ياسيدى سعيد ان تهذهبه وان تسلك به الطريقة فى مسالكها المعلومة ، حتى يستحق ان يكون خليفة الشيخ عن حق والسلام من مجلكم الفقير محمد بن على التادلى عفا الله عنه •

ومن ذلك ما كتبه الفقيه سيدى الزبير البعمرانى من رسالة :

• ونعزيكم فى الفقيه شيخكم ، فان على امثاله تسيل الجفون دما وما كان الا فريدا فى حرصه على نفع العباد ، واحياء القلوب ، والاخذ بايدى العامة فى اصلاح ذات بينها ، والخاصة فى تربيتها على الطريقة التى تسلكها فرحم الله الشيخ وقوى الله الفقراء وكل ابنائه على الصبر ، وانما الصبر عند الصدمة الاولى ...

ومن ذلك ما كتب به الرجل الصالح سيدى الحسين صاحب الزاوية ازاء الجديدة ، وقد كان زار سوس فنزل على الشيخ عام ١٣١٦ هـ :

«الاخوان الذين لا تجتمع قلوبهم الا على محبة الله ومحبة نبيه ، اصحاب الشيخ سيدى الحاج على بن احمد السوسى ، رضى الله عنكم جميعا ، وافاض علينا وعليكم من سخائب رضوانه ، وكذلك اولاد الشيخ الصغار واخوانه وكل اهل داره ، فالسلام والرحمة والبركة على الجميع

اما بعد فالحمد لله الله فى الاجتماع على الله ، والعض بالنواجذ على هذه الطريقة التى من يذوق من اسرارها لا يجد لها شبيها ، فتحسن نعزيكم ونعزى

انفسنا ونعزى كل اهل الله في قطب الطريقة ، وامام الشريعة والحقيقة ، هذا الشيخ الذى بلغنا انه انتقل من عالم عين اليقين الى عالم حق اليقين ، فهو والله فريد بين كل من زرتهم من المشايخ وهم كثيرون لا يكادون يحصون عددا ، فقد كنت عندهم جميعا وجالسهم ، وفي الكل خير ، الا اننى لما زرت زاوية هذا الشيخ رايت كل ما كان يذكر لنا عن اصحاب الشيخ مولاي العربي من تجريد ومحافظة على الاوقات ، والحرص على الانفاس ان لا يضيع واحد منها فسى غير مشاهدة مكون الاكوان ، فقد تعجبت حين رايت استطاع ان يجد له اصحابا يقومون مثل قيامه فى همة الصوفى الذى يعرف ما طلب ، فقد مضت لنا معه مذاكرات استفدنا منها الشيء الكثير ، ولولم ارتبط بشيخ آخر حى لسلمت له زمامى ، وجعلته فى الطريقة امامى ولكن الزوجة لا يكون لها الا زوج واحد على ان الاشياخ كلهم على طريقة واحدة ، كما قال الله : (تسقى بها واحد ونفعل بعضها على بعض فى الاكل) والآن يا اخواننا نحن وانتم ذات واحدة ، فلاتسونا كما لانتساكم وان لم يمكن الاتصال كثيرا بعد المقرين ونوصيكم على الطريقة بالمحافظة على شروطها من اوكد الواجبات على الفقير والسلام عليكم جميعا من عبد ضعيف خديم لاهل الله الحسين لطف الله به»

ظفرت بهذه الرسالة ممن حافظ عليها ويظهر انها لم تصل الى الغ ، والا لسمعت بها من عند امثال سيدى سعيد التتاني

ومن ذلك رسالة كتب بها الفقيه العلامة سيدى على بن عبدالله الى ابي فارس الادوزى

«الفقيه الدراكة الذى ما بيننا وبينه الا الاتصال التام ، والذى كل ما يهمة فى جهتنا فهو عندنا من المهام ، سيدى عبد العزيز الادوزى ، وعليكم السلام ورحمة الله ، وبعد فقد وصلت رسالتك ، فقضيت فى الحين حاجتك على ان رسولكم وجدنا فى حزن عظيم ، واسى لا كيف مقعد مقيم ، حتى اننى اتكلف الصبر فلا اجد اليه سبيلا ، بعد ما فقدت ازائى من لاجد له فى النصيحة والاخوة والمعاونة مثيلا ، فقد صرت غريبا فى بلدتنا هذه بعدما صار سيدى الحاج على الى مالا بد ان نصير اليه جميعا ، فقد غادرني مفردا لانيس ولا مشتكى اليه متى كنت وجيعا ، على انه صار الى جوار ، وانا بقيت فى جوار كما يقول التهامى فى رثاء ولده

جاورت اعدائى وجاور ربه شتان بين جواره وجوارى

فما امر الحياة التى لا اخوان فيها ولا معينين ، ولا جيران فيها مخلصين محتسبين فانه يرحمه ، ويجعل لنا فى امثالكم البركة فى السكون والحركة ، والسلام وكتب الفقيه ايضا الى بعضهم اثر وفاة الشيخ متمثلا اثناء رسالته «لعمرك ما المصيبة فقد مال ولاشاة تموت ولا بغير

ولكن المصيبة موت حر يموت لموته خلق كثير»

واما المراثى فقد قال العلامة عميد المدرسة الالغية سيدى على بن عبد الله رفيق الشيخ الدائم :

هنا ملكنا المال عفوا ما الذى
او قد جمعت جموع كسرى ما الذى
او قد حييت حياة نوح فى غنى
او سالتك صروف دهرك حقبة
تبا لدهر لايراعى برهة
وتراه يسفل بالكرام ويعتلى
ويهم بالتنقيص والتشتيت فى
لايخد عنك اذا استلان فانه
ما راغنى والدهر حبلى مقرب
والشمل مجتمع بمن احبته
الا النعى بموت شيخ ان تقل
شيخ الشيوخ سليل احمد من بدا
ماشت من علم ومن عمل ومن
وديانة تنسى اذا عاينتها
ونصيحة قد زانها اخلاصها
لمناقب يعبى المفوه عدها
اه على تلك المحاسن انها

يجديك غير تحسر وتفقد ؟
من بعد ذاك الجمع غير تبدد ؟
ايوب هل تنجو به او تفتدى ؟
لايد تصبح فى مقيم مقعد
ذمها ولا الا لاهل السؤدد
بلثام هذا الجيل فوق الفرقد
اخوان صدق همة لم تحمد
ما زال يقصده بنيل مقصد
لا بد من وضع بيومك او غد
والسعد يسعدنى لعيش ارغد
مات الكمال به فقير مفند
فى عصره للدين خير مجدد
ادب يزيد وهمة لم تعهد
غير الاله ورفعة لم تجحد
وصداقة فى غيره لم تشهد
وترد كثرتها لسان المقصد
طارت بها العنقا الى متصعد

وقال الشاعر المفوه شيخ الاسلام شيخنا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى

امن حادث بكر الم فاجزعا
لفقد امام الدين شيخ الرسوخ من
مربى مريدى الرشد بالسيرة التى
محط رحال القصد مطمح همة ال
زال صفا ذوقا وبدر تضاء لست
ابى الحسن البرابن احمد من غذا
وجد الى ان بد كل منازع
فقال منالا دونه النسر وانتهى
اقام يشيد الدين دهرا مجددا
طمت ليج العرفان من بحر صدره
الى ان افارت من سناه جوانب ال

جزعت وحق ان تنوح وتجزعا
غدا للعلا والدين عينا ومسمعا
حوت كل اءاداب السياسة اجمعا
— مريدين مرعى للفضائل امرعا
له الزهر لما ان تبدى واطلعا
ه ثدى العلا والعلم طفا وارضا
بهمة طماح العزائم ادوعا
الى رتبة تنأى منالا ومطمعا
لركن الهدى لما وهى وتضعضعا
وفنت مسك العلم ثم تضوعا
— بلاد وزال الجهل عنها واقلعا

فلما استوى بدرا وازهر ناضرا
فهبض جناح المجد وانقض نجمه
وغاض معين الفضل وانجاب ماطر
وحار ذوو الحاجات لم يهتدوا الى
ومن ذا يرجى سائج متجرد
واى طبيب للقلوب يلدها
مضى يجتنى ثمر الرضا متبوءا
وخلف وجدا لا يريم ووحشة
فقل للذى يبغى العلا متطلبا
امن بعد ما اعتدت الجواد تريدان
«فليست عشيائ الحمى برواجع
على قبره سحب التحية والرضا
ولكن ما ابقى لنا الله شيخنا الـ
ففى مجده - والحمد لله - غنية
نلوذ من الدهر المخيف بظله
فلازالت العليا تخدم بابيه

اهاب به ريب المتنون ففجعوا
واصبح عرين المكارم اجدعسا
السيادة لما ان قضى فتقشعا
سبيل ولم يلفوا الى القصد مهيعا
ليهديه او من يجبر المروعا ؟
بدفن الرجا والخوف طرا لينجعا ؟
من الخلد فى اعلى الفرايس مربعا
تكاد لها شم الذرى ان تزعزعا
لشيخ مرب بعده متطلعا
تسير مغدا بالمقارف ضلعا ؟
اليك ولكن خل عينيك تدمعا
من الله مانع الحمام ورجعا
سامام فقد اسدى وارضى وامتعنا
لمن سار يرتاد الكمال فاوضعنا
وناوى له ان صال خطب وروعا
وبارك فيه الله ركنا مهنعا

وقال ابنه الاديب الكبير سيدى محمد بن الطاهر

قالوا قضى العلم الامام السيد
ذاك الامام المرتضى المولى ابو الـ
فعفت ربوع المكرمات وقد زهت
وتعطلت درج المنابر واكتست
قالوا ارثه بالذ علمت وانه
فاجبتهم كيف الرثاء لمن غدا
ماذا يفيد لمجده قولى وقد
واذا اختفت عنك الفضائل فاسالن
واسال مساجده التى قد طالما
فلقد غدت مثل النجوم لكل ما
لايجد الفضل المبين سوى الذى
واحسرة الدين الحنيف لفقده
رحم المهيمن روحه وانا له
بالمصطفى صلى عليه الله ما

عين المعارف والعلوم الامجد
حسن ابن احمد من غداه السؤدد
بسناه ازمانا تؤم وتقصد
ثوب المذلة بعد عز يشهد
يفنى الكلام وفضله لاينفد
شمس الضحى تعشى الذى قديجده ؟
بلغت به اقصى البلاد الوخذ ؟
عنه الليالى اذ بها يتعهد
شهدت موافقه اذا ما يعبد
ارض يقيم بها الصلاة العبد
طمست بصيرته وذاك المبد
واحسرة الضليل من يسترشد
رضوانه فى انعم تتجدد
غنى على ولد الفصون مغرد

وقال الاستاذ الكبير شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ابن اخت الشيخ:
قد انقضى الخير وحاد الكمال واستحكم الجهل وعم الضلال

وصار رسم المجد من بعد ما
 واعلن الدين الشتات بما
 قلت احتسب يادين لا احد
 لما قضى الشيخ على بن احد
 اودى فئاد بعده صبره
 قالوا وما اودى به قلت ما
 ياليت يبقى ونعطى به
 وقل لو امكن فى حقه
 لانه الموت فلا يرتشى
 ما الموت الا الدين مهما اتى
 اولاً فمثل تاجر يشتري
 لذا يحوم عن بحور التقى
 الدهر قدما هكذا دأبه
 لم يغن عن كسرى ولا قيصر
 ولا الخورنق لنعمانه
 ولا حمى الابيض اربابه
 ولا نجا منادما ابرش
 سعى الى ان نال فى المجد ما
 والبدر ان تمت منازلها
 قلت وقد عاينته علما
 وازدحم الناس على نعشه
 العين لا يرقا لها دمعها
 لاتعنقوا السير فقالوا اتد
 فيا له مشهود يوم بما
 يا هائل الترب عليه فان
 اقام فى القبر واثاره
 وكيف لا وهو امام الورى
 مقصد اهل الله يهديهم
 واكرم الناس ولكنه
 مجدد دين الهدى بعد ما
 قد اوتى المنشور وهو التقى
 وعلمه بحر زلال غدا
 وحكمه ينسبك هرمس مع
 اما اصطباره فتحو اولى الـ
 ما شئت من حزم وعزم ومن

كان متينا عرضة للزوال
 اصابه من ضر داء عضال
 يشكيك من داء الضنى واعتلال
 ممد امام الوقت اكرم خال
 فؤاد من رأى كمال الجمال
 اودى به غير عيون الكمال
 ماعز من نفس وولد ومال
 وانما (ليت) دليل الخيال
 كالحكم العدل الرفيع المنال
 ميعاده يقضى بدون مطال
 نفائس الدر ورطب اللئال
 ياخذ منها من خيار الرجال
 تشتت اخوان الصفا واغتيال
 معاقل شيدت ولا ذخ مال
 ولا اخو الحضرة نجا باحتفال
 ريب المنون بعد طول احتلال
 معه بحسن عشرة واحتيال
 يناله عن ارث اصل وءال
 لا بد من سراره وانتقال
 يرفع من فوق رقاب الرجال
 حتى تقطعت شسوع النعال
 اما الشهيق فهو باد وعال
 فانه يوم تسير الجبال
 حوى من الكرب وعظم النكال
 تدفنه لم تدفن حسان الخلال
 سيارة تتلى بكل مجال
 وهو المهذب القياث الشمال
 معالم الذكر الورى الضلال
 يبدأ عفاة بابه بالسؤال
 يكاد تغفوه عوادى اختلال
 وهو الذى حاز سنى الخصال
 يقذف بالدر لاهل السؤال
 بقراط فى غابر عصر وخال
 عزم من الرسل بفرط المثال
 رصانة العقل وصدق المقال

وهمة النفس فما واجهت
وفى فراسة يظن كان
ومن رئاسة حباه بها
وفى سياسة يقال لمن
ومن شمائل حكى لطفها
ان قام فى الناس بوعظ ترى
او باغت المجلس اطرق من
لغير هذا من صفات لوى
من ذا يحل بعده مشكلا
او يورد البحث على وجهه
مضى ولا يمضى بنا ذكره
صب عليه الله فى قبره
صبرا جميلا يابنى احمد
فرزؤكم عم جميع الورى
وفى ابنه محمد غنية
هما لأفلاك العلا توأم
يسعى لادراك العلا سعيه
وبارك اللهم فيه وفى
واغفر لعبد الله من بعده
أرخ وفاته بذى حجة

وقال الفقيه سيدى موسى بن الطبيب السليمانى صهر الشيخ وابن اخته
واحد مريديه

مضى الاخيار وانقضت الدهود
مضى الصهر الوفى اخو المعالي
فوا أسفا على قطب المزايا
ووا أسفا على وجه تقضى
ووا أسفا على وعظ اذا ما
ووا أسفا لكل الناس طرا
ووا أسفا لهذا القطر غابت
مصاب عم مقطعه وهادا
مضى من كان فينا خير وال
وخير وسيلة فى كل خير
مضى من هو فى الاحداث طود
فان شئت العلوم تراه يبدى

وتم الخير واتصل الشرور
وخالى شيخنا الليث الهصور
رحى الخيرات حولىه تدور
يسر به غنى والفقىير
يسجره تذوب به الصخود
سواء منجد وفسى مغير
به شمس على الجوزا تثير
وسهلا والجبال كذا البحود
اذا ما جاءنا امر عسير
اتيناه يحق لنا البرود
رسوخ فى الشدائد والنصور
مسائل قد تضيق بها السطود

او الجود العميم تراه يعطى عطاء قدره جم غزير
او العزم اعترف بوضوح عجز عن افعال يقوم بها القدير
وليس بمنكر ذا الفضل الا ذليل او جهول او حقير

* * *

ايا من جد فى نيل المعالى الى ان حل ساحته النذير
رئيتك عن مجامر فى فؤادى يدك بها اذا اتقدت ثبير
فيا بدر التمام وبا مناطا لكل فتى الى العليا يطير
انت سكرات موتك لاتفدى بمال لا ولا يغنى السمين
يحق لجفنا ابدا دموع تمازجها الكتابة والزفير
فيا تربا حوى اشلاء شيخ اتدرى ما حوت منك القبور ؟
رايناه عيانا ذا وضوح تاللا منه وجه مستنير
وبعض من مريديه راءه فقام له على قرب يسير
فصبوا يابنى شيخي جميلا لوقع لم يكن منه مجير
فبارك فيكم ربى كثيرا وفى الاخوان ما شيد القصور
فيا شيخي نزلت جنان عدن على جنبك ولدان وحور
فلا يحصى رثاءك دو قريض وان يرث الفرزق او جرير
سقى الرحمان قبرك مزن رحى تلت عليه ما طابت زهور
ولاقتك الملائك باحتفال وجاورك الافاضل والصدور
عليك سلام ربك كل حين ووقت ما ترنمت الطيور

وقال الاديب الكبير سيدى احمد بن محمد اليزيدى :

الدين يجزع والصدور توجع والعين تدمع والقلوب تصدع
وتلهب النيران بين جوانحي ابدا يزيد ، هلكت لولا الادمع
الدمع قد خد الخدود وقتها مثل الاصابع فت فيها اليرمع
أين الذين مضوا عنا لملمة نزلت فصاروا كل حى بلقع ؟
واذا رمت اصمت سواء عندها الـ بباى الاشهب والغراب الابقع
لم انس حين وقفت فى ربع فما اجدى الوقوف ولا اجاب المربع
حظ !لذى ملك الدنية كلها حفظ الخيال مضى وذلك اسرع
ان المصائب جملة لكنه ما مثل رزء على بن احمد مفجع
اودى فاودى العلم وانجاب الندى ان السهام لدى المنية شرع
لم تشها عنه المعارف والعوا رف والحجافل والبناء الارفع
انت الكريم ابن الكريم ابن الكر يسم ابن الكريم الالمنى الاطوع
ضاقك بموتك الفجاج عن الورى كل بكاك ولا بكاؤك ينفع
ماكنت انسى يوم موتك اذ غدا جسم غفير خلف نعشك شيعوا
نفديك هل نفس تفدى مثلها ان المنية بالفدا لاتنقع

من للشهامة والصرامة بعدكم
الشمس والبدر المنير ودوحة الـ
للشمس غور والمنير افولسه
ما فيهما للغير بعدك مطمع
مجد الاصيل ثلاثة لاتربح
وبقيت فردا في دهورك تلمع

✽

ما البحر عندك في النداء ما الليث به
غاضت بحور العلم بعد ترحل الـ
نرضى الرضى بالشيب فرقة سيد
ان الذى ملا القلوب جلاله
عجا لبدر كان منزله الثرى
قسما بحب الاريجي محمد
وله بشم قد مضوا كالجشتمى
فسقت سحائب رحمة ديماس من
صلى الاله على النبي محمد
وعليهم ابدا لدى محبة

يعنى الشاعر بمحمد الاريجي كبير اولاد الشيخ اذذاك ، وبالجشتمى ابا
العباس احمد بن عبد الرحمان وباليفرنى الحاج الحسين اليفرنى دفين تزيت
مات الجشتمى عام ١٣٢٧ هـ ومات اليفرنى عام ١٣٢٨ هـ
وقال ايضا

قد استوى الله على عرشه
والملك والبقاء والجبروت
يا ايها الباكي على فقد من
ايه فقد اودى المنون بمن
ابك او اعول ذاكرا وعظه
وقل لدى وعظ وذى ادب
والوعظ والمجد الاصيل كذا
هدى الجهول واستقاد العمى
(ليس على الله بمستنكر
الدهر قد نذر ان يغدر الـ
فالرء كل الرء موت ابي
لكنه هون ذاك بقا
مجدد الملة شيخ الشيو
محيى الهدى مهدى الندى والجنى
لازال ملحوظا بعين الرضا
والموت فرض يحتسى كاسه

والله غالب على امره
ت والعلل لله لا غيره
علا على الشموس فى قدره
كان امام الناس فى عصره
وجدد الحزن لدى ذكره
الوعظ والآداب فى قبره
الذكر الجميل غرن فى غوره
من بعد ما غرق فى بحره
ان يجمع الاسرار فى سره
كرام بر الدهر فى نذره
حسن السامى على غيره
الشيخ مجد الدين فى مصره
خ من غذا كاليد فى دهره
مردى العدا الشهير فى قطره
ممتعا بالسؤل فى عمره
نظير ذاك الشيخ فى قصره

فالشيخ هون بترحاله مصائب الدهر الى نشره
وكتب العلامة سيدى عبد العزيز الادوزى فى التعزية بالشيوخ

اخواننا فى الله وللأخوة فى الله اعظم رحم يجب وصلها ، وللطريقة ءاداب
وكل من يقوم بها فانه اهلها ، ياسادتنا اصحاب العارف بلله الشيخ الاكبر
سيدى الحلج على الالفى المرحوم ، ليس هذا الخطب العظيم خطبكم وحدكم ، ولا
الرزء به هو التأثر الذى عندكم ، بل ان موت الشيخ موت ركن عظيم من اركان
الاسلام ، فمن لنصيحة العباد بعد هذا الشيخ الامام فشهادتنا انه قام بما يجب
ان يقوم به كل العلماء ، فى نصيحة الدهماء بله تربية الخاصة من الفقراء من
جلاء مقلة عمياء اودواء اذن صماء

فما كان قيس هلكه هلكه واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

فقد كان المرحوم يقيم القلوب ويقعدها ، ويقوم العزائم نحو الوجهة الربانية
ويسددها فكم معوج قوم ، ومتأخر قدم ، وغافل يقظ من وسن وسادر غض مهماله
من رسن فعزأونا فيه واحد ، والله على ما نقول شاهد والسلام

وقال الاديب الصوفى سيدى الحبيب البوسليماني بعد نثر ونص الجميع:
اولاد الشيخ الامام كبير العارفين ، وقدوة المتطلعين الى وصول رب العالمين
المرحوم الذى رزى به الاسلام ، علم الاعلام الشيخ سيدى الحاج على بن احمد
الالفى مربى المريدين ، ومرشد الضالين من كان عمرى الهمة والبدر المشرق
فى الليلة المدهمة فكم كشف عن قلب غمة ، ولم انفاس المريدين الى الله لمة
فعليكم يا اولاده وجميع الفقراء المنتسبين الى الطريقة الالفية ، من المريدين اذكى
سلام واذكى تحية ، ما ابدر قمر وازهر شجر وحلا ثمر

اما بعد فقد وقعت السماء على الارض ، ومنيت البحار المحيطة بالغيبض
وكسفت الشمس والقمر وغطى على السمع والبصر ، حين نعى الينا شيخ الاسلام
وامام الائمة الاعلام قطب الطريقة ، والجامع بين الشريعة والحقيقة ، فياله من
مصاب ذك العزائم ونتف الخوافى والقوادم ، وكاد لولا الرجاء فى الله ان يؤيس
فى الخلف ، لخير من سلف وما هى الا مصيبة جلى هاضت الاعضاء ، وانست
الاجداد والاحفاد فمن مثل الشيخ رضى الله عنه فى همته العمرية وعزيمته
الخالدية ، فكيف الصبر بعده ام كيف يرجى ان يجد المرید نده ، ولكن على قدر
المصيبة ينبغى ان يكون الصبر ، فصبر جميل وان اتقد فى كل القلوب الجمر
فاحسن الله عزاءنا وعزاءكم يا اولاده وفقراء وهاكم ابيانا تكلفتها فى رثائه
وان كنت لادرك كما اهوى رثاءه

قضى امام الدين من لا يرى له نظير فى جميع السورى
ما كان فى ءافاقتنا هذه الا كمثل البدر ان ابدا

كم مقلد اسالها ادمعا بوعظه المشهور ان ذكرنا
وكم سفيه رده سيدا فذا متى هذبه اكبرا
يارب الحف بالرضا قبره ومن يزور ذلك المقبرا

أولاده

ترك الشيخ من الذكور ومن الاناث خمسة عشر ، محمد وعبد الحميد
وحبيبة ومريم اشقاء من السيدة فاطمة الالفية ، واحمد وعبدالله وعبدالرحمان
وعائشة وصفية وائمة اشقاء من السيدة خديجة التملية، ومحمد المختار والحبيب
وابالقاسم وابراهيم وفاطمة من السيدة رقية الادوزية ، وقد بينا بعض احوال
اولاده في كتاب (الترياق الداوي) وسترى امامك تراجم من يستحقون الترجمة
من اولاد الشيخ واحفاده

الكتب المؤلفة في الشيخ

١ - «الاممول المغي في مناقب الشيخ سيدى الحاج على السوسى الانفى»
للفقيه سيدى محمد التادلى

٢ - «الفتح الموهوب في مناقب الشيخ المحبوب» للفقيه سيدى الطاهر السماهرى

٣ - «هز الراية الجعفرية» للعلامة محمد بن مسعود

٤ - «السر الجلى في مناقب الشيخ سيدى الحاج على» لسيدى بريك بن
عمر المجاطى

٥ - «حياة الشيخ سيدى الحاج على» كتبها لبعض الاجانب بطلب منه

٦ - «من افواه الرجال» جمعت فيه بلا ترتيب ماكنت ءاخذه عن اصحاب
الشيخ في كل مايتعلق به . كمااضفت الى ذلك اخبار كثيرة من غير اخبار
الشيخ فيه عشرة اجزاء واتمنى لوامكن لى ان اميز من الكتاب اخبار الشيخ من
غيرها على ناحية

٧ - «الترياق الداوي في احوال الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى» لبيت
فيه رغبة من طلبه منى ، وهو في جزء وسط

العلامة على بن عبد الله الالفي

= ١٢٧٥ هـ = ١٣٤٧-٤-٦ هـ =

نسبه :

على بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد .

ليس كل من وصفه المترجمون الذين يخبط بعضهم خبط عشواء بكونه
علامة ، كان علامة حقا ، ولاكل من قيل فيه انه استاذ هو استاذ بلفظه ومعناه
كما تقصده به العرب العرباء فقد صارت الاوصاف تنثر يمينا ويسرة ، حتى صار
من يريد ان يضع الاشياء في مواضعها ، والاوصاف ازاء مستحقها يستحسى
ان يصف باحدى تلك الاوصاف من قامت به حق القيام ، خوف ان يظن انه القى
أيضا ذلك الوصف بغير تبصر وأنه ممن يخبط خبط عشواء ككثيرين غيره ولكن بالآثار
تظهر الرجال ، وبالأصحاب والاعمال يعرف العاملون الذين بذلوا جهود حياتهم
في التنقيف والتهذيب ، فمن اعوزك ان تعرفه ، وان تتبصر هل ما وصف به
يستحقه حقيقة فانظر الى اصحابه واعماله واثاره ، قبل ان تستهويك بنيات
اللسنة ، فهناك تلمس حياة الرجل ويكتنه قدره كيف هو

العلامة على بن عبد الله ، هو ذلك الرجل العظيم الذي خلف صنوه الاستاذ
المتقدم محمد بن عبد الله في تسيير دفة الدراسة في المدرسة الالفية ، فكان خير
خليفة تم على يده ما افتتحه الاول ، واستتم في درسه من كان شدا في درس
اخيهِ وسار على خطته في رفع شأن العلم واهله ، وفي تمكين اسسه في الف ،
وفي ترشيح اهله الى ان يكونوا به قادة معاصريهم ، وفي تلقي كل من وفد للورود
في مناهل المدرسة ، بكلتا اليدين ، فكانت المعارف الالفية تزخر بالواردين
والصادرين وقد التحم مابعد عام ١٣٠٣ هـ الى ما قبله ، فكان الف لم تزرا بذلك
الاستاذ ، حين صار هذا الاستاذ الجديد على خطته :

اذا مات منا سيد قام سيد قُتول لما قال الكرام فعول

الاستاذ على بن عبد الله ، هو ذلك الاديب الحى الاريحى الذى وصل بالادب
الالفى الى هذه الغاية التى يشاهدها المغرب اليوم ، كما سيشاهدها العالم غدا
فى التاريخ ، فقد قام على اللغة العربية ، والعلوم التى تدرس بها خير قيام

= ٣٢٥ =

من حين ان تولى المدرسة ، الى ان التحق بربه عام ١٣٤٧ هـ فقد كانت الخمس والاربعون كلها اادابا وابحاثا ، ودراسات ومحاورات ومكاتبات ، وفتلوى رائعات وقصائد ومقطعات ورسائل محبرات تتسم بسجع يخف على السمع فقامت به في الغ سوق حافلة رائجة طارت بذكرها الركبان ، وتطمرت بأحاديثها الاندية

فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب

خطواته الاولى

كان والده رحمه الله قد اعتنى بأخيه الاستاذ محمد بن عبد الله كما ذكرنا ثم انتحى بعد اخذه للقراءان بالمدرسة الثانكرتية ، وحين بلغ الاستاذ على سنوه هذا مبلغ التعلم ، صاحبه معه الى تانكرت وقد كان تخطى الحروف انهجائية وبعض احزاب عند اساتذة القرية ولم نهتد الى معرفة من هو - فالحقه سنوه باستاذ مسجد تابا حنيقت - من قرى تانكرت ، وهو سيدى محمد بن علي التاعنونتى ، وبه وحده تخرج فى القراءان حتى اتقن حفظه ، ثم الحق بمدرسة سيدى همو بن الحسن عند الاستاذ الكبير سيدى محمد بن الحسن الثماسى القارء الشهير لتعلم القراءات المختلفة ، فبقى هناك الى عام ١٢٩١ هـ

في دراسة العلم

تهيأ للاستاذ سنوه ان يؤسس فى اول يوم ، فى مسجد قرية الزاوية مدرسة صغرى ، انضاف اليه فيها بضعة تلاميذ اولاً ، فذهب هو وصاحبه سيدى سعيد بن علي الاعضيائى الى صاحب الترجمة بالاخصاص ، فالحقاه بأولئك التلاميذ ، فصار يتدرج ثم لما انتقل سنوه الى المدرسة البومروانية وقد بلغ حصلت منه فترة ، فسمت به همته الى التكسب ، فجال فى المقايضة وكادت تكون قاضية عليه لولا ان لاحظته عين السعادة ، فاتصل به الشيخ الوالد كما يقول العلم اذ خلفه الاستاذ محمد بن عبد الله بتلك المدرسة ، فعرف كيف يحول فكرة الاستاذ على الى الدراسة ، وكان رحمه الله من البقى الناس فى مثل ذلك واسعدهم حظا فيه ، فما شاء فى المطالعة والمراجعة والتلاوة ، فما مضت سمعة اشهر حتى تفتحت قريحته وشدا وصار فى العلم من النهمين

اذقه واطلقه فمن ذاق شربة من الكاس هدى كيف بعد يفيق؟

ثم لم يزل فى التحصيل سهرا واكبابا باذلا كل جهده فى ذلك ، حتى انه فى بعض العواشر ارتحل الى الاستاذ سيدى علي بوضاض الاخصاصى ، فأخذ عنه الفرائض والحساب ثم لم يفته درس من دروس سنوه ، ولا من دروس الاستاذ

الحاج محمد اليزيدى ، حين كان فى المدرسة الالغية عام ١٣٠١ هـ ولم يزل على هذه الحالة ، الى ان توفى صنوه باحواز مراكش ، ونقله مع الشيخ الوالد الى ان تم استتم الوالد تلك السنة ، على ما خلفه عليه الاستاذ المرحوم فى المدرسة الالغية ، ففادته الى ما خلق لاجله ، كما رايت ذلك فى ترجمته .

فى الاستعداد لقيادة المدرسة

فى المدرسة الالغية حين توفى مؤسسها ، نبغ اصحابه المتفوقون غاية التفوق وهم بالاشك تدربوا على مجاذبة الابحاث مع من يتصدر امامهم ، فحين حق لصاحب الترجمة ان يقود القافلة ، وان يتصدر فى مركز الادارة ، وزن نفسه بميزانه الدقيق الذى نعرفه عنه فى طول حياته ، فلاشك انه رأى فى بعض نواح من معارفه نقصا ، فأراد ان يستدركه قبل ان يبرز فى الميدان ، وينقص عليه بواسق المدرسة بابحاثهم من كل جانب ، فاستدعى الاستاذ اليزيدى فشاركه فى المدرسة من جديد ، فأكب بمعاونته فى مخض الوطاب ، وسن الطبا وكان يتعاون هو واليزيدى والوالد الذى كان يغب فى كل مساء الى منتصف الليل ، فى استفتاح المغلقات واستيضاح المشاكل ، فما توسط عام ١٣٠٤ هـ حتى احس من قواده وخوافيه بقوة يقتدر بها على مطابقة اقارانه فى المدرسة بل يذهب بها ، حتى يصلح ان يكون استاذهم بالاستحقاق وان يسموا تلاميذه بكل جدارة .

وقد حكى لى انه كان فى هذا الطور قد طلق كل اشغاله الخاصة وتركها فى يدى العبيد ، مع انه يدرك ان السرقة من ابناء حام عادة مستمرة ان راعيتهم فكيف ان جعلتهم بأنفسهم رعاة ، يعرف ذلك حق المعرفة ، ولكنه يقدم الاهم فالاهم وهو الفقيه الذى يعرف قاعدة اذا اجتمع ضرران ارتكب اخفهما هذا مع انه تزوج اذذاك ، وقد خلف صنوه على السيدة مريم بنت احمد اخت والدنا ، بعد ان تقضت عدتها

استاذ المدرسة

صدق الذين قالوا ما افسد الطب الا انصاف الاطباء ، ولا افسد العلوم الا انصاف المعلمين ، صدقوا والى ، لان من تصدر لتعليم علم قبل ان يتمكن فيه وقبل ان تحصل له فيه ملكة ، وقبل ان يكون على ذكر من جل مسائله على الاقل فانما هو كمثل الاعرج الذى يريد ان يعلم غيره المسابقة بالارجل ، وكيف الوثبات التى يمكن للمسابق ان يذهبها صاحبه عند الحضر فى المضمار .

راينا الاستاذ على بن عبد الله ، وما اثره تعليمه بعد ان تمكن كل التمكن فى المعلومات التى يدرسها ، وفى العلوم المختلفة التى يلقنها فى المدرسة منذ

تصدر ، فأينا ماخلينا وما بهر عقولنا ، وتركنا نوقن ان ذلك من اثر تمكنه ومعرفته ما يعلمه حق المعرفة .

كثيرا مايوازن طلبة المدرسة الالقية في اسمارهم بين مايقلونه عن الاستاذ ومقدار رسوخه في قلوبهم ، كانه نقش على حجر وبين مايقلونه عن غيره ممن يستنبههم الاستاذ في المدرسة ، فيتعجبون من ان درس غيره يطير عن ذاكرتهم قبل ان ينفصل المدرس عن مجلسه ، بخلاف مايقلونه عن الاستاذ ، ولكنه قلما ينفذون الى هذا السبب الذى ذكرناه .

قال بعض الفتية الالقيين لدرس واحد اخذه عن الاستاذ اكثر فائدة من عشرة اخذها عن فلان ، سمعت ذلك باذنى ، وهذا الفتى من البق النشء الالقيين .

وقال آخر ممن كان ربض بين يدى الاستاذ ماشاء الله ، ثم التحق باستاذ آخر ، فى مدرسة اخرى وهو من مشاهير المدرسين فى اول نصف هذا القرن اننى اقوم عن ذلك الاستاذ وكأنتى بليد موصد القلب ، متحجر الذاكرة على حين اعهد من نفسى اننى استحضرت كل ماخذته عن الاستاذ على بن عبد الله بعد سنة وكأنتى اخذته عنه الساعة او كماقال ، وما السبب فى ذلك الا ماذكرناه .

ثم ان تحقيقه رحمه الله ومباحثته فى الدروس وارباعه العنان للمباحثين -وان عرف بادية بدء ان سهام المباحث طائفة حتى يفهم مباحثه غلظه بالتى هى احسن ، امر مشهور عنه ، يعلمه عن كل من حضر عنده ولو درسا واحدا او جالس في محفل واحد لان محافله العامة ان كان فيها الطلبة تمضى كدرس من مجالس المدرسة ، فلا تخلو من مباحثات ومراجعات وانتقادات وتحرير مسائل من مختلف الفنون فالاستاذ يدرس دائما متى التقى مع الطلبة سواء فى الطريق على البغال او حول الصينية والكئوس تدار ، أوفى اى مكان اخر صادفهم فيه ، فهذا هو الاستاذ الذى بنفسه تولى الدراسة فى المدرسة الالقية من اواسط عام ١٣٠٤ هـ الى نحو ١٣١٣ هـ حين سلم المدرسة لنائبه وتلميذه الاستاذ ابي القاسم التاجار موتنى ثم صار يلقي بعض الدروس فينة بعد فينة ، متى وجد فراغا مما طوق به من منصب القضاء الذى تولاه رسميا كما سيأتى

قوله الشيخ الوالد في

اسمع ما قال الوالد فى هذا الاستاذ فى شعبان عام ١٣٠٥ هـ فى رحلته الحجازية ، حين صاحبه للتوديع فى لمة من المشيعين ، بعد ان رجع من رجع: وبعدهم لم يزل الفقيه اخو العلا السמידع النبیه يطوى الطريق معنا فى السير ومن يشيع حاز كل خير

الاخ والصهر من انتمت له محاسن الخلق فذاع فضله
 علامة الدهر ونخبة الزمان وفخر ذا العصر على كل اوان
 وراية العلم عليه خافقة وشمسه وسط سماء شارقة
 اليه مرجع الصلاح والادب وفكره قطب القريض والادب
 مدرس العلم على الدوام بالبحث مثل مخدّم صمصام
 لم تلهه الدنيا عن التدريس ولا عن الذكر لدى التقديس
 وكلنا من نسب متصل وهو ابو الحسن سيدي على

يولي القضاء من حضرة السلطان

فى عام ١٣٠٣ ع عاد السلطان مولاي الحسن الى سوس ، فعاد العلماء
 ووجهاء جزولة وما اليها الى اداء حق التحية الواجبة ، فكان من بينهم صاحب
 الترجمة اقتداء باخيه الذى له اختلافات متعددة الى حضرته حتى عرف فيها وكان
 نزول السلطان اولاً بتيزنيت خارجها ، فهناك التحق به الاستاذ ثم صاحب ركابه
 باذنه الى وادى نول ثم الى تيزنيت ثانياً ، وقد كان القائد احمد الابلاغنى
 الاساكى البعيلى من المقربين حين ذاك الى السلطان ليفارق تلك الايام مجلسه
 والناس كلهم ينتظرون نكابة بالشريف الحسين الابليغى الذى يتخلف عن
 حضرة السلطان ، وكان الابلاغنى من اعدائه اللدء فيتقرب بذلك فقال للسلطان
 حين قدم اليه الاستاذ ان الحاج عبد الله والد هذا شيخنا وصالحنا والمتبرك
 به عندنا ، فزاد ذلك الاستاذ تقرباً ثم ان السلطان وصله وولاه قضاء مجاط
 وما اليها وهذا نص الظهير بذلك :

«يعلم من هذا الرقيم الكريم المتلقى امره بالاجلال والتعظيم انا بعناية
 الله ومنتته ، وحوله وقوته ، ولينا حامله الفقيه السيد على بن عبد الله الالفى
 السوسى ، خطة القضاء على خدامنا قبيلة مجاطة وما والاها ، واسندنا اليه النظر
 فى الفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم على ان يحكم
 بمشهور مذهب الامام مالك ، وما جرى به عمل من سلك بعده اوضح المسالك
 وان يسوى بين الخصمين ويسمع منهما سماعاً مستوياً الطرفين وان يردد
 الفصل بين ذوى الارحام ويشاور اهل العلم فيما اشكل عليه من الاحكام او
 يدعو الى الصلح كما نص عليه الائمة الاعلام ، وان لا يقبل من الشهود الا من
 تحققت عدالته واشتهرت خيارته وديانته وان لا يتعرض لاحكام من تقدمه من
 القضاة فيما يخالفه النفوذ والامضاء ونعهد اليه بالتقوى ومراقبة المولى سبحانه
 فى السر والنجوى الهمة الله رشده واعانه وسدده ، والسلام ، فى ٢٢ شعبان
 الا برك عام ١٣٠٣هـ»

وفوق الطابع الكبير فى وسطه ، الحسن بن محمد بن عبد الرحمان الله
 وليه ، وفى دائرته : ومن تكن برسول الله الخ ، البيت المشهور
 ثم جدد هذا الظهير بظهير آخر عزيزى ، على يد القائد سعيد الكيلولى

انحاحي والقائد سعيد المجاطي ، ونص الظهير الثاني
«يعلم من هذا الخطاب المحكم العرى السامى الذرى ، اننا بحول الله وقوته
وشامل يمينه ومنته ، أقررنا الفقيه السيد على بن عبد الله السوسى على تولية
خطة القضاء بقبيلة مجاطة وما والاها من القبائل واسندنا اليه النظر فى ذلك
فنامره بالفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم ، وليكن
فى ذلك متقيدا بمذهب امام دار الهجرة الذى ضرب اليه اكباد الابل من شد
لالتقاط درره ازره ، وبأن لا يخرج فى الحكم عما جرى به العمل ، والراجح
والمشهور ، ان لم يكن ثم عمل ، وبأن يسوى بين الخصمين وان يسمع من كليهما
سماعا مستوى الطرفين وبأن يردد الفصل بين ذوى الارحام ، وان يدعو الى
الصلح اذا اشكل الامر ، كما تقرر فى كتب الاحكام ، ونعهد اليه ان لاتأخذه
فى الله لومة لائم وان يشيد للعدل المنار ، ويحكم الدعائم وان لايفتح على المنصب
ابواب الرشا ، ويتجافى عن تلويت الخطة بما يقدم فى الظاهر والحشا ، فان
للخطة ربا يحميها وللخليفة مولى يغار عليها فينجيها ، والله تعالى يعصمه من
انزول ، ويوفقه لصالح القول والعمل والسلام ، ٢٢ ربيع الثانى عام ١٣١٦ هـ
وفوق الطابع الكبير فى وسطه عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه
وفى دائرته ومن تكن الخ البيت

ثم ورد مع هذا الظهير من الحمراء ، جواب القائدين وهو هذا
«خدمينا الارضيين ، القائد سعيد الكيلولى والقائد سعيد المجاطى ،
وفقمك الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد وصل كتابكم طالبين مساعدة قاضى
مجاتة على تجديد الظهيرين الذين وجهتم طى كتابكم ، وصار بالبال ، فقد وصلا
وها تجديدهما مع أصلهما يصلكم والسلام فى ٢٢ ربيع الثانى عام ١٣١٦ هـ
وفوق طابع صغير فيه عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه»
والظهير الثانى الذى ذكرهنا تجديده هو الظهير الحسنى فى تحرير
المرابطين ، وقد ذكرناه مع غيره فى ترجمة الجد

فى رءاسة إخواننا المرابطين

رأيت ان شغل الاستاذ الشاغل هو التدريس ، وإدارة شئون المدرسة
مع قيامه بمنصب القضاء ، زيادة على ما لابد له منه من مشاركة امور اسرته فى
الوقوف على حرته وعلى حصاده ، وعلى كل شاذة وفاذة ، لانه بعد ان استولى على
الدراسة وملك زمام نفسه ، ونال ثقافة تامة لأكوبة معها ، اذا جالت المباحث
فى مبادئ الدروس ، واختلفت الانظار فيما بين الطروس ، يميل احدى عينيه
احيانا لمراقبة اسرته التى يفرط ماشاء الله فى شئونها ، فقد يقادرها بين يدي
بنى حام ، الذين كانوا فى زمن قليل يخبون ويوضعون بغير مراقب ، فرأى ان
يرتكب الحزم الذى هو شمنشنة راسخة فى اهلينا فى كل ما يزاولون - كما

قاله الوالد فى احدى مقالاته يوما- وان يكون من اخوان محمد بن ادريس القائل:

ماحك جلدك مثل ظفرك فتول انت جميع امرك

بهذه الامور كلها ملا الاستاذ ما بين عام ١٣٠٥ هـ الى عام ١٣١٥ هـ ثم فاجأ فى تلك السنة امر هائل ، وموجة مخزنية من الحاجيين ، تركت كل من فسى جنوب سوس فى مقيم مقعد ، فاذذاك اضطر الاستاذ ان يستنيب الاستاذ ابا انقاسم التاجارمونتى ، لئلا يقف دولاى المدرسة ، ولئلا يتسرب الفتور الى من فيها .

كان للوالد معرفة سابقة بهؤلاء الحاجيين كما تقدم ذلك فى ترجمته ، فندب الاستاذ الى ان يقوم برئاسة المرابطين ، الذين اعلن القائد سعيد الكيلولى تحريرهم ايضا ، اتباعا لما فى الظواهر الملوكية ، ولكن القائد سعيدا المجايطى والقائد مبارك البشيرانى اللذين يحاوران هؤلاء المرابطين يحرقان عليهم الارم وينطاولان الى الاتصال بهم ، فيفعلان بهم مايفعلان بالمجايطيين الذين القياعليهم تلاكلهما فيطحنانهم بالمغرم المتتابعة

تلقى القائد سعيد الكيلولى الاستاذ مع الوالد فى تزنييت ، فعين الاستاذ رئيسا للمرابطين المحررين وقد مضى تحرير هذا القائد بين ما الحقناه بترجمة الجد عبد الله بن سعيد ونفذ له اعشارهم وزكواتهم ليستعين بهما فى القيام بالمدرسة ، وليعين بها غرباءها .

وهذا مرسوم القائد بذلك التنفيذ للاعشار

«فحامله الفقيه الاديب العلامة النجيب والمدرس الارب ، سيدى على بن عبد الله بن صالح الالغى ، اذنا له فى قبض اعشار من اشتمل عليهم الظهير المكتوب له على ايدينا ، وصرفها على طلبة العلم المستفيدين بمدرسته المحروسة بالله عمرها الله بدوام ذكره، وصرفها فى مصالح زاويته، اعانة على البر والتقوى وعليه ان لا ينسانا فى صالح دعواته فى خلواته وجلواته وانصذر منا الاذن بذلك لعشر بقين من ذى الحجة عام ١٣١٥ هـ» وتحت طابع القائد سعيد الكيلولى

هكذا امكن للمرابطين ان ينجوا من ضغوطات قائدى مجايط ، القائد سعيد والقائد مبارك البشيرانى ، ولكنهما لايزالان يحومان حولهم ، ويمدان ايديهما الى من توصلا اليه من المرابطين ، فكتب القائد سعيد الكيلولى هذه الرسائل المتوالية اليهما ، ومن معهما من الخلفاء الحاجيين :

منها

محبتنا الطالب السيد الحسن بورواين الغماوى وخادم مولانا القائد مبارك البشيرانى ، سلام عليكما ورحمة الله وبركته ، وبعد فنامر كما بحول الله

وقوته ووجود سيدنا المنصور بالله ان تجابنا كل ما هي امور المرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد حيثما كانوا فيه لا تقربوا من بيادهم واعشارهم وبهذا اكدينا كما ، وكونوا منه على بلل ، فانكم لم تكلفوا بهم اصلا فضلا عن الاعشار والسلام في صفر عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلوى

واحمد بن محمد هذا هو خليفة القائد وعصده الايمن ، وهو القليل فسي بعقيلة ،

ومنها

السلام والرحمة والبركة على القائد مبارك بن الحسن المجاطى ، وبعد فلا تتعرضوا للمرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد ، بما يؤذيهم في كل شيء ، واعشارهم اعنا بها طلبة العلم بمدرسة الفقيه سيدى على بن عبد الله بن صالح ، اعانة على البر والتقوى والسلام ، ٦ من جمادى الاولى عام ١٣١٦ هـ وتحت طابع القائد سعيد الكيلوى

ومنها :

«خديم الحضرة العلية بالله القائد مبارك بن الحسن البيراني ، السلام والرحمة والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فلا باس وقد نبهناك عن التعرض للمرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد بما يؤذيهم وامرناك بالتخل عن اعشارهم ، فلم تمتثل ولم تبال على عادتك ، وعليه فان عدت لمثل ذلك فلاتومن الانفسك ، والسلام كتبه اليك لست مضت من جمادى الثانية عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلوى»

ومنها :

خديم الحضرة العلية بالله القائد سعيد بن محمد المجاطى السلام والرحمة والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فقد نهيتك عن التعرض للمرابطين اخوان حامله الفقيه السيد على بن عبد الله ، وخادم زاوته بما يؤذيهم ، فلم تمتثل عيادا بالله وقد اخبرت انك تنزل عليهم المخازنية وذلك عندى عظيم عجب ، وعليه فلاتعد لمثل ذلك ابدا وخصوصا اهل (تحت الحصن) فانهم من خدام الزاوية ، ولا يبلغنا عنك ما يسوءنا ولا تكلفهم شيء قل اوجل والسلام: كتبه اليك بـ ٢٢ ذى القعدة ١٣١٦ هـ وتحت طابع القائد سعيد

ومنها :

اخانا الخليفة الشيخ احمد بورغا وخادم مولانا القائد سعيد المجاطى سلام عليكما ورحمة الله وبركاته وبعد فما ابرمناه للفقيه الشريف السيد على بن عبد

الله الالهي من تنفيذ عشر اخوانه ، ومن ينتمي لخدمة زاويته في الماضي من غيرهم ، لتصرف على زاويته وفيما هو بصدد من نشر العلم ، لاسبيل لاحد الى نقضه وكما تعلمان اننا قد عينا العلامة المذكور لمباشرة ماعسى ان يعرض لاخوانه ومن ذكر معهم من الخدمة من المطالب المخزنية بحيث ان لاملدخل لاحد غيره في مباشرة ماذكر ، وغيره من العمال والاعيان بمعزل عن ذلك ، فانامر كما ان تشدا عضده وتعيناه على العمل بمقتضاه على انه لالكلفة عليهم اذهم بضعة نبوية والقصد في الشرفاء المذكورين ان يبنى امرهم على التخفيف ، فمثلكما لاتقرع له العصا ، ولاينبه بطرق الحصا ، وفقنا الله واياكم والسلام في اوائل ربيع الثاني عام ١٣١٧ هـ وتحت طابع القائد سعيد :

وهذه الرسالة بخط الفقيه سيدى محمد بن عبد الرحمن الدرقاوى الحاحي وهو اذذاك كاتب القائد سعيد ، وما ادعاه من ان المرابطين شرفاء من البضعة النبوية قد تكلمنا حوله في ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد ، كما نعرفه،ولسنا من المتكلفين الالاسى ثوبى زور ، الذين يتعالون الى ما لا يثبت عندهم

من هناك يدرك القارئ ما يلاقيه الاستاذ في الذود عن المرابطين ، من مدافعة القائد سعيد والقائد مبارك البني راني الضاريين للذين لاير اقبان ممن توصلا به الا ولاذمة ، فقد كان رحمه الله يفرع الى القائد سعيدكلما نلوش هذان المرابطين ، فيلاقيه القائد بكل تجلة ،فيرسل الى هذين القائدين باللوم وربما يامرهم ان يكتب هو بيده رسالة لاحدهما ، ثم يوقعها القائد بطابعه كماحدثني به العم ابراهيم حين رأينا بعض هذه الرسائل بخطه فسألته عن سبب ذلك

كتب الله النجاة للمرابطين من الطغاة اهل المخزنية الحاحية العاركة اشد العرك على يد الاستاذ الذى يسانده الوالد ، في ايام القائد سعيد الحاحي ثم لما جاء القائد أنفلوس انقلبت الحالة وكان ماسنذكره

في كلاءة الله بين الزعازع

كثرت الشكوى بالقائد سعيد الكيلولى ، من بعض السوسيين وقد تولى كبر ذلك القائد دحمان الوادنونى الشهير ، فصادف ذلك انقلاب الوزارة فى البلاط العزيز بموت احمد بن موسى ، اخر رجالات المغرب الافذاذ ، وبتولى الحاج المهدي المناهى فى الصدارة حقيقة ، وان كان لم يعد رسميا الوزارة الحربية ، وودفع بغريط الى الصدارة ، وقد كان للمناهى مع القائد محمد بن ابراهيم أنفلوس وهما فى مطبق فاس صحبة ، تعاهدا بها على ان يتعاونوا ويشد احدهما ازر صاحبه ، ان تبسم له السعد ، فكان هذا هو الحامل للمناهى = كما حكى من له خبرة = على ان يوجهه الى سوس ، ويعتاض به الكيلولى لما بين النفلوسيين والكيلوليين من منافرة الجبران المعتادة

سبق القائد سعيد المجاطى الى القائد النفوسى ، بعد ما انفلت من الحصار الذى طوقه به المجاطيون منذ انجلاء الكيلوسين فى شهر ربيع الاول سنة ١٣١٨ الى اواخر السنة ، وقد اطلت جيوش انفلوس ، فتقرب اليه فطلب منه اول ما لاقاه بسط يده على المرابطين السعديين ، فمكنه من ذلك فسقط فى يد الاستاذ وخاف من بطش المجاطى ، ولكن الله كلاه من ذلك بعنابته ، ومن كلماته عنانية الله فليمن فى آجام الاسود ، ملء عينيه بالخواف كلهن امان

وسوس القائد سعيد المجاطى كثيرا ، والقى فى روع القائد محمد انفلوس ما القى فحين توجه اليه الوالد مع الاستاذ خاطبه الوالد فى ترك ماكان على ماكان ، وان لا ينتهك من الحرمات التى كان يحترمها ابن عمه الكيلولى ، فبسر واستكبر ونفخ وحملق ، فالتقى اليه الوالد كلمة قاسية فى وجهه برباطة الجاش المعلومة عنه ، فالتفت القائد الى من معه ، فقال لهم ان هذا يستحق التأديب حتى يعرف كيف يراعى الادب مع اصحاب الكلمة العليا ، فقال له الوالد ، ان استحققت من الله تأديبا لشيء اجرته ، فهو الذى يتولانى بنفسه ، ولاتتولانى انت بنفسك وانما كنا نريد ان تدر عنك المرابطين يديرون شؤون انفسهم بانفسهم ، واذ ابيت الان تولى عليهم القائد سعيدا فانت وذاك ، ثم انقل من موضعه رافع الرأس كأنه لم يكن امام ذلك الرجل الذى لايبالى بما يفعل ، ثم لم يرجع اليه بعد ، ولا رأى وجهه الى ان مات شرمية ، مع انه كثيرا ماينتظر رجوعه حين لاهم الذين يعرفون من الشيخ ما لا يعرف ، ولكن لسان حال الشيخ ينشد

اذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكد اليه بوجه اخر الدهر تقبل

وينشد ماقاله بعض الالفين

اذا انسد باب من امير فان لى من ابواب ربى الف باب مفتح
فانى متى اخلص لربى وجهتى انل كل ما ابغى واظفر وانجح
أعرف باب الله ثم يخيب لى رجاء وراجى الله اكبر مفلح ؟

تولى القائد سعيد المجاطى امر المرابطين ، فكان اول ما فعله ان اجال يده فى بهائمهم بغالا وجمالا ، فاحتوشها وقدمها الى انفلوس ، ثم والى عليهم المقارم الباهظة حبوبا وسمنا ودجاجا وكباشا ، بله الدراهم التى لاينقطع تطلبها فنال المساكين ما نالهم مما لم يعرفوه لاهم ولا اباؤهم من قبل

ثم ان القائد سعيدا المجاطى كان يراعى مع ذلك الوالد انهم مراعاة ، لما كان بين اسرتيهما من قديم المؤاخاة ، فلذلك لايحوم حوله ، ثم لايحوم ايضا حول الاستاذ صاحب الترجمة واشقائه بالمقارم ، لما يعلم من ان الوالد لا يذره وذلك بما أمكن فربض القاندين ينظر الفرص بالاستاذ ويهددها شد تهديد من بعيد ويقول للناس لابد ان يؤدى كل تلك الاعشار التى ادخلها فى ايام الكيلولى

ولكن يده لم تنزل بعناية الله منقبضة عنه ، وكان يقول لاختصاصه لاخاف والله
الا سيدى الحاج على ، فانه كثيرا ما اهم ان انفذ ارادتي فى الفقيه ، وان لا يرجع
الى داره ان جاء الى هذه الدار ، حتى اذا اراه مصاحبا للشيخ ينخنس عزمى وأقتر
فيما أنويه ، وقال مرة أخرى : عجبنا من الشيخ فاني لا اكاد على رغم انفى اتخطى
مقاصده ، ولولاه لما رأى الفقيه الشمس بعد .

ثم انه عزم مرة عزمها اكيدا على ان ينفذ ارادته فى الاستاذ ، قال القائد
العربى الضرورى الراسلواذى الاولوى ، فركبنا معه فى مائة فارس ، وهو
فى حنق عظيم جاعلا بين عينيه ان لا يرجع الا بصاحبه ، فرحنا الى الخ ولكننا
تعجبنا حين صدرنا بخفى حين صبيحة اليوم الثانى .

جلس الاستاذ فى دارنا مع الوالد وهو ثالث ثالث ثلاثة ، وقد القى الاصيل
رداءه المذهب فى جو الخالصقيل ، تحت ذيل النسيم العليل ، والنفوس مطمئنة
والبهجات فى المحافل الادبية مرسلات الاعنة ، اذا بعاديعدو الى الجالسين
فقال لهم ان خيالا كثيرة قد البست بسوادها ماحول دار الفقيه فانقتل الوالد
والفقيه وراءه فصادفوا القائد سعيدا مع اصحابه ، ومع حاجيين وغيرهم ،
فلاقيهم بشر وسرور كأنهما لا يهجنس فى قلوبهما منهم شيء او كأنهم وقد خبر
ورسل سلام ، ثم أقيمت الضيافة لهم خير قيام فى دار الاستاذ ، وفى دار الوالد
ولكن الاضياف فاجأهم ليلا ما ازعجهم عن طلبتهم التى صمدوا اليها ، فقد
طرقهم ان الوفقاوين والبدراريين (١) الذين كانوا اذذاك فى محاربة مع
الجيوش النفلوسية وما اليها ، قد سروا بسرية تكمن لهم فى (دراووغ) فى
نفس الطريق الذى يسلكه السالكون من مجاط الى الخ

حتى الاستاذ رحمه الله انه كان واقفا فى تلك الليلة امام باب ثوبه والقائد
سعيد واصحابه فى داخله ، وعبد جميل نشيط احوذى للاستاذ قائم على رؤوس
الاضيايف يمد اليهم ما يحتاجونه ، فالتفت القائد الى جلase فقال لهم : لماذا يكون
مثل هذا العبد الاحوذى الجميل لفلان الفلانى سوعبر بعبارة لا تكتب فلماذا
لانذهب به ؟ فانا اولى بمثله ، قال الاستاذ فقلت له فى نفسى : والله لا ترينه
ايها الجبار العنيد ، بفضل الله وعنايته .

فى ميثاق الفجر ، أجفل الاضياف وطلعوا من طريق تاكانزا وهم يكثرون
الالتفات يمنة ويسرة ، خوف ان يمتد الكمين ايضا الى تلك الجهة البعيدة عن
(دراووغ) وهم يطيرون بأجنحة النعام ، اذا رأى احدهم غير شيء ظنه رجلا .

كان فجاج الارض وهى بسيطة على الهارب المطلوب كفة حابل
يؤتى اليه ان كل ثنية تيممها ترمى اليه بقاتل

(١) البدراريون انجيليون اهل جبل جزولة الذين يدافعون اذذاك عن جبلهم

هكذا دام حفظ الله على الاستاذ ، وما تخطاه حتى في هذه المرة التي جاء فيها هذا الجبار عازما ، ثم رد الله كيده في نحره وقد اغنت عناية الله عن مضاعفات الدروع وعن عاليات الآطام .

حتى لي حاك ان النفلوسى ذكر القائد مباركا البنياني يوما في السفتك بالاستاذ لما يوسوس به القائد سعيد عند كثيرا فنهاه عن ذلك ، وقال له اياك ان تمس هؤلاء المرابطين بظفر ، فان لهم حمة لا تغلت من تمتد اليهم يده قال : وذلك مارده عما يريد باديء بدء ، ولكن هيهات ان يغلت النفلوسى منها هيهات ، فان الله يدافع عن الذين ءامنوا ، ومن اجترح ذنبا او مس حمى فلا بد ان يمس «ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون»

طاف داء عياء بالقائد محمد النفلوسى اعياء نطس الاطباء ، فلم يمهله كثيرا فالحقه برمسه في تزنيت في ١٤ محرم عام ١٣٢١ هـ كما طاف بتأزة ايضا ذلك الزعزع الهائل الذى اثاره ابو حمارة ، فضمت الحكومة كل جيوشها لمقاومته ومن بينها هذا الجيش الرابض مع القائد احمد انفلوس الذى خلف صنوه في مركز تيزنيت ، فنارت القنابل على رؤسائها ، ولاقى كل قائد من اخوانه مالاقي فانجر القائد سعيد المجاوى في تاجكالكات وضرب حوله نطاق الحصار من ذلك العام الى رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان يرسل سرايا من اصحابه الى البيوتات فينهبون ويلصون ومن بين من اصابه شره الاستاذ صاحب الترجمة ، فقد اصبح يوما فوجده بغلة له مفقودة وقد رآى اثر اللصوص ، ففرغ الى الوالد فركبهما الى ذلك الجبار المحاصر ، وقد عرفا انه هو صاحب الفعلة فربض الاستاذ بعيدا ولم يقدر ان يلج تاجكالكات فمثل الوالد بين يديه وبمجرد ما انقضى السلام المعتاد ، قال له الشيخ : بغلة الفقيه الاستاذ تجىء الآن فصار يتلوى فى الكلام فقال له : لا كلام ولا ما نقوله الا البغلة الآن وكان للشيخ فى امثال هذه المواقف همة نفاذة تفعل بنفوس مخاطبيها فوق ما يفعله لسانه فى اصمختهم فلم يجد القائد ما يجيب به ، ولم يسعه الا ان ارسل الى البغلة فحضرت ، فصار يعتذر فقيدت البغلة برسن كما قيدت من دار صاحبها ، قال لى اغمار ابراهيم اخو القائد وهويحكى لى القضية فقال لى الشيخ وقد خرجت معه لاودعه هذه هى نهاية القائد ، فكثيرا ما اردته عن ان يمس الفقيه ، واذمسه اليوم فقد انكشفت عنه تلك الغمامة التى يستظل بها منذ صار قائدا ، ثم لم يمس الا اربعون يوما اذا به يتحدر ليلة فى عقبة تاجكالكات هاربا ، وذلك فى ١٥ رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان ذلك آخر عهده بداره ، وآخر خيط انقطع بينه وبين ايبالته

هذه صفحة اخرى من صفحات تاريخ الاستاذ ظهر فيها بمظهر التجلد التام وبمتمهى الانفة ، فلم تدره نفسه ان يتطرح على عدوه هذا لعله ينزاح عنه

ما كان في صدره عليه حقداً على حقد ، وقد اكتفى بالالتجاء الى الله الذي لا يضيع احداً ، وكيف يستباح من كان في كلاءة الله ؟ وخصوصاً من كان مستضعفاً لا يتكل على قوة الا على قوة ربه «ليس الله بكاف عبده» ؟

في شمه غربته بعد دفن رفيقه الشيخ الألفي

اريد منك ايها القارىء ان تستحضر في ذهنك الآن معملاً من المعامل زرتة في حياتك وان تذكر ان هناك آلات تستدير كلها وان كانت وجهاتها مختلفة واقرب ما تلاحظه ان لم تشاهد قط معملاً آلات ساعتك ان فتحتها من ورائها فتدرك ان هذه الآلات المتحركة التي ربما لاتتجه في دورانها الى وجهة واحدة ينتج عنها وراء ذلك عمل واحد ، هو المقصود بها اولاً و آخراً

مثل ذلك مثل الاستاذ العلامة المدرس سيدى علي بن عبد الله الذي افرغ جهوده كلها في التعليم والفتوى والقضاء ، ومثل الشيخ الوالد المربي للمريدين الذي افرغ جهوده كلها في الارشاد والوعظ والتهذيب ، وازالة غيوان النفوس عن المريدين ، حتى تصلح للمقامات العليا ، ذلك عمل الاستاذ المستمر وهذا عمل الشيخ الوالد المستمر ، ثم انهما مع ذلك يكادان يكونان كروح واحدة في جسمين ، لانهما لا يكادان يفرغان من اعمالهما هذه بعض فراغ الا تواصلوا واستمرا كذلك مالم يدعهما الواجب لمعاودة اعمالهما ، ثم يتواصلان ايضا ، وهكذا دواليك وهل يجمع بين القلوب الا الصفاء ؟ وهل يجدى الجوار الا اذا تناخى الجيران مشهداً ومغنياً ؟

وليس اخى من ودنى بلسانه ولكن اخى من ودنى وهو غائب
ومن ماله مالى اذا كنت معدماً ومالى له ان اعوزته التوائب

كانا يفرحان فرحاً واحداً ، وكانا يقومان ويقعدان في حين واحد وينظران معانظرة متحدة الى كل شيء ، حقيقة ان لكل واحد منهما وجهة مستقلة يستقل بها ، فللوالد تصوفه الذى يرفرف عليه علمه الخفاق وملاقاة الواردين عليه ، المقتبسين مما لديه المنهالين عليه من كل صوب ، والاستاذ علمه الزاخر وأدبه العالى ، وسبحه في امواج المعارف بين طلبة مدرسته الذين انقطعوا اليه من الافاق ، فلكل وجهة هو موليا كما ترى ولكن الجامع بينهما ما وراء ذلك مما هو غاية لكل هذا ، وهو نفع العباد والسعى في مصلحة العامة

عرفت ان الوالد اكبر من الاستاذ ، وانه هو الذى له الصدارة بعد الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ولكنه لما رأى ان تصوفه هو ، وماطوق به من الطريقة واهلها لم يدع له فراغاً للعلم ، والعلم هو القطب الذى يدور عليه نفع العباد الدائم ، ساند صاحب الترجمة وصار يعاونه في القيام بهذه المهمة الكبيرة التى

ماخلق الا لها كما ان الوالد ماخلق الا لتصوفه ، فكان الوالد يرسل الى المدرسة كل من انس منه ميلا الى التعلم من اولاد مريديه ، ويشجع من فيها ويعين ويزود ويعبر الكتب ويقيم الحفلات ، من غير ان يكون منه ذلك كله الاعانة فقط ، ثم لا يتداخل في ذلك لما يعلم من ان الاستاذ هورب المدرسة الذى ورثها عن صנוه وانه هو العلامة الذى لاجارى في ذلك الميدان، وكذلك ليسانال عن مسألة فقهية خارج باب العبادات الا ارشد السائل الى الاستاذ ، بل ولائته قبيلة المرابطين بشئ من عند جميعهم الا امرهم ان يذهبوا به الى الاستاذ ، فقد جمعوا مرة في ايام الكيلوليين سمنا كثيرا ففرقوه ، فتوجهوا بنصفه الى الاستاذ وبالنصف الآخر اليه ، فأمرهم ان يلحقوا هذا النصف بذاك ثم لا يعودون الى مثلها ، وكان رحمه الله يرى الاستاذ مكانة عليية ومهارة يقتدر بها على الادارة في مختلف الامور فيدفعه اليها ، ثم يكون له وراء ذلك خير معين وهو الذى تطلب منه المرابطون ان يرأسهم في ايام التحاحين فقال كلائم كلا ، فهذا مركز الفقيه فهكذا سلم له من الجميع حتى من صנוه الشيخ ، ثم لا يزالان كذلك مجتمعين في الحضر والسفر مالم يشتغل الوالد بمريديه في زاويته ، او مالم يسح اليهم في اسفاره ، وفيما سوى ذلك تراهما معا ، اما في دار الشيخ واما في دار الاستاذ وضيقتما واحد ومجلسهما واحد ورايهما واحد وكذلك كثيرا ما تراهما على بغلتيهما كأنهما فرقدان ، اما في طريق تامانارت واما في طريق موسم تازروالت اوفي طريقيهما الى اقامة سلم بين المتحاربين ، فقلما يتطلب من احدهما امر فيه ظفر ، او تعرضت له وجهة يتوجه اليها الامر بصاحبه فراقفه ، اشتهدا بذلك حتى كان ترافقهما عند كل الناس معروفا مشهورا

حكى لى حاك ان الوالد تطلب منه ال أمتضى ان يقف لهم على عين حتى تخرج - وهى التى ذكرنا انها غارت في ترجمة سيدى احمد بن بلقاسم التيسوتى المتقدم- وكان الوقوف في امثال ذلك مما يكرهه الوالد ، ولا يحب ان يشتهر به ولا ان يقصده الناس من أجله ، ولكنه لا يرد من يتطلبه منه الابجيلة كما فعل بهؤلاء فقد مر بصاحبه الاستاذ بن عبد الله فركبا معا فوصلا أمتضى ، فقال لمن هناك لا بد ان تعطوني وان تعطوا الفقيه سيدى عليا مقدار ماتسقى العين نهادا لكل واحد منا من الحقول ازاء العين ، مع مانينى فيه ديارنا ثم مال بصاحبه وهما على شفير العين يخطان خطط الديار ، والشيخ يتبالة ويتظاهر بانه ذو حرص شديد فى ذلك ، فترأى لئال أمتضى الجشع العظيم من العالمين الالغيين فقالوا فى انفسهم ما قالوا ، فردوهما بالتى هى احسن ثم رجع السيدان وهما يتسلمان ، وقد ادرك الفقيه مقصود الشيخ ، فتمت حيلة الوالد من غير ان يشعر بها احد ثم لم يعد ال أمتضى الى الخ بعد ذلك اليوم ولا ذكرا بعد قضيتهما •

سألت يوما سيدى سعيدا التنانى عن كتاب من الكتب ، لماذا لم يشتره الوالد فقال ان الشيخ اذا كان بمراكش ، لايهمه الا أن ياتى الى الفقيه سيدى

على والى الحاج ابراهيم الايفسانى بما يكسوان به كل من فى دورهما ، وقلما يفضل له عن ذلك شىء آخر اقول ان دارنا ودار الاستاذ ودار الايفسانى واحدة فى ذلك الوقت والآن ايضا ، لان الامهات منهن متلاحمات الارحام فزوجة الاستاذ اخت الوالد وزوجة والدى بنت اخت الايفسانى وزوجات اولاد الحاج ابراهيم بنات اخت الوالد وربيات الاستاذ ، فلذلك علاوه على اداء حقوق الصجبة والجوار ترى الوالد مهتما بشؤون الجميع كما يهتمون هم ايضا بشؤونهم فكانوا خير رجال فى خير عصر لايعرف الحسد ولا مايكون من تباض المتعصرين المتجاورين اليهم من سبيل ، ولاتجد النمام الى ذات بينهم منفذا فقام بهم من العلم والدين فى الغ مالاتزال السنة المتحدثين به رطبة الى الآن .

ثم لما توفي الوالد وفقد منه الاستاذ من كان له خير معين فى كل ناحية أصبح كغريب فى الغ ، ثم لم ينشب ان بدت له امور تلو امور ، فكان لسان حاله يشتم فيها قول الطغرائى

هذا جزاء امرى اقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الاجل

وكان رحمه الله كثيرا ما يذكر الشيخ فى محادثاته كلما حزه امر لايجد فيه معينا ، اورأى فى بيئته من لايقدرونه قدره ، ويقول مامات الشيخ الالى وحدى ، فقد حكى لى الفقير سيدى محمد الزكرى انه التقى معه ليلا عندمصل العيد غربى المسجد السلماني وذلك حين قلب الايشيون ظهر المجن لآل الغ فأرادوا أن يלתهموا أملاكهم التى اشتروها فى قريتهم ، قال الزكرى فقلت له انه يجب عليك ان تدارى الايشيين كما كان الشيخ يداريهم فى عصره ، فقد كان قام بذلك فى حياته عنك وعن نفسه خير قيام بما كان يصبه عليهم من العطايا صبا ، فانه لامقصود للايشيين الاما بمصصون ولايشكون اليوم الامن فقد انهم ماكانوا الفوه ايام الشيخ ، قال : فاجابنى الفقيه بقوله : ايراد منى ان امثل دور الشيخ فى كرمه ، وفى حسن معاملته مع الناس ؟ فانى اكون كشعرة من شعراته فانه كان وحيدا فى دنياه محظوظا فى حياته ، انهالت عليه الدراهم ومختلف الالبسة من كل ناحية ، حتى اننى لازال اتقلب فى كسائه التى كسانها الى الآن وقد انصرفت سنوات كثيرة قال الزكرى ثم تناول سلهاما كان عليه من الملف وقمصاء اخر تحته فقال اشهد على بان هذين من بقية ماكسانيه الشيخ رحمه الله ، أمثل هذا الرجل العظيم تريدان تسوينى ، وترغب فى ان اقوم مقامه للايشيين وغيرهم ؟

هذه شهادته رحمه الله وقوله فرحمه الله من متواضع منصف ، وهل يعترف مثل هذا الاعتراف الا الافاذ الذين يقلون فى كل وقت ؟ فقد تناخيا حياة ومما تارحمهما الله ووفق اولادهما ان يرثوا عنهما ذلك التناخى .

وابعض الالعيين

وان اخاك الحق من كان مثنيا عليك وترب الرمس قد هيل فوقكا
ويعلن في كل النوادي لسانه من الفضل والمجد المؤئل حقكا

بين قضاآ تزئيت في عهد الهيبه

دار الزمان دورته ، وتقلبـت بالمغرب المنكود فتن وثوارت ، فجاء الاحتلال
الداهم بزعاذه ومعاركه فيتخبط المغاربة كلهم في امواج متلاطمة مهاجمة
ومدافعة فامتد الى سوس حظه من بين ماتسموج به جوانب المغرب فبويسع
الشيخ احمد الهيبه في جمادى الثانية عام ١٣٣٠ هـ على ايدي رؤساء القبائل
الجنوبية وفقهائها ، فكان صاحب الترجمة لما له من الشهرة الطائرة والسمعة
المنتشرة ممن لابد ان يكون في طليعة الفقهاء ، لماله من غيرة دينية وشهرة بين
اقرانه في كل سوس مدوية ، ثم توجه الهيبه الى الحمراء زاحفا بجيوشه فترك
ثلة من العلماء بتزئيت ، قضاة تحت رئاسة سيدى المحفوظ الادوزى رحمه الله
فكان استاذنا من بين هؤلاء القضاة بل ممن لهم هناك شرف ورهبة وجولات
اثر جولات ، وقد صدرت عنه اذذاك ادبيات نثرية او شعرية الى الشيخ الهيبه
والى اخيه النعمة فتمشى في فض النوازل على العادة ، والقضاة غير منظم ومتى
لامثال تلك القبائل اذذاك تنظيم في شؤونهم الخاصة ، فينتظر منهم ذلك فى
شؤونهم العامة- فيتوصل القضاة من المحكوم له على العادة بما يتفاوضون
عليه ، فبقى هناك الاستاذ شهرين شعبان ورمضان عام ١٣٣٠ هـ ثم عيد عند
أهله بالغ ، وقد جاد على كل من زاره يوم رجوعه اواله بداره بما عرف عنه رحمه
الله من اكرام القاصدين وانحاف من اليه بعد سفره من الجبران والاقرين

وقد وقعت له هناك بتزئيت قضية تدل على تسامحه ، وذلك ان بعض
الناس المتفقرين كان تعرف به فاتخذة امينا ، يودع عنده ماياتى به الله من
قوالب السكر حتى بلغ ذلك سبعين قالبا ، فجين ازمع الرحلة طلب الوديعه
من سيدنا الفقير الصوفى فصاحبه سيدنا الامين الى البيت الذى يضع فيه
السكر ، فازاه ميل الماء الذى يكف به السقف وقال ان السكر ذاب كله من
وكفات السقوف بالمطر ، ولادرى اظن الاستاذ الكاغد ايضا مما ذاب فلم
يستقص فى السؤال ، ام علم ان السكر حقيقة ذائب ولكن بما سخين غال مما
تداوله المقراج والبراد فى حضرة سيدنا الفقير الغاني فى حضرة ربه

ان قال قد ضاعت فصدق أنها ضاعت ولكن منك يعنى لوتنى
او قال قد وقعت فصدق أنها وقعت ولكن منه احسن موقع
فقد كان القاضى سيدى محمد أعمو -قاضى تيزئيت اليوم- يباسط هذا

الفقر ويجاريه حول هذه القضية ، والآخر يبسم ويظهر من بسماته ان ذلك
السكر انما ذاب بين حرف الكأس ورشقاته ، ام ان القدر هو الذى امل ان الذى
ياتى بنقط المداد من اليراع بين الاوراق ، فمن ان يذهب مشروباً بين حسابات
السبحة وبين كأس دهاق .

بن رؤساء قنائل هذا الجمال في الكفاح

احفلي الشيخ احمد الهية من مراكش فحل بتارودانت حيث زاره صاحب
الترجمة مع الحاج ابراهيم الايفشاني ، وقد مرا في رجوعهما بتزيت بعدما
جلاعتها الشيخ النعمة الذي كان فيها خليفة اخيه الهية ، وكان انجلاؤه اثرعيد
الاضحى من عام ١٣٣٠ هـ فحل الاستاذ ورفيقه هناك فلم ينشب ان داعته امرأة
من هناك الى مجمع رؤساء تيزيت وكان الاستاذ حكم لها في قضية في تلك
الايام الماضية ، وتوصل منها بما توصل ، على عادة القضاة كما ذكرناه ثم
حفرها الآن بعض فقهاء تيزيت ممن كانوا يتطلبون اذذاك حظهم في تلك القضية
فلم ينالوه ، ثم انقل الاستاذ عن تيزيت كما ذكرنا قبل ان يتوصلوا به فوضعوا
البرغوث الآن في اذن المرأة لعلهم بذلك يتوصلون بشئ من الاستاذ فحين علم
من أين مثار هذه الموجة تبسم فناول اولئك الفقهاء شيئاً يقطع به السنتهم
فسمكتوا المرأة وانتهت القضية ، وقد قال الحاج ابراهيم الغيور على مرابطيه
الالغيين دائماً لوعلمت ان في تيزيت مثل هذه القضية لما مرنا بها ولكن كان
امر الله قدراً مقدوراً ، على ان صدر الاستاذ الفسيح الذى يعلم من أمثال هؤلاء
الفقهاء انهم انما يريدون ان يثأروا من ورائه مضغة حين اعوزهم ان يشقوا له
غباراً في ميدان انقضاء ، لا يمكن ان يضيق ولا أن يتغير ومتى تغير البحر بقذاة
تسقط في عرض عبابه

افتقدنى عرض البحار قذاة ان رمتها في جانبيه الرياح ؟

ثم ان الهية ازعج ايضا من تارودانت الى اسرسيف ، ثم الى تيمكر ثم
حط رحله اخيراً بكردوس ، وفي كل هذه الامكنة لا يغيب المترجم زيارته ، ثم
دارت بين هذه القبائل الجزولية وما اتيها الى ايت بعمران ، وبين الجيوش التي
ترسلها الحكومة تحت ايدى القواد حيدة بن مايس المناهبي والقائد ابن دحان
والباشا الحاج التهامي الكلاوى والقائد الكنفاسى وغيرهم من ضباط فرنسا
وجنرالاتها ، حروب ومجاذبات عنيفة ، وكان لصاحب الترجمة يد عليا في
الاستجواذ على القلوب في كل مجمع بمواعظه المبكية ، وفصاحته المؤثرة حتى
لا يتكلم في المجمع العام للقبائل - كما حكى لي الاخ احمد - سواء ، وسوى القائد
المدنى فهما العضدان للشيخ احمد الهية ، ولسانه الذى هو يبلغ به الهية ماشاء لهذه
القبائل ، ثم لما دفن الشيخ احمد الهية واقيم صنوه مربيته ربه مقامه تهادى

الامر على ذلك ، وقد انقطع غالب الفقهاء عن كردوس الاهو وسيدى الطاهر الافرانى لانه لايبقى فى الميدان الا المخلصون

هذا هو شغل الاستاذ انشاغل منذ اجتمعت كلمة هذه القبائل الجبلية والجنوبية على مناصرة الهبة وخلفه فى الكفاح والمقاومة ، فعلا كعبه فى الرياسة وكاد يكون وحده قطبا لايتخطى فى المهمات امره ، وقد اتخذه القائد المدنى الاخصاصى الذى كان هو فى الحقيقة كبش الكتبية والمنافع بحليب هذا الضرع الدار شريكا ونجيا ، والاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الافرانى تلميذه يسانه ويشد عضده ، ويؤمن على كل دعوانه ، فقد حضرا معا فى وقعة وجان يوم زحف اليه القائد حيدة فكانا ممن تسللوا الى وجان حين حوصرت فى ذلك اليوم المشهود كماحضرا ايضا حين سقط القائد حيدة هذا قتيلًا ، ولهما فى ذلك نظراء وكانا عام ١٣٣٥ هـ من بين المقاومين يوم انزحف الاكبر بالجيش الجنسرالى - كما اشتهر به فى هذه الجهات الى الآن - ثم كانا ايضا من الزاحفين الى اداوزكرى مرات والى ايت ودرېم والى غير ذلك مما وقعت فيه حروب ومجاذبات بين هذه القبائل وبين الحكومة وهو فى كل ذلك بذلاقة لسانه وبلاغة بيانه ، وتدفق عباراته التى تتدفق كلما قام فى مجمع من مجامع القبائل للوعظ يترقى فى اعين الناس ترقيا عظيما ، حتى كان يحسب له ولرأيه الف حساب مع ثبات جاش وشجاعة تؤثر فوطىء رؤساء القبائل عقبه ، ووفدوا زرافات الى داره وهو فى كل ذلك لامطمع له الاسداء النصيح لآخوانه لاغير ، ولايقصد اى شىء اخر على حين ان القائد المدنى الذى كثيرا مايجعله تكاة ، يسرفى كل مايفعله من ذلك الحسو فى الارتقاء فمقصوده الوحيد ان يتغلب ويتمكن من اعناق الضعفاء فيمتص دماءهم ، حتى لايدر فيها قطرة واحدة ، وانما يحكم عليه بهذا لان ذلك هو الذى يظهر منه فى كل انقبائل التى تحت كنفه ، فلاشفقة ولارحمة ، ولكن الاستاذ مع كل هذا كان يحسن فيه الظن ، لطيب سيرته وزكاء عنصره ، ولان الفقهاء ابعد الناس عن متجهات السياسة ومغامزها ، كما قاله ابن خلدون .

ذلك هو الاستاذ الرئيس المعروف بالجهر بالحق ، والاشادة بالصرحة التامة ، حتى لايباه بمايناله فى ذلك وكان له فى مواجهة الشيخ احمد الهبى وخلفه مربيه ربه - وهما ماهما فى اعين الناس بهذه القبائل - كلمات ماثورة يجههما بها ، يراها من الواجبات عليه من جهة دينه ومن محبته الدائمة لهم ، فكانا يتلقيان منه ذلك برضا يدل على انهما يعرفان انه لايريد بنصيحته الا الخير حتى انه مرة القى الى الاخير منهما ان الزواج والطلاق اللذين يجعلهما هجيره كل يوم ، مما يفسد المروءة ويغمر عرض الانسان ورجولته ، ويحكم بان لشهوته عليه سلطانا لايقدر ان يقاومه فاجابه مربيه ربه بان المرء فقيه نفسه قلت ان كثرة الزواج والطلاق فى بلادنا هذه التى لاتعرف الزواج الثانى الاناددا ولايفرط فيها طلاق الا فى بعض ازمئة قليلة جدا ، من بين الرعاع السفلة ، من

العارواشناد للذين لا تبقى معهما مروءة، ولا يحفظ بهما عرض الان الصراوين
 كمال الشيخ ماء العينين يالفونهما الفة معتادة ، فهم معروفون بهذه الخلّة حتى
 ان الشيخ احمد الهيبه نفسه ماكاد يروح الى قصر القصبه الملوكي بمراكش ،
 حتى كان اول ماجالت فيه فكرته : زوجة جديدة يتمل بها على تلك الارائك التي
 نسنمها جديدا ، فقد اخبرني باشا الحمراء اذذاك صديقي السيد ادريس منو
 انه فاضله في ذلك بمجرد دخوله ، قال فوجدته قد استقصى اسماء الشريفات
 الابكار الموجودات اذ ذاك في دور القصبه من بنات الشرفاء العلويين ، استقى
 ذلك من بعض العبيد الذين تنازل اليهم من عليائه ، حتى صار يفاضهم في مثل
 هذا ، قال : فكنت اراوغيه عن كل من يريد بها من هذه الانسات العلويات ، فاجعل
 لكل واحدة منهن حجة خاصة ، واخترت انها متزوجة بفلان ابن عمها ، وانما ناخر
 زفافها اليه الى حين ثم املت عنقه عن عمد ، فقلت له اين انت من الجمال البارغ
 والشرف الباذخ والاصالة المغبوطة ؟ فقال واين هذا كله ؟ فقلت له في
 تامصلوحت ، فقال اونسأؤهم هناك ؟ فقلت له ان الخبر عن ذلك دون الخبر
 فهكذا اسطعت ان افلت الشريفات منه ، فخرجت وانا اتعجب منه ومن همته
 اقول تأمل في هذا السيد الذي اطلت اليه الجيوش من كل جانب وهو
 يريد ان يؤسس ملكا باقيا ، وان ينقذ المغرب من الاحتلال ، ثم انظر الى ما
 يملأ فراغ وقته ، كان الايام ساعدته في كل شيء او كأنه نال كل متمناه ولا ينقصه
 الا ما هو متطلبه من بنات الوسائد ، واين هذا من المؤسسين الذين ما كانوا ليايلاوا
 وهم في مثل هذا الطور بلدوات القناع (وان بن باطهار) فهذا ابو مسلم الخراساني
 اخنذير الشهير ، يعد البعال جنونا ويقول يكفي الانسان ان يعجن مرة واحدة
 في السنة وهذا عبد الملك بن مروان تعرضت له احدى الغواني في قصره وقد
 استلام واستعد للخروج لمناجزة مصعب بن الزبير ، فاجهشت اليه في موقف
 الكوداع ، وكأنها تقول له لمن تذرني وراءك ؟ فساعدتها من في القصر من
 الجوارى على بكائها ، فلم يعد عبد الملك ان ارسل اليهن نظرة قصيرة ثم ولى
 وهويشمد ما قاله كثير

اذا ما اراد الغزو لم يشن همه حصان عليها نظم در يزينا
 نهته فلما لم تر النهى رده بكت فبكي مما شجها قطينا
 فمثل هذه الهمّة هي التي يريد الاستاذ في الشيخ الهيبه ، واخيه بعد
 ان بذل لهما صفقته ، لان الامور العظام لا تتم الا بالاعاظم ، وكيف تكون عظمة
 من لم يقدر ان يتملص من مثل ذلك ، فلا يستطيع ان يملك قبيحه ولا ذبذه ولا
 كبيكه (٢) . ولكن هؤلاء ابناء الشيخ ماء العينين الذي تزوج بمائة وست عشرة
 بالتوالي على نية امتثال الحديث تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم
 القيامة . فرضى الله عن الشيخ وابنائهم . وانما الحديث ذو شجون

(١) تفسر الكلمات، باللسان والبطن وءالة التناسل واصل ذلك حديث

الاستاذ ومدرسته اخيرا

عهدنا بالمدرسة الالغية ، ومديرها الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى فقام بها خير قيام ، فلم يكن للاستاذ على بن عبد الله فيها معه الا الاشراف عليها من بعيد ، ومشاركة احوالها والقاء بعض دروس عالية خارج دائر الدروس النظامية ، يوم يمكن له ذلك ووجد فراغا من ضيوفه الكثيرين ومن منصبه القضاى الذى شغل كثيرا من وقته ، فقد اصبح يراعه في حركة دائمة لايفتر فى الافتاء والاحكام حتى ان سلات الرسوم فى قبائل تلك النواحي لتعج بها عجيجا ، وقد اخبرت ان ديارالوفقاويين لم تكن فيها دار واحدة تخلو من فتوى او حكم مما حرره بقلمه ، واحدا او اثنين او اكثر ، وكل ذلك بعبارة الفصيحة التى استمد بها فقهه من ادبه ، فاذا وجد من الاشغال الشاغلة فراغا فلا يدع السقاء بعض دروسه فى المدرسة

وفى عام ١٣٣٥ هـ غادر الاستاذ سيدى بلقاسم المدرسة لثروة من النزوات التى لا يخلو منها البشر ، بعد ان حضه الاستاذ على ان لا يغادرها ولكن الرزق قد انقضى له هناك ، ثم شارط صاحبها فيها الاستاذين سيدى احمد بن محمد التيزيدى مرتين ، وسيدى على الاوقفى حينما ، فحملت الاستاذ ذبذبة الدراسة هناك على ان يجعل ايضا من وقته حظا لتمشية الدروس النظامية وخصوصا بعد ان شغرت المدرسة من هؤلاء الاساتذة الذين يعتورونها ، فهذه حاله من عام ١٣٣٥ هـ الى ان التحق بربه فى عام ١٣٤٧ هـ

وكانت عادة الاستاذ ان يرسل اخص تلاميذه ليتلقوا بعض فنون العوشر عند من يتقنها ان لم يكن له الاتيان بذلك الاستاذ ، فهذان الاستاذان سيدى احمد ابن صائغ الافرانى وسيدى اظاهر بن المدنى الناصرى ، قد ارسلهما الى المدرسة البوعبدلية لياخذوا المنطق عن استاذها سيدى المحفوظ ، وكان ايضا اتى بالاستاذ شيخه سيدى على بوضاض فى اوائل تصدده فى المدرسة ، فأخذ عنه من فى المدرسة الالغية الحساب والفرائض كما كان ايضا يقدم لذلك الاستاذ محمد بن على ايكيك ، وربما يجلس مع الطلبة فى درسه ويعمل معهم عمل الفرائض او اعداد الحساب وذلك من تواضعه ، وليكون خير قدوة للطلبة ، وقد اخبرنى ايضا ولده الاستاذ الطاهر بن على انه ارسله فى عواشر الى استاذ مدرسة افلا أوكنس ، سيدى احمد بن سعيد الاكمارى لياخذ عنه الفرائض ، والبخارى سردا فى رمضان ، وأين نظير الاستاذ فى مثل هذا الصنيع ، حين لا يستنكف ان يأخذ تلاميذه الاختصاص عن غيره مع مانعده من غالب معاصريه من اعتداد كل واحد منهم بنفسه وبعلموه وبمدرسته الخاصة ، فلا يكاد يسلم الاخرين مكانتهم فى المعارف من بعيد ، فضلا عن ان يتنازل حتى يبعث اليهم اصحابه او يستقدمهم

فيجلس مع تلاميذه بين يديهم ، فيأخذ عنهم هو ايضا كما يأخذون ، فليعرف التاريخ للمترجم هذه المثبة ، فانها لمثبة عظمي ، تكفي ان ترفع بها الغ راسها مفخرا الى عنان السماء وان تسكت من عسى ان يغمر المدرسة الالقية مغمرا ياباه الله والشهم

أقلوا عليهم لا ابا لايبكم من اللوم اوسندوا المكان الذي سدوا

وقد كان اخذ عن سيدي عبد الرحمن السالمى فى مبدأ أمره ثم صار يستقدمه فيبقى فى المدرسة فى بيت يأخذ عنه فيه طلبتها

نظرة عامة على اخلاقه

ماظنك برجل كان اولاً منعزلاً فى مدرسة ، مقبلاً على موالاة دروسه لايمتد بصره الى اكثر منها ثم بعد ذلك دهمته اعاصير ادارة اعمال اسرته وطلبتته ومزاولة الخصوم الذين يحكمونه فى القضايا وهم الحطب الذى لا يوقد فى مطبخ الا اذا اوتى به من بعيد ، وشأن انحرث والحصاد فى الغ ادهى وامر ، والعبيد وهم كثيرون عند الاستاذ فيما بين هذا وذاك ينتهبون كل ما وجدوا ، لا يؤتمنون على حبل فضلاً عن غيره ، والوفود المستضيفة تتوارد من كل جهة ، أفترى من كان بين هذه الموجات الزخازنة يهدأ خلقه ام تنتابه فينات نوبات عصبية تقيمه وتعقده ، حقا كان الاستاذ على هذه الاخلاق فكان هو فى نفسه لينا طيباً متحملاً صبوراً واسع الصدر ، مراعياً لجبر الخواطر بالغاً اقصى جهده ان لا ينصرف عنه جلسية الاراضيا ، لاسيما فى اوقات الابحاث العلمية فانه يرخى العنان كل الارحاء ولا يجبه من يخالف رأيه فى مسألة بل يسايره حتى يتجلى الحق للجانيين فيقف المباحث عن عسفه ان كان هو الذى اعتسف عن الصراط السوى ، وان كان هو الاستاذ فسرعان ما يرجع ، فربما يلاقى رحمه الله فى امثال هذه المجالس من امثال ائفقيه سيدى محمد بن على ايكىك ما يضيق به نطاق الحليم ، ولكنه يرى لمقام رئاسته انه لا يستحق ذلك المقام الا اذا كان لا يخرج عن الاغضاء والقاء كل مامسه فى ذلك دبر اذنيه :

ليس الغبى بسيد فى قومه لكن سيد قومه المتغابى

ذلك طبع الاستاذ الجبل الذى يظهر منه كل الظهور بين اقرانه وتلاميذه وجلسائه ، ولكنه لا يكاد يزاول الشئون الاخرى ويرى بعينه ما يرى ، مما لا يتسع له حتى صدر الاحنف بن قيس وتحمل قيس بن عاصم حتى ترى منه بعض المرات ثورات ، لا يقف امامها واقف ، وخصوصاً حين يشاهد افساد الحقول ودوس البقول والعبث بالمزارع واقتضاب الاغصان المثمرة فلازال أتذكر اننى فى بعض الصبية اترابى ، كنا نتجارى على فرس فى مزارع السنابل

فلم نشعر به حتى هروا اليها ، وصوته الجمهورى تصتك به اذاننا فرجعنا
باجنحة النعام ، وهو يتبعنا بالرمل باحجار كئالها مستهدفين ، غير ان الله سلم
فولجنا ديارنا بقلوب واجفة ، وفرائض مرتدة فكان لنا ذلك درساً لم يزل نصب
اعيينا الى الآن ، وقد يضجر ايضا احيانا من المتخاصمين الذين يحكمونه فسي
قضاياهم ، ومن كثرة الدادهم وشغبهم وغتهم ونزولهم عليه كانهم لم يترك
اذانهم قول القائل

(ليس على الفقيه من ضيافة)

فينهال عليهم متفجراً بالنائب والعتاب ماشاء الله ، ثم لا يلبث ان ينهال عليهم
ثانياً بخيرات حسان ، وجفان كالجوابى وقدور راسيات ، فتبرىء الموائد
البهجة ماجرحت الصدور الحرجة

وكان يجب نجاة الطلبة ويقوم بضعتهم بما يمد به الى كل انسان منهم بيده
فيما بينه وبينه ويشجع كل من اانس منه تقدماً في فن من الفنون التى يعنى
بها الالغيين وخصوصاً علوم الدين والادب وما اليها ، فكل من رأى له في ذلك
اثراً محدثاً مقالة او رسالة او قصيدة او قطعة ، يعنى به غاية الاعناء ويجمع
عليها اهله وما اهله الا علماء نجباء متفوقون - مع من وفدوا على حضرته فيلقى
عليهم بنفسه ما حدثه التلميذ من قريحته بلسانه الفصيح ، ولهجته العذبة فان
كانت شعراً وهو الغالب فانه يكر كل بيت على حدة ، ويترنم به فيستحسن بكل
اعلان ما كان مستحسن ، وبغض عما رآى من الزلل مع التلويح الى ما في ذلك
من غير تصريح ، حتى لا يحصل خجل للقائل فينكص على عقبه وتفتريه وتهته والتشجيع
دانما افضل للتلاميذ ، وهكذا ايضا في الرسائل والفتاوى وسواء صدر هذا
من تلاميذه الالغيين أم من تلاميذ تلاميذه ، بل يعنى بكل ذلك وان صدر عن
اجانب عن الغ اريحية منه وحباً للادب العام وللآثار العلمية كيفما كانت وايا
كان اصحابها .

على ان له وسط تلاميذه مع هذا الخلق الواسع وقفات اخرى اذا شاهد من
احدهم خروجاً عن الاحب او اانس ما يخل بالمرءة او يهتك سمعة المدرسة
فكم ذى لحية كثة وهو عملاق يطاول النخيل ، مد أمامه في المدرسة ، فاختلعت
عليه الحبال حتى يكره الغ وما اليها ، وتمنى لو لم يعرف اليها من سبيل ولاورد
بلا شوكة ولا روضة انفا بغير سياج وجزاء سيئة سيئة مثلها وكم زلة لا يمكن
ان يتل ازاها : « فمن عفا واصلح فاجره على الله » ولبعض الالغيين في الموضوع :

اذا انت لم تكبح ريفسك مرة وقد اعتدى شاركتك حيث لا تدرى
وذو الاعتداء ان اعاد غدت له خلائق تبقى لا تزول الى القبر
ونفس الفتى جماحة لا يردّها سوى كبجها بالجدب والنهر والقهر
ومن كان ذا حزم فلا بد ان ترى له ضغطة حيناً وان كان ذا صبر

فما كل ذي داء يداوى بسكر فكم نفل لابد فيه من الصبر
فعلى هذه الطريقة التى عليها صاحب الترجمة يسير كل الالغيين ولاعلم
الآن من حاد عنها حتى الشيخ الوالد الذى هذبه التصوف وكانت تربته قلبية غير
تربية الالغيين فانه قل ان تجد من اصحابه الذين اكثروا ملازمته من لم يجد ذلك
عنه باثارة من هذا الخلق ، وهذا الخلق يسمى عند الاخلاقيين الاسلاميين
عمريا نسبة الى عمر الذى قل ان تجد من بقية العشرة المبشرين بالجنة فمن دونهم
من لم يصطدم ودرته ، ولايوتى هذا الخلق الامن اوتى القوتين الذاتية والروحية
وقلما يسلك صاحب هذا الخلق فجا الاسلك المفسدون فجا ، اخر فرارا منه
على ان الناس طبائع والغاية واحدة ، وان تعددت الوسائل وان كان الخلق النبوى
من الحلم والاناة والمسامحة اعظم الاخلاق وافضل ما يقتدى به ، وفى الحديث
انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ، وقد سرى الى الاخلاق من نحن الالغيين هذا
الخلق من الاسلاف ولكن يجب علينا ان لانتخذه المثل الاعلى

وهبنى قلت هذا الصبح ليل ايعمى العالمون عن الضياء ؟
فانا بنفسى طالما ندمت على مثل هذه المواقف (١) المزرية ولكن الطبع
وا اسفا يغلب التطبع ، فلنقل الحق ولننصف فان الله يعين على الفرق مالا
يعين على الخرق

فهذا الحق ليس به خفاء فدعنى من بنيات الطريق
وكانت له رحمه الله فى رماية اليد قرطسة قلما تخطى ، اشتهر بها ،
لاسيما ان كان راجلا لذلك كان ان حزه امر واستحثة ان ينهى مفسدا من
المفسدين فى المزارع وقت فصل الربيع ينقتل عن ظهر بغلته ان صادفه الحال
راكبا ، فيقف على رجله ، ليوجه الحجارة كيف يريد فاذا بالحجر من يده كالسهم
من يد احدهم شعل وكان رحمه الله رجل الدنيا والاخرة ورجل المعارف والمكاسب
خلق لهما معا

وانما رجل الدنيا وواحدھا من لايعول فى الدنيا على رجل
فكما انه هو الذى يتولى مراجع مسألة من المسائل وقعت فيها الابحاث
المختلفة فى مجلسه فلايكل ذلك الى غيره ولايكل عن ترده الى مكتبته مرادى الى الكتب
التى تتوقف عليها المراجعة كذلك يقف بنفسه على جميع شؤنه ، ولايكل ذلك
الى احد وان اتفق ان يرسل احدا ليقضى غرضا ، فلايلبث ان يطل عليه لينظر
كيف يفعل ، فكثيرا ما يمكث فى قبة الاضياف بداره ، والمحفل بالعلماء غاص
وكتاب من كتب الادب اوالتفسير اوالحديث يتلى ، اوقصيدة تلقى وربما يكون

(١) كنت حين لبثت فى تينجدا معتقلا جمعت مؤلفا فى هذه المواقف التى
عدهتها اذذاك ازيد من سبعين وسميته (مواقف مخجلة)

هو التالى للكتاب ، او الملقى للقصيدة ثم لا يشعر به وقد انتسب من حضر فى مبحث هم فيه بين قبول ورد والمراجعة سائرة فى طريقها ، فينسب من القبة الى داره الداخلية ، فيخرج مهرولا من بابها الشمالى فيتوجه الى ضيعته بتالات نيت عيس ، فيبغت عبيده هنالك لينظر مايفعلون فيما ارسلهم اليه ، ثم يرجع بسرعة قيدخل من ذلك الباب فيمثل فى المحفل وشيكا ، فيشارك فى المبحث الذى ترك المجلس منه فى قبول ورد ، فيلقى رايه ويسلك طريق المراجعة فى الكتب الحاضرة ويأتى من الكتب بما احتيج اليه ايضا كانه خالى البال من كل شىء الاما فيه اولئك العلماء وكانه ماقضى شغلا اخر خلسة وهم لا يعلمون ثم يشاركون فيما هم فيه يتباحثون ، وربما كان ايضا يسرد قصيدة ويترنم بها فيلقبها على المسامع واريحية الادب التى تنسى كل شىء قد غمرت المحفل ، ولكنه بين ذلك الانشاد ينادى احيانا بعض من بوصيه بما يريد ، او يسأله عما لا يريد او يأمره بعلف البغال او بابرادها الماء ، ثم لا يقطع عنه ذلك تلك الموجات التى غمرته وغمرت كل من كانوامعه جالسين

وكان رحمه الله يشاور كثيرا فى النوازل حتى ان عادته المعهودة -وقلما يخرج عنها - انه لا يبيت فى نازلة حتى يشاور اخرين ، وكان سيدى الحاج احمد بن محمد اليزيدى رحمه الله والاستاذ سيدى الطاهر الافرانى اطال الله عمره والعلامة سيدى الحاج احمد الجشتيمى والفقيه سيدى عبد العزيز الادوزى والفقيه سيدى محمد الجرارى الاساكى المجاطى ممن يشاورهم وهم كثير ، زيادة على من وجد فى حضرته من العلماء الذين لا تخلو منهم ، فلا بد ان يذكرهم فى كل نازلة يزاولها فتأتى له بذلك ان سار بقدم امانة من العثار ، فلم يعهد انه حرر نازلة فقام من معاصريه من يرداها عليه بحق ، لكنه هو كثيرا ما يرد نوازل غيره وينقضاها بالنصوص ، ومما وقفت له عليه فى ذلك فتاوى مراكشية للاستاذ الحاج العربى الرحمانى ، وشيخنا مولاي احمد العلمى ، فمن دونهما نقضا نقضاتا ما ونكت غزلهما نكتا وقد ذكرناها فى (مجموعتنا الفقهية) بنصوصها على انه على عادة اهل هذه البلاد لا يتجاوز فى الفقهيات هذه الكتب المتداولة غالبا ولذلك نراه ونرى الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى رحمه الله يميلان الى انه لازكاة فى الاوراق البنكية وماعلة ذلك الا الاقتصار على بضعة كتب فى المراجعة ولا يتوسعون فى المراجع العليا ، ولا يشاركون فى الحياة العامة خارج سوس ، وان كان هناك عذر مقبول عنهم فان الكتب الموجودة يستوعبونها ثم لا يطالبون بما ليس فى مستطاعهم ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ، وهل الانسان الا ابن يئته خلقا وفهما وتمييزا وسعة مدارك ؟

فهذه نظرة اخيرة على العلامة سيدى على بن عبد الله رحمه الله الذى كان ثانى اثنين فى الغ فى عصر واحد فقال الغ بهما ما بلغ ، وكله در بعض الالغيين اذ قال فى مقام ايجاز :

اكفف من مد اليراعة مرغما وان لم اقل كل الذى كان واجبا
فمنلى بان بان احصى الرمال بعالج ومنلى بان احصى بعدى الكواكب

آثار قلم الاستاذ من النشر

ليس كل استاذ ينتظر ان تشاهد منه آثار قلمه ، ولاكل اديب علامة
يفتخ عن آثاره فى التقفيف والتهديب ، مالم يكن كصاحب الترجمة الذى تانت
له وجهتان ، وتيسرت له هجرتان فأمكن للسانه الذى يدرس به ويلقى به
مختلف العلوم على تلاميذه الكثيرين ان يترك لنا ذلك الجم الغفير من آثار
تهذيبه وتخريجه ، وامكن ايضا ليراعه الذى لا يهدأ بين الدواة والقرطاس ان
يفيض علينا بآثار قيمة رائعة ان قيسمت ببيتها زحرت بها الكنائش وافغوعمت
بها الخزائن ، فلذلك يجب علينا لك ايها القارئ ان نعرض امامك من آثار قلمه
اولا ، ثم نعرض عليك ثانيا من آثار تهذيبه وتخريجه ماستراه قريبا ، ان قلم
الاستاذ كان سباقا الى الغايات ، نساجا صنعا فى القصائد الاخوانيات ، وفى
الرسائل المحبرات ، فكان يتقلب بين الشعر والنثر وكان الجنس والسجع مما
يقصده الاستاذ ، وينتظم فى سلك الادباء الذين يختارونهما ويرون «ان فى
الخمر معنى ليس فى العنب» تمشيا مع البيئة ، وهل الانسان حتى الاديب الا
ابن بيئته ؟

حدث الاديب سيدى احمد بن محمد اليزيدى ان الشيخ احمد الهبة سأل
مرة وقد زاره بكردوس عن الموازنة بين هذين الاديبيين الكبيرين ، صاحب
الترجمة والاستاذ الافرانى ، فأجابه الاستاذ اليزيدى

كلاهما حين جد الجرى بينهما قد اقلعا وكلا انفيهما رابى

فقال له صدقت ، غير ان الاستاذ الالفى فى النشر ابرع ، ولايشق له فيه
غبار وليس دون وادى ام الربيع الى شنكيط من يوازيه فى الترسل والاديب
الافرانى شاعر مصقع فرع فى براعته وبلاغته كل من يتعالى الى النزاع فى القوافى
فى الغرب كله

هذا هو حكم هذا الشيخ العلامة الصحراوى الذى لا ينكر نظره السيد
فى الادب لماله به من ولوع ، لادن شب حتى شابت سود ذوائبه وقد سمعت من
بعض اربائنا من يعجبهم هذا الحكم ، ويقفون عنده ولا يجيدون عن سبيله فلنكن
معهم فى ذلك ، وأن كان يتراءى لى وقد مرت تحت يدى من رسائل الاستاذ
الافرانى نحو خمسين ، انه ايضا حتى فى الترسل قد بلغ فى ادباء طبقته
مبلغا ربما يقصدونه حتى باع صاحب الترجمة ولكننى وان كان يتراءى لى هذا
اخاف اننى لم اتصل الى الآن برسائل كثيرة من رسائل صاحب الترجمة ، على ان
هذا الكتاب لم نضعه لدرس هؤلاء الادباء فذلك سنتركه لغيرنا ، فى عصر غير هذا
العصر وانما وضعناه لعرض بعض مانعرفه عن المترجمين ، وسوق بعض آثارهم
بحسب الامكان

نموذج من رسائله وبعض أشعار منه وإليه

لنحوك ما أخفى من الشوق أو ابدى
فيا ليت شعري كيف حالك من بعدى
غدونا كندمانى جذيمة حقبة فغيظت ليالينا فأصمى بالبعد

سلام ارق من نسيمات الرياض والطف من غمرات العيون الصحاح المراض
وتحية عبة الربا مشرقة المحيا معتقة الحميا وجبب كئوسها فى ابتسام ، وسناها
يخطف ابصار الندام ، على سيدنا الذى علا كعبه على المجرة ، واتاحت له
السعادة التى لاحظته كل مسرة

من لاسميه اجلالا وتكرمة وقدره المعتلى عن ذاك يغنيانا

اما بعد ، فلا اخبرك عن قلب انت ادرى الناس بعلقته باودائه حتى ليكون
النأى من احدهم اعضل ادوائه ، فقد كنت ترشفتى بقرىك ماتحلولى لب الحياة
وترينى بمواصلتك ومباحثتك اياما لها بالسرور سمات وشيات ، فلا وربك ما
عهدت مثل استنارة ذلك الزمن الذى انارته غرتك ولا مثل تلك الساعات الطيبة
التي قامت بها مقام الحداثق البهجة طلعتك

فكان الدهر عنا غافل فاختلسناها سويغات غر
نترامى بحديث طيب فكانا نترامى بالزهر

ايام كلها غرر وخجول ، يفوز فى ميادينها بالخصل كل من يجول ، كثيرا ما
أتأملها بين ايام اخرى فاتيينها فى اثنائها كئوب فى اثنائ علم ، فأين منها يوم
العرجى الذى غاب عذاله ولا ما ذكره الرضى عن زمنه بذى سلم ولا عيب فيها
غيرانها اقصر من انملة القطة وانها ولت ففادرتنا فى لكدشوق اطول من ظل
الغداة ، ولكن عادة ايام السرور ان تكون قصارا ، وان تهيب عند اقبالها بريح
رخاء ، ثم تصرصر عند ادبارها اعصارا

فتبا لهذا الدهر لا يعرف البدلا سوى ان ادالت كفه بعده البخلا
شمس تضى الكون لكنها متى تميل تدبل الظل يستتبع الليلا

هذا وقد جاءتنى رسالتك الكريمة ودرتك اليتيمة ، فوقعت فيها على كنوز
الجوهر والدر ، وان كان غيرى يسميها النثر والشعر ، فاقبلت بعينى امتعهما
واسميهما ما يروعهما وأتمنى لو كنت كل عيونا بصيرة ، ليكثر استمتاعى بتلك
الرياض النضيرة غيران سيدى قاسنى على نفسه وظننى من جنسه ، فافاض
على من حلاه واقبسنى من سنائه ومن طابت خصاله وخلاله ، وحسنت اقواله
وفعاله ، يخال الناس كلهم من معدنه وانهم كلهم سائرون فى سننه ، ومن حسن
فعله حسنت ظنونه وصدق ما يعتاده مما تنوهمه عيونه ، على عكس قول ابى

الطيب المتنبي ، الذى اذا قال فى معنى يزيد فيه توسعة ويربى

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

جزاك الله ياسيدى على طيب سريرتك وصفاء نيتك ، فقد عبرت عن جوهرك
الخالص خير تعبير ، ونبأنا عن ذات نفسك ولايتبتك مثل خير

ثم ان تلك المسائل التى راجعها سيدى فحررها غاية التحرير (لما يدل
كل الدلالة على انه بين علماء سوس ، علامة نحري) وقد تتبعتها فظهر لى فى
بعضها ايضا بحث اخر ، غير ماجرت فيه المباحثة معكم ، وربما ازيد ذلك تاملًا
فيما بعد فارسله اليكم ، فقد وجدنى كتابك فى شغل شاغل من الدرس ، وقد
توزعت بهما تحتاج اليه النفس ومتى اوعينا فى المخازن الجيوب ، (ونفضت من
همها الجيوب) تفرغت ايضا الى الابحاث القلوب واطلب منكم صالح الدعوات
فان العبد كثير العثرات واسلم على رفيقك الفقيه البركة ، سيدى عبد الرحمان
وغيره ممن انتظموا معكم فى الوفادة ، التى نرجو ان نرى لها عن قريب ثانيا
اعادة ، وأما سيدى الحاج على والحاج ابراهيم فانهما بخير وقائد الله وايدكم
كل خير ، والسلام

واقول : ان ما بين القوسين ليس من الاصل وانما كتب فى طرة الرسالة

رسالة اخرى كتبها للاستاذ سيدى الحاج مسعود الوفاوى ، بعدما كتب
الوفاوى اليه بما يلاقيه من بعض جبابرة قبيلة كسيمة

«بقيت سليما لا تقابل بالردى ولا مدت الدنيا اليك يد العدا
ولا شاب صفو العيش فيك تذكر ولا بات حفن العين منك مسهدا
ولا زلت مسرور الفؤاد ممتعا بكل الذى تهوى وجانبك الردى
ولا زلت حصنا للافاضل سيدا منيعا وركنا للعلوم مشيدا»

انه من عبد تلعب به ايدى الاشواق وتاخذ بتلابيب رقبته من الاطواق ،
وتسمه بالخضوع والضراعة بين بنى جنسه ، وتحول بينه وبين انسه ، ومادأبه
الا الاطراق كمن استدارت السلاسل منه بلبات الاعناق ، العبيد الجهول
البحري على نفسه الصئول ، على بن عبد الله بن صالح الالفى ، وكيف اعبر
عن حالة ضميرك منى بها اعرف بدلها الله الى ماشهاه وايغى ، الى من لا يزال فى
الكلمات ومدارجها راقيا ، ولما يرضى الله عنه واقيا ، عالم العلماء الاتقياء
وحامل علم المرسلين الاصفياء كامل الفتوة ، وضافى الاخوة ، سيدى الحاج
مسعود بن احمد بن ابراهيم الوفاوى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى
من بكم واليكم من الاخوان والاحبة عموما وخصوصا ولكم خصوصا على ما عاينت
أمره وعانيت امره ، والعاقبة للمتقين الذين من كان منهم لا يضاع ، فهل رايتم
احدا عامل مولاه فضاع ؟ هذا وقد وصل كتابك العزيز وخطابك الوجيز وذهبك

الابرز فسقانا القرقف صرفا فانتشى الندامى وما نطقوا ولو حرفا ووافانا وقد
تبركت حضرتنا وتزينت بعدة من العلماء الاعلام ، هداة الانام ومصاييح الظلام
وخدمة الانام ومعتقلي الكلام ، الصدر الاوحد ، والفرد الامجد شافعى وقته علما
وشعرا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى ، والمدرس الاتقى والاروع الارقى
سيدى بلقاسم التاجارمونى ، والبركة المسداة للخلق والرائق للفتى ، ولسد
الاقطاب ، ومن بهم ابتهج الدهر اولاً واهراً وطاب ، سيدى البشيرين المدنى
ونير افق السيادة وحائز قصب السبق فى ميدان المجد والاجادة ، من لا يلحق له
غبار ، فى مضمار حامل راية التدريس ، حال الغدو والتعريس سيدى احمد
ابن الحاج محمد البزيدى ، ومولانا عبد الرحمان بن الحاج محمد الاحبالى من
لا يغيب بشهادة علام الغيوب تعظيمك عن باله وعن بالى ، وقرأ الجميع كتابك
وهم يديرون الكأس ، فلما عاينوا حلل بلاغته وذاقوا طعم وحلاوة براعته
فكلهم به طاعم وكاس ، وفى ذلك الوقت انشأ سيدى الطاهر بن محمد

يا عجباً كيف يخشى النخس مسعود وفوقه ظل لطف الله ممدود
وكل من حل حرز السعد ذل له وان تناوله الآساد والسود
يا خير اخواننا فى الله يا علما بهديه تهتدى الصيد لا ماجيد
كن كيف شئت تل عزاً ومكرمة فانت لا شك محظوظ ومجدود
وافت رسالتك الغراء فانشرحت منا النفوس لها وزال تنكيد
شفت بما كشفت من حسن حالكم ما غمنا زمنا فيومها عييد
فالحمد لله اذ ولاك مدرسة قد فاض فيها عليك الامن والجدود
لازلت مادمت تدنو كل شاسعة الى يديك وتنقاد المنى القود
ثم سلام كما هب النسيم على روض مجود به للورق تغريد
على مقامك يا بدر الكمال ويا من وسمه كرم والاسم مسعود

فهذا ما قاله لله دره ، ولافض فوه ، فقد ناب عنا جميعا فى الذى اداه مما
تكنه الضمائر فهكذا والله يكون فى قومه من هو الشاعر ، وقد اجابك على وزن
البيتين اللذين كتبت بهما فى رسالتك الفذة ، التى قرأتها بلذة اية لذة

ووائى بالليالى الخادعات له يغتر بالبيض لا يخشى من السود
فقال سعدى يحمينى فقلت له هل يطلب النخس الاكل مسعود
وبعد فلا بأس لله الحمد عندنا جميعا ، والحمد لله على نعمة الايمان
والاسلام امن الله الجميع بمنه وكرمه ءامين

هذه رسالة وقفت فيها على نسخ مختلفة وفيها من النقص والزبادة
والتحريف ما يسمى مسخا لانسخا ، ولكننا انتقينا حسب جهدنا
وكتب الى الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى بعد ان استؤنفت عنده قضية

كان حكم فيها سيدى المحفوظ ، ضد حكم «آخر صدر من الاستاذ عبد العزيز الادوزى شيخ سيدى المحفوظ ، وهذه الرسالة نموذج لرسائله الاخرى فى مثل هذه المسادات التى كثيرا مانقع بين الاقران اذذاك

»حامل راية التحقيق والتدقيق ، ومن اقر له بالسبق فى ميدان المناظرة كل حر ورفيق»

علامة العلماء واللمج الذى لاينقضى ولكل لى ساحل

سيد السادات والكبير الفوائد والاستفادات ، لولا ما به من الجماع فى ميدان الافادات، وما جبل عليه من انشاء مامتنسؤه المعادة، المحفوظ بن عبد الرحمان الادوزى ، جعل الله رضوانه الاكبر محوزه ومحوزى والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاشركنا فى صالح الادعية ، وقد وصل كتابك الراحة فحال بينى وبين الراحة انبت فيه اخا لايرى لك الا الوفاء ، ولايعتقد فىك الاغاية الكمال والصفاء ، وزننته بما كان منه بريئا براءة الذيب من دم ابن يعقوب ، فانى مانقصت مبرمك ولاعزمت فيه شىء من تصحيحه ولا ابطاله ومازلت استخير الله ان يوفقنى ، ويلهمنى الى ما فيه سلامة الدين والعرض ، وعدم الدرك يوم الحساب والعرض على ان جميع مارقته فى كتابك الى دليل عليك لالك ، وحجة تشد على عنق تقصيرك اغلالك فقد حكمت وبنيت على اساس واه حين لم تستدع المحكوم عليه حتى تعلم مايجب به عن ذلك ، ولم تعجزه ولم تعذر اليه ولم تنظره فالحكم منقوض ومنبوذ بذلك كما ذكرت ، ولايجوز لك ان تستند فيه الى علمك ولا تجد جوابا فى هذا الاآن اختلقته وافتريته من عندى انك ، وهذا كله على فرض وتقدير ان لواحيى لك التعرض والتصدى لذلك شرعا ، والامر بخلاف ذلك فانك لم تحكم الا فى امر مخصوص ، علمته وادى به كاتب التحكيم ، ودلت عليه قرائن الاحوال وقد علم وظهر ظهور نار على علم ، ان دائرة المحكم دائرة تقييد ودائرة القاضى دائرة اطلاق ، ولاينبغى للمستبرى لدينه وعرضه ان يتعرض لما اسند الى نظر العلماء المتبصرين ، وابرموا فصله على وجه يحتمل صحته ، بل يشركه كذلك ، والعهدة عليهم ، والفتنة نائمة لعن الله موقظها الا ان يسأل عنه بالخصوص واسند تعقيبه بالخصوص الى نظره فلاباس ان يتعرض له بماظهر له، وهذا الباب الذى فتحته يؤدى الى ان لايبقى قضية على فصل ابدى ، كما نص عليه القرافى فى (فروقه) واما ما ذكرت من مخالفتى ففهما مضى وان الحامل الى على ذلك جاء المتبوع وهيبته وجبر خاطره ، فالذى اراه لك وارضاه لكمال دينك ووفور علمك ، ان لاتعرض لسخط الله وغضبه باسقاط من رباك وعلمك ونصحك ، وقدمك على اولاده وهو فى القبر تحت الرجام ، ام الهاكم التكاثر حتى زرتهم المقابر؟ وقد نصوا على ان علامة قبول ولاية الولي، زيادة هيبته وتعظيمه واتفاق القلوب عليه بعد موته ، وهذا السيد كذلك ، فاتق الله فى حق والدك وانهم راياك

ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي والنصح اغلى مايباع ويوهب

قال تعالى «ولكن لاتحبون الناصحين» اقول وحليى عطل، ونطقى خطل؛ مكره اخاك لابطل ، واما ماذكرت اخيرا فانى فيه تابع لك ولامثالك من كبار العلماء فماظهر فيه انه مصلحة للاسلام فانى مساعد عليه ولا ملام والسلام غبار نعلك العبيد الجهول على بن عبد الله بن صالح جبر الله كسرهم ، وخل بفضلهم من ابدى الغفلات اسره ءامين

وقد كتب الاستاذ المحفوظ على ظهر هذه الرسالة كلاما اوردناه فسي المجموعة ، ولا طلاوة ادبية عليه حتى نسوقه هنا ، حيث لامجال هنا الا للادباء والادبيات

رسالة اخرى له الى وانا بالحمراء اتلقى في الجامع اليوسفى حوالى ١٣٤٠ هـ :

«ولدنا الذى نحب له التقدم على الاقران حتى تكون له فى احراز تراثوالده يدان ، من هو المختار ، خار الله لى وله واختار عليك السلام منوالد يحب ان يراك ميرزا وان تكون لادوات السيادة محرزا ، واعيدك ان تشتغل بمالانتيجة وراه وان تلقى العلم ظهريا ثم تحاول من المجد سماءه ، فوالدك رحمه الله مع ماهو فيه، لم يفرط فى العلم قط وذويه فاسلك مسلكه ان اردت ان تكون ولده وممن جعل العلم النافع فى الدنيا والاخرة عضده ، وقد برقت منك بارقة نجابة ، ستكون عنك سحابتها ان لم تجتهد منجابه ، فماذا فقد من وجد العلم؟ وماذا وجدمن فقد العلم؟ فالبطالة قد يجدها الشاب الغرير ذات حلاوة وطلاوة ولكنها بعد انقضاء الصبا يجدها كسراب بقية يحسبه الظمئان ماء حتى اذا جاءه وجده كما وجد الفرس عند البعثة بحيرة ساوة ، فهذه نصيحتى لك احمليها للفقيه سيدى موسى بن الطيب الذى توجه الى مراکش ، ولاتنسنا من الدعاء الصالح عند الرجال السبعة والسلام»

وقد كنت اجبته اذذاك فى شعبان عام ١٣٤٢ هـ بقصيدة كانت اذذاك نالت من الاستحسان مانالت ، لما تشتمل عليه مما كان يستحسن من الادب اذ ذاك، وربما ينظر اليها الالفيون امس بغير نظرى اليها اليوم، والناس اذواى نصها :

اعطى اكؤس السلوى نديمى	وبى مابى من الوجد العظيم
وأبدى فى منادمتيه انسى	بجنات وقلبى فى جحيم
وادمج فى الحديث انا سليم	وما يدري مرادى بالسليم
واكثر عن نبي الله موسى	لما لى معه فى لفظ الكلم
واجرى ذكر مكة فى حديثى	لما للقلب من معنى الحطيم
اربه ان قلبى فى نعيم	وقلبى بالصباة فى اليم
واخبره بانى الخلو صدقا	ولكن من سوى الوجد الصميم

بجانب مقلة يغفو رسومى
تغافله فاعش بالنسيم
مرادى لحظ سوداء الغميم
باخبار الفوارس من تميم
وما يعنى سوى طيبى الصريم
بالطف من نسيم فى وسيم
واين النجم من مرقى النجوم
عديم فى المجادة للمسيم
يضى بغيه العصر البهيم
فره تزر عظيما فى عظيم
بما يغنى عن الفيت العميم
ويخلف كثرة برق الفيوم
كمشوب على الطود العظيم
عظاما وهى فى عظم رميم
تضيف لباقل عبد الرحيم (٢)
حلال السحر فى ذاك النظيم
ويبهج بين جنات النعيم
قويم الظل الا من قويم ؟
شراك قد من ذاك الاديم
اذا ما الغير يرضى بالشميم
وكم ربع تعالى بالمقيم
مغالة العواطل فى النظيم
مبللة الزهور يد التميم
بلحظ الصب فى الوجه الوسيم
باطراف الحواجب غمز ريم

واظهر انسى جلد ، وغمز
اشامه الدور لكى الاقوى
واجرى وصف بيض الهند لكن
احدته وقصدي عين نجد
ويذكر ليث خفان لسانى
ويتحفه عن اخلاق لطف
فيحسبها لقيس وابن قيس (١)
وكيف ولا تليق لغير فرد
خضم العلم يزبد نور هدى
ابى الحسن العظيم اسما وقدر
من اللاتين ان جادوا يحدوا
تقى ابداء بروق الوعد منهم
وهم ما هم ذكاء فى وقار
فكم احيت قرائعهم علوما
اذا اقلامهم وشت نظيما
فيشهد والنواظر شهادات
ويمرح سالم الاذواق فيه
زكوا لما زكوا اصلا اينشا
اذا نعم الاديم كذاك ياتى
وما يرضون الا باهتصار
علت بمقامهم رتب المعالى
تعالى فى حلى تلك السجاي
سجاي بل رياض صافحتها
فهن ارق من خجل تسارى
والطف من مسارقة العذارى

* *

ابا حسن ومثلك من يوالى
لقد اهدى الكتاب ، جزيت خيرا ،
وصاة لو مشيت على سناها
وصاة كنت لو انسى عليها
على بعد المدى نصح الحميم
الى وصاة لقمان الحكيم
لكنت بها على قدم عظيم
على متن الصراط المستقيم

(١) قيس بن عاصم المنقرى الذى تخرج به الاحنف بن قيس فى الحلم
والنجم الاول نبت معروف
(٢) عبد الرحيم القاضى الفاضل وزير صلاح الدين واليه تنسب الطريقة
الفاضلية فى الادب

ولكن كيف - وا اسفا - ونفسى ، كما تدرون ، اشرد من ظليم
ولكن كيف - واعجزاه - دبغ - وليس بنافع - حلم الاديم (١)
على انى - ولم اقل - لارجو قريبا رحمة الله الرحيم
ايغوز - لا ورب البيت - ما قد اشأ ؟ والله ذو الفضل العظيم

رسالة اخرى منه الى ولده الاستاذ سيدى محمد بن على وهويأخذ بالمدرسة
الادائية :

«من على بن عبد الله الى ولده محمد ، اصلحه الله واعانه ووفقه ، وفتح له
فتح العارفين بالله ، وسلام عليه ورحمة الله وبركته ، وبعد فلاباس ولله الحمد
وبيد الحامل ماتقضى به الضروريات ، هذا وقد انشأت لصلاح الاديب سيدى
محمد بن الطاهر قصيدة عددها ١ بيتا بينت له فيها عظم نعمة الله عليه ليكرها
ومطلعها

محمد نجل الطاهر بن محمد ووارث اسلاف امائل مجد

واجابنى بقصيدة فى عددها كلها غرر ودرر ، هذا وقد طلبت منه ان يكف
عنكم معشر طلبة ادائى ، وان لا يبعث اليكم سريات القصائد ، علما منى بعجزكم
عن مقابلتها وقد استشفعت اليه بوالده وقد علمتم ان شفاعتى عنده مقبولة
فوعده بذلك بشرط ضرب الاجل ستة اشهر ، حتى تحفظوا المقامات حفظ اتقان
فحينئذ تبعث السرايا ، والسلام

قف معى ايها القارىء ازاء هذه الرسالة ، لترى كيف تبعث الهمم
وتستنبط القرائح وان هذه الحلية السوسية ، تنتظر الى المقامات الحريية بغير
العين التى تنظر اليها بها حلية من المدرسين الكبار ، الذين ادركناهم فى الجامع
اليوسفى ، فعهدى ببعضهم حين افتتحت مع بعض الطلبة المقامات فى هذا الجامع
عام ١٣٤٩ هـ قاموا وقعدوا ، وقالوا لقد اتى فلان شيئا ادا ، واركتب أمرا أمرا
حين اهتبل بالكذب والبهتان الذى حشيت بهما المقامات ، وقد نص فلان فى
المعيار للنوشرى على انها لا تقرأ فى الجوامع ، فاعتبر ايها القارىء وانا معك
من المعتبرين

هذا وقد حدثت اخيرا على الاستاذ غربة صريحة ، لان اقرانه كالوالد قد
توفوا عنه ، ففقد منهم اعضادا قوية ، ومعينين حاضرين ولان كبار تلاميذه قد
اتصل كل واحد منهم بمدرسة اوشغل شاغل من اسرته ، فلايراهم الا فينة
بعد فينة ، وهو ذلك الاديب الاريحي الذى نعلم منه انه اجتماعى لا يطيب له

(١) حلم الاديم كتعب ، افسدته الحلمة ، وهى الدودة التى تفسد الجلد قال:
فانك والكتاب الى على كدابة وقد حلم الاديم

بالانفراد قلب ، وذو همة اعتادت الترقى دائما في كل ناحية ، فكيف يرتاح لسكون في عزلة وانفراد ، وحتى الحلبة الاخيرة من تلاميذه الادباء قد تفرقوا سذر مدر ، وءاخرهم الاديب البوزاكارني الذي ترك بمقاديرته الغ مقام الادب خاليا وثغره شاغرا فقدودعه الاستاذ بعدما كان زينة مجلسه في عقد حياته الاخيرة ، وفارس الادب الذي يقبل بالحلبة كما شاء ويدبر . وقد اندفع ايضا هذا الاديب الى من لا يعرف قدره فادركته حرفة الادب من كل جهة ، فلثقف هنا وقفة حتى نقرأ رسالتين تعاطياهما اواسط عام ١٣٤٦ هـ قبل وفاة الاستاذ بقليل فقد نجد لما ذكرناه من الغربة التي ذكرنا ان الاستاذ صار اليها مما يلاقيه ممن لا يعرف قدره من بعض المجاطيين ونظرائهم دليلا ناصعا على ذلك

كتب اليه الاديب البوزاكارني بما نصه :

«شيخنا شيخ الشيوخ ، المصاهي في تحقيقه وتدقيقه ابن فروخ ، رجل الاخرة والدنيا قصوى كانت او دنيا ، سيدى وامامى ، الذى لاسرى مسرى الا وانوار ارشاده محيطه بى من ورائى وامامى

نزىلك حيثما اتجهت ركابى وضيئك حيث كنت من البلاد وما يمت من بيدا الا ومن جدواك راحلتى وزادى من لاسميه مهابة واجلالا ، ولاحليه اكتفاء بشهرة صفاته فناهيك بها صفات وخلالا

فعرض اذا حدثت بالبان والحمى وياك ان تنسى فتذكر زينبا ستكفيك عن ذاك الجمال اشارة قدعه مصونا بالجلال محجبا اشرى بوصف واحد من صفاتها تكن مثل من سمى وكنى ولقبا سلام الله على تلك الحضرة ، التى لا يعدوها السرور والنصرة ، هذا وقد وصل كريم كتابك . وجيل خطابك . مؤكدا على وصول كتاب القائده ساعة القدوم وقد وصله بحمد الله ، بمجرد وصول الحامل سيدى محمد قبل ان يرانى غير انه كما قيل

دخولك من باب الهوى ان اردته يسير ولكن الخروج عسير

ثم ، الله يعظم اجر سيدى فى مصابه ، بسيدى عبد الله بن احمد ويحسن فيه عزاءه ، فقد علمنا والله ان كان لرجل صدق وامانة وفتوة ومروءة ، وكل خلق حسن ، فلذلك عجل به - كلكم تموتون وانما يعجل بغيركم - وليتعز سيدى عنه بما امر صلى الله عليه وسلم بالتعزى به ، اذ قال «ليعز المؤمنين فى مصائبهم المصيبة بى»

لكل اخى ثكل عزاء واسوة اذا كان من اهل التقى فى محمد

ولولاني تركت الشعر ترك السقب لغرسه ، والرأل لتريكته (١) لقلست فيه فانه لذلك أهل بيده لاطافة لنا اليوم الابالترحم عليه ؛ والاستغفارله ؛ قاله يرحمه ويغفر له ، مغفرة عرما فهو الغفور الرحيم
وأما عميدكم فلم يزل يوالى الزفرات ، ويتابع العبرات ، على تلك الاوقات؛
التي كلها مذكرات ومنافحات :

يالكيت شعري والدنيا مفرقة بين الرفاق وايام الوردى دول
ابعد بعد تقول الدار جامعة ام هل تعود لنا ايامنا الاول ؟

* *

ابعد بعد تقول الدار جامعة ؟ شمل بهم ام تقول البعد محتوما ؟
فها انذا ملقى فى زاوية الاهمال ، غير منظور الى لابعين الاجلال ولابعين
الاذلال، متنبذا عن الناس، سميهم الهمم والوسواس، فلارتاب ولاجارى، ولاأنيس
ولاصديق ولادار ، فالآن صرت غريبا حقا

الفقر فى اوطاننا غربة والمال فى الغربة اوطان
فلا اسمع بطرو اخ اوصديق الا وددت لولم الله ، لعجزى عن بره ، والله لقد
صدق من قال

اذوب حياء من زيارة صاحب اذا لم يساعدني على بره الوفر
فلقد طرقتى سيدى محمد البعمرانى اذ طرقتى ، فلو مات احد من الحياء لمت
اذلم يجد عندى الضوء فما فوقه ، والله للموت من بعض الحياة اهون ، قال الله
والى سيدى المشتكى

شكوت وما الشكوى لمثل عادة ولكن تفيض الكأس عند امتلائها

ثم اعلم سيدى اننى عاملت ذلك المرحوم بالله سيدى عبد الله بن احمد
معاملة اظنها مستفيضة هنا لكم ، وهى انى اعطيته خمسين ربالا قراضا ثم انه
اشترى بها من الشعير خمسا وعشرين اوستا وعشرين بالمكيال الخميسى (٢) فهى
عنده معزولة فى بيت منذ شهر قبل انتقالى ، ثم لما ازمعت على الانتقال ، كان اخر
امرئ معه حين تفرقنا ان يتركها كذلك معزولة ، ويرصد بها الاسواق فمهما
ظهر من ربح غنمه ، ثم يرسل لى ماهو لى والآن لما قضى الله عليه بما اراد احب
من سيدى استطلاع طلع ذلك من أهله ، هل اوصى او امر بشئ ، او علموا بذلك
ويعلم بما اجابوا به ويعمل بمقتضاه وايا ما كان فما عمله سيدى فى ذلك فعلى
الراس والعين ، وحكمك مسمطا ، فانت بصيرتى فى ذلك والحاكم وكيل الغياب
والسلام ، وعلى العهد وازدياد المحبة والدعاء بظهر الغيب

واعيد السلام على جميع الاولاد ، الامثل فالامثل وقد سرنا صنيع سيدى

(١) السقب كفلس ولد اناقة ساعة يولد والغرس بالكسر: ما يخرج مع الولد
كالخايط والرأل ولد النعام والتريكة كالسفينة البيضة ان خرج منها الفرخ
(٢) بمكيال سوق الخميس الوقاوية

المدنى أعانه الله على ما هو بصدده ، وأمله بدائم مدده ؛ وارك سيدى فى جميعهم مايسرك ، ويؤكد سيدى الطاهر على قراءة اللامية ايضا ، بتوجيه كل الهمة فلأمندوحة له عنها. فأكثر مايصفه حالة سرده انما اتاه من عدم اتقانها كما ينبغي ، فلا بد له من الصبر عليها حتى يتقنها ، فهناك يصح له السرد استقلالا وفى الملام . وعلى سيدى تنبيهه على ذلك بلاتراخ فقلما ينتبه الا بتنبيهه ولايتوجه لوجهة خير الابتوجيهه وفق الله الجميع . اوائل جمادى الاولى عام ١٣٤٦ هـ ولدكم عبد الرحمان بن محمد الاحبالى»

فأجابه الاستاذ

أخى وصريحي ، ومريحي وسنيحي ، ابقاك الله مصون العرض والعرض ، مفدى بالانفس والآباء من كل عاهة ومريض ، ومن الم كل حادث عرض ، مؤديافى ملة الفتوة والاخوة كل حق مسنون أو مقترض ، مجددا من معالم الدين ماندرس ، ومن رسومه ماعفاه الجهل ودرس ، مغبوط الاحوال ، مخدوم الآمال ، قارالبال ؛ فار البلبال ؛ ذلك السيد السند ؛ والصدر الاوحد ؛ انيسى وجليسى ، وهزبر خيسى ، وكاف كيسى ، ورئيسى وخندريسى ؛ من اذاغاب عن القالب فهو فى القلب حاضر ؛ لا يخلفه فيه سواه ما بين باد وحاضر ؛ الغريب بين أهله ، والحائز خصل سبق فى الكمالات على تؤدته ومهله ، الشريف العفيف ؛ والاخوذى السرى المنيف ؛ مولاي عبد الرحمان ابن مولاي الشريف محمد

نسب كان عليه من شمس الضحى فلقا ومن نور الصباح عمودا

السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الشذية ، والمكارم الندية والسجاي المسكية ؛ ومن بها واليها ، وبعد فلاباس نسأل الله لناولكم التوفيق لمايرضى ، واللطف الجميل فيما قضى ، والتيسير ليسرى ؛ والختم بالحسنى ، آمين آمين ، انه على مايشاء قدير ؛ وبالإجابة جدير ؛ وقد وصل ذلك الكتاب الحائز من اسرار البلاغة اوفى نصيب ، والراتع من هضاب الفصاحة فى كل ممرع خصيب فقرح بشكواه ، وفرح بسلامة كاتبه وهذا اعز ما هواه ، ووقفت على تفصيله وجمله ومالم به من المراقمة بالمفارقة وأمله ، فحرك ماسكن . وغيب عن الاهل والسكن ، واوقد نار الاشواق ، لمحجوب التلاق ، والله عليم بذات الصدور وقد تمثلت لما ذكرت فى كتابك انه لا مجانس ولا مجالس ، ولا جارى ولا راتب ولا مأوى ، بقول من قال

ارادت عرارا بالهوان ومن يرد عرارا لعمرى بالهوان فقد ظلم

فليصبر كل منا سيدى لسهام دهره ، وعوالى مكروهه ، فان محاله لايبقى على حال ؛ ومحاول اوحانه على غارب الارتحال

الدهر لا يبقى على حالة لكنه يقبل او يدبر
فان تلقاك بمكروهه فاصبر فان الدهر لا يصبر
ورحم الله البحري اذ يقول

تنكر العيش حتى ان اكدته ياتي نظاما وياتي صفوه لهما
وانست من خطوب الدهر كثرتها فلست ارتاع من خطب اذا طلعا

واحوال المدرسة والاهل داخلا وخارجا بخير ماذا فقد من وجد الله ؟ وماذا وجد
من فقد الله ؟ غير ان رياض الادب تصوحت بعد انقشاع سحابتك المدرار
وافول شمس مشكاتك المزهار ، ورعى في مراتعها الهشيم ، واقلعت سحائب
الاجادة فما لم يرقها بعد ولاشيم

دوام حال من قضايا المحال واللفظ موجود على كل حال

وقد بدا من مربى نعمتنا فلان (١) ما يستغربه كل حاضر وباد ، ولا يرضى
به أدنى الاوغاد ، بله أفضل العباد ، والعرق دساس :

واسرع مفعول فعلت تغيرا تكلف شيء في طباعك فمده
والطبع املك ، قال حازم

من يسمع الجفوة من خل ولم يفضب لها فانه كمن جفا

*

متى تسد معروفا الى غير اهله رجعت ولم تظفر بحمد ولا شكر
وقال حازم ايضا

من صاحب الانسان في العسر كما صاحبه في يسره فقد وفى
ومن يفارقه اذا ما يسره فارقه فما وفى ولا رعى

وخير ما تمثل به فيما وقع من التباعد بينى وبينك ، واوجب على الرغم منى
بينك ، قول حازم :

يازمننا جفا المنى من بعدما قد كان والى البر منه واحتفى
قد بلغ الحزام طيبه وقد افراط حتى بلغ السيل الزبى
انأيت يادهر المنى من بعدما ادنيتهما فما عدا مما بدا
ياهل انى ان ابلغ الحظ الذى كم قلت فى تأمله ياهل انى؟
والسلام عليكم ورحمة الله

(١) يعنى الاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدى وفى ترجمته تبين ماوقع

وشعر القراض على ماعهدت وما ظهر لكأنه المصلحة فيه فأخبر به ولدنا
 محمدا يفعل به بالاتراخ ، والخلق اذا فهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
 يصنعون ، ظهر الفساد في البر والبحر الآية ، والسلام على من انتمى اليكم او
 اخوتكم أو قرايتكم ، خصوصا الوالد الاتقى والخال الارقي ، سيدى احمد بن
 ابراهيم ، واسال من الجميع صالح الادعية ، على بن عبد الله الاثني

تتف من قوافيه

واما شعره فهناك منه قصائد لطيفة، وقطعا منتقاة، مما نراه امامنا متراكما
 ككتابان يبرين ، فمن ذلك ما قابل به وفد افرانيا ، فيه الاستاذان سيدى البشير
 الناصرى وسيدى محمد بن الطاهر البكرى النسب

لله يوم خميس جادى بلقا من كنت من بينهم قبل اللقاء لقي
 حيا فاحيا نفوسا طالما قبرت فاستاصل البعد من ارواحها الرعقا
 وفى لى الدهر مذ وافوا وجدد لى من وشى برد التهانى كل ما خلقا
 هم الكرام وابناء الكرام ومن قاد الاله بهم للرشد من خلقا
 قوم يروج بهم للعلم كاسده والجهل ينزاح من انوارهم فرقا
 ان عز قوم بمال جم او عدد فانهم جمعوا الاوراق والورقا
 ما كنت اقصيهم الحق الذى لهم وان فرشت لهم من جفنى الحدقا
 فمن يكافى وان جلت صنائعه صنع البشير الذى بفضل سبقا
 ومن يكافى ندى البكرى غير السه قد حياه من الاخلاق ما عبقا
 منى عليهم سلام طاب مورده ما اشتد بالبرق شوق كلما برقا

وقد ثارت اثر هذه المقطعة مقطعات اخرى ، وقصائد بعضها فى رويها ، وبعضها
 على روى ، اخر على عادة الادباء الالفيين اذذاك حين يولعون بان يقول كل واحد
 قصيدة فى امثال هذه المحافل ، التى تحفل بادباء وافدين ، ثم يجيهم الوافدون
 ويكيلون كل صاع فصاع فكم شعور يجرى برزونا قطوفا ، وكم كهام مفلول
 تراه فى يد بعض البلداء مسلوفا

وقال يخاطب الاستاذ سيدى الطاهر بن محمد حين زار العلامة سيدى
 الحاج احمد الجشتيمى عام ١٣٢٧ هـ ثم مر بالغ

شئف باخبار من احيا اذا ذكروا مسامع القلب واعرفهم وان نكروا
 واربع على ربهم وقل اذا سألوا عن عبدهم هام فيمن قبله اسروا
 فاعجب لصب بمن شدوا الوثاق فلا من لديهم ولا فداءهم ذكروا
 كأنهم مارعوا حق الوداد له وحقه اعظم الحقوق لو قدروا
 فما لهم مارثوا لحاله فعفوا ان الكرام لهم عفو اذا قدروا
 وكلما اعولت نفسى اعللها بالوصل والعطف منهم بعدما هجروا

عهدتهم من نحاة العصر قد قرءوا
فمالهم لزموا باب اشتغالهم
رعاهم الله قد راعوا بينهم
قطرت دمعاً بلا عين فكان دماً
جالت جند الهوى جهدى وحاربنى
كانوا منى القلب لكن زاده ولها
لله دهر تقضى كله غرر
وفوا فما شاب فود الوصل فيه ولا
منى عليهم، على متن الصبا، وعلى
وقد اجابه الاستاذ سيدى الطاهر بقوله

هذى نجوم الدجى ام هذه درر
هذبها طبع مولانا الامام كما
لفظ كما اقتر ثغر الزهر قلده
فى طيها كل معنى كاد يشربه
لاسحر الالذى ضمت لطافتها
ما كنت احسب قبل ان اشاهدها
وقال مرحباً بالاستاذ سيدى محمد بن الطاهر الافرانى ، وقد وفد عليه
ثالث شعبان عام ١٣٢٧ هـ :

اهلا بمن رحل العنا بنزوله
اهلا بوفد قل من اكرامه
اهلا بمن احيا القلوب قدومه
اهلا بمن اغنى ضياء علومه
اهلا بمن خرق العوائد فضله
اهلا بشهم جل وقت نضاله
شرفت عبداً بالزيارة لم يزل
ان الكمال جميعه لك منة
والله رب العرش يمنح كل ما
ويشيك السر العقيم فتتثنى
باجل خير الخلق صلى ربنا
فاجابه الاستاذ الضيف ، وقد غير الروى وان التزم البحر

شعر زرى بالعقد حسن نظامه
فرحابه فلقد ازال الهم عن
ما الروض فى ازهاره ما الدر فى
الى آخر القطعة ، وهى من اوليات هذا الاستاذ الجليل حفظه الله .

وقال ايضا مرحبا بقاضى اقا اليوم تلميذه سيدى الهاشمى الفاسى

ياوارد ا عمت الدنيا مفاخره
وقاد مالم يزل فى القلب مسكنه
اهلا بمقدمك الزاهى وموردك الـ
لله طلعتك القرا وسيرتك الـ
قدمت فى طلب العليا وانت لها
مهر الفضائل صبر انت باذله
والحلم ان صميم يوما انت ناصره
سر هكذا فالعلا تدنى مقادتها
لازلت تنمو وتسمو للعلاء الى
منحك الود منحا لا اعتصار له
منى عليك سلام زان ناصره

وقال ايضا مرحبا بالعلامة الاستاذ محمد بن عبد العزيز ، كاتب آل كردوس
وهو ممن يخاف الله فيما يحكى عنه ، وذلك فى الاربعاء ١٧ رجب ١٣٤٦ هـ :

ياقادما فضله فى العلم والعمل
وسيدا عمت الدنيا صنائعه
ووارد ا جد مذ ان كان شب الى
احييت بالوصل حيا قد نزلت به
ان ساد قوم بجمع المال والخول
لازلت ياخير طب ماهر فطن
يانجل عبد العزيز ياامام هدى
هجرت مالوف اوطان دعتك الى
فقابلتك القلوب بالرضا وبما
اصفيتك الودفى الرحمان حين صفت
عليك منى سلام الله ماطلعت

وقال رحمه الله يخاطبنى فى بعض وفاداتى على الغ من الحمراء اعوام ١٣٤٢ هـ

يحق على للمبشر انكم
يعين ان عاينت شخصك لى المنى
طلعت طلوع البدر فى حندس الدجا
نزلت نزول الغيث فى وسط مجذب
فاهلا بمن احيا من الدين ما قضى
وسهلا بمن راض العلوم فاصبحت

قدتم من الاحسان افضل ما خلع
وقلبى حاظ بالذى قبل قد ولع
الا فاعجبوا للبدر فى الغرب قدطلع
فازهر روض العلم والفصل قد نبع
وشاد له ركن اقضى الجهل ان خضع
اوابدهاما ان يقال لها (هدع) (١)

(١) هدع بكسر الهاء وفتح الدال كلمة يهدأ بها صفار الجمال

تغيبت في جمع الكمالات معرضا عن العرض الفاني وما هالك الهلع
 فشمس وجد السير ان الذي تريب سده ستشيم برقه بعد قد لمع
 فلا شك أنت الوارث السر فاشكرال ساله الذي يحميك من كل مافدع
 فلا زلت يامختار في كل مايزب من قدرك مختارا جماع العلاجمع
 عليك سلام من قريب يجب ان يراك ونور الله فوقك قد سطع
 وقال يحرض على تحسين الخط وشاع انه يخاطب بعض اولاده ، وانها له

ان لم تكن كاسبن مقله في الخط جد بابن مقله
 وخط في الخد خطا اخدوده عيين عقله
 وارض بسخطه عجز فما لها عنك نقله

وقال في ذلك ايضا ، وهو ماشاع ايضا انه له :

ان حسن الخط زين للفتى فهو نصف العلم من حيث اتى
 جيد من ليس يجيد الخط في عطل هبه ابن ادريس الفتى (١)

وقد خاطبه سيدى محمد بن مسعود المعدرى بقوله

تبدى فخلت البدر فى الافق ينجلي اذا هو بدر المجد والشرف الجلى
 ابو حسن ماوى المكارم كلها ولا غرو فى جمع المكارم فى على
 فمهما ذكرنا من خصال فضائل فليس لها الا ابو حسن على
 فلو اظن المداح فى مدحه فما عسى يبلغ الاطناب من وصفه العلى
 فاجابه بقوله :

لله درك من امام عادل ورث المكارم فاضلا عن فاضل
 فقت الاوائل والاواخر والذي قرن الفضائل منكم بفواضل
 لاتكب فى ميدان تدريس وكن وقت اشتداد الجهل خير مناضل

وقال ايضا يجيب الاستاذ شيخنا سيدى محمد بن الطاهر عن قصيدة خاطبه بها:

وصالك هذا ام بدا صبح اسفار ووجهك ام شمس دعت نور ابصار
 وعرفك هذا ام صبا قد تصافت اناملها وهنا بروضة ازهار
 وخلقك هذا ام خلوق تعطرت بارواحه لبات صقع واقطار
 ونظم لثال فى نجر خرائد ارى ام نظاما جاز رتبة اشعار
 تفق من روض البلاغة نورها ورقت به الالفاظ رقة اسحار
 اذا احتست الاذواق كاس رحيقه سكرنا حللا ما رزنا باوزار
 يقلد جدى من فرائد لفظه باطواق مدح متقى ذات اخطار

(١) يعنى الامام محمد بن ادريس الشافعى

وانى ورب البيت لولا اعتقاده
فما روضة جاد العهد وهادها
وابدت ونور الشمس قابل نورها
وتصبح في برد قشيب منق
وينشق منها كلما هب ريحها
باحسن من شعر يعز على ان
فاقسم بالفضل الذى حزت خصله
وبالادب الغض الذى كان بعض ما
وبالود منى قد منحت صميمه
لقد فقت يا ابن الاكرمين فما ارى
اسال اله العرش حفظ مقامك الـ
بجاه اجل الخلق صلى وسلم الـ

وحسن الرجا ما كنت اهلا لآكبار
وغنت بها الاطياف فى ملد اشجار
جداولها كالايام (١) فى حين ادبار
وشته يد الوسمى وشيا بازهار
شذى العنبر الشحرى فاح بمعطار
ارى رقمه فى غير صفحة افكارى
وبالشرف العد المشيد بايثار
منحت وما اعطيت من رفع اقدار
فما شيب حتى شبت يوما باكدار
لفضلك ندا عند نزع لاشعار
سمى من الاسواء طرا واغيار
سأله عليه والاجلة انصارى

وقال الاستاذ ايضا فيما كتبه لطلبة مدرسته مع اجلة انصار يطلب ممن وفقه الله منهم
أن يقرب احجارا الى بنائين عند الاستاذ ، على عادة الطلبة مع اساتذتهم فى
بلادنا عند المهمات والبادون كلهم عملة طلبتهم وعوامهم ، فكل يحك جلده
بظفره ، فلا يستهجن الحاضرون احلاس البيوت ، وانباء الكلل وربيبوا الحمائم
حتى غدوا كما قال الشاعر

خطرات النسيم تجرح خديسه ولمس الحرير يدمى بنائه

هذا الاستخدام ، فان طلبة البادية من عاداتهم ان يقوموا بكل ضروريات
اساتذتهم ، حصادا وبناء وسفارة وغسل ثياب ليتمكن له ان يوالى لهم الدراسة
وهذا ما كتب به الاستاذ

اريد من خير اخوانى وصفوتهم حمل حجار غدت تضر بالعملة
لازال فى صالحات السعى سعيكم ولا برحتم هداة جلة كملة
بجاه خير الورى صلى الاله على مقامه وعلى اصحابه الفضلة

وكتب اليهم ايضا بعد ما تموا احصاد مزروعاته :

جزى الله اخوان الصفاء بكل ما يجازى به احبائه وسط القبر
واعطاهم من فضله الغمر كل ما يحبونه بل فوقه دونما حصر
كفونى مئونات الحصاد وظللوا باوجههم وحيى كفوا ازمة الدهر
وعند امتحان المرء يظهر فضله او النقص والرجحان فى كفة الصبر
ألا هكذا الايثار لا كالاتى تغيى — جوا عن صنيع قائد المرء للخير
كذلك تقوم السوق والناس بين من يراج له والدالجين الى الخسر

(١) الايم مخفف الايم بالتشديد الافعى

ولو لم تحف بالمكارة جنة الـ خلود تساوى الخب فيها مع الأبر
عليكم سلام الله ياخير من سعوا لتحصيل مايولى الهنا ساعة الحشر

وبعد فقد ان لنا ان نكتفى من آثار قلم الاستاذ بهذه النماذج الستى
سقناها منها من كل ناحية ، فأتينا بنماذج مختلفة حتى يستفيد المؤرخ الذى
يقبل كل شىء ، وهذا كله كما يراه القارىء لا يخرج عن الاخوانيات ، ومن اراد
التوسع فى كل ماقاله الاستاذ أوجله فانه سيجده ان شاء الله فى (جوف
القرأ) فاننا ماعدونا هنانا اتينا بطاقة صغيرة جدا من تلك الروضة الاربضة
ولكن لانحسب ان القارىء يرى ماكتبناه هنا حتى يعرف مقدرة الاستاذ ومقدار
براعة يراعه ، فالحمد لله الذى يسرنا لهذا اليوم ، ونسأله تعالى ان يسرنا
لاتمام الكتاب جميعه غدا فيجد القارىء بين التراجم الامداد الكثيرة التى يخاطب
بها ادباء الغ وما اليهم هذا الاستاذ الاديب الكبير

الآخذون عن الاستاذ

مر بنا فيما تقدم العلامة على بن عبدالله فى اطوار شتى ، فرائاه اجتماعيا
وقاضيا وهفيا ومدرسا ورئيسا وواعظا ، وقد رايتما يشهد لكل هذه الاطوار
فكثرة اصحابه وثبات مركزه فى الرئاسة ، وشفوفه فى المكانة الاجتماعية
وفناويه واحكامه انتهى تعج بها سلات الرسوم من كل القبائل المتاخمة لالغ
المفصحة كل الافصاح عن مكانته فى الافتاء والقضاء ، وهذه التمرجات التى
لاتزال الى الآن بين علماء جزولة هى من أثر تلاميذه الذين يتتابعون طبقا عن
طبق كما أن الترحم على الاستاذ الذى يعليه كل منصف عندما يذكر
الكرم أو البخل فى الغ ، تحمل الناس على أن يرددوا اسم الاستاذ ، وأن
يجعلوه آخر الكرماء السعديين - كما يقول الاخ احمد رحمه الله - وهذه كافية
غاية الكفاية فى مقامه بين الصادر والوارد ، فقد ادى للمروءة حقها الواجب

فعادوا فانتوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائق

ولكن استاذيته التى وصفناه بها ، وكانت الاصل الاصيل الذى تفرعت
عنه كل هذه الاخلاق الاخرى ، من اين نجد مايشهد لنا بها الا فى آثارها التى
لاتخفى فى الذين يردون الى المدرسة الالغية عطاشا ، «وقد كربت اعناقهم ان
تقطع» ثم يصدرون عن مناهلها العذبة الصافية من بعد ما ارتوتوا عللا بعد نهل
حتى ضربوا بعطن ، فكم راحل عن الغ اباليه قريبا حين ظهر له راي العين
الفرق بين الدراستين :

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا فعدنا الى مغناك والعود احمد

كنا ذكرنا فى ترجمة صنوه الاستاذ محمد بن عبد الله ان غالب من خلفهم
فى المدرسة قد اخذوا ايضا عن هذا الاستاذ ، فها نحن اولاء سنذكر كل من علم

انه اخذ عنه وندخل فيهم من كانوا أخذوا قبل عن صنوه ان اخذوا عنه أيضا ،
ثم لاندكر الامن اشتهر منهم بعلم او تدریس او استبصار ، ثم ظهرت مكانته
في الرئاسة او مركز آخر ، وأما من لم يحصل اولم يعرف بعد ذلك بشئ يرفع
مكانته مع الاستبصار فيما أخذ ، فاننا نتكذب ذكره ، ثم اننا نذكر كل من مر
بالمدرسة الالغية في عهده وان كان اخذ في غيرها ، قبل ان يلتحق بها ، او بعد
ان فارقها لانه على كل حال ممن أخذوا عنه ، وهذا هو شرطنا ، وعلى الله التكلان
فلنتبهم بالقبائل ، فنبدأ بآل الاستاذ ، ثم بغيرهم من الالغيين كلهم
ثم بكل من كان من مرابطينا من غير الالغيين ، ونمزج الایغشانيين والوفقائين
والتكزيين والتيفشيتين بالمرابطين ، لامتزاج المساكن ، ثم بالایسين ثم
الامانوزيين والكرسيقيين ثم التمليين ومن اليهم كالكثيرين ، ثم الرسموكيين
ثم السملالين ثم البعقلين وما اليهم كالتازروالتين ثم المجاطين ، ثم
الافرائين ثم الاخصاصيين ، ثم البوعمرانيين ومن اليهم كالساحلين ، ثم
الازاغارين ثم التاغاجيقيين ثم التامانارين ومن اليهم كالاموكاديرين
والاقاوين ، ثم الساموكيين ، وهكذا نرتب ذكرهم الآن كما سنرتب ايضا
ان شاء الله تراجمهم في محلها على حسب ما تيسر ، ومن كان من غير هذه
القبائل فسنبيته نصا :

الالغيون ومن اليهم

- ١ - الاستاذ عبد الله بن محمد الالغى
- ٢ - صنوه عبدالرحمان بن محمد الالغى
- ٣ - صنوهما احمد بن محمد
- ٤ - الاستاذ محمد بن علي
- ٥ - الاستاذ المدني بن علي
- ٦ - الاستاذ الطاهر بن علي
- ٧ - الاستاذ الحسن بن علي
- ٨ - سيدى صالح بن احمد
- ٩ - صنوه عبد الله بن احمد المرحوم
- ١٠ - النجيب المرحوم الحسين بن ابراهيم
- ١١ - النجيب محمد بن عبد الله بن محمد
- ١٢ - النجيب سيدى احمد بن محمد التاهالى
- ١٣ - الشيخ محمد بن عبد التهالى
- ١٤ - السيد محمد بن الحاج بلقاسم
- ١٥ - العلم سيدى ابراهيم بن احمد
- ١٦ - سيدى موسى بن الطيب
- ١٧ - صنوه المرحوم سيدى البشير

- ١٨ - الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم
- ١٩ - الاستاذ سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح
- ٢٠ - الاستاذ على بن صالح الاوقفري
- ٢١ - سيدى على بن الحاج احمد التيفشيتى
- ٢٢ - سيدى الحسين بن بوبكر الاغوديدى
- ٢٣ - الاستاذ سيدى البشير صنوه
- ٢٤ - الاستاذ عبد الله بن مسعود التسيوتى
- ٢٥ - صنوه سيدى احمد بن مسعود
- ٢٦ - الحاج مسعود الوقفاوى الاستاذ الكبير
- ٢٧ - النوازل سيدى محمد بن مبارك الوقفاوى
- ٢٨ - سيدى المحفوظ بن الهاشمى
- ٢٩ - سيدى احمد بن بوهوش التاويى الايفشانى
- ٣٠ - الاستاذ سيدى احمد بن الحسن البناءى الايفشانى
- ٣١ - صنوه سيدى محمد بن الحسن
- ٣٢ - سيدى محمد بن مبارك التاويى الايفشانى
- ٣٣ - سيدى الحسن اخوه
- ٣٤ - سيدى الحسين بن صالح التاكنزى

الايبيون

- ٣٥ - الاستاذ سيدى المكي اليزيدى
- ٣٦ - سيدى الطيب اليزيدى
- ٣٧ - الاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى
- ٣٨ - سيدى محمد بن عابد اليزيدى الصغير
- ٣٩ - الاستاذ محمد بن الحاج احمد الاستاذ اليزيدى
- ٤٠ - سيدى محمد بن عابد اليزيدى
- ٤١ - سيدى محمد بن الحسن اليزيدى
- ٤٢ - سيدى الحسن بن عبد الرحمان الاعرج الايسى
- ٤٣ - سيدى محمد بن الحنفى الفيلاى الحضيكي
- ٤٤ - صنوه سيدى الحسن بن الحنفى الحضيكي
- ٤٥ - سيدى الحسن بن البشير الحضيكي
- ٤٦ - سيدى المحفوظ التارصواطى

الامانوزيون والكرسييون ومن اليهم

- ٤٧ - سيدى محمد بن بومليك

- ٤٨ - سيدى محمد - فتحاح - بن عبد السلام الكرسيفى
٤٩ - سيدى محمد بن عابد نسخت : اى النسخة

التيمليون

- ٥٠ - سيدى الحسين التانضيلتى
٥١ - الاديب سيدى محمد بن بلقاسم الاعسرى
٥٢ - بلقاسم الانامرى التيميل
٥٣ - سيدى محمد بن بلا الانيل
٥٤ - سيدى محمد المسناتى
٥٥ - سيدى احمد بن بلقاسم
٥٦ - سيدى احمد بن محمد الدويمالنى
٥٧ - الاديب سيدى محمد الكثرى
٥٨ - صنوه احمد

الرسموكيون

- ٥٩ - العلامة على بن الطاهر
٦٠ - اخوه عبد الوهاب
٦١ - الفقيه سيدى صالح الزعنونى
٦٢ - سيدى احمد بن محمد الزعنونى
٦٣ - الاستاذ ابراهيم التازيلالنى

السمالكيون

- ٦٤ - سيدى احمد الاعضاوى
٦٥ - الاديب محمد بن سعيد الاعضاوى
٦٦ - سيدى احمد بن محمد الورحمانى
٦٧ - الصالح سيدى احمد التازيمامتى
٦٨ - الفقيه عبد الله المافامانى
٦٩ - الحسين بن عبد الله
٧٠ - الفقيه سيدى محمد النيقبى
٧١ - العابد محمد بن محمد من ايت الحاج
٧٢ - الفرضى سيدى الطيب بن محمد الكوسالى
٧٣ - سيدى عبد الله بن محمد الورحمانى
٧٤ - سيدى الحسين بن ابراهيم الاخصاصى

الباعقليون

- ٧٥ - الاستاذ سيدى ابراهيم القاسمى
- ٧٦ - سيدى على الباعقيلى القاسمى
- ٧٧ - الاديب سيدى احمد بن سعيد الاكمارى
- ٧٨ - السيد الحاج الاحسن الباعقيلى ثم البيضاوى
- ٧٩ - احمد بن صالح الايغبر موسى
- ٨٠ - النجيب سيدى ابراهيم بن الطيب
- ٨١ - الفقيه سيدى محمد بن احمد بن محمد الخياطى

المجايطون

- ٨٢ - الاستاذ الكبير بلقاسم التاجارمونتى
- ٨٣ - الاديب سيدى احمد بن محمد الاهريى
- ٨٤ - سيدى جامع بن هو الازونىضى المجاطى الشهيد

الافرائيون

- ٨٥ - العلامة الشاعر سيدى الطاهر بن محمد
- ٨٦ - الاستاذ محمد بن الحاج الاديب الشهير
- ٨٧ - صنوه سيدى الحسن بن الحاج
- ٨٨ - الاستاذ احمد بن صالح من بنى عدى
- ٨٩ - سيدى احمد بن صالح الشكوكى
- ٩٠ - الاديب سيدى الطاهر الناصرى
- ٩١ - الاديب سيدى البشير صنوه
- ٩٢ - النجيب ابنه المهدي
- ٩٣ - سيدى محمد السلامى التاغونيتى
- ٩٤ - مولاي صالح التانكرتى
- ٩٥ - الفقيه سيدى الحسين التيمولائى
- ٩٦ - صنوه احمد بن محمد

الاخصاصيون

- ٩٧ - الاديب الكبير مولاي عبد الرحمان البوزاكارتى
- ٩٨ - الفقيه سيدى الحسين التاطاروستى
- ٩٩ - سيدى محمد بن احمد بن ابراهيم
- ١٠٠ - سيدى محمد السلامى المقدم التاكاتنى

- ۱۰۱ - صنوه سيدى على
 ۱۰۲ - سيدى محمد بن على اوبالوش
 ۱۰۳ - صنوه سيدى عهر
 ۱۰۴ - محمد بن ابراهيم انمانوزى الاخصاصى
 ۱۰۵ - سيدى محمد بن مبارك الاكيسلى
 ۱۰۶ - الاستاذ والده سيدى مبارك

الباعمرانيون والساحليون

- ۱۰۷ - القاضى سيدى محمد بن عبد الله اوبالوش
 ۱۰۸ - سيدى الحسن اخوه
 ۱۰۹ - سيدى عبد الله بن الحسين الموساكناوى
 ۱۱۰ - سيدى محمد بن الحسن الموساكناوى
 ۱۱۱ - الاديب محمد بن الحسين بوكرع
 ۱۱۲ - سيدى محمد بوشموارين الساحلى
 ۱۱۳ - النجيب صنوه سيدى احمد

الازغاريون وما وراءهم

- ۱۱۴ - سيدى محمد المرسى المعبرى
 ۱۱۵ - سيدى محمد بن محمد بن الحسن الماسى

التاغيجيتيون

- ۱۱۶ - سيدى ادريس بن الحسن
 ۱۱۷ - سيدى محمد بن مبارك الموش
 ۱۱۸ - سيدى ابراهيم بن محمد
 ۱۱۹ - صنوه سيدى احمد بن محمد
 ۱۲۰ - القائد الحاج احمد اضارصور

التاماراتيون

- ۱۲۱ - سيدى اليزيد الخلاسى
 ۱۲۲ - الحاج عبد الله اليزيدى
 ۱۲۳ - سيدى الطيب اوباحو
 ۱۲۴ - سيدى الحسين بن بلقاسم الايموكوديرى
 ۱۲۵ - سيدى ابراهيم بن محمد العنترى
 ۱۲۶ - سيدى سعيد بن على العنترى

الساموكنيون

١٢٨ - الاستاذ سيدى العربى الساموكنى الشهير

١٢٩ - الفقيه محمد بن محمد بووازي

١٣٠ - سيدى الحسين بن احمد

١٣١ - سيدى محمد بن احمد الحافظ

١٣٢ - سيدى محمد بن الحاج عبد الرحمان

هؤلاء من امكن لنا ان نعرفهم اليوم ، ولا بد ان يفلت من احصائنا هذا بعض نجباء اخرين ، ولكننا فى الغالب قد استقصينا غاية الاستقصاء ثم انتقلنا الى النجباء من غيرهم على شرطنا الذى ذكرناه ، فبقى بعد الانتحال فى ايدينا بعد ذلك من رايتهام امامك الآن ، ولا شك ان النجابة تتمطط الى حيث يشاء الانسان ولكننا توسعنا فيها ، وادرجنا فى ضمنها ما يقصد اليوم بالثقافة العلمية ، فكل من يقدر ان يكتب ما فى ضميره باحسن عبارة ، ويتلو ما كتبه غيره اقوم تلاوة وان لم يكن ذلك المتفوق الزاخر ، فانه لاشك نجيب مثقف ، وهذا ما جعلناه محور هؤلاء الذين انتخبناهم من مئات سواهم ، فادناهم من يقدر ان يعبر عما فى ضميره باللغة العربية كتابة ونطقا بغير لحن كثير ، وقد اشرف على الفنون التى اخذها وكانت له يد متمكنة فى بعضها . واما المتفوقون فهم الفطاحل العلماء الاجلة وهم فى هؤلاء نحو الثلث ، وسترى ان شاء الله وتتم مرادنا فى ترجمة كل مقدار خطواته فى الميدان ، فانتظر فانا معك منتظرون ومن اقلتوا من هذه القائمة ثم عرفناهم بعد اليوم ، فسنضيفهم الى اخوانهم يوم نصل الباب الذى يترجم فيه لكل واحد واحد والله الموفق

الآن ايها القارىء ادركت بلاشك مقدار استاذية صاحب الترجمة فقد برهن لك ماتراه امامك من المتخرجين تحت يده عن تلك المكانة السامية التى تنزلها استاذيته ، وتجول فيها تربيته ؛ على أنك لا تدرك ذلك غاية الادراك حتى تضع ان شاء الله بين عينيك حياة كل واحد من هؤلاء ، فتكون اذن على حق اليقين فيما كنت فيه اليوم على علم اليقين (واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحى الموتى ، قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى)

أيام الاستاذ الاخيرة

كان للاستاذ تلك الخطوة العظيمة فى علمه وفى رئاسته وفى قضائه فى كل ماتمسه يده ، فكان فى مقام يغبط فيه ، وفى منزلة تتطاطادونها الهامات وقد انتشر له من التلاميذ من نشروا من محاسنه ومن مفاخره ماترك ذكره كالكباء

الفائح في كل أرجاء سوس ، ينشقه القريب والبعيد، ويقر بمقامه العظيم مكاسره ومكاسره خلقا وفضلا وعلما وأدبا ؛ واشادة للحق وهذا للبطل ؛ وحكما مسمطا في النوازل وغيره تنافج عن جزولة مع المكافحين منافحة الآساد دون اخياسها ، وهو رحمه الله يتزايد في هذه الخصال التي كللها بمائدة ممدودة وسماط مايفلق دونه الباب ولا يسأل دونه عن السواد المقبل ، فقد سمعت اخي احمد رحمه الله ، وكان ممن يعجب بصاحب الترجمة ، فكان هو على الحقيقة من اراني عنه ماكنت اجهله في تلك الشهور التي قضيتها معه اثر نفسي من الحمراء قبل أن يلتحق بربه فذكرني بعض ماكادت تنسينيه هذه السنوات العشرون التي قضيتها منذ غادرت الغ للاخذ منذ عام ١٣٣٦ هـ فكان يقول عنه رحمه الله معا ان الاستاذ هو آخر من يتقبل في الغ اي ضيف جاء ولايكاد يجيف بابه دون اي احدهاء ثم انطوت هذه الخلة بعده حتى لم يبق لنا شيء في الغ كرم لاحقيقة ولا مجازا ، وهذه الشهادة من الاخ تتضمن زيادة على الاشادة بالحق لاهله انصافا اعتاده انا من الاخ ، فقد عرف كل الناس ان غالب الاقارب الذين لايعتمدون في العناد ان يكونوا بينهم كالعقارب ، فلما يشهد بعضهم لبعض شهادة مثل هذه ، ولكن نحازر الالفين التي حافظ فيها الابناء على ماعوده الآباء لانزال مستمرسة - كما ترى - بعد ماضى زمن كادت فيه الغ تأتي عليها فعلة سماوية ادت باحد اولاد المترجم فجيلت وراءها جولة غير محودة ، ثم وقى الله الغ شرها فالتأمت القلوب وانطقات الحزازات ، وتركت تلك القطيعة وكل ماجرته ملاحس البقر اولاده؛ فبعد أن رزى الاستاذ بفة كبده ؛ وبعد أن جودبت الجبال فترة من الزمان مع اناس من بينهم الاخ احمد ومن اليه ، غلبت طباع التسامح حتى رايته يشيد بالاستاذ ، وحتى رمى الاستاذ نفسه كل عقابيل تلك الجبريرة دبرأذنه ، فعاد الالفيون ثانيا وقد نزع من قلوبهم الغل ، فيجلسون على سرر متقابلين فهذا هو الاستاذ الكريم الذي لا تخلو دارة من علماء يزيديين أو افرائيين أو صحراويين أو سمالايين أو اخصاصيين أو بعقلين او تملين أو صوابين او تامانارتين ، ولايكاد يودع وفدا منهم حتى يتلقى وفدا آخر ومن اريحته ان يتلقى النازلين بقصيدة ، ثم يودعهم باخرى ، كما يربى على ذلك تلاميذه ليتمرنوا على الانشاء ، وعلى الاخذ والرد في ميادين الادباء وخصوصا ان جاء الوفد الافرائي الذي يتركب غالبا من الاستاذ شيخنا الطاهر بن محمد ، ومن الاستاذ العربي قبل أن يتوفى عام ١٣٢٩ ومن الاستاذ البشير بن المدني الناصري وصنوه الاديب الطاهر بن المدني ، قبل ان يتوفى عام ١٣٢٦ هـ ومن الاستاذ الافرائي احمد بن صالح زيادة على من يقعدون عنده غالبا كالفقيه المكي اليزيدي والفقيه الحاج احمد بن محمد اليزيدي وأخيه عبد الرحمن والفقيه أو الشلح الاسي والنوازي الحاج احمد من آل بريك الوقاوي ، وربما كان معهم الاستاذ شيخنا محمد بن الطاهر النابغة الجديد في الادب اذذاك ، والعلامة أبوزيد البوزاكارني شيخنا الكبير ، والاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدي ، والاديب محمد بابه

الصحراوي ، فيتسابقون جميعا في القصائد ثم تاتي حلبة اخرى من الالفين كالاستاذ عبد الله بن محمد والاديبين ابني الاستاذ المترجم : محمد وصنوه النابعة المدني ، والاستاذين عبد الله بن مسعود التيبوني وعبد الله بن ابراهيم الالقي وأدباء المدرسة الالقية ، فتتلاطم امواج القريض في دار الاستاذ وفي دار اليعشانيين ، وفي دار الوالد حين كان لا يزال حيا الى مختتم عام ١٣٢٨ هـ فترى الاستاذ صاحب الترجمة بين ذلك المحفل هو الذي يسبق ويتقدم الى الصدارة ، بعد أن توفى الوالد لان الوالد كاد يتصدر وحده ، لسنه ولكانته ولكون الجميع اخذوا عنه ، ومن بعد وفاته كان الاستاذ منفردا بتلك الصدارة بجدارة واستحقاق ، ويتصدر على الكل لان هؤلاء كلهم من تلاميذه وفي كتابنا (جوف الفرا) ترى غالب هذه القصائد التي تستغرق عشرات فصحرات من الصفحات مما لم يمكن لنا كتبه في هذا الكتاب هذه كلها خلال الاستاذ التي صاحبتها الى آخر حياته ، التي ابتلي فيها بتلك الرئاسة التي صار يتملئ منها اخيرا ، وقد عاين بعين البصيرة تلاعب الناس باندين ، وخلو نفوسهم من الغيرة عليه ، وفساد انبيات واختلال الاحوال وتكاثر الاهوال والمرء لا يخرج من شديد منها الا الى ماهو اشد ، فعزم عزميا أكيدا ان ينزوي في داره وأن يطلق هذه المجامع وكأنه شاهد الصخرة قد تدرجت من قنة راس الجبل في منحدرها وقد شاهد كيف ذلك المنحدر يقيق ان الصخرة لا يبردها راد حتى تصل الى قعر الوادي ، هذا ما كان خطر له يوما رحمه الله ، ولكن الاعاصير لم تذرده في انزوائه فهبت عليه مرة اخرى عاصفة من عواصف تلك الايام المقلقة بين اعاصير الكفاح ، كان ابتدأت من بني عمران فجرفت كل ما امامها فكان الاستاذ مما جرفته مرغما فلاقى الحملة ملاقت في قبيلة آيت عبلا وقد وقفها الزكريون ، وهم الذين كانوا سبب هذا الزحف لامور كثيرة ذكرناها في غير هذا المحل ثم لم تلبث هذه العاصفة ان تضاءلت تضائلا مخجلا كساكن من كان فيها حياء فيما بينه وبين نفسه ، فضلا عن وسط الرامقين وقد ظهرت السرائر وافتضح المراءون وظهر ان لا غيرة ولا ايمان ، ولا قصد حسنا وان كل ذلك انما هو من أجل دراهم معدودة يتوصل بها بعض المفرضين كالقائد المدني وامثاله ، ثم لم يرزوا الزكريين قلامة ظفر ، ولا وطأهم كما زعموا فقال الاستاذ : وا أسفا على نقض عزمي وعلى ان راجعت هذا الهرج من جديد فرجع من ذلك الزحف الذي كان بعد عام ١٣٤٣ هـ ثم لم تلبث طلائع مسغبة - ١٣٤٥ هـ ١٣٤٦ هـ ان طلعت على اهل هذه الجهة ، فعركت الناس عركا ولاقوا منها عرق القرية ، وقد نال الاستاذ منها بعض جهد لكثرة عياله ، ولكثرة اضيافه ولعظم نفقات مجده - ومعلوم ما للمجد من نفقات باهظة - وقد خلت الاهراء ونفدت الذخائر ، واعوز المعينون ، وقد اصيب الاستاذ عام ١٣٣٧ هـ بخروج املاك ايشت من يده وهي التي كانت تمده بثمر كثير ، وغلل اخرى غير قليلة ، فاضطر في هذه المسغبة ان يشتري من الجبوب مثل الناس ما يزيده الى مدخر عنده لا يزال

موجودا ، ولكنه قليل ، والاحتياط دائما كان من حزم أمثال الاستاذ من الالفين

اخبرني الاخ احمد قال حرت الناس عام ١٣٤٦ هـ فكان الاستاذ تخير المزارع الجيدة فاقتصر عليها ولم يتجاوزها الى الارض الهشة فنزل مطر قليل فلم يقد الا الاراضي الهشة ، فصار الاستاذ في مقيم مقعد ، فاجتمعت معه في دار انسان فجالت اطراف كلامه حول هذه السنة الشهباء ، حتى ظهر لنا تأثيره فقال ماذا يلاقى الالفون من هذه السنة العجفاء ؟ ثم قال : انريدون ان نستهم لننظر من هو المنحوس فينا ؟ - قال ذلك تواضعا وهضمنا للنفس - ثم قال : ولكن واحياءه ، ربما يقع السهم على جانبي وما يدريني ؟ افلا اخاف ان اكون مثل يونس ، حين ساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهم مليم ؟ فصارت عبراته تنتشر على لحيته البيضاء الطويلة ، وقد خنقته العبرة - وكان ذلك منه يؤثر غاية التأثير - ثم صار يقول ان الحوادث قد وعظتنا مرات فما اتعظنا وجاءتنا المثلثات تترى فما ارعويها وزلزلتنا النذر ونحن في اعمالنا القبيحة سادرون ، قال الاخ فحصلت لنا منه رحمة الله موعظة اثرت فينا غاية التأثير ثم خرجنا فامالنا الى داره ، فهد سماطا يزخر سمنا وعسلا وملتوت لوز ولحمنا مزغفرا ، ثم مافارقنا حتى اضحكنا بكرمه بعدما ابكانا بمواعظه قال الاخ: كذلك كان الاستاذ اذا اطلق وعظه كثيرا ما يهضم نفسه ، ويتعظ بكلامه قبل ان يتعظ به الناس ، حتى انه في مثل ذلك الموقف ليصرح عن نفسه بما لا يقدر اى انسان اخر ان يصرح به عن نفسه انصافا منه وتواضعا

الاستاذ يلفظ نفسه الاخيرة

ذلك هو الاستاذ وهذه مجانسه وهذا هو كرمه الحق حتى في المساعب وتلك همته التي تستحوذ على جليسه ، حتى يبقى دائما لهجا به في كل حين كذكرى مستطرفة بين المتسامرين

مر عام ١٣٤٦ هـ ودخل العام الذي بعده وقد ارتاش الناس ، وضمت المسغبة المشهورة اذذاك اذيالها ، ففي يوم عاشوراء من العام الجديد اجتمع الناس صباحا على العادة ؛ فقام فيهم الاستاذ خطيبا ، فيشر وانذر ووالى المواعظ المبكية ثم حمل على الحاضرين في سكوتهم على العادات المستهجنة التي ترتكب ليلة ذلك العيد من مناداة الذنب والتعلب ، ومن اجتماعات تكتظ بالرجال والنساء في الملاعب ثم قال ماذا صنع لنا الذنب والتعلب ؟ وهل هما اللذان اخرجانا عن الصراط المستقيم وهل هما اللذان ساقا محارمنا وشبابنا حتى خلطوا بينهم في الملعب ؟ فمالنا ايها الناس لانتعير ؟ ومالنا لانقف فيما بيننا وبين انفسنا حتى نعرف من اين اتينا ؟ فياللمصائب ويا للرزية ، فقد صبت علينا الكوارث من كل جانب ، بسبب اجتراحاتنا الكثيرة واغراقنا في الذنوب التي نسدد في غلوائها

غير مباليين ، فصار رحمه الله يعظ على هذا المنوال في كلام كهذا ، وعبراته تنهل على لحيته البيضاء وزفراته متوالية في وجوه الحاضرين ، حتى غلب على نفسه ولم يمكن له بعد أن يجلس بين الناس تأثرا وتدفق عبرات ، فانصرف من غير أن يدعو للناس على العادة فترك كل من حضر بين ذى قلب ذائب وذى نفس متطايبة فبقى له ذلك الموقف يذكر كلما عن ذكر الاستاذ ومواقفه في الوعد ، فيفهم عليه المحذون سجلا من الشاء :

وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

طرقه مرضه في ربيع الاول ، فكان ربما يخف عنه وربما يجهد وقد كان ولده الاستاذ سيدى المدنى اذذاك فى المدرسة يتولى الدراسة فيها ، قال الاستاذ سيدى الطاهر فقال لى ابنى يوم السبت اليوم الاخير من ربيع الاول: ألا تزالون فى موالاة الدروس ؟ أنركوا ما أنتم فيه ، وافرغوا لى حتى تودعوني - هكذا بهذا اللفظ - يقول ذلك بكل تثبت ورباطة جأش وهمته هى فى كل شيء حتى انه وجد بعض قوة يوم الاربعاء الرابع من ربيع الثانى ، فرار ضيعته بتلات نيت عيس ثم جمع اليه اولاده كلهم قال الاستاذ الطاهر: فصار يوصينا ويقول: ان المدنى للمدرسة وان محمدا والحبيب لادارة شؤون الاسرة ، والآخرين يواظبون على دراستهم ، قال ثم حثنا على ملاينة الناس والتخلق لهم بالخلق الحسن ، وقال لا تطمعوا ان تكونوا والناس كما كنت أنا وإياهم فانا فى عصر وفى ناس وأنتم فى عصر آخر وفى ناس آخرين ، قال ثم حثنا على المتابعة وأن لا نزيل الستر عن دارنا ، فقال ان قدر الله ان تقسموا ما بأيديكم فلا يطلعن أحد على ما عندهم ، ولا تتجاوزوا سيدى الطاهر الافرانى وحده ، ثم تقاطرت الوفود من كل جهة حين سمعوا بمرض الاستاذ ، فحضر الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى والرئيس أحمد بن ابراهيم الايفشانى وسيدى سعيد الاعضياوى والعلماء والرؤساء القرييون من البلد ، ثم فى عشية الخميس ازداد مرضه وفى يوم الجمعة دخل عليه الزائرون والطلبة فاستنداروا به وقد اشتد عليه ما يجده ففتح سيدى الطاهر صورة يس ، فماختموها حتى ختمت حياة الاستاذ ، فسكت غالب من حضر عن اتمام السورة وقد خنقهم البكاء ، ولكن المتجلدين صابروا حتى أنتموها

هكذا انقضت حياة هذا العالم الجليل ، وهكذا طويت صفحة هذا الاستاذ العلامة الاديب المفتى القاضى المدرس الرئيس الكريم طيا لا انتشار له فى هذا العالم وذلك فى بهرة حلقة هؤلاء العلماء والطلبة الذين امضى معهم كل عمره ، ثم هبى لسفرتة الاخيرة ، فصلى عليه شيخنا الافرانى فى نحو سبعمائة من جيران الغ فدفن الى جانب أبيه وأخيه الاستاذ سيدى محمد فى وسط القبة التى تتداعى اركانها كان تداعيا من هيبة هؤلاء الاساندة العظام ، الذين لا تتسع لحضراتهم اركانها

عظمت المصيبة بموت الاستاذ ، ورزى أهله وتلاميذه منه برز وقع عليهم
بفجئته الهائلة قال ابنه سيدى محمد بن على فمرت شهور ولم تظهر مراثية
له كأن الغ الادبية غير الخ بل كان الارض بدلت غير الارض او كان الوفاء الذى
تدل عليه المراثى عاد بلقايابا ينقع فيه البوم ، فنبهت الاستاذ الاديب الطاهر
الافرانى بلبل الشعر انصداح ، وصدى الادب الذى لا يكاد يفرغ من قصيدة
ألغية ، حتى تفتتح أخرى ، فقلت له ماهذا السكوت ؟ وهل يمضى الاستاذ الوالد
بلامرئية ؟ قال فاجابنى بأن مايقال له فى هذا الموضوع يقال لكل اديب الفسى
ثم كان ذلك سبباً على أن القى الاستاذ الافرانى هذه القصيدة الرائية الآتية كما
قال ايضا فى الموضوع الاديب الكثيرى ، ثم بعد ذلك قفاهما قاضى اقا سيدى محمد
الهاسمى الفاسى بقطعتين هذا كل ماكان حظ هذا الاستاذ من المراثى ، مع انه
كان يليق ان تتبعه عشرات من قصائد طنانة ألغية ، ولكن تآبى حرفة الادب الا
أن تدرك صاحبها فى الحياة ان لم تجد منعة من همة فولاذية كهمة الاستاذ ، أو
بعد الوفاة وقد انطوت تلك الهمة الحفازة وقل الوافون وكثرت الاعتذارات
الواهية الباردة ، قال الاستاذ الافرانى

أمن حادث بكر جرى منه ما جرى حرى دمعك القانى فقرح محجرا
فبت بلبل نابغى مسامرا كواكب عاقتها الدجا ان تسيرا
وضافك هم طارق نجر الاسى له كبدا حرى وقلبا تفتطرا
وجاشت نكايات الزمان فلم تجد نصبرى عزما ايديا فتكسرا
وخانك ماعودت من جلد سوى مدامع تهيمى او زفيراً تسعرا
ولا مسعد الا فؤاد موله تجير لايدرى اماما ولا ودا
نعم ثار ليث الدهر يفترس الالى هم زينة الدنيا وهم صفوة الأورى
هم الغيث فى محل هم الاسد فى الوغى

هم الفوث فى أزل هم الشهب فى السرى
فذكرنى بيتا لحسان حاج من جوى وعديا القلب ان يتذكرا (١)
«رايت خيار المؤمنين تواردوا شعوب وقد خلفت فيمن تاخرا»
الم تر ما غال العقول وارضى الله سفوس ، واقدى كل عين واسهرا
مصاب ينسى كل صاب مرارة ورزى اهان المرزيات وحقرا
وفاة امام الدين والعلم الذى به يهتدى باغى الهدى حيثما سرى
ابى الحسن القرم الرضا خير من اضا بانواره افق العلوم ونورا
خضم بامواج المعارف يرتضى وروض بأزهار المعارف نورا

همام له في المجد همة سيد
كريم له عند المكارم هشة
يفيض بانواع المعارف والندی
على بابه في كل يوم تراحم
ومن علمه او كفه يقبس الغنى
فكم من عم في مهمة الغي حائر
وكم طالب يبغى المعارف امه
هو الشيخ كل العصر معترف له
هو الشمس أنى كنت شمت ضياه
هو البحر من اى النواحي اتيته
هو البدر اشراقا هو الدهر همة
هو الملجأ الاحمى هو النافع الظما
هو الصارم المسلول ان صال اوسطا
غدا ذكره اسرى من الشهب والصبا
فكم طرقت اخباره سمع راغب
لقد افعم الارحاء اضواء بره
فمن ظن ان العصر ضم نظيره
فقل لحسود ظل ينكر فضله
وللمدعى هيات ويك افى الندى
تجمع فيه كل فضل مفرق
فكم مجتد اجدى وكم حائر هدى
وكم موقف ضنك لدى حومة الوغى
وحمحت الجرد الجياد وخرجت
وجالدت الابطال واشتجر القنا
وصمت بصوت المرعدات مسامع
وسميت ظنون واصطككن فرائض

بصير اذا ما ورد الامر اصدرا (١)
كما شمت برقاً في القمامة امطرا
على كل عاف راتحا او ميكرا
كما يمم الحجاج جمعا ومشعرا
عن المزريين الجهل والفقر من عرا
رأى سره البادى السنا قتبصرا
فاصدره عن علمه متبحرا
بمن سواء من تربى ومن قسرا
بغير حجاب منجدا ام مغورا
انالك درا دون من وجوهرا
هو البحر معروفاهو الليث مجترى
هو العلم الاسمى لمن ضل فى عرا
لدى الحرب ابصرت الهزبرالغضفرا
ومن مثل والليل والطيف فى الكرى
فجا فرأى من لم يخله فكبرا (٢)
وعطر ربا علمه المدن والقرى
فقد ظن اخت الشمس خاب من اقترى
اذا كنت ذاعينين فانظر لكى ترى
تجاريه ام فى العلم؟ فارعو واقصرا
على غيره كالصيد ضمنه الفرا
وكم جائر اردى وكم مفتر فرى
وقد صار فيه اليوم اذكن اغبرا
دماء الى ان تحسب الجون اشقرا
وظن الجبان اليوم يوما مقدرا
وافحم بالذعر اللسان فبربرا
ودارت عيون خيفة وتحيرا

(١) قال النابغة الجعدي

ولاخير فى جهل اذا لم يكن له
ولاخير فى حلم اذا لم تكن له

(٢) هذا ينظر الى قول المتنبي

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشموس وليس فيها المشرق

وقارعت البيض الذكور وعقدت
 فلا تبصر العينان الامضرجا
 جلا فيه كرب الدين لله دره
 له وثبات ، او ثبات كأنما
 يرى الكفر ان العز بالله لا بما
 وان جموع الكافرين وان طفت
 فيبض وجه الدين بالجد ناصرا
 وقاتل اعداء الهدى بشهامة
 وجاهددهم في الله حق جهاده
 الى ان دعاه الله بالفوز والرضا
 فخلف صيتا طائرا ومفاخرا
 على الجو اطراف السناك عشرا (١)
 جريحا والا مستميتا مغفرا
 بصادق باس لا يحل التأخرا
 يعاطى لدى الهيجا مدا ما معصفرا
 يلقيه الجهال جندا وعسكرا
 سترجع عند العزم جمعا مكسرا
 عصابة حزب الله نصرا مؤزرا (٢)
 اذافت مرارات الردى من تنصرا
 فواجب رضوان واجرا موفرا (٣)
 قلباه مسرورا بما كان احضرا
 مدى الدهر تستدعي الثناء المعطرا

(١) البيض بفتح الباء جمع بيضة وهي المغفر ، والذكور السيوف قال المهلهل
 فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرر بالذكور
 والشطر الثاني ينظ الى قول المتنبي

عقدت سناكبها عليه عشرا فلو ابتغت عنقا عليه لامكنا
 (٢) ينظر هذا الفصل من هذه القصيدة الى ما جاء في قصيدة لابي راهيم السكستاني
 السوسى فى الامير محمد العالم ابن الملك مولاى اسماعيل

واعظم مقدم اذا اشتجر القنا
 به يتقى في معمعان الوطيس ان
 وقد قامت الهيجا حق قيامها
 وقد صابر الشجعان حتى لوى بهم
 وقد فلت الاسياف واندقت القنا
 وجف من اوساط الحلق لعابها
 وقد قام ميزان الهزيمة فائنسى
 هنالك مولانا يضى جبينه
 يقاوم فردا ثابت الجأش مقدما
 يشابعه العزم الوطيد وقائم
 الى ان يرد الجيش اديارهم وقد
 والجميع مستقى من قول المتنبي:

وقفت وما فى الموت شك لواقف
 تمر بك الابطال كلمى هزيمة
 (٣) حكى لى القائد اناجم ان ميتا من المسلمين سقط فى نحر العدو فى واقعة
 ولم يقدر احد أن يتقدم لياتى بشلوه الا اتقىه سيدى على بن عبد الله فقد
 غامر بلا مبالاة حتى أتى به ورجع والرصاص يتطاير حواليه

الا انما تلك المكارم لا الالى
واعقبنا حزنا يزيد وعبرة
ولكننا نلقى المقادير بالرضا
مضى شيخنا النحامي الزمار مطهرا
سأبكيه ما ناح الحمام هديله
وتندبه عين اليراع معى وان
وتبكيه عين المزن فى الروض اذ حكت
وانى اعزى المجد فيه فانه
واندبه للعلم والدين والندى
واندبه للمشكلات يحلها
واندبه للدرس فى الدست اذ غدا
وللوعظ تهيم العين من رقة به
واندبه للطالب العلم يجتنى
وللمعتدين الظالمين يكفهم
وللدين والدنيا وللفضل والعللا
وللسادة الابناء ابناؤه ومن
وللجلة الاخوان والجرة الالى
فصبرا جميلا يابنيه وكلنا
فلارء الا دون رزئكم فلا
ولا تنهوا للحادث النكر انه
ففى الله للعبد المنيب كفاية
لما جزعى ؟ والموت حتم وانما
اما زار طيف الموت كل منبأ
فلا ملك تحميه عدته ولا
فاين ذوو التيجان من كل أمة
واين الكرام الشم من برمك ؟ اما
دعا الكل داع لا يبرد لمصرع
فلم تخلق الدنيا ليعمرها الفتى
فتبا لها لم تصف الا تكدرت
وطوبى لمن لم ينخدع بفرورها
وجد حبال السوف اذ جد جده
وبادر قبل الفوت اعداد طاعة

يعدونها شيزى وقعبا مقورا (١)
تفيض ووجدنا لا يزال مسعرا
وتسليم امر كان حتما مسطرا
مبرا ما يخفى وما كان اظهرا
وان كان يبكيه بكاء مسورا
جرى دمعا احوى ودمعى احمر
شمائله الازهار طيبا ومخبرا
ابوه الذى يحميه ان يتهورا
وخابط ليل جائعا متحيرا
برهان صدق بادها او مفكرا
يقلده من فيه عقدا مجوهر
اذا قام فيه مغريا ومحدرا
من اءابه او ماله متخيلا
عن الظلم كفا يردع المتكبلا
وللبشر والترحيب بالضيغ ان طرا
أضيف له معنى فحاز التصدرا
حووا منه بالقربى وبالقرى مفخرا
بنوه فعجز الحر ان يتفجرا
يكن حظكم فى الصبر ادنى واقصرا
اذا جل رزء كان بالصبر أجدر
تقيه اذا ابدى الزمان التكبلا
مضى كل حى ان يموت فيقبلا
كريم وزار المصطفى المتخيرا ؟
علم ينجيه من الموت مادري
الم يستنج كسرى الملوك وقيصرا ؟
تصدى ليحيا حين عفر جعفرا ؟
يلازمه حتى يوافى محشرا
وان عاش احقبا ولكن ليعبرا
ولم يحل فيها العيش الا تمررا
اذا هو بالزهد ارتدى وتآزرا
لزاد معاد فاتقى وتبررا
تسر اذا لاقى نكرا ومنكرا

(١) القعب بالفتح اناء اللبن والشيزى عود تصنع منه القصاص
قال الشاعر تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
وقيل فى اصحاب قليب بدر وكم ذافى القليب قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام

قيارب ثبتنا وتب واهد واعف عن مساوى جلت ان تكت تكثرا (١)
وجد بالرضا واغفر كما انت اهله فانك اهل ان تجود وتغفرا
وان الرجا في جنب عفوك شافع كريم ، وحسن الظن من اوثق العرا
ومنه لك اللهم للشيخ رحمة تقدسه روحا وذاتا ومحضرا
وان تتلقاه برضوانك الذى يبيح له مشى كريما ومنظرا
بجاه رسول الله من جنبه حمى حصين يجير الملتجى وان اجترى
عليه صلاة الله قدر كماله على عد ذرات الوجود واكثر
واصحابه والتابعين ومن تلا ومن نصر الدين الحنيف وعزرا

انتهت مرثية الشاعر الافرانى ، وقد تتبع فيها شمائل الاستاذ باطناب
ثم ضم الى ذلك ما يالف الشعراء ان يزجوه بين اوصاف تحمد دائما من الحماسة
التي تخاض بها المعامع ، وان لم يكن غالب علماء الفخ الامثال علماء كل هذا
العصر الذين لا يطيقون ان يسمعوا وصف معمعة كما هي ، فضلا عن ان يخوضوها
لانهم لم يتربوا تربية الجند ، ورحم الله استاذنا سيدى سعيدا التتاني الذى
يقول : اننى وانثالى يحرم فى حقنا ان نقرب المعامع ، لاننا لانجر على الناس الا
الهزيمة لاننا سرعان ما نكتشف فى المعامع ، ولبعض اساتذتنا وقد انهزم فى
معمعة حكاية نطويها الآن ، على ان للمترجم مواقف جلي بين الرصاص تذكر
عنه ، كموقعة يوم وجان حين ولج القرية المحاصرة ليلا مع سيدى الطاهر ،
وكامثالها من المواقف التي اشتهرت عنه فى آيت واد ريم وغيرها

وقال الاديب محمد بن محمد الكثرى

الدهر بعد تعرف يتنكر فسلامة من باسه تتعذر
ما فتر عن اسنانه الا بدا متجهما عن نابه يتكشر
فاذا تذلل لامرئ يوما غدا من بعد اى تذلل يتنمر
واذا اتى عفوا واصفى موردا عما قليل صفوه يتكدر
كم خانه من بعد ما قد صانه واذاله من بعد ما يتصدر
ورزية تمرى ضروع مدامع كل الرزايا عندها لا تذكر
عمت وخصت كل ذى ادب فما تلقاه الا حائرا يتفجر
يا عاذلى ومؤنبى فى عبرتى ان الرزايا فى الاكابر تكبر
هل بعد فقدك يافقيه العصر من عيش يرجى او منى تذكر ؟
طم المصاب وعم ابناء الورى فتجبروا من وقعه وتحسروا
من للمخابر والمنابر والعللا والضيف فى ذيل الطوى يتعثر
من للمجالس والمجالس يبتغى كشف الخفايا لبسها لا يبقر
كم من غوامض قد جلاها فكره لولا ثقب شعوره لا تشعر

(١) لا يكت : لا يعد

نشر العلوم افادة واجادة واشادة عن همة لاقتصر
من للحمى يحميه من لعوارف ومعارف وصراخ من يستنصر ؟
من للعزائم والعزائم ازمئت من للهدى من للوغى اذ تسعر ؟
ناداك داعي الله ياروح العلا فاجبت لا مستنكفا تستكبر
وكذاك دأبك في امتثال اوامر فلقيت رحمة ربنا تستبشر
فاذا ترحمنا عليك فرحمة الله سمولى تعالى جده تستغفر

وأما مرثيتا الاستاذ الاقاوى فأولاهما

موت العليم مصيبة لن تجبرا لاسيما من فاق في العصر الورى
اعلى احزنت القلوب واعينا ابكيتها ومنعتها ذوق الكرى
الناس ما حييت سيادتكم على خير ولما ان قبرت تقهقرا
لو كان عهدا ان شخصا يفتدى اشياخه من موتهم لن تقبرا
قمر الزمان قبرتم ، ماكنت قد سط حسبت ان البدر يقبر في الثرى
غبتم فاشخصنا العيون الى السما أشخاص من سلب القوى متجبرا

وثانيتها

لتبك فما في الارض من كان اغيرا على العلم والاسلام مثلك في الورى
لتبك على موت الذى الدين زعزعت بفقدانه اركانها فتقطرا
لتبك على فقد المحلى بكل ما يزين الفتى حلما وعلمنا منورا
ابى الحسن الالفى شيخ زمانه ومن فاق كل من غدا متجبرا
همام يفيد المرء في جلسة من الـ سمعارف ما لا يستفيدة اعصرا
عليم كريمة لا يمل جليسه اذا جئته يغنيك بالعلم والقرى
ترى حاتما منه على خلق احنف وعلم الغزالي في لسان القبعثرى
فماذا عسى ابدية من وصفه وان غدا لى وجه الارض اجمع اسطرا
أبا حسن ابكيت اعيننا كما اذبت بنا كل القلوب تحسرا
أجود بدمعى قاتلا ومؤرخا (مواتك يا خير الزمان معفرا)

هاتان هما مرثيتا الاستاذ الاقاوى نثبتهما كما وجدنا هما على اختلاف
نسخهما فقد حاول حفظه الله ان يرثي الاستاذ بما هو أهله ، ولكنه رأى الرقعة
فسحجة ووصاف الاستاذ المحموده كثيرة فالقى هاتين القطعتين ثم اكفى بهما
وهو على كل حال افضل من ادبائنا الكثيرين الذين طوقوا بعدم رثاء استاذ الادب
بما طوقوا به اخر الدهر ، حين أعرضوا عن الواجب ، ولم يتلفظوا ولو بقطعة
اوقطعتين كالاستاذ الاقاوى جزاه الله خيرا ، وقد سمعت ان سيدى عبد الله
السمالى كان أيضا من الرائيين ، ولكن لم اعثر على مرثيته

ثم اننى وقفت على رسالة لشيخنا الاستاذ الافرانى ارسلها بعد سنة من وفاة
الاستاذ يدل بها اولاد المرحوم على الصراط السوى ، فاحببت ان الحقها بالمرأى

وهي

«سادتنا الإجلة ، بدور المعارف ونجوم الملة؛ اولاد شيخنا المقدس بكرم الله سيدى ومولاي ابي الحسن الالقى ، الاخ الفقيه المدرس النفاة الساعى بحكم السعادة ان شاء الله فيما يزيد ارتفاعه ، سيدى المدنى ، والاخ اللطيف الشمائل ؛ والكريم الذى هو لاكتساب المجد مائل ، الاديب الارب ، سيدى محمد والنقيب الحبيب ؛ سيدى الحبيب ؛ والفقيه المشرح للمكارم ، المهذب الطبع تهذيب الصارم ، سيدى الطاهر ، وبقية السادة المرجو رشدهم ؛ المرموق سعدهم؛ سيدى الحسن وسيدى عبد الله ، حفظ الله جمعهم السالم من التكسير واعلى مجدهم الذى يرجع عنه بصر الحاسد خاسئا وهو حسير ، وسلام عليهم وعلى من بالحضرة من السادة الاعمام والاقارب والجيرة ، ورحمة الله هذا وعليكم بتقوى الله والعمل بما يرضيه تعالى ويقر عين السلف الصالح رحمهم الله ، فجدوا فى العمل على السنن المعهودة ، والزمو قدر الطاقة عادة الاكارم من الآباء والجدود وجاروا الزمان على حسب مقتضى الحال من غير افراط ولا تفريط ، واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، وكونوا خير اخوة من غير انفة البعض من البعض او نخوة فيد الله مع الجماعة ، ولا تنازعوا فتفشلوا الاية واعذرونى والسلام ١٤ بذي الحجة ١٣٤٨ هـ»

هذا وقد حدثنى الاستاذ سيدى الطاهر على ان الشيخ الافرانى المذكور كان كتب اليهم اثروفاة والدهم رسالة ضمنها الرسالة الصغرى التى كتب بها القاضى الفاضل الى اولاد صلاح الدين يوم مات والدهم ، وهى معروفة فى التاريخ

قوله الاستاذ الرفاكي فى صاحب الترجمة

الشيخ الهمام ، الحافظ الامام ؛ ذوالنائل العالية ، والمفاخر الصمدانية . الكاتب المجيد البار ، الواقف فى فن البلاغة بكل المشارع . وودنعت اليه اللطائف من عذيب المعانى والاجارع ، البليغ المصيب ، والفاتر من الاجادة باى نصيب . ابو الحسن سيدى على بن الحاج عبد الله ، بتحت الحصن ، من ذرية سيدى عبد الله بن سعيد الساموكنى - كما فى الحضيكى - التجانى الطريقة المحمدى الحقيقة قرأ فى بلده عن اخيه العلامة سيدى محمد صاحب القبة ثمة ، وهو الذى بنى المدرسة ودرس فيها ، واحيا فيها السنة ، وتلاميذهما رحمهما الله كثيرون ششنتهم كتب الادب واللغة فيها يتسامرون ، وعليها يتكلون ، وهو فى نفسه قوى العارضة . لا يطعم الفتى ان يعارضه ، ألقت اليه الرئاسة يد الطوع ، وامنت بأقلامه من الروح ، له شعر يشهد له بالدراية ؛ وان له فى ميدان الراية ؛ وقد

أثبت له ماتبصره شعرا : وتجده عند الاختبار صخرا . وعند الانتشاق شعرا : (١)
فمن ذك قوله يخاطبني

عليك اماما اعجز اللسن في اللسن واروى بغاة العلم عذبا بلا اسن
ومن قل شكرى عن عوائد بره ومن قادقود الفضل نحوى بالرسن
ومن لم يزل دهرى يبين فضله ويتلى على آرائه حسن بسن
سلام كورد فاح اذ رشه الندى واحل بعيد الجهد والكد من وسن
وذلك جواب لقول فيه

سلام يخوت (٢) ملحضيض (٣) الى القسن

الى قدم الشيخ الهمام ابى الحسن
سلام خديم لايريم مع النوى على العهد والحنين شوقاالى الطعن
فتى خصه المولى بعلم وحكمة ويمن حيا بشر ثوى ذلك الوطن
ابى المجد الا أن تكون سريه نقيبا وان يتلى عليك حسن بسن
الى غير ذاك من معال تجمعت لديك وعدها لدى من المحن
الى سيدى خود تفوح ليومها غير مديح اشهى للصبى من وسن (٤)
وذلك فى جمادى الاولى عام ١٣٤٤ هـ

وكتبت اليه أيضا من جملة رسالة:

على السميزع من زرت ماثره برونق البدر بل برونق الشجر
ابى على مرعف اليراع اذا ما ارتج القوم فهو السن البشر
عليه من خادم ازكى السلام على عد الرمال وعد الرمل والدر
فاجاب رحمه الله فقال

مولاي من قد زرت بطلعة القمر طلعة ماخطه نحوى من السمر
وزان عقد كمالات له نظمت لبة مجد فاضحى خير مفتخر
ويا اماما غدا من اقدر البشر على نظام حوى لطافة السحر
بعثتلى من بنات الفكر ما لم أكن (٥) أهلا لهن وما العيان كالخير
جزيت عن حسن عهد قد جبلت على احياء ميته يا اكمل البشر
عليك منى سلام الله ما طلعت شمس وما زين عين العين بالحدود

(١) المراد بالشجر شجر عمان وهو ساحل البحر بين عمان وعدن وقد جرت عادة الادباء أن ينسبوا ما استحسوه من الروائح الى عنبر هذا المكان وهو المعروف عندهم بالعنبر الشجرى، وذلك هو مراد مؤرخنا هذا

(٢) خات العقاب يخوت خواتا كان جناحه دوى

(٣) ملحضيض من الحضيض على لغة بلحارث بن كعب

(٤) «اشهى» هكذا بخطه نفسه مع انها غير موزونة

(٥) كذا من خط المؤرخ: وكثيرا ما يقع مثل هذا فى البسيط حتى لشيخنا الافرانى

توفي رحمه الله في ٦ ربيع الثاني عام ١٣٤٧ هـ

هذا ما ترجم به الاستاذ الرفاكي صاحب الترجمة ، وقد انت اقواله كلها على اختصارها اجمالا لما بيناه نحن واسهنا فيه بعض اسهاب والحمد لله ، ولم يزد على ما قلنا الا انه تيجاني المشرب ، وقد كان صنوه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله تلقفها من شيخها بسوس سيدى الحاج الحسين الافراني ، ثم صار يلقفها للناس فتلقفها والده الحاج عبد الله ثم سائر اهله ، ثم جميع تلاميذهم فانتشر الفرع التيجاني الالفي على يد هؤلاء الاساتذة انتشارا ، ولا يزال ينتشر ولكن هذا الفرع اقرب فروع التيجانية الى الاعتدال وما نعرف عن اصحابه انتعصب الذي يشاهد في الفروع الاخرى وكفى في ذلك ان هذا الفرع جاور الطريقة الدرقاوية التي حمل الوالد رايتها ، كما ان الاستاذ صاحب الترجمة صاهر رئيس الطريقة الناصرية سيدى المدنى الافراني ، واستطاع الكل ان يتشبه جنبا لجنب مع مصافاة واخوة تامة وحسن ظن . والمترجم تلقن التيجانية من مراكش

قولته للورخ علي بن الحبيب في

ومهم المودعي الكامل العارف بالله الواصل ، الفقيه البركة العلامة ذو القلب السليم والفضل العميم ، صاحب القلم السبيل ابو الحسن سيدى علي بن عبد الله الالفي ، احد الخاصة من احباب والدنا المقدس بكرم الله ومن خاصة اصحاب الشيخ التيجاني رضى الله عنه وأرضاه بالاذن المطلق ، قائما في ذلك احسن قيام ، الى ما انضاف الى شعر يشهد له بالدراية وهو فيه بيسر قبيل ، حامل راية ، وله يخاطب بعض علماء عصره :

عليك اماما اعجز اللسن في اللسن واروى بغاة العلم عذبا بلا اسن الى اخرها «وقد تقدمت في ترجمة الرفاكي له»

ومما كتب به الى والدى «علم الاعلام وامام معتقلى الاقلام ، ومن له بكل فن - ولا أقول الاحقاد - اى المام السيد السند والصدر الاوحد ، مقيم الاود الشريف الحبيب ، سيدى الحبيب السكراتي ، السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الزكية والاحوال المسكية ، وبعد فلا بأس ولكل الحمد ، نسأل الله لنا ولكم التوفيق لما يرضى ، واللفظ الجميل فيما قضى ، وقد وصل الرسول ومعه من الاشعار بسلامتكم والعلم نحو جلالكم ، ماتضمن كل سؤل ، فحمدنا الله على ذلك وشكرناه على حق المنن هنالك ، ومعه ايضا رسالتك الفراء المهدية لجنابنا كل سرا

حيث فاحيت هناك ساكنى القصة واسترجعت اعظما بالشوق مقتصة

(١) كذا من خطه

فألماء يقيقك ويقيقك ويرقيقك ، ومن بحر عنابة نبيه يسقيك وبرويك ،
ويجزيك عن حسن العهد خيرا ، ويجعلنا ممن يديم لحضرته سيرا ، وهذه ابيات
جادت بها القريحة القريحة ، وهي بهامن بعض الشوق واعبائه مستريحة ، وعلمت
في ذلك اننى والله كمن جلب النهر الى هجر ؛ اوهدى فهجر ؛ لكن الحجر من
يد الجيب تفاح

فتسبها ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام رباح
نصها

مولاي انى وان شطت بى الدار وحكمت بالتنائى عنك اقدار
وجار بالصرف عن لقياك وهى منى قلبي صروف لها للشت اقدار
وكسرت حنقا جمع سلامتنا واثارت فلها فى العيث اثار
وغيبت ذلك الوجه الصبيح فما لصبح وصلك منذ الدهر اسفار
باق على ذلك الود الصميم وهل يدك شم الجبال الشم اعصار ؟
انى وحقك ابقي ما بقيت على عهد يجل له فى القلب اضمار
ينمى نموك فى الخيرات شوقي ما لخيلى ودى فى السلوان مضمار
لازلت بدر كمال فى سماء مجا دة تناح له بالعز انوار
لك السعادة والاعلون سادتنا لك ابناء دارته والكل ابرار
خصوصا الندب مولانا الامام على يا من له لحضور الخير احضار
منى عليكم سلام الله ما طلعت شمس وما هاجت الاشواق اشعار

فهى من بنات افكارى احد عشر كوكبا ، وعندك الشمس والقمر ، ويسجد
الكل للسن لسانك ، وسلطان احسانك ، وسلم على الاحبة عموما والسلام»
وبالجملة فصاحب الترجمة موصوف بطهارة الازرار والذيل ، وبصفاء الجيب
وقلبه لا ينطوى على نكر ومكر

له شرف قد جل عن ان يناله غوائل ايدى الحادثات قدام
يلوح سنا برق الهنا ببروجه كبرق بدا بين السحاب يشام
مطافا لارباب العلا وفضائل فمنهم جثوم حوله وقيام

اخذ العلم عن اخيه الشقيق الفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله ، وهو
الذى بنى المدرسة ، وتسبب فيها للخير ، ونصب فيها نفسه للتدريس واحيا
السنة فى تلك الجبال القبلية وطلبته كثيرة دابهم الادب واللغة ، فيهما يتمارسون
وقد شهد المصر بسمو تقدير صاحب الترجمة وتقديره ، واجمعت الجماعة على
تقديره وتعظيمه ؛ اذا ذكر المجد فهو المرتدى بردائه ، واكرم فهو العامر لفنائه ،
او العلم فهو الحامل للوائه ، او جميل الفعل فهو صاحب ارضه وسمائه ، وله
قصائد خاطب بها ادبا. الوقت لوجمعت لاستقر بها سفر (ثم ذكر وفاته وبعض

مرايئ) الى ان قال ولصاحب الترجمة يهجو ال (فصك) دشرة من مداشر
جزولة قوله

أتيت لامر حافز (فصك) وهي بلد
فأليتهم قوما برابر يدعو ن انهم في العرب من غير برهان
وليس مفيدا ان يروا عربا اذا صنائعهم ليست صنائع عربان
أما تواتر الندى فاقبروه واحيوا ال مناكر فهي العرف من غير نكران
فلا الجود فيهم لا ولا في نسائهم حياء ، ولا فيهم غياث للهفان
ولم ار مثل حالهم في خشونة ال معاش وفي اديانهم منذ ازمان

وقد خلف اولادا اجلة فقهاء مذكورين اتبعوا انفسهم في تحصيل العلم
عند والدهم الى ان حصلوا منه كفايتهم ، وفاقوا به رهطهم وعشيرتهم وجازوا
فخرهم ومكانتهم ، لايطمع فيهم طامع ولا يفرع لهم العصا قارع كما قال الشاعر:

اعاذتني على اتعاب نفسي ورعي في الدجا روض السهاد
اذا شام الفتى برق المعالي فاهون فانت طيب الرقاد

أولاد الاستاذ

كان صاحب الترجمة عقب صنوه العلامة سيدي محمد بن عبد الله على
حليلته عمتنا مريم عام ١٣٠٤ هـ فولدت له من الذكور الذين ادركو مدارك
الرجال

الاديب سيدي محمد وستقرأ ترجمته ان شاء الله

واحمد ، شاب حفظ القرآن حفظا جيدا والم ببعض الروايات وكان والده
يقول له انني أريد منك أنت بين اخوتك ان تستفرغ جهدك في تحصيل الروايات
وان تكون ممن حصل ذلك تحصيل تاما ، وذلك لما يراه الاستاذ من عدم هذا النوع
من المعرفة عند الالفين ، فيقنع الكثير منهم بورش الذي جرت العادة بالقراءة
به ، وقلما يتعدى الى حرف المكي او قالون الا عند البعض منهم ثم لا يلبث ان ينساه
فاراد من ولده هذا أن يجيى ذلك المجد الآخر على يديه ، الا ان الاقدار قد تعاكس
أما اني المتمنين فقد كان أحمد هذا رجلا مغامرا باسلا ، برزت منه غريزة الشبيبة
وفطنتها باجلى مظاهرها ، وقدر الله ان كان يختلف الى قرية دوو كادير لقضاء
اغراض ، فكان يلتقي هناك بثلاثة رجال من كسيمة وهشتوكة كانوا عندنا في
الدار ، حين رجع الاخ سيدي محمد من قبيلة اداويزيكي اول عام ١٣٣١ هـ فكان
يجاذبهم الجبال ، يتحكك بهم ويتحككون به وفي ليلة - لسبب من الاسباب -
ثاور بعضهم بعضا واسط الليالي في ازقة القرية ، فسقط برصاصة احدهم
فكانت فتنة مشتعلة حفظ الله من نارها مرابطينا ، بعد ان اذلقت اليهم اذلافا

اللبيب الى الهشيم ، فرضى حكم أحمد الهيبة فى القضية ، فحكم ان يقتل من ثبت عليه القتل قصاصا فآخذ اثنان منهم مع ان الرصاصة التى اصابته انها هى واحدة ، فاعتقلا على يد الاعراب ، فدفعوا لاولياء الدم ثم تفلت احدهما وهو مبارك الكسىمى والعجيب انه انما ظلم لانه لم يحضر مع صاحبه تلك الليلة ففكه الله ولا يظلم ربك احدا ، وأما الآخر محمد الهشتوكى وهو القاتل حقا ، دون القاضي البوعشراوى الذى كان اذذاك معه ، فقد قتل ازاء تافكاغت فانجلت العقدة بذلك وكفى المرابطون شرها والحمد لله ، وكان هذا -أخال- حوالى عام ١٣٣٣ هـ رحمه الله وهذا ما اخبرت به عن القضية من الذين يتحرون الصدق ، لاننى لم احضر اذذاك فيها ، فهكذا ذهب احمد اثر تهوره سامحه الله وغفر له ، فقد العق والده علقما بهذا ، وكادت الغ ينهار بناؤها من أجله

ثم ان الاستاذ اقترن ايضا بالسيدة نفيسة بنت الشيخ سيدى المدنى الناصرى ، بعدما وقع بينه وبين الاستاذ سيدى الحاج ياسين عليها نزاع وذلك ان الحاج ياسين كان خطبها لولده اولامن أخيها الاكبر سيدى احمد بن المدنى فعقد له عليها بغير اذنها واما اخواه الاديبان سيدى البشير وسيدى الطاهر فقد اخطبا فيها صاحب الترجمة ، وبعد نزاع مستطير ، ذهب وفد من الغ فيه الحاج محمد اليزيدى والحاج ابراهيم الايفسانى وآخرون -كما حدث بذلك العم ابراهيم (وانظر هل كان هذا اليزيدى اذذاك حيا)- فخابروا الحاج ياسين ، وقالوا له ان أولى من يتبع الحق لانت ، فهذا العقد انت أول من يحكم بفساده ، والذى تقتضيه مروءتك الابتعاد عن مثل هذا ، لانك عالم كبير ، ولاتؤد بهذه الاسرة الى التفاقم فيما بين افرادها -والقصود بين اولاد سيدى المدنى- فتبع رحمه الله رأيهم فسلم فى الامر ، فتم تزويجها من الاستاذ ، وهى سيدة عالية المقام مهذبة من كل ناحية وبينها وبين والدتى مؤاخاة مع انهما لم تترايا قط ، وقد اخبرت ان عقدها كتبه الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر ، فكان يطفح بالبلاغة ، وطالما حششت بعض اولادها ان ياتى به لننسخه للتاريخ ، ولكن ذلك لم يتيسر ثم ولدت للاستاذ من الذكور العلامة سيدى المدنى والاستاذ سيدى الطاهر والتجيب سيدى الحسن ، وسترى تراجم الكل فيما سيأتى ان شاء الله، والحبيب والحسين وعبدالله وهذا اصغرهم ، وهو الآن ١٣٥٨ هـ ما زال يتلقى ، وقد برقت منه بارقة نجابة فلئن ثابر ليكون بين اخوته اولئك نجما ثاقبا ، فهؤلاء اولاد الاستاذ الذكور ، وأما الاناث فصيفية وحبيبة من السيدة نفيسة ، ماتتا عند ابنى الفقيه سيدى سعيد الاكمارى الاديب سيدى احمد واخيه سيدى محمد ، وخديجة عند ابن عمها سيدى عمر وقد ولدت له الآن ١٣٥٨ هـ اولادا ، وفاطمة وهى اكبر اولاد السيدة نفيسة عانس فى الدار الى الآن (ثم ماتت خديجة فتزوج سيدى عمر فاطمة اختها العانس) وأما اللاتى من السيدة مريم ، فتعزى ، ماتت عند شيخنا سيدى محمد بن الطاهر الافرانى ، وقد خلفت ولدها التجيب سيدى

المدني وغيره . ورقية عند سيدي احمد بن الحسين الاعضياوي ، ولا تزال ١٣٥٨ هـ حية
ولها اولاد من جملتهم بنت تزوجها ابراهيم بن الرئيس احمد الايشاني ثم ماتت
فهذا ما أعلمه عن اولاد الاستاذ حفظهم الله وكلاهم وادام بيننا وبينهم ما
بيننا والدينا قبل ، فرحم الله الاستاذ وجعل البركة في عقبه انه سميع مجيب

انتهى الجزء الاول من (المعسول)

في منفاى بالغ في واسط عام ١٣٥٨ هـ

ثم زيدت فيه زيادات بعد ذلك

ويليه الجزء الثاني في بقية ابناء عبد الله بن سعيد

من اهل (الفصل الاول) ثم يليه (الفصل الثاني)



الفهارس خمسة :

[١] فهرس المترجمين في هذا الجزء

[٢] الفهرس العام

(٣) فهرس القوافي

(٤) » الرسائل

(٥) » الفاظ الشلحة المضبوطة

الفهرس الاول

في أسماء المترجمين في هذا الجزء

- ٨٠ سيدي عبد الله بن سعيد التاهالي
١١٧ سيدي احمد بن عبد الله بن سعيد الالغي
١٢١ سيدي محمد بن عبد الله بن سعيد
١٢٢ سيدي علي بن أحمد بن عبد الله
١٢٥ سيدي عبد الله بن أحمد بن عبد الله
١٢٧ سيدي حسين بن عبد الله بن احمد
١٢٨ سيدي أحمد بن علي بن احمد
١٣١ سيدي عبد الله بن موسى بن محمد الاوخي
١٣٢ سيدي ابراهيم بن بلقاسم بن محمد التاكانزي
١٣٤ سيدي بلقاسم بن علي بن احمد التيبوتي
١٣٦ سيدي احمد بن بلقاسم التيبوتي
١٣٨ سيدي سليمان بن محمد أول فقيه في المرابطين
١٤١ سيدي ابراهيم بن سليمان الفقيه
١٤٤ سيدي احمد بن صالح بن عبد الله الزاوي
١٤٥ سيدي صالح بن عبد الله الزاوي
١٤٧ سيدي محمد بن احمد السعيد
١٤٨ سيدي محمد بن بلقاسم التيبوتي
١٥٤ الحاج علي التيبوتي
١٥٦ الحاج عبلا بن صالح الالغي
١٦٠ الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله الالغي
١٨٤ الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي
٣٢٥ العلامة سيدي علي بن عبد الله الالغي

الفهرس الثاني

الفهرس العام

- مقدمة بين الامس والغد
ح بيان (يتعلق بضبط الكلمات الشلحية)
١٣ خطبة الكتاب
١٥ تحية الخ بقصيدة بائية كبرى
٢٣ اسم الكتاب اتمام
٢٥ وصف الخ الجغرافى
٢٨ قرى الخ كلها
٢٩ بعض العادات الالفية
٣٠ عاشوراء
٣١ نيلى المولد
٣٢ العرس
٣٣ العقيقة
٣٤ الحذاقة - العواشر - الختان
٣٥ الحصاد - والدارس وما اليهما - الجنائز
٣٦ الحرف والصنائع - الحدادة
٣٧ التجارة - الدباغة والحذاء - الاكافة
٣٨ الحباله - انشباكة - نساكة الصوف
٣٩ انخياطة
٤٠ الرفاءة - الخزافة - الحجامة
٤١ معدن النحاس - العلم والتدين والاخلاق العامة
٤٣ اطعمة الالفين ووجبات اكلهم
٤٦ قصائد فى بعض اطعمتهم
٥٢ المشروبات الالفية
٥٣ رجز فى تشجير الاتاى
٥٤ المعتاد فى اول السنة الفلاحية - الالبسة
٥٥ الفرش - المعتاد فى المساجد
٥٧ المعتاد فى المدرسة الالفية
٥٨ دور المرأة الالفية
٥٩ الامثال الالفية
٦٠ الالاب الالفية ذكر فيها ١٤ نوعا
٦٣ ما قبل فى وصف الخ من الاشعار
٧٦ تقسيم الكتاب
٧٨ (الفصل الاول) من (القسم الاول)

- ٧٨ اسماء المذكورين في (الفصل الاول)
- ٨٠ الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد التهالى
- ٨١ النطقيات التى اسسها فى القفار وهى ١٢
- ٨٣ وثائق واقوال المؤرخين (حواله)
- ٩٠ استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك وهو فصل طويل لابد ان يقرأ
ليعرف الشيخ حق المعرفة
- ١١٢ بقية الوثائق المتعلقة بشال الشيخ بعده
- ١١٥ قصيدة للمؤلف يوم زار هذا الشيخ
- ١١٧ سيدى احمد بن عبد الله اول نزيل فى الغ من ايمور احداولاد الشيخ
- ١٢١ سيدى محمد بن عبد الله . الولد الثانى للشيخ
- ١٢٢ سيدى على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٢٥ سيدى عبد الله بن احمد اخو من قبله
- ١٢٧ سيدى الحسين بن عبد الله بن احمد ولد من قبله
- ١٢٨ سيدى احمد بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٣١ سيدى عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاوخصرى
- ١٣٢ سيدى ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٣٤ سيدى بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٣٦ سيدى احمد بن بلقاسم ولد من قبله
- ١٣٨ سيدى سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه فسى
ءال الشيخ عبد الله بن سعيد
- ١٤١ سيدى ابراهيم بن سليمان الفقيه ولد من قبله
- ١٤٤ سيدى احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد الفقيه
- ١٤٥ سيدى صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٤٧ سيدى محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله
بن سعيد
- ١٤٨ اعلامة سيدى محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن
عبد الله بن سعيد
- ١٥٤ سيدى الحاج على التيبوتى ابن عمه لحا الفقيه
- ١٥٦ سيدى الحاج عبلا بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد ابو الاعلام
- ١٥٩ قصيدة فى رثائه
- ١٦٠ العلامة مؤسس المدرسة سيدى محمد بن عبد الله ابن من قبله
- ١٦١ مبتداه
- ١٦٢ فى مدرسة تانكرت
- ١٦٢ فى مسجد قرينته (مدرسا)

- ١٦٣ فى المدرسة البومروانية
 ١٦٤ المدرسة الالغية تؤسس
 ١٦٥ قوام المدرسة
 ١٦٦ الاستاذ فى مدرسته الجديدة
 ١٦٦ كيف دراسة الاستاذ
 ١٦٨ العشرة الاولى
 ١٦٩ الاستاذ وطلبتنه فى وادى افران
 ١٧٠ الاستاذ يعاود ادارة الدروس بنفسه
 ١٧٠ الاستاذ يتصل بالسلطان
 ١٧١ الاستاذ يلتحق بالرفيق الاعلى
 ١٧٢ قصيدة فى التعزية فيه
 ١٧٣ تجاليد الاستاذ تنقل الى اثغ
 ١٧٣ اخلاق الاستاذ مع رجز حولها
 ١٧٥ اثاره نظما ونثرا
 ١٨٠ الاخذون عنه
 ١٨٢ مرثيه
 ١٨٣ قولة على بن الحبيب فيه
 ١٨٤ الشيخ سيدى الحاج على اندرقاوى
 ١٨٥ موضع ولادته
 ١٨٦ فى المكتب
 ١٨٧ فى مدرسة تانالت
 ١٨٧ فى مدرسة المولود
 ١٨٧ فى مدرسة تازاروالت
 ١٨٨ فى مدرسة تانكرت
 ١٨٩ ملاقاته للشيخ سيدى سعيد المعدرى
 ١٩٠ مايدل على ذلك من رحلته ومن بعض رسائله
 ١٩١ فى مصاحبة شيخه المعدرى
 ١٩٣ محاوره لطيفة (بينه وبين ابيه وقد رده من عند الفقراء الى القراءة)
 ١٩٤ فى مدرسة ادوز
 ١٩٦ فى فض النوازل وقسم التركات
 ١٩٧ فى التجارة
 ١٩٨ فى مدرسة فوكوز معلما
 ١٩٩ فى المدرسة البومروانية
 ١٩٩ العزم على المشاركة فى المدرسة الوفقاوية
 ١٩٩ الطريقة تنقض عليه ثانيا فتطير به

- ٢٠٠ وقفة قصيرة بالقارىء (للقاء نظرة على احوال المترجم)
- ٢٠٢ فى التجريد وخرق العادة
- ٢٠٨ من رحلته يصف هذه الحالة
- ٢١٠ السياحات
- ٢١٠ بين قرى سوس مع شيخه المعدرى
- ٢١١ فى جباله
- ٢١٣ رسالة منه الى شيخه من جباله
- ٢١٥ فى فاس
- ٢١٨ فى محاوره الشيخ كنون
- ٢٢٠ فى سلا
- ٢٢٠ بين الفقراء فى سوس بعد موت شيخه
- ٢٢١ سيدى الحاج الحسن خليفة الشيخ
- ٢٢١ يزور اهله
- ٢٢٢ نطمة ترده الى اهله بالكلية
- ٢٢٣ يؤسس مركزه ببلدته
- ٢٢٤ قطعة نظمية يوم تأسست زاويته
- ٢٢٦ تصدره للمشيخة وتربية المريدين
- ٢٢٨ يتزوج بزوجه الاولى
- ٢٢٩ أثر الحياة الجديدة (فى المترجم)
- ٢٣٠ الشيخ يسبح الى آفا
- ٢٣١ يراجع التدريس
- ٢٣٣ ينهض بهمة عليّة الى ماهو بصدد
- ٢٣٥ سياحات اخرى كبيرة
- ٢٣٧ يؤدى فريضة الحج
- ٢٣٨ قطع من رحلته الى الحج الى ٢٥٧
- ٢٥٧ انتهاء وصفه كل مامربه وصفاشافيا
- ٢٥٨ محور حياته
- ٢٥٩ عمله فى سياحاته
- ٢٦٠ عمله فى زاويته
- ٢٦١ تنف من اخلاقه
- ٢٦٤ الشيخ فى انظار معاصريه السوسيين وغيرهم
- ٢٦٨ بعض اقوال المثنيين عليه
- ٢٧٠ قول المؤرخ ابن الحبيب فيه
- ٢٧٣ قول المؤرخ الاكرارى فيه
- ٢٧٤ بعض الامداح فى الشيخ الى رقم ٢٩٩

- ٢٩٩ بعض منظومات نفت بها الشيخ
 ٣٠١ غيرته الدينية امام الاحتلال
 ٣١٠ بعض دعواته واذكاره الخاصة
 ٣١١ مؤلفاته
 ٣١٢ وفاة الشيخ
 ٣١٤ مرثى الشيخ والتعزيات فيه
 ٣٢٤ اولاده
 ٣٢٤ الكتب المؤلفة فى الشيخ
 ٣٢٥ العلامة سيدى على بن عبد الله الالفى
 ٣٢٦ خطوته الاولى
 ٣٢٦ فى دراسة العلم
 ٣٢٧ فى الاستعداد لقيادة المدرسة
 ٣٢٧ استاذ المدرسة
 ٣٢٨ قولة الشيخ الوالد فيه
 ٣٢٩ يولى القضاء من حضرة السلطان
 ٣٣٠ فى رءاسة اخوانه المرابطين
 ٣٣١ مراسيم رسمية حواليه
 ٣٣٣ فى كلاءة الله بين الزعازع
 ٣٣٨ فى شبه غربة بعد دفن رفيقه الشيخ الالفى
 ٣٤٠ بين قضاة تزيت فى عهد الهيبة
 ٣٤١ بين رؤساء قبائل هذه الجبال فى الكفاح
 ٣٤٤ الاستاذ ومدرسته اخيرا
 ٣٤٥ نظرة عامة على اخلاقه
 ٣٤٩ اثار قلم الاستاذ من النشر
 ٣٥٠ نموذج من رسائله وبعض اشعار منه واليه
 ٣٦١ نتف من قوافيه
 ٣٦٦ الاخذون عن الاستاذ
 ٣٧٢ ايام الاستاذ الاخيرة
 ٣٧٥ الاستاذ يلفظ نفسه الاخير
 ٣٧٧ مرثيه
 ٣٨٣ قولة الرفاكي فيه
 ٣٨٥ قولة ابن الحبيب فيه
 ٣٨٧ اولاد الاستاذ

الفهرس ائالائ

فى القوافى

يذكر فى القائل مع الشطر الاول ان دل اءاره على قافية القصيدة والا فتذكر الكلمة الاخرة ايضا لتدل على القافية وقد رتبت القوافى على حروف المعجم على عادة المشاركة

الهمزة

٦٣ الشاعر الافرانى	بانت فبان جميل الصبر اسماء
٦٦ الحسن بن على الاءى	اهل بوفد الخصب وفد سماء
٦٧ المؤلف	ماذا رأى من لم يكن بالراءى
٢٧٨ محمد بن مسعود	باكر بها لمرايع الزهراء
٢٧٩ محمد بن اءاهر	لاحت فاعشت اعين البصراء

الباء

١٥ المؤلف	اليكم بنى امى ائيب ركائى
٢٨١ محمد بن مسعود	أسادتنا صءب الامام الرضا القطب
٢٩٥ موسى بن الطيب الاءى	الانزه العينين فى خير ماقبة
٢٩٨ الشيخ الاءى	وما اسم ثلاثى الى العز ينسب
٢٩٩ الشاعر الافرانى	وما اسم تراه كلما سار يركب
٢٩٩ الاستاذ على الاءى	قلم البليغ يبين لغز منبئا - الاثقب
٣٠٠ الشيخ الاءى	بحد سيوف الذكر فاقطع رقابها
٣٤٨ بعض الاءيين	اكفكف من مءالبراعة مرغما - واجبا

التاء

٧١ المؤلف	الغ المعارف والاداب بلءتهم - الامارات
١٥٥ المؤلف	الفجر بالنور وزهر الربا - الذكيات
١٧٢ لبعض الاءيين	نمزك لانا جهلنا مقام من - الموتا
١٧٩ الاستاذ محمد الاءى	اذا اوءع الله الانامل حكمة - جلء
٢٧٦ محمد بن مسعود	مءى كان حكم الروح فى الجسم لم يكن - البشرية
٢٩٣ الشيخ الاءى	وفيت بما تهوى جزيت جزاء من - قرءه
٢٩٩ الشيخ الاءى	سعد الفقير وساعدت اوقائه

الحاء

٦٥ بعض الاءيين	ابواب الغ لكل اءاء تفتح
١٧٨ الاستاذ محمد الاءى	اذا ماهب من افران ريع

٢٨١ محمد بن مسعود

٣٣٤ بعض الاقيين

الرجال

٦٦ محمد بابة

٢٣٨ محمد بن مسعود

٢٩٠ الحسن الركنى

٢٩٠ الحسن الركنى

٢٩٦ الطاهر الناصرى

٣٠٠ الشيخ الالفى

٣١٧ الاستاذ على الالفى

٣١٨ محمد بن الطاهر

٣٥٠ الاستاذ على الالفى

٣٥١ الاستاذ على الالفى

٣٥٢ الشاعر الافرانى

الراء

٦٤ محمد بن الحاج

٦٦ المؤلف

٧٠ المؤلف

٧٤ المؤلف

١١٥ المؤلف

١٧٦ الاستاذ محمد الالفى

١٧٩ الاستاذ محمد الالفى

١٨٠ الاستاذ محمد الالفى

٢٩٣ الاستاذ على الالفى

٢٩٦ محمد بن مسعود

٣٢٠ موسى بن الطيب

٣٢٢ احمد بن محمد اليزيدى

٣٢٣ انجيب البوسليمانى

٣٤٦ بعض الالفين

٣٦١ الاستاذ على الالفى

٣٦٢ الشاعر الافرانى

٣٨٤ المؤرخ الاكرارى

٣٨٤ الاستاذ على الالفى

٣٨٦ الاستاذ على الالفى

ياسيدا من نوره الوضاح

اذا انسد باب من اميرفان لى - مفتاح

عرج بتحت الحصن يامن سادا

ليهنا الورى طرا بابلالك السعد

ابو حسن نجم به السار يهتدى

الابلغ الشيخ المربى بورده

الى بيت اهل الجود والفضل والرشد

ولى مذهب فى العشق منفردا به - ولافقد

هينا ملكنا المال عفوا ما الذى - وتفقده

قالوا قضى العلم الامام السيد

لنحوك ما اخفى من الشوق او ابدى

بقيت سليما لا تقابل بالردى

ياعجبا كيف يخشى النحس مسعود

اياساكنا ارضا هي الارض وحدها - والبصر

ما الغ غير شعوره فى شعره

نعمة الالفى فتح - داره

يقولون صبرا انه بك احذر

لله رحلتنا الى ايمور

بدت لى احببنا عبرة - يعتبر

ياسبعة من سعد سبعة جمعهم - الامر

سلام كما المسك والعنبر

عليك سلام يا كريم معنبر

لله سيدنا الشيخ الامام وما - البصرا

مضى الاخيار وانتقضت الدهور

قد استوى الله على عرشه - امره

قضى امام الدين من لايرى

اذا انت لم تكبح رفيقك مرة - لا تدرى

شنف باسماع من احيا اذا ذكروا

هذى نجوم الدجا ام هذه درر

على السميع من زرت ماثره - الشجر

مولاي من قدزرت بطلة القمر

مولاي انى وان شطط بى المدار

٣٦٣ الاستاذ على الالغى

٣٦٤ الاستاذ على الالغى

٣٦٥ الاستاذ على الالغى

٣٧٧ الشاعر الافرانى

٣٧٩ ابراهيم السكتانى

٣٨١ محمد الكثيرى

٣٨٢ الاقاوى ائقاضى

٣٨٢ الاقاوى القاضى

الزراى

٢٩٩ الشاعر الافرانى

السين

٤٦ مساجلة

٧٥ المؤلف

٤٥ لبعض الالغيين

العين

١٥٩ الشاعر الافرانى

١٨٠ الاستاذ محمد الالغى

٢٨٩ محمد بن مسعود

٣١٧ الشاعر الافرانى

٣٢١ احمد ائيزيدى

٢٩٤ الشيخ الالغى

٢٩٤ الشاعر الافرانى

٣٦٣ الاستاذ على الالغى

الغين

٦٣ الشاعر الافرانى

٧١ المؤلف

٢٨٢ محمد بن مسعود

٢٨٣ محمد بن مسعود

٢٨٣ الشيخ الالغى

الفاء

٦٤ محمد يحيى انولاتى

ياوارد اعمت الدنيا مفاخره

وصالك هذا ام بداصبح اسفار

جزى الله آخوان الصفاء بكل ما - الحشر

أمن جادت بكرجرى منه ما جرى

واعظم مقدام اذا اشتحر القنا - المجر

الدهر بعد تعرف يتنكر

موت العلیم مصيبة لن تجبرا

لتبك فما فى الارض من كل اغبرا

تاملت لغزا اتعب القلب حله - اللوز

بسيسك يازهراء خير بسيس

الانيت شعرى هل ابينتن ليلة - سكسو

فكه مصاحبك الالغى ما الفت - قاس

على مثل هذا الحادث الفادح الوقع

اذا رتمتم نظما مقفى مجبرا - الوسع

سلام كما ازدانت بصوب مراتع

امن حادث بكر الم فاجزعا

الدهر يفعج والصدور توجع

بشير وطاهر ونجل لطيب

انفج نسيم الروض والعروض ناصع

يحق على للمبشر انكم - خلع

نسيم الصباحى بنشر ربا الغ

اذا احتفلت اءاداب من كان فى الغ

نسمات الرضا وروح سلام - الغ

اقول لمن قد شفه الوجد ما تبغى

اياطالب سر المعارف فى الغ

يا اهل تحت الحصن انتم فوقه - يشرف

٦٤ محمد بن الحاج
٦٥ البونعماني
١٨٢ الشيخ الالغي
٢٨٤ محمد بن مسعود

القاف

٨٤ المؤلف
٢٨٢ محمد بن مسعود
٧١ المؤلف
١٧٩ الاستاذ محمد الالغي
٢٩٢ الشيخ الالغي
٢٩٢ الاستاذ على الالغي
٢٩٥ لبعضهم
٣٦١ الاستاذ على الالغي

الكاف

٣٤٠ لبعض الالغيين

اللام

٣٦ لبعض الالغيين
٦٨ المؤلف
٧٣ المؤلف
١٦٩ الاستاذ محمد الالغي
٢١٣ بعض الالغيين
٢٢٤ الاستاذ على الالغي
٢٩٣ الشاعر الافراني
٢٩٨ الشيخ الالغي
٢٩٨ الشاعر الافراني
٢٩٩ الشيخ الالغي
٣٠٠ الشيخ الالغي
٣١٨ سيدى عبد الله الالغي
٣٥٠ الاستاذ على الالغي
٣٦٢ الاستاذ على الالغي
٣٦٣ الاستاذ على الالغي
٣٦٤ الاستاذ على الالغي
٣٦٤ الاستاذ على الالغي
٣٦٤ الاستاذ على الالغي

بالغت في الارشاد يامن ينصف
لله ماقد هاج ذاك الموقف
فمن للعلا والمحسن والوفا
ذق من كؤوس ودآدهم فتصافى

لمن جفنة قد أقبلت تتألق
ئيهنكم ياءال الغ مفاخر - شرق
الغ فرد وس لمن منيته - رائق
فتارة ذو سرقة
ابا حسن زرنا على عجل ومن - فرق
اجيب بجثمانى وقلبي لديكم - فرق
هذه (كيزة) الضيوف الرشيفة
لله يوم خميس جادلى بلقا

وان اخاك الحق من كان مثنيا - فوقكا

وكم عانس بكرتخطت زواجها - الاهل
الغيث فى مارس بعد - الجميل
حنانيك الغ المكان الجميل
ايا ابن القطب احيا الدين جهرا - جهلا
وما مخبر عن الفتى مثل نفسه - الوصل
بيت اتيج الخير من وجهاته - القالى
هنيئا لقلبي والهناء على مثلي
فما اسم رباعى الحروف ترى الذى - اول
اتتنى فحلت من عقال التردى عقلى
تاملت هذا اللغز ياايها الخل
لله دركم يامن لهم دول
قدانقضى الخير وجاد الكمال
فتبا لهذا الدهر لايعرف البذلا
اهلا بمن رحل العنا بنزوله
ياقادما فضله فى العلم والعمل
ان لم تكن كابن مقلة
تبدي فخلت البدر فى الافق ينجلي
لله درك من امام عادل

٣٦٤ الاستاذ على الالغى اريد من خير اخواني وصفوتهم - العملة

الميم

- ٦٥ ابن العتيق يا اهل تحت الحصن ان يقع النوى - زعيم
٦٩ المؤلف ياطيب الغ فى الربيع فما - نسيم
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى انشئوا يا خير قوم
٢٩٢ الاستاذ محمد الالغى اباحسن منى سلام عليكم - سلام
٢٩٧ اشاعر الافرانى اتيتك حبوا للزيارة عندما
٣٠٠ الشيخ الالغى جزاك اله العرش خير جزائه - جزما
٣٥٤ المؤلف اعاطى اكؤس السلوى ندى
٣٦٢ محمد بن الطاهر شعر زرى بالعقد حسن نظامه

النون

- ٤٧ اشاعر الافرانى ان الموائد انت من شجعانها
٢٨٣ محمد بن مسعود حتى ربع الرباب من تحت حصن
٧٠ المؤلف الغ بسيط بلقع مقفر - عين
١٧٩ الاستاذ محمد الالغى سلام عليك يا على الشقيق والبنى - الغصن
٢١٦ محمد بن مسعود وراهم شيخ بزاية وقد - الاركان
٢٧٤ محمد بن مسعود مالى سواك وسيلة لله ثم - الصمدانى
٢٨٠ محمد بن مسعود قفا بالمطى فى اراكة نعمان
٢٨٢ محمد بن مسعود سقى الله احمى من تحت الحصن
٢٨٣ محمد بن مسعود ياسادتي الغر العظام الشان
٢٨٣ محمد بن مسعود ان فاتك القطب ذاك الشاذلى فلذ - ابى الحسن
٢٨٩ محمد بن مسعود وافت نوصل الهائم الحيران
٢٩٠ الحاج عبد الحميد الا ابلغ الشيخ الامام ابا الحسن
٢٩١ محمد بن المحفوظ أنت خير الشيوخ فى الاقران
٢٩٢ الاستاذ على الالغى ابا حسن تم مسرة عيدنا
٢٩٩ اشاعر الافرانى خليلى دلانى على شاحذ الذهن
٣٠٠ الشيخ الالغى ادخل مبارك حضرة الرحمن
٣٦٤ الاستاذ على الالغى عليك اماما اعجز اللسن فى اللسن
٣٦٤ المؤرخ الاكرارى سلام يخوت ملحضيض الى الثفنن
٣٨٧ الاستاذ على الالغى اتيت لامر حافز (فصك) وهى بلدة - احسان

الهاء

- ١٥ المؤلف لى همة عالية فذة - منتهى
٢٨٢ محمد بن مسعود تلك شمس القلوب بانث فتاهوا
٢٨٣ محمد بن مسعود ياسيدا اطلعت بالسوس طلعتة - تيه

الياء

- ٦٩ المؤلف نله الغ ومرءاها ومجياها
٣٠٠ الشيخ الألفى اموسى اجمعين فى الله همتك العليا
٢٩٧ الشاعر الافرانى تأرقت لما شمت برقاً حجازيا

الالف المقصورة

- ٢٩٣ الشاعر الافرانى ابا حسن هذا غداء جميعكم - الضحى
٣٦٤ الاستاذ على الالفى ان حسن الخط زين للفتى

الاراجيز

- ٤٦ بعض الالفين 'ملوا علينا من حديث املو
٥٣ الشاعر الافرانى هذا واني قد رايت رجزا
٦٩ لبعض الالفين اوصاف الغ متنافيات
١٧٣ الشيخ الالفى من رحلته متبعا شقيقه محمدا
١٩٠ منها قد كنت فى غياهب الغباوة
٢٠٨ منها كت ما سوى الاله جهرا

قطع منها فى رقم ٣٠١ كما فى رقم ٣٢٨ كما من ٢٣٨ الى ٢٥٧

- ١٨٠ الاستاذ محمد الالفى اتعبت فى تملك التصريح
١٨٠ الاستاذ محمد الالفى تكلف الاسفار للوطار

الفهرس الرابع

فى الرسائل والوثائق والظواهر والمراسيم الرسمية

- سيدى عبدالله بن سعيد الايموى
وثائق وظواهر من ٨٣ - الى ٩٠ ثم من ١١٢ - الى ١١٥
سيدى محمد بن عبد الله العلامة الالفى
رسائل فى هذه الارقام - ١٧٦ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٩
سيدى على بن عبد الله العلامة الاديب
رسائل فى هذه : لارقام ٣١٦ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٤ - ٣٥٦
ظواهر ٢٩ - ٣ - ٣٣٠
الشيخ الالفى
رسائل فى هذه الارقام ١٧٩ - ١٩٠ - ١٩٥ - ٢١٣ - ٢١٦ - ٢٢٥ - ٣٠٧ - ٣٠٩ - ٣٠٩
سيدى الزبير البعمرانى ٣١٥
سيدى الحسين الزرهونى ٣١٥
سيدى محمد بن على التادلى ٣١٤
محمد بن عبد السلام الورزائى ٣١٤
سيدى محمد بن العزيز الادوزى ٣٢٣
محمد بن المحفوظ التازيمامتى ٢٩١
سيدى الحبيب اليوسليماني ٣٢٣

الفهرس الخامس

في الالفاظ الشلجية التي وقع فيها حرف مشددة

إِذْبِيرَانْ	إِيغَرَمْ	تَافِيْكَاغْتْ
أَسَاكَوْأَصَانْ	إِيْسَافِنْ	تَاطَارُوسْتْ
أَسِيْفْ مُقُورَنْ	إِيْشَادَنْ	تِيْسَا
أَسْكَأَوْرْ	إِيْسَقَالْ	تِيْنُوضْفِيْوِيْنِ يِّيْپِيْنِ
أَضَارْ أَوْ كَلِيدْ	إِيْخَفْ وَيَنْتْ كُونَا	تِيْيِيُوْتْ
أَفْلَا أَوْ كَنْشِنْ	أَيْتْ أَوْ مِرِيْ	تِيْزِرَا إِيْفُوْ لُوشِنْ
أَكْرَامْ	أَوْبَا حُوْ	حُوْ كَا
أَكْنِيْ إِيْعَدَانْ	أَوْبَا لُوشْ	ذَرَا وُوغْ
أَمْلَنْ	تَازْ مُوْرْتْ	دُوْ كَادْبِرْ
أَمْتَضِيْ	تَالَاتْ غَزِيْفِنْ	دُوْ تَمْتَرُوْتْ
أَنْبَدْ نَدُوْمِلِيْلِيْنِ	تَارْ كَانْشُ لِمَاطْ	دُوْ نِمْلَانْ
أَوْجُوْ	تَامُوْدِيْزْتْ	الرَّ كَادَة
إِيْفَدْ إِيْفِيْ	تَابُوْرِيْشْتْ	مَامَانْسْ
إِيْشَانْ	تَاعْنُوْنْتْ	حَيْدَةْ بَنْ مَائِيْسْ

فهرس الخطأ والصواب

السطر	صفحة	
٢	هكذا هذه الابيات الثلاثة لا كما فى الاصل	
كان لم يكن الغ بلادى التى بها	سريت صغيرا بين شتى المسارب	
كان لم يكن أصلى ومنبت نبعى	ومجمع اخوانى ومغنى أصحابى	
كان لم تكن لى أرضها خير مرتقى	سموت بها فوق الذرى والمناكب	
السطر	خطأ	صواب
١١	وبعض ماسكو	وبعض ما سكوا
٦	أنخت العيش	أنخت العيس
٧	فى الحاشية - صوا	صوى
١	حفنة عصيدة	حفنة
٢٠	اغدايقى	اغدايقى
٣	فى جانبى الحوض	فى جانب
٢	فى الحاشية - الباديىن	البادين
٥	فى الحاشية - شطئه	شاطئه
١٣	فى الحاشية الضفاديع	الضفادع
٧	يتساوون	يتساوون فيه
١٠	يشعشعها	يشعشعها
٢٣	رشف الكؤوس	رشف لكؤوس
١	فى الحاشية - الجرج	الجرز
٢	وخزرتة	وحزرتة
١٣	التطفيات	النطفيات
١٩	بعضها ولكن	بعضها لكن
١٧	يرونها	يروونها
٣٢	ولا يعرف	ولا يعترف
٢٤	فى واد ساموكن	فى وادى ساموكن
١٨	الاعلى	الاصلى
٢٢	شاور	ثاور
١	سبلى	سيد
١١	فكان ممن يحرد	فكان يحرد
١٦	عن مجاط	عن مجاطى

صفحة	السطر	خطا	صواب
١٤٧		نحو ١٢١٥ ٤ ١٢١٦ هـ	قبل ١٢١٠ هـ = ١٢٩٦ هـ
١٤٧	٩	أتقن - اشتهر	أتقنوا - اشتهروا
١٥٩	١٩	القادح	القادح
١٦١	٢٠	ممن سار	ممن ساروا
١٦٦	٤٤	دعائم مراسية	راسية
١٧٩	١٤	لقد كان لك	لقد كان لكم
١٧٩	٣٠	فتحو	فتحوا
١٨٣	٧	عصاية	عصامية
١٩١	٢١	منهم الوقوف	منهم من الوقوف
١٩٢	١٧	ان يكون	أن يكونوا
٢٠٦	٢٢	وينفطر	وينفطر
٢١١	١٥	لم تمضى	لم تمض
٢١٧	٥	احتجت	احتجتم
٢٢٠	٢٩	كمن اخبره	عمن اخبره
٢٢٠	٢٨	وما رأى كمن سمع	وما رأى كمن سمع
٢٢١	١١	فى كثر القال	فى كثرة القال
٢٢٢	٢٩	فى ناحية المترجم	فى ناحية والمترجم
٢٢٣	١١	لما ستراه	كما ستراه
٢٢٤	٢٧	اذاك	اذ ذاك
٢٢٦	٧	ولو بداهم	ولو بداهم
٢٢٧	١	كبير	كثير
٢٢٧	٧	الشيخ	الشيخ
٢٢٧	٣٢	يتبجحوا	يتبجحوا
٢٢٧	٢٢	ظهرا نهم	ظهرا نهم
٢٣٢	٤	سيخلفه	يستخلفه
٢٣٦	٢٥	فى فايى او كادير	فى ايمى او كادير
٢٤٠	١٣	الجارى	الجار
٢٤٣	١٠	فابندورا	فابندورا
٢٤٤	١٦	ووليت	وووليت
٢٤٨	٢٦	يدرى	يدر
٢٥٢	٤	ليس	ليست
٢٥٤	١	أن يزيه	أن يزيه
٢٦٤	١٤	٠٠٠ القواد	وكذلك القواد

صفحة	السطر	خطا	صواب
٢٥٠	٣٣	الادوؤى	التاؤىمامتى
٢٦٨	٥	يخفف	يخف
٢٧٢	٥	يصون	يحصون
٢٨١	٣	من غير	من خير
٢٨١	٢٣	بلا مزج	بلا مزج
٢٨٢	٢٨	له - طب	لاه - طاب
٢٨٤	١٦	غراما	مزافا
٢٩٠	١٦	السارى	الसार
٢٩٤	٢	الانراضى	السكرادى
٢٩٥	٢٠	الله فى كل	الله كل
٣٠٣	١٩	حتى خرجت	حتى خربت
٣١٤	٥	ويجد	ويجدون
٣١٨	١٠	ضلعا	ظلعا
٣٢٣	٤٢	ذك	ذك
٣٢٥	٢٠	اخبار كثيرة	اخبارا
٣٤٠	١٦	ومتى لامثالهم	ومتى كان لامثالهم
٣٤٥	٣	أن يفمر	أن يفمز
٣٤٥	١٢	أوتى	أتسى
٣٤٥	١٧	يكر	يكرر
٣٤٧	١١	الى الاخلاق	الى الاخلاف
٣٤٧	١	فى الحاشية	تينجدا
٣٥٣	١٨	ففيما مضى	فيما مضى
٣٦٥	١٢	والاجلة أنصارى	مع أجلة انصار
٣٦٦	٧	جوف القرا	جوف الفرا
٣٧١	٢٤	التامانارتيون، سيدى اليزيدى	سيدى اليزيدى، التامانارتيون
٣٧٣	١٩	بفدة	بفلدة

هذه هي الاغلاط التى وقفنا عليها • وقد يكون هناك اخرى • فالقارىء النبیه
لاتخفى عنه



